دانيال ستيل

DANIELLE STEEL

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

رحمة مذهلة

Amazing Grace

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

رَحْمَةٌ مُنْزِلَةٌ

دانيال ستيل
DANIELLE STEEL

ترجمة
فايزة المنجد

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

كلمة
KALIMA

الناشران

كلمة
الإمارات العربية المتحدة – أبو ظبي – هاتف 6314468 2 971 + – فاكس 6314462 2 971+
ص.ب 2380 – الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.kalima.ae

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. s.a.l
لبنان – بيروت – هاتف 786233 - 785108 - 785107 1 961+ – فاكس: 786230 1 961+
ص.ب 13-5574 – الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

الطبعة الأولى 1430هـ – 2009م
ردمك 978-9953-87-636-8

جميع الحقوق العربية محفوظة للناشرين

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم،
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+) – ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb – الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي Amazing Grace
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من المؤلفة
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينها وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2007 by Danielle Steel

All rights reserved including the right of reproduction in whole or in part in any form.
Arabic Copyright © 2008 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

إن هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث "كلمة" والدار العربية للعلوم غير مسؤولتين عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبّر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبّر بالضرورة عن آرائهما.

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر

www.mlazna.com-RAYAHEEN

الفصل الأول

دخلـت سارة سلون قاعة الرقص في فندق ريتز - كارلتون في سان فرانسيسكو وقالت لنفسها... تبدو مذهلة حقاً! جُهزت الطاولات بأغطية دمشقية قشديّة اللون، تتلألأ عليها الشمعدانات الفضية وأدوات المائدة والأواني الكريستالية. لقد أحضرت من مصدر خارجي، حيث تبرّع بها هذا المصدر لاستخدامها هذه الأمسية فقط، وبذلك وفّر لمنظمي الحفل خيارات أكثر ترفاً من تلك التي يقدمها الفندق. كانت أطر الأطباق مطليّة بالذهب. وقد وضعت هدايا الحفل الملفوفة بالأشرطة فضية اللون على الطاولات في كل مكان. كان الخطّاط قد كتب لائحة الطعام لتلك الأمسية على بطاقات فخمة بلونٍ بني فاتح، ثم تثبيتها على قاعدات فضية صغيرة. أما بطاقات الجلوس ذات الزوايا المذهبة، فقد وُضعت مسبقاً تبعاً لجدول سارة المخطط له بعناية. خُصّصت مقدمة القاعة لطاولات الدرجة الأولى، والتي ضمت ثلاثة صفوف، أما طاولات الدرجتين الثانية والثالثة، فقد احتلّت الناحية الخلفية من القاعة. كما وُضعت بطاقات ببرنامج الحفل على كل مقعد، إلى جانب كاتالوج المزاد ولوحة مرقمة.

نظّمت سارة هذا الحدث بكل اجتهادٍ وتدقيقٍ مفصلٍ، وأولت عنايةً بالغة لكل أمر آخر تفعله، وعلى النحو الذي أدارت فيه مناسبات خيرية مشابهة في نيويورك. لقد أضفت على كل تفصيل لمستها الشخصية، وبدا الحدث زفافاً أكثر منه حفلاً خيرياً، وكانت تلقي نظرة على الأزهار قشديّة اللون المربوطة بأوشحة ذهبية وفضية على كل طاولة، والتي قدّمها أفضل

www.mlazna.com-RAYAHEEN

بائـــع زهور في المدينة بثلث ثمنها العادي. وستقدّم مؤسسة ساكس عرض الأزيـــاء، وسترسل مؤسسة تيفاني عارضات لعرض مجوهراتها والتجول بين الحشد.

كان هناك مزاد لقطع باهظة الثمن من ضمنها المجوهرات، ورحلات غريبة، ومعدات رياضية، وفرص للالتقاء بالمشاهير وإلقاء التحية عليهم، وســيارة رانـــج روفـــر سوداء اللون مركونة أمام الفندق مع شريط ذهبي معقـــود عـــند ســـطحها. وهناك شخص سيشعر بالسرور عند قيادته تلك الـــسيارة إلـــى منزله بعد انتهاء الحفل. وستستفيد وحدة حديثي الولادة في المشفى من هذه الأمسية أيضاً وستصبح أكثر سعادةً من رابح هذه السيارة. كـــان هـــذا الحفل الثاني لسمولست أنجلز، والذي تعمل سارة على تنظيمه وإدارتـــه. عـــاد عليهم الحفل الأول بأكثر من مليوني دولار، ما بين ثمن البطاقات، والمزاد، والتبرعات. وقد أملت أن يحقق هذا الحفل ثلاثة ملايين دولار.

سيساعدهم برنامج الترفيه رفيع المستوى، والذي تم الإعداد له بعناية على تحقيق هدفهم. كان هناك فرقة رقص ستقدّم لوحات راقصة بين الحين والآخـــر خلال الأمسية. وكانت إحدى المشاركات في البرنامج الترفيهي، ابـــنة موســـيقي شهير من هوليوود. عمل والدها على إقناع ميلاني فري لتـــشارك في هذا الحفل، وهذا ما سمح لهم برفع أسعار البطاقات، لا سيما بطاقـــات رعاة الحفل ومموّليه. كانت ميلاني قد فازت بجائزة غرامي قبل ثلاثـــة أشـــهر، وعادة ما تجني مبالغ طائلة لقاء كل أداء لها. ستتبرع بما تجنـــيه فـــي هـــذه الأمسية لسمولست أنجلز. وبهذا يكون ما يتوجب على سمولـــست أنجلـــز دفعه تكاليف تنظيم الحفل والبرنامج الذي سيقدّم خلاله فقـــط، وهـــي مـــرتفعة إلى حدٍّ ما. وقد قُدر بأن كلفة سفر أعضاء الفرقة المـــشاركة، وإقامتهم في الفندق، ونقل وتجهيز المعدات تصل إلى ثلاثمئة ألف دولار، الأمر الذي اعتبر صفقة مربحة، بالنظر إلى شهرة هذه الفرقة وتأثير أدائها في الحضور.

شعر الجميع بالذهول لدى تلقّيهم الدعوة ومعرفة هوية المغنية. كانت ميلانـــي فـــري ألمع فنانة في البلد في تلك الأثناء، وكان النظر إليها وحده يُبهـــر الأبصار. كانت في التاسعة عشرة من عمرها، وقد ازدادت شهرتها فـــي السنتين الأخيرتين بفضل نجاحاتها العديدة. أما حصولها مؤخراً على جائزة غرامي فهو إضافة أخرى رائعة إلى نجاحاتها المتتالية، وكانت سارة ممتـــنة لأنهـــا لا تـــزال مستعدة للتبرّع بما تجنيه من هذا الحفل الخيري لسمولـــست أنجلـــز. غير أن أكثر ما تخشاه هو أن تغيّر ميلاني رأيها في اللحظـــة الأخيرة. ففي الحفلات الخيرية، كثيراً ما يعتذر النجوم والمغنّون عن الحضور لحظة توقّع وصولهم. ولكن مديرة أعمال ميلاني أقسمت إنها ستحـــضر. كـــان من المتوقع أن تكون أمسيتهم ممتعة، هذا وسيكون هناك تغطـــية إعلامـــية شـــاملة للحدث. كما تمكنت اللجنة المنظّمة للحفل والتي تترأسها سارة سلون من الترتيب لحضور بعض النجوم من لوس أنجلوس، فـــضلاً عن الحشد الكثيف؛ فقد نفدت البطاقات، خصوصاً وأنّ شخصيات اجتماعـــية بـــارزة من سان فرانسيسكو كانت قد سارعت إلى شرائها فور الإعلان عن هذا الحفل. وخلال السنتين الماضيتين، كان هذا الحفل الخيري الأكثـــر أهمـــيةً وربحاً في سان فرانسيسكو، واعترف الجميع أن حضوره كان ممتعاً جداً.

أقامت سارة الحفل الخيري بعد تجربة شخصية لها مع وحدة حديثي الـــولادة، والتي أنقذت حياة ابنتها، مولي، قبل ثلاث سنوات، عندما ولدتها قـــبل ثلاثـــة أشهر من الموعد المحدد للولادة. كانت مولي المولود الأول لـــسارة. بـــدا كـــل شيء طبيعياً طوال فترة الحمل. كانت سارة في أحسن أحوالها، وفي عمر الثانية والثلاثين، افترضت أنها لن تواجه أي مشاكل أو تعقـــيدات، حتـــى جاءها المخاض قبل موعده في ليلةٍ ماطرة، ولم يتمكن الأطـــباء مـــن فعل شيء إزاء ذلك، سوى اتّخاذ القرار بولادة الطفل قبل المـــوعد المحـــدّد، خـــشية خسارته. ولدت مولي في اليوم التالي وأمضت شـــهرين في الحاضنة في وحدة العناية الفائقة الخاصة بحديثي الولادة، مع

سارة وزوجها سيث إلى جانبها. مكثت سارة في المشفى ليلاً ونهاراً، وتمكنوا من إنقاذ حياة مولي أخيراً من دون أي تأثيرات مرضيّة أو عوارض جانبية. إنها الآن طفلةٌ سعيدةٌ مرحةٌ في الثالثة من عمرها، تستعد للذهاب إلى روضة الأطفال في الخريف المقبل.

أما طفل سارة الثاني، أوليفر أولي، فقد ولدته في الصيف الماضي، من دون أي مشاكل. وهو طفل رائع، ممتلئ الجسم، دائم الضحك، عمره الآن تسعة أشهر. كان الطفلان مصدر البهجة في حياة سارة وزوجها. هي والدةٌ متفرّغة لولديها، ونشاطها الوحيد الآخر هو تنظيم هذا الحفل الخيري كل سنة. وهو يتطلب منها مقداراً هائلاً من العمل والتنظيم، وكانت بارعة جداً في القيام بذلك.

التقت سارة بزوجها سيث في كلّية ستانفورد للأعمال قبل ستّ سنوات، وهذا ما جاء بهما من نيويورك. تزوجا بعد التخرج، ومكثا في سان فرانسيسكو. حصل سيث على عمل في سيليكون فالي، ومباشرة بعد ولادة مولي افتتح شركته الاستثمارية الخاصة. أما سارة، فقررت ألا تكون امرأة عاملة. حملت بمولي ليلة زفافهما، وأرادت المكوث مع طفليها. كانت قد أمضت خمس سنوات في العمل في سوق أسهم نيويورك كمحللة، قبل الالتحاق بكلّية الأعمال في ستانفورد. أرادت أن تأخذ إجازة لبضع سنوات، وتستمتع بالأمومة كامل وقتها. فضلاً عن أن سيث كان يجني ما يكفي من المال من شركته الاستثمارية، إذاً، ما من سبب يدفعها للعودة إلى العمل.

في عمر السابعة والثلاثين، كان سيث قد جنى ثروة لا بأس بها، وهو واحدٌ من ألمع العاملين الشباب في القطاع المالي، في كلٍّ من سان فرانسيسكو ونيويورك. اشترى وزوجته سارة منزلاً كبيراً من حجر الآجر مشرفاً على الخليج في باسفيك هايتس، وملأه بقطع فنية معاصرة بالغة الأهمية: من إبداع كالدر، وإلسوورث كيلي، ودي كونينغ، وجاكسون بولوك، ومجموعة من الفنانين الواعدين. كان الزوجان يستمتعان بحياتهما في سان فرانسيسكو إلى أقصى الحدود. وكان انتقالهما إليها سهلاً بالنظر

إلى أن سيث قد فقد والديه قبل سنوات، وأن والدي سارة انتقلا إلى بيرمودا، وبهذا لم تعد روابطهما العائلية قوية. علم كل أفراد عائلتي سارة وسيث أنهما سيمكثان هناك، وقد كان لكل منهما مكانة في ميداني الأعمال والمجتمع في المدينة. وكانت شركة استثمارية منافسة قد قدّمت لسارة فرصة عمل، ولكنها لم ترغب بفعل أي شيء سوى قضاء الوقت مع أوليفر ومولي، وسيث عندما يتسنى له الوقت. كان قد اشترى طائرة جي 5، وكثيراً ما كان يحلق بها إلى لوس أنجلوس، وشيكاغو، وبوسطن، ونيويورك. وقد تمتعا بحياة مرفّهة تزداد تحسناً سنة بعد سنة. بالرغم من أنهما وسيث ترعرعا في ظروف جيدة، لم يكن أي منهما قد حظي بالحياة الفاخرة التي يتمتعان بها الآن. كانت سارة تشعر بالقلق من حين إلى آخر بأنهما ربما ينفقان الكثير من المال، فهما يملكان منزلاً فاخراً في تاهو بالإضافة إلى منزل المدينة، كما يملكان طائرتهما الخاصة. ولكن سيث أصر على أن أمورهما بخير. وقال بأنه ينبغي التمتّع بالمال الذي يجنيه. وليس هناك شك في أنهما يتقنان كيفية إنفاق المال والتمتّع به.

كان سيث يقود سيارة فيراري، وسارة تقود مرسيدس ستيشن مثالية لها مع طفليها، بالرغم من أنها كانت تتوق للحصول على سيارة الرانج روفر التي سيتم بيعها في المزاد الليلة. أخبرت سيث مسبقاً بأنها تجدها ظريفة حقاً. والأهم من ذلك كله، أن ثمنها سيكون بمثابة عمل إنساني وخيري، وهو أمر يهتم كلاهما به. فبالرغم من كل شيء، لقد أنقذت وحدة حديثي الولادة حياة مولي، في مشفى أقل تقنيةً وتطوراً من الناحية الطبية. فلولا عنايتهم بها، لما كانت ابنتهما الرائعة ذات السنوات الثلاث على قيد الحياة اليوم. كان ردّ المعروف لهم بتنظيمها الحفل الخيري، والذي كان فكرتها، يعني الكثير لسارة. سلمتهم اللجنة مبلغاً كبيراً من المال بعد أن تم حسم نفقات الأمسية. وتبرّع لهم سيث بمبلغ مئتي ألف دولار باسميهما. افتخرت سارة به كثيراً. إنه نجم حياتها، حتى بعد أربع سنوات من الزواج وطفلين، كانا مغرمين ببعضهما كثيراً. بل ويفكران في محاولة إنجاب طفلٍ

www.mlazna.com-RAYAHEEN

ثالث. لقد انشغلت سارة كثيراً بالتحضير للحفل الخيري طوال الأشهر الثلاثة الماضية. وقد سافرت وزوجها على متن يخت إلى اليونان لقضاء شهر آب، واعتقدت سارة أن ذلك هو الوقت المثالي للحمل مجدداً.

تفقّدت سارة ببطء كل طاولة في القاعة، ودقّقت ثانيةً في الأسماء على بطاقات الجلوس وقارنتها بلائحتها. كانت الإدارة المتقنة جزءاً من نجاح حفل سمولست أنجلز. إنه حدثٌ من الدرجة الأولى. وفي أثناء تفقّدها الطاولات الفضية، بعد الانتهاء من الطاولات الذهبية، عثرت على خطأين، وقد بدت نظرتها جادة حين أبدلت بعض بطاقات الجلوس. كانت قد انتهت للتو من تفحّص ما تبقّى من طاولات، وتهمّ لتفحّص حقائب هدايا الحفل التي عمل ستة من أعضاء اللجنة على ملئها ليتم توزيعها في نهاية الأمسية، عندما أسرعت مساعدة الحفل نحوها إلى القاعة، بنظرة تمتلئ بالإثارة. كانت شقراء، وطويلة، وجميلة، وهي زوجة مدير تنفيذي في إحدى الشركات الكبرى. كانت شريكته التي يتباهى بها، عارضة أزياء في نيويورك سابقاً، وتبلغ التاسعة والعشرين من عمرها. لم ترزق بأطفال ولا تخطط لأن تحظى بأي منهم. أرادت أن تنضم إلى اللجنة المنظّمة مع سارة، لأن العمل الخيري برأيها كان عملاً بارزاً، وفيه الكثير من المرح. استمتعت كثيراً بمساعدة سارة في الترتيب لكل شيء، وكان بينهما تنسيق تامّ. كان شعر أنجيلا أشقر، أما سارة فكان شعرها بنّياً داكناً طويلاً، وبشرتها قشديّة، وعيناها خضراوين كبيرتين. كانت شابة جميلة، حتى مع شعرها المصفف كذيل الفرس، ومن دون تبرّج، وبكنزة فضفاضة، وسروال جينز، وصندل. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة، وفي غضون ستّ ساعات سيتغيّر مظهر كلا المرأتين. أما الآن، فإنهما تعملان بجد.

"إنها هنا!"، همست أنجيلا بابتسامة عريضة.

"من؟"، سألت سارة، وقد وضعت اللائحة التي كانت تحملها على فخذيها.

"تعرفين من! ميلاني، طبعاً! لقد وصل أعضاء الفرقة. اصطحبت ميلاني إلى غرفتها". شعرت سارة بالراحة عندما لاحظت أنها وصلت في الوقت المناسب، على متن طائرة خاصة استأجرتها اللجنة لإحضارها وحاشيتها من لوس أنجلوس. كان أعضاء فرقتها والمساعدون قد وصلوا بطائرة تجارية، ونزلوا مسبقاً في غرف الفندق منذ ساعتين. أما ميلاني، وصديقتها المفضلة، ومديرة أعمالها، ومساعدتها، ومصففة شعرها، وصديقها الحميم، ووالدتها فقد جاؤوا جميعاً على متن الطائرة المستأجرة.

"هل هي بخير؟"، سألت سارة، قلقة. سبق أن تلقوا لائحة بكل شيء تطلبه، بما في ذلك قناني الماء من نوع كاليستوغا، واللبن قليل الدسم، واثني عشر نوعاً من الأطعمة الطبيعية وشرابها المفضل. تألّفت اللائحة من ستّ وعشرين صفحة، تشير إلى كل احتياجاتها الشخصية، وأطعمة والدتها المفضلة، والشراب الذي يحتسيه صديقها. وقد أضيفت أربعون صفحة أخرى تخص الفرقة وجميع المعدات الكهربائية والصوتية التي يحتاجون إليها على المنصة. أما البيانو الضخم والذي طلبته للعزف، فقد تم إحضاره في منتصف الليلة السابقة. من المخطط أن تقوم هي والفرقة بالتدرّب عند الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم. وبحلول ذلك الوقت، يتوجب على كل شخص آخر أن يخرج من القاعة، ولهذا السبب يفترض أن تنهي سارة جولتها عند الواحدة من بعد الظهر.

"إنها بخير. صديقها الحميم غريب الأطوار بعض الشيء، وقد أخافتني والدتها كثيراً، ولكن صديقتها المفضلة ظريفة. وميلاني جميلة حقاً ولطيفة".

لقد راود سارة ذلك الانطباع من خلال المرة الوحيدة التي تحدثت إليها عبر الهاتف. أما بقية الوقت، فتعاملت سارة مع مديرة أعمالها، ولكنها رأت من الجيد أن تتصل وتشكر ميلاني شخصياً على مشاركتها في الحفل الخيري. وها هو اليوم الكبير قد حلّ الآن. لم تعتذر ميلاني عن الحفل

لـتؤدي فـي مكـان آخر، لم تتحطم الطائرة، ووصلوا جميعاً في الوقت المناسب. أما الطقس فكان أكثر دفئاً من المعتاد. كانت شمس ما بعد ظهر منتـصف أيار مشرقةً. في الحقيقة، كان يوماً حاراً ورطباً، وهذا أمر نادر فـي سان فرانسيسكو، بل إنه أشبه بيومٍ صيفيٍّ في نيويورك. عرفت سارة أن هـذا الطقـس سيتغيّر قريباً، إلا أنه يبعث جوّاً من المرح في مثل تلك الأمسيات الدافئة. أما ما تخشاه سارة، فهو ما أخبرها به أحدهم مشيراً إلى أن مـثل هذه الأيام تعتبر "مناخاً مناسباً للزلزال" في سان فرانسيسكو. كان الأمـر بمثابة مزاح معها، إلا أنها لم تحب سماع ذلك على أي حال. كانت الـزلازل هي الأمر الوحيد الذي يقلقها في هذه المدينة منذ انتقالهما إليها، ولكـن الجمـيع طمأنها بأنها نادراً ما تحدث، وعندما تحدث، فهي زلازل صـغيرة. طـوال السنوات الستّ التي عاشتها في منطقة الخليج، لم تشعر بـأي واحد منها. ولهذا تجاهلت ما وصفوه بأنه مناخ الزلزال. لديها أمور أخرى لتقلق بشأنها الآن، كنجمتهم اللامعة وحاشيتها.

"هل تعتقدين أنه يتوجب عليّ الصعود لرؤيتها؟"، سألت سارة أنجيلا. لم ترغب بالتطفل، أو الظهور بمظهر الفظّة إن تجاهلتهم. "سألتقي بها هنا عندما تنزل للتدرب في الساعة الثانية".

"يمكنك فقط أن تلقي التحية".

حظـيت ميلاني وحاشيتها بجناحين كبيرين وخمس غرف أخرى في طابـق النادي، جميعها على حساب الفندق. شعروا بالحماسة لاستضافتهم هـذا الحـدث، وقدّموا للجنة الحفل خمسة أجنحة مجانية لنجومهم وخمس عـشرة غرفة وأجنحة صغيرة للمشاهير. نزل أعضاء الفرقة ومساعدوهم في طابق أقل رفاهية، في غرف أقل تكلفة من تلك التي يتوجب على اللجنة دفع ثمنها من عائدات الحفل الذي يقام الليلة.

أومـأت سـارة، ووضعت لائحتها في حقيبة يدها، ثم اطمأنّت على النـساء اللواتـي يمـلأن الأكياس بهدايا ثمينة قدّمتها مجموعة مختلفة من المحـال. وبعـد لحظـة، وصلت المصعد في طريقها إلى طابق النادي.

حجـزت لهـا ولـسيث غرفة هناك أيضاً، لهذا تمكنت من استخدام مفتاح (بطاقة) المصعد. وإلا لم يكن هناك طريقة للوصول إلى ذلك الطابق. رأت وسيث أنه من الأسهل عليها ارتداء ملابسها في الفندق والتأنّق على راحتها بدلاً من الذهاب إلى المنزل والإسراع في العودة. وافقت جليسة الأطفال أن تمكـث الليلة في منزلهما مع الطفلين، وهذا ما أضاف على الأمسية جمالاً ليأخذ كل من سارة وسيث إجازة هذه الليلة معاً. تلهفت لحلول اليوم التالي، عـندما يمكنها التمدد على السرير، وطلب الطعام والشراب، والتحدث عن حفـل الليلة السابقة. غير أنها لا تأمل الآن سوى أن يجري كل شيء على ما يرام.

حـال خـروجها من المصعد، وقع نظر سارة على قاعة كبيرة في طابق النادي. وضعت على طاولاتها الفطائر والشطائر والفاكهة وزجاجات الـشراب. كان هناك كراسٍ مريحة وطاولات وهواتف ومجموعة مختلفة من الصحف وتلفاز بشاشة عملاقة، وامرأتان تجلسان خلف مكتب لمساعدة الضيوف بأي طريقة ممكنة على حجوزات العشاء، أو استفساراتهم عن المدينة، أو الوجهات، أو محال العناية بالأظافر أو التدليك، أو غير ذلك مـن طلـبات. سألتهما سارة عن الاتجاه إلى غرفة ميلاني، ثم تابعت طـريقها إلى آخر الرواق. ولتفادي مشاحنات الأمن والمعجبين، نزلت ميلانـي باسـم هيستينغز، وهي كنية والدتها. كانت تفعل ذلك في كل فندق، وكذلك يفعل العديد من النجوم، الذين نادراً ما يحجزون بأسمائهم الشخصية.

طـرقت سـارة بلطـف باب الجناح الذي أعطتها رقمه المرأة عند المكـتب. تمكنت من سماع الموسيقى في الداخل، وبعد لحظة فتحت الباب امـرأة قـصيرة القامة وقوية البنية، ترتدي كنزة مكشوفة الظهر وسروال جينـز. كانت تحمل لوحة صفراء اللون، مع قلم أدخلته في شعرها في يد، وثـوباً للحفـل فـي اليد الأخرى. خمّنت سارة، واتضح أنها محقة، بأنها مساعدة ميلاني، والتي كانت قد تحدثت إليها أيضاً مسبقاً عبر الهاتف.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"بام؟"، سألت سارة، فابتسمت المرأة وأومأت. "أنا سارة سلون. جئت لإلقاء التحية".

"تفضلي"، قالت بابتهاج، بينما تبعتها سارة إلى غرفة المعيشة في الجناح، ورأت الفوضى حولها. ستّ حقائب مفتوحة على الأرض، محتوياتها مبعثرة في كل مكان. تكدّست في إحداها أثواب الحفلات الضيقة. وتبعثرت الأحذية، وسراويل الجينز، وحقائب اليد، والكنزات، والقمصان، وغطاء من الكشمير، ولعبة على شكل دب من الحقائب الأخرى. بدا وكأن كل فتيات الكورس قد وضعن ملابسهن على الأرض، وقد جلست على الأرض بجانب الحقائب شابة شقراء فاتنة المظهر. رفعت رأسها إلى الأعلى لتنظر إلى سارة، ثم عادت لتكمل بحثها في إحدى الحقائب، بدا واضحاً أنها تبحث عن شيءٍ محدد. لم يبدُ من السهل العثور على أي شيء داخل تلك الأكوام من الملابس.

نظرت سارة حولها في الغرفة، وقد شعرت وكأنها في المكان الخطأ، ثم رأتها، ميلاني فري، ممددة على الأريكة بملابس التدريب، ورأسها يستند إلى كتف صديقها. بدا أنه يناضل مع جهاز التحكم في يد، وكأس الشراب في اليد الأخرى. كان فتى وسيماً، وعرفت سارة أنه ممثلٌ ترك مؤخراً برنامجاً تلفزيونياً ناجحاً بسبب إدمانه العقاقير. وتذكرت أيضاً أنه خرج مؤخراً من مصح لإعادة التأهيل، وبدا صاحياً عندما ابتسم لسارة، بالرغم من وجود زجاجة الشراب إلى جانبه على الأرض. كان اسمه جيك. نهضت ميلاني لتلقي التحية على سارة. بدت أصغر مما كانت عليه وهي لا تضع مساحيق التجميل. بدت وكأنها في السادسة عشرة من عمرها مع شعر طويل أملس ذهبي اللون. كان شعر صديقها أسود داكناً ومموجاً، وقبل أن تتلفظ ميلاني بأي كلمة، ظهرت والدتها فجأة وصافحت يد سارة، حتى كادت تؤلمها.

"أهلاً، أنا جانيت، والدة ميلاني. أحببنا المكان هنا. شكراً لإحضاركم كل ما هو مدوّن على اللائحة. طفلتي تحب أطعمتها المعتادة، تعرفين كيف

هو الحال"، قالت هذا مع ابتسامة عريضة وودودة. كانت امرأة جميلة في منتصف العقد الرابع والتي ربما كانت فائقة الجمال في السابق، وقد كان جسدها أكثر تناسقاً في ما مضى. فبالرغم من وجهها الجميل، كانت عريضة الردفين. لم تنطق طفلتها بأي كلمة بعد. لم يتسنّ لها ذلك أمام ثرثرة والدتها. كان شعر جانيت هيستينغز مصبوغاً باللون الأحمر الفاقع. كان اللون جريئاً جداً لا سيما أمام شعر ميلاني الأشقر الفاتح ومظهرها الطفولي.

"أهلاً"، قالت ميلاني بهدوء. لم تبدُ كنجمة، بل كمراهقة جميلة. صافحت سارة كلاً منهما بينما تابعت والدة ميلاني حديثها، وكانت هناك امرأتان تتابعان المشي في أنحاء الغرفة بحثاً عن أغراضهما، في حين نهض صديقها وقال إنه ذاهب إلى النادي.

"لا أرغب بالتطفل. سأتركك ترتاحون"، قالت سارة هذا لميلاني ووالدتها، ومن ثم حدّقت مباشرة إلى ميلاني. "ألا زلت ترغبين بالبدء بالتجربة عند الساعة الثانية بعد الظهر؟"، أومأت ميلاني، ثم نظرت إلى مساعدتها، بينما أجابت مديرة أعمالها الواقفة عند مدخل الباب.

"تقول الفرقة إنها مستعدة للبدء عند الساعة الثانية والدقيقة الخمسين. يمكن لميلاني أن تبدأ عند الساعة الثالثة. نحتاج إلى ساعة فقط، لنتمكن من تفحص الصوت في القاعة".

"هذا جيد"، طمأنتهم سارة، عندما وصلت خادمة الفندق لأخذ ثوب ميلاني للكي. كان من القماش اللماع والشبكيّ. "سأكون بانتظارك في القاعة، للتأكد من أن لديك كل ما تحتاجين إليه". يتوجب عليها الذهاب إلى مصفف الشعر عند الرابعة، ليتمّ تصفيف شعرها والعناية بأظافرها، ثم تعود إلى الفندق عند الساعة السادسة، لترتدي ملابسها وتنزل إلى القاعة عند السابعة، لتفحص الأمور للمرة الأخيرة، والتأكد من أن الجميع جاهزٌ ومستعدٌ، ولاستقبال الضيوف. "وصلَ البيانو الليلة الماضية. وتم ضبطه هذا الصباح". ابتسمت ميلاني وأومأت مجدداً، ومن ثم جلست على

الكرسي، بينما أطلقت صديقتها الجائمة على الأرض بجانب الحقيبة هتاف النصر. كانت سارة قد سمعت أحدهم يناديها باسم آشلي، وكانت تمتلك مظهراً طفولياً مشابهاً لمظهر ميلاني.

"وجدته! هل يمكنني ارتداؤه الليلة؟"، رفعت ثوباً ضيقاً مخططاً على صورة النمر وأرته لميلاني. أومأت ميلاني، وقهقهت آشلي مجدداً عندما وجدت الحذاء المناسب والذي بدا كعبه عالياً بعض الشيء. ركضت وهي تحمله لتجرّبه، وابتسمت ميلاني بخجل أمام سارة مجدداً.

شرحت ميلاني "أنا وآشلي صديقتان منذ كنّا في سنّ الخامسة في المدرسة معاً، إنها صديقتي المقرّبة. تذهب معي إلى كل مكان". لقد أصبحت كما اتضح جزءاً من الحاشية، ولم تمنع سارة نفسها من التفكير في هذه الطريقة الغريبة للعيش. راودها شعور بأن نمط حياتهم يشبه نمط أولئك الذين يعملون في السيرك، بين غرف الفنادق والكواليس والمسارح. في غضون دقائق، بدا الجناح الفاخر في فندق ريتز – كارلتون وكأنه مهجع لطلاب جامعيين. وحالما ذهب جيك إلى النادي، لم يبقَ سوى الإناث في الغرفة. كانت مصففة الشعر قد أضافت خصلة غليظة إلى شعر ميلاني الأشقر. فبدا شعرها فاتناً عبر هذه اللمسة.

قالت سارة، وهي تنظر إلى عيني ميلاني مبتسمة. "شكراً لقيامك بهذا، رأيتك في حفل غرامي وكنت رائعة. هل ستؤدين أغنية *لا تتركني الليلة*؟".

"نعم، ستفعل"، أجابت والدتها عنها، وهي تناول ابنتها قنينة من مياه كاليستوغا التي طلبتها مسبقاً، واقفة بين ميلاني وسارة، ومتحدّثةً نيابة عنها وكأنه لا وجود لهذه النجمة الشقراء الجميلة. ومن دون إكمال محادثتها، جلست ميلاني على الأريكة، وأمسكت بجهاز التحكم، وأخذت تشرب المياه، ثم اختارت قناة أم تي في. "نحب تلك الأغنية"، قالت جانيت بابتسامة عريضة.

"وكذلك أنا"، وافقتها سارة، مندهشة قليلاً من نفوذ جانيت. بدت وكأنها من تدير حياة ابنتها، وتظن أنها جزءٌ من نجوميتها تماماً مثل

ميلاني نفسها. لم يبدُ أن ميلاني تعارض ذلك، من الواضح أنها معتادة على الأمر. بعد بضع دقائق، عادت صديقتها إلى الغرفة، تترنح على الحذاء وترتدي الثوب الذي استعارته من ميلاني. بدا فضفاضاً عليها بعض الشيء. جلست على الأريكة مباشرةً لتنضم إلى صديقة طفولتها في مشاهدة التلفاز.

كان من المستحيل ملاحظة ميلاني خصوصاً في حضور صديقتها وأمها. بدا أنها ضعيفة الشخصية، ولا تستخدم صوتها سوى للغناء. "أتعلمين أنني كنت راقصةً في لاس فيغاس"، قالت جانيت لسارة، والتي حاولت أن تبدو معجبة بحديثها. كان من السهل تصديق ذلك، فقد بدت من هذا النوع، بالرغم من جسدها الممتلئ وثدييها الكبيرين، والتي شكّت سارة في أنهما غير حقيقيين وكانت على حق. وكان ثديا ميلاني كبيرين أيضاً، مقارنةً مع جسدها المثير، والنحيل، والمنحوت بشكل رائع. بدا أن جانيت قد اجتازت ربيع عمرها. في الحقيقة، بدا أنها اجتازته منذ زمن طويل. كانت امرأة ذات حضور منفر: صوت عالٍ وشخصية فظّة. شعرت سارة بالارتباك وهي تبحث عن الأعذار لمغادرة الغرفة، بينما تسمّرت ميلاني وصديقة طفولتها أمام شاشة التلفاز.

"سألاقيك في الأسفل للتأكد من أن كل شيء جاهز للتدريب"، قالت سارة لجانيت، حيث بدت أنها الوكيلة عن حياة ابنتها بدوام كامل. لا تزال سارة تملك الوقت الكافي للذهاب إلى مصفف الشعر، حتى وإن مكثت في جناح ميلاني لعشرين دقيقة إضافية. وسيكون كل شيء آخر قد أنجز بحلول ذلك الوقت. في الحقيقة، كان كل شيء قد جُهّز مسبقاً.

"تلتقي هناك". ابتسمت جانيت بابتهاج لها، بينما خرجت سارة من الجناح واتجهت إلى غرفتها.

جلست لبضع دقائق، وتفحصت الرسائل على هاتفها الخلوي. كانت قد تلقّت رسالتين وهي في جناح ميلاني، ولم ترغب بالردّ عليهما. كانت إحدى الرسائل من بائع الزهور، يخبرها أنه سيتم ملء الأوعية الأربعة

www.mlazna.com-RAYAHEEN

الـضخمة خارج القاعة عند الساعة الرابعة. أما الثانية فمن فرقة الرقص، التـي تؤكد على موعد عرض الرقصة الأولى عند الساعة الثامنة مساءً. اتـصلت بالمنزل للاطمئنان على طفليها بعد ذلك، وأخبرتها الجليسة أنهما بخيـر. كانت بارماني امرأة نيبالية لطيفة وقد بقيت معهم منذ ولادة مولي. لـم تكن سارة ترغب باستخدام مقيمة، أحبت العناية بطفليها بنفسها، ولكن بارمانـي كانـت تأتـي فـي النهار لمساعدتها، وتمكث عندها في بعض الأمسيات فقط عندما تخرج وسيث في موعد خاص. ستمكث معهما الليلة، وهـي نـادراً ما كانت تفعل ذلك، إلا أنها شعرت بالسعادة كثيراً لتقديمها المـساعدة في مناسبة خاصة كهذه. لقد عرفت مقدار أهمية الحفل الخيري بالنـسبة إلـى سارة، وكم عملت عليه بجدٍّ منذ أشهر. تمنت لها الحظ قبل إنهاء المكالمة. وأرادت سارة إلقاء التحية على مولي، ولكنها كانت نائمة.

عـندما انـتهت سـارة، تفحصت بعض الملاحظات على لائحتها، وفـردت شـعرها الذي بدا بحالة فوضوية. حان الوقت للنزول إلى القاعة للقاء ميلاني وطاقمها قبل بدء تجربتهم. أخبرت مسبقاً أن ميلاني لا ترغب بوجـود أحـد فـي القاعة في أثناء التدريب. وعندما فكّرت سارة بالأمر تـساءلت إن كانت والدتها من طلب ذلك، من دون علم النجمة. لم يبدُ أن ميلاني تكترث لمن يتواجد حولها. بدا أنها لا تمانع وجود أحد، من يدخل، أو يخـرج، أو ماذا يفعلون. ربما يختلف الأمر في أثناء الأداء، قالت سارة لنفـسها. غيـر أن ميلاني كانت ذات شخصية مذعنة وغير مبالية، وهما ميـزتان تمتلكهما عادة الطفلة المطيعة فقط، كما كانت صاحبة صوت غير عـاديّ، كمـا هو واضح. وكحال جميع من حجز البطاقات، كانت سارة متلهفة للتمتّع بأدائها الليلة.

كـان أعضاء الفرقة في القاعة حين دخلت سارة. كانوا يقفون هناك، يتحدثون ويضحكون، في حين أنهى المساعدون تجهيز المعدات وتركيبها. اكتمل عددهم تقريباً، وبدت المجموعة بكاملها أشبه بطاقم متنوع المهمات. كـان هناك ثمانية رجال في فرقة ميلاني، وتوجب على سارة تذكير نفسها

بأن الفتاة الشقراء الجميلة التي رأتها تشاهد قناة أم تي في، في الجناح منذ قلـيل، هـي الآن إحدى أكبر نجمات الغناء في العالم. لم تكن متعالية أو متعجـرفة. ولعلّ ما يذكّر بأنها من المشاهير هو حجم حاشيتها. إلا أنها لم تمـتلك أياً من الصفات أو التصرفات السيئة التي تمتلكها معظم النجمات. فسارة لم تنسَ المغنية التي جاءت إلى حفل سمولست أنجلز السنة الماضية والتـي أصيبت بنوبة غضب كبيرة بسبب مشكلة في نظام الصوت قبل أن تـبدأ، رمـت مديـرة أعمالها بقنينة الماء، وهدّدت بالمغادرة. تم إصلاح المشكلة على الفور، ولكن كادت سارة أن تفقد وعيها من فكرة إلغاء الحفل في الدقيقة الأخيرة. أما صفات ميلاني المريحة فتجعل التعامل معها أسهل فعلاً، بغض النظر عن مطالب والدتها باسمها.

انتظـرت سـارة عشر دقائق أخرى إلى حين انتهائهم من التجهيز، وأخذت تتساءل إن كانت ميلاني ستتأخر في النزول، ولكنها لم تجرؤ على طرح السؤال بصوتٍ عالٍ. سألت بتحفظٍ ما إن حصل أعضاء الفرقة على كل ما يريدونه، وجلست بهدوء إلى الطاولة، بعيداً عنهم، وانتظرت ظهور ميلانـي. كانت الساعة الرابعة إلا عشر دقائق عندما دخلت، وعلمت سارة أنهـا سـتتأخر فـي الذهاب إلى مصفف الشعر. سيتوجب عليها الإسراع لتجهيـز نفـسها في الوقت المناسب. ولكن يتوجب عليها الاطمئنان على مهماتهـا أولاً، وهـذه إحـداها؛ الاستمرار في دعم النجمة، التواجد الدائم بجانبها، والفوز برضاها إن دعت الحاجة.

دخلـت ميلانـي تنـتعل صندلاً وترتدي كنزة ضيقة وسروال جينز قـصيراً. رفعـت شعرها إلى الأعلى في مشبكٍ على شكل موزة، وكانت صديقتها المفضلة إلى جانبها. أسرعت والدتها بالدخول أولاً، ثمّ مساعدتها ومديرة أعمالها، وبقي حارسان ذوا مظهرين مفزعين على مقربة منها. أما صديقها الحميم، جيك، فلم تتمكن من رؤيته. ربما لا يزال في النادي. كان مـن الصعب ملاحظة ميلاني بين المجموعة. ناولها الطبّال شراباً منعشاً، فـتحت الـزجاجة، وشربت جرعة كبيرة، ثم قفزت إلى المنصة، وغمزت

وهـي تنظـر حولها. بالمقارنة مع الأماكن التي اعتادت أن تؤدي حفلاتها فيها بدا هذا المكان صغيراً. بعثت في القاعة شعوراً بالدفء والحميمية، لا سـيما من خلال الطريقة التي جهزتها بها سارة، وحالما يتم تخفيف الإنارة وإشعال الشموع عند حلول الأمسية، ستبدو جميلة جداً. أضيئت القاعة على نحـو ساطع الآن، وبعد أن نظرت ميلاني حولها لدقيقة، صاحت إلى أحد مساعديها، "أوقف عمل الإضاءة!"، لقد انبعثت الحياة فيها. تمكنت سارة من رؤيـة ذلـك وهي تنظر إليها، وعندها اقتربت من المنصة بحذرٍ لتتحدث إليها. ونظرت ميلاني إليها مبتسمة.

"هل كل شيء على ما يرام؟"، سألت سارة وهي تشعر مجدداً وكأنها تـتحدث إلـى طفلـة، ثم ذكّرت نفسها بأن ميلاني مراهقة بالرغم من كل شيء، حتى ولو كانت نجمة.

"يـبدو المكان رائعاً. لقد قمت بعمل جميل حقاً"، قالت ميلاني بلطف، فتأثرت سارة بذلك.

"شكراً لك. هل تحتاج الفرقة إلى أي شيء؟".

ألقت ميلاني نظرة واثقة إلى أعضاء الفرقة. كانت أكثر سروراً وهي علـى المنـصة. فهذا هو عملها الذي تبرع فيه. كان عالماً مألوفاً بالنسبة إليها، بالرغم من كونه أجمل بكثير من الأمكنة التي تؤدي فيها عادةً. أحبت المكـان. "لديكم كل شيء تحتاجون إليه، يا شباب؟"، سألت أعضاء الفرقة. أومـأ الجمـيع، وقالـوا بـأنهم يملكون كل شيء، ثم بدأوا بضبط آلاتهم الموسـيقية ومعـدّاتهم على المفاتيح الصحيحة، بينما نسيت ميلاني وجود سارة والتفتت إليهم. أخبرتهم ما الذي تريد أداءه أولاً. كانوا قد اتفقوا مسبقاً على ترتيب الأغنيات التي ستؤديها، بما فيها تلك التي لاقت النجاح الهائل مؤخراً.

أدركـت سارة أنهم لم يعودوا بحاجة إليها، وأرادت المغادرة. كانت الساعة الرابعة والخمس دقائق، وبهذا ستتأخر على موعدها نصف ساعة. سـتكون محظوظة إن حظيت بالوقت للعناية بأظافرها... وربما لن يكون

لديها الوقت لذلك. وصلت إلى باب القاعة عندما أوقفها أحد أعضاء اللجنة ومدير الطعام برفقته. تواجههم مشكلة في المقبلات. لم يصل محار أولمبيا بعـد، والـنوع الذي يمتلكونه ليس طازجاً بما يكفي، وبهذا يتوجب عليها انـتقاء شـيء آخـر. قرار ثانوي للمرة الأولى. اعتادت سارة على تلك القـرارات الكبيـرة. أخبرت امرأة في اللجنة أن تختار بنفسها، وألا يكون ثمـن الكافـيار أو أي شـيء آخـر يفوق ميزانيتهم، وبهذا، هرعت إلى المـصعد، أسرعت عبر الرواق، وطلبت سيارتها من المستخدم. كانت قد ركنـتها فـي الجـوار. وبهذا ساهم البقشيش الكبير الذي أعطته إياه هذا الـصباح فـي مـساعدتها. انطلقت بسرعة إلى شارع كاليفورنيا، اتجهت يـساراً، ثم توجهت إلى شارع نوب هيل. بعد خمس عشرة دقيقة وصلت إلـى مقـصدها، ودخلت الصالون منقطعة الأنفاس. كانت الساعة الرابعة وخمـساً وثلاثين دقيقة، ويتوجب عليها المغادرة قبل السادسة. كانت تأمل المغادرة عند الخامسة وخمس وأربعين دقيقة على الأقل، وهذا أمر لم يعد ممكـناً. عـرفوا أنها تنظّم حفلاً خيرياً تلك الليلة، فأسرعوا بغسل شعرها وإعـداد ما يلزم لتصفيفه كي لا تتأخر في العودة إلى الفندق. أحضروا لها فـنجاناً من الشاي. ثمّ جاءت مقلّمة الأظافر حال الانتهاء من غسل شعرها وتجفيفه بعناية.

"إذاً كيف تبدو ميلاني فري؟"، سألتها مصففة الشعر، على أمل سماع بعض الثرثرة. "هل جيك معها؟".

"نعم"، قالت سارة بتحفظ، "وتبدو حقاً فتاة لطيفة جداً. أنا واثقة من أن أداءهـا سـيكون رائعـاً الليلة". أغمضت سارة عينيها، تحاول الاسترخاء بشدة. أمامها ليلة طويلة وناجحة كما تأمل. كانت تنتظرها بفارغ الصبر.

في أثناء تسريح شعر سارة تسريحةً فرنسية الإيحاء، أنيقة، مع نجوم صـغيرة من حجر الراين على بعض الخصلات، وصل إيفريت كارسون إلـى الفندق، وهو مصوّر من مونتانا. كان طوله يزيد عن ستة أقدام، ولا يزال يبدو مثل راعي البقر الذي كان عليه في شبابه. كان طويلاً وهزيلاً،

وبـدا شـعره الطـويل جداً غير ممشط، وقد ارتدى سروال جينز وكنزة بيضاء، وانتعل حذاء رعاة البقر الذي يعتبره جالباً للحظ. كان حذاؤه قديماً وبالـياً وإنمـا مـريحاً، ومصنوعاً من الجلد الأسود. كان أفضل ثرواته، وينوي انتعاله مع الملابس التي استأجرتها المجلة ليرتديها تلك الليلة. أبرز تـصريحه الـصحفي عند مكتب الاستعلامات، حيث ابتسموا وقالوا بأنهم كانوا يتوقعون وصوله. كان ريتز – كارلتون أكثر روعة من الأماكن التي ينزل فيها إيفريت عادةً. كان هذا النوع من العمل جديداً عليه، لا سيما في هذه المجلة. جاء إلى هنا لتغطية الحفل الخيري لمجلة سكوب، وهي مجلة تعنـى بنشر أخبار وأحداث هوليوود. كان قد أمضى السنوات في تصوير الحروب لوكالة أنباء أسوشييتد برس، وبعد أخذ إجازة لمدة سنة ثمّ مغادرة الـوكالة، احـتاج إلى العمل، واضطر إلى القبول بهذه الوظيفة. وفي هذه الليلة، يكون قد بدأ أسبوعه الثالث مع هذه المجلة. وقد عمل حتى الآن على تـصوير ثلاث حفلات روك وزفاف في هوليوود، وهذا هو الحفل الخيري الثانـي الـذي يعمل على تصويره. إنها حتماً ليست المناسبات التي يفضّل تـصويرها. بدأ يشعر وكأنه نادل في تلك الملابس الرسمية التي يرتديها. اشتاق إلى الظروف البائسة التي اعتاد عليها والتي شعر بالراحة في أثناء تـصويرها خـلال السنوات التسع والعشرين التي عمل فيها مع أسوشييتد بـرس. كـان قد بلغ الثمانية والأربعين من عمره للتو، وحاول أن يشعر بالامتـنان علـى استضافته في تلك الغرفة الصغيرة المليئة بالأثاث، حيث ألقـى بحقيبـته البالية التي جابت معه أرجاء العالم. ربما إن أغلق عينيه، بإمكانـه التظاهـر أنه في سايغون أو باكستان أو نيودلهي... أفغانستان... لبـنان... البوسـنة، في أثناء الحروب هناك. ظل يسأل نفسه كيف يمكن لـرجل مـثله أن ينتهـي في العمل في الحفلات الخيرية وحفلات زفاف المشاهير. تلك عقوبة قاسية وغريبة من نوعها عليه.

"شكراً"، قال للموظف الذي رافقه إلى غرفته. كان هناك كتيب عن وحدة حديثـي الولادة على المكتب، ومنشور دعاية لحفل سمولست أنجلز، لم يكترث

لهمـا أبداً. إلا أنه سيقوم بعمله. هو هناك لالتقاط صور المشاهير وتغطية أداء ميلاني. قال له المحرر مسبقاً بأنه حدثٌ بالغ الأهمية، ولهذا هو موجود هناك.

تـناول زجاجـة من عصير الليمون من ثلاجة غرفة الفندق، فتحها، وشـرب مـنها جـرعة كبيرة. كانت غرفته تطلّ على المبنى المقابل في الـشارع، وكل شيء فيها كان نظيفاً وأنيقاً على نحو لا يُصدّق. اشتاق إلى أصوات وروائح حُفرِ الجرذان التي نام فيها على مدى سنوات عمله، وإلى رائحـة الفقر النتنة في الشوارع الخلفية لنيودلهي، وإلى جميع تلك الأماكن الغريبة التي أخذته إليها مهنته في العقود الثلاثة الماضية.

"هوّن عليك، إيف"، قال لنفسه بصوتٍ مرتفع، شغّل التلفاز على قناة سـي أن أن، وجلس على حافة السرير، ثم أخرج ورقة مطوية من جيبه. كان قد طبعها عن الإنترنيت قبل مغادرته المكتب في لوس أنجلوس. لا بد من أن هذا يوم حظه، قال لنفسه. كان هناك اجتماع على بُعد شارع واحد، فـي دار عـبادة فـي شـارع كاليفورنيا تدعى أولد سانت ماري. موعد الاجـتماع فـي السادسة بعد الظهر، ويستمر لمدة ساعة، وبهذا يتمكن من العـودة إلى الفندق في السابعة، عندما يبدأ الحفل. وهذا يعني أنه سيذهب إلـى الاجـتماع ببذلته الرسمية، لكي لا يبدأ عمله متأخراً. لم يرغب بأن يتذمّر أحد من أدائه أو يشكوه للمحرّرين الذين يعمل معهم. فلا يزال الوقت باكراً للبدء بإهمال الأعمال. لطالما فعل ذلك ونجا بفعلته. ولكنه كان يثمل حيـنها. إلا أن هذه بداية جديدة، ولا يريد تجاوز الحدود المفروضة عليه. إنه يتصرف كالولد المطيع، حيّ الضمير، الصادق. راوده شعور وكأنه قد الـتحق بالحضانة من جديد. فبعد التقاطه لصور الجنود القتلى في الخنادق والقذائـف تطلـق مـن حـوله، شـعر بأن تصوير حفل خيري في سان فرانسيسكو أمر تافه بعض الشيء، بالرغم من أن آخرين ربما يعشقون هذه المهمة. لم يكن واحداً منهم، لسوء الحظ. بل اعتبره موقفاً مليئاً بالمصاعب.

تـنهّد وهو ينهي عصير الليمون، ألقى الزجاجة في سلة المهملات، نزع ملابسه، ودخل الحمام.

كان للمياه تأثير قويّ وجيد في جسده. لقد كان الطقس حاراً في لوس أنجلوس، ودافئاً ورطباً هنا. شعر بأنه أفضل حال عندما خرج من الحمام بفضل مكيف الهواء، ثم أمر نفسه بالتوقف عن التذمر، وهو يرتدي ملابسه مجدداً. قرر أن يستسلم للأمر ثم تناول قطعاً من الشوكولا كانت موضوعة بجانب سريره وتناول كعكة محلاة من الثلاجة. نظر إلى نفسه في المرآة وهو يعقد ربطة عنقه على شكل فراشة، ويرتدي سترة بذلته المستأجرة.

"يا الله، تبدو مثل الموسيقيّ... أو الرجل النبيل"، قال مبتسماً. "آه... لا... بل مجرد نادل... دعنا لا نهذي هنا". لقد كان مصوراً بارعاً فاز مرةً بجائزة بولتزر. ظهرت العديد من صوره على غلاف مجلة التايم. كما اشتهر بالعمل في قطاع التجارة أيضاً، وبعد فترة من الزمن أفسد كل هذا بالشرب، إلا أن حاله تغيّر، الآن على الأقل. أمضى ستة أشهر في مصح لإعادة التأهيل، وخمسة أخرى في أحد المقارّ ليكتشف طريقه. أما الآن فيعتقد أنه تمكّن من اكتشافه. أقلع عن عادة الإسراف في الشرب إلى الأبد. ليس هناك وسيلة للتخلص من ذلك. فعندما وصل إلى الحضيض، وكاد يموت في فندق رخيص في بانكوك، أنقذته إحدى بنات الهوى التي كانت برفقته، وأبقته حياً إلى حين وصول المسعفين. نقله أحد زملائه الصحفيين إلى الولايات المتحدة. أما وكالة أنباء أسوشييتد برس فطردته لعدم تواجده في الميدان لما يقارب الثلاثة أسابيع، وإفساد جميع العناوين الرئيسية للمرة المئة تقريباً تلك السنة. لم يعد قادراً على التحكم بالأمور، ولهذا دخل المصح، ووافق على المكوث فيه ثلاثين يوماً فقط. وعندما خرج أدرك كم كان وضعه سيئاً؛ إما التوقف عن الشرب أو الموت. ولهذا، مكث ستة أشهر أخرى واختار الامتناع عن الشرب بدلاً من الموت في المرة التالية التي يذهب فيها إلى حفل صاخب.

منذ ذلك الحين، ازداد وزنه، وتمتّع بصحة جيدة، وحضر اجتماعات المتعافين من الإدمان كل يوم، وأحياناً بوتيرة تصل إلى ثلاث مرات في اليوم. لم يعد الأمر صعباً الآن كما كان في البداية، ولكنه كان يعلم أن هذه

الاجتماعات تساعد سواه بالتأكيد، إلا أنها لا تساعده شخصياً على النحو الذي يتمناّه. وقد أصبح لديه راعٍ الآن، ومضى عليه من دون احتساء الشراب ما يزيد عن السنة تقريباً. وضع بطاقة انتسابه في جيبه، انتعل حذاءه الجالب للحظ، ونسي أن يمشط شعره. حمل مفتاح الغرفة، وخرج منها عند السادسة وثلاث دقائق، وحقيبة الكاميرا تتدلى من كتفه، والابتسامة تعلو شفتيه. كان يشعر بأنه أفضل حالاً مما كان عليه قبل ساعة. لم تكن الحياة سهلة عليه كل يوم، ولكنها أفضل بكثير مما كانت عليه قبل سنة. وكما قال له أحدهم في الاجتماع ذات مرة: "ما زلت أواجه أياماً عصيبة، ولكنني اعتدت أن أواجه سنوات عصيبة". بدت الحياة جميلة بعض الشيء برأيه الآن، وبعد أن خرج من الفندق، التفت يميناً إلى شارع كاليفورنيا، ثم سار مسافة شارع إلى دار عبادة أولد سانت ماري. كان يتطلع إلى حضور الاجتماع. كان مزاجه مناسباً لحضور الاجتماع الليلة. لمس بطاقة الانتساب التي يحملها منذ سنة، كما كان يفعل في الكثير من الأوقات، يذكّر نفسه كم أنجز خلال السنة الماضية.

"رائع..."، همس لنفسه، وهو يدخل إلى بيت رجل الدين ليبحث عن المجموعة. كانت الساعة السادسة والثماني دقائق تماماً. وكما الحال دائماً، عرف أنه سيشارك في هذا الاجتماع.

في الوقت الذي كان فيه إيفريت يدخل دار عبادة أولد سانت ماري، قفزت سارة من سيارتها ودخلت الفندق مسرعةً. بقي أمامها خمس وأربعون دقيقة لترتدي ملابسها، وخمس دقائق لتنزل من غرفتها. وضعت الطلاء على أظافرها، ولكنها أفسدت اثنين منها عندما هرعت تبحث في حقيبتها عن البقشيش. إلا أنها بدت جيدة، وأحبّت الطريقة التي صففوا بها شعرها. أصدر صندلها صوتاً حاداً وهي تركض في الرواق. ابتسم البوّاب لها وهي تدخل مسرعةً، وصاح: "حظاً طيباً الليلة!".

"شكراً"، لوّحت له، استخدمت مفتاح المصعد للوصول إلى طابق النادي، وبعد ثلاث دقائق، وصلت غرفتها، فتحت صندوق حوض

الاستحمام، وأخرجت ثوبها من الحقيبة التي جاء فيها. كان باللونين الأبيض والفضي المتلألئين، ويُظهر جسدها على نحو مثالي. اشترت حذاءً عالي الكعب من مانولو بلاهنيك وسيؤلمها كثيراً وهي تمشي فيه، ولكنه بدا رائعاً مع الثوب.

دخلت وخرجت من الحوض خلال خمس دقائق، جلست للتبرّج، وكانت تثبّت القرطين الماسيين عندما دخل سيث في السابعة إلا عشرين دقيقة. كانت تلك ليلة الخميس، وكان قد توسل إليها أن تحدد موعد الحفل الخيري في عطلة نهاية الأسبوع، لكي لا يتوجب عليه النهوض عند الفجر في الصباح التالي، ولكن هذا هو اليوم الوحيد الذي منحها إياه كل من الفندق وميلاني.

بدا سيث مُجهداً كحاله دائماً عندما يعود إلى المنزل من المكتب. كان يعمل بجد، ويحمل أكثر من بطيخة في يد واحدة. إن نجاحاً كنجاحه لا يتحقق بالاسترخاء والإهمال. ولكن تعبه بدا واضحاً على نحو خاص الليلة. جلس على حافة الحوض، مرر يده على شعره، وانحنى ليقبل زوجته.

"تبدو مرهقاً"، قالت متعاطفة. كانا زوجين رائعين. فهما متفاهمان كثيراً منذ اليوم الذي التقيا فيه في كلّية الأعمال. تمتعا بزواجٍ سعيد، أحبا حياتهما وطفليهما. ولقد منحها حياةً جميلة في السنوات القليلة الماضية. وهي أحبّت كل شيء في حياتهما معاً، والأهم من ذلك، أحبت كل شيء فيه.

اعترف "أنا مرهق". وسألها "كيف هي الأمور الليلة؟". أحب سماع الأمور التي تفعلها. لقد كان سندها المخلص وأكبر معجب لها. كما كان يعتقد أحياناً بأن مكوثها في المنزل خسارة بالنسبة إلى شخص ذي عقل تجاري عظيم يحمل شهادة في إدارة الأعمال، ولكنه كان ممتناً لتكريس وقتها لطفليهما وله.

"رائعة!"، ابتسمت سارة وهي تجيب عن سؤاله، ثم انسلّت في لفافة تكاد تكون خفية من مشدّ جلدي قصير أبيض اللون. امتلكت جسداً مناسباً

للمشدّ، وقد أثاره النظر إليها. ولم يتمكن من مقاومة مدّ يده إليها. "لا تبدأ، حبيبي"، حذرته ضاحكةً، "وإلا سأتأخر. يمكنك أن تنزل متى تشاء إلى الأسفل. إن وصلت إلى هناك في الوقت المناسب لتناول العشاء، فسيكون هذا رائعاً. في السابعة والنصف، إن أمكن". نظر إلى ساعته وأومأ. كانت الساعة السابعة إلا عشر دقائق. بقي أمامها خمس دقائق لترتدي ثيابها.

"سأنزل بعد نصف ساعة. لديّ بضع مكالمات أجريها أولاً". دائماً ما يفعل ذلك ولن تختلف الليلة عن غيرها. تتفهّم سارة ذلك. إن إدارة شركته تجعله منشغلاً ليلاً ونهاراً. ذكّرها ذلك بأيام عملها في سوق أسهم نيويورك، عندما كانت تشارك في إدارة العروض الأولية العامة. باتت حياته على هذا النحو باستمرار الآن، ولهذا السبب كان سعيداً وناجحاً، وهما يتمتعان بالحياة التي يريدانها. يعيشان كشخصين ثريين. كانت سارة ممتنة لذلك، بل توليه الاهتمام أيضاً. رفع لها زمّام ثوبها. بدا رائعاً عليها، فقال بابتهاج: "واو! يا لك من جذّابة، حبيبتي!".

"شكراً لك". ابتسمت له، وقبّلا بعضهما. وضعت بعض الأشياء في حقيبة يدها الفضية الصغيرة، انتعلت الحذاء المثير الذي يتماشى مع الثوب، ولوّحت بيدها وهي تغادر الغرفة. كان يتحدث عبر هاتفه الخلوي مع صديقه المفضل في نيويورك، مجرياً بعض الترتيبات لليوم التالي. لم تهتمّ بسماع ما يقول. تركت زجاجة شراب وكأساً مليئة بالثلج بجانبه، وأغلقت باب الجناح خلفها.

دخلت المصعد متوجّهةً إلى قاعة الرقص، أسفل ردهة الانتظار بثلاثة طوابق، وبدا كل شيء مثالياً. امتلأت الأحواض بالأزهار البيضاء قشدية اللون. وجلست الشابات الجميلات في أثواب سهرة برّاقة إلى طاولات طويلة، ينتظرن تسليم الضيوف بطاقات المرافقة وإدخالهم. كانت العارضات يتجولن في الأنحاء بأثواب سوداء طويلة، واضعات مجوهرات رائعة من تيفاني، وقلّة من الأشخاص كانوا قد وصلوا قبلها. كانت سارة

تـتأكد مـن أن كل شيء في مكانه، عندما دخل رجلٌ طويلٌ بشعر مشعث رملـي اللـون وحقيبة الكاميرا تتدلى من كتفه. ابتسم لها معجباً بجسدها، وأخبـرها أنـه من مجلة سكوب. سُرّت بذلك. فكلما حصلوا على تغطية إعلامية أكبر، كلما كان العائد أفضل في السنة المقبلة، وكلما لقوا استحساناً أكبـر مـن المطـربين الـذين قد يتبرعون بأدائهم، اعتبرت سارة وجود الـصحافة أمـراً جيداً لهم سيمكنهم من جمع المزيد من الأموال في العام القادم.

"أنـا إيفـريت كارسون"، قدّم نفسه، وشبك بطاقة صحفية على جيب بذلته الرسمية. بدا مسترخياً ومرتاحاً بالكامل.

"أنـا سـارة سـلون، مـنظّمة الحفل الخيري. أترغب بمشروب؟". عرضـت علـيه شراباً، فهزّ رأسه مبتسماً ومتعجباً كيف أن عرض تقديم الـشراب يأتي مباشرة بعد تقديم التعريف الشخصي وأحياناً يأتي بعد كلمة مرحباً مباشرة.

"لا، شـكراً، أنـا بخيـر. هل هناك شخص مميز ترغبين بأن أبقي عدسـتي عليه الليلة؟ من مشاهير محليين مثلاً، أو الشخصيات الاجتماعية الـبارزة فـي المدينة؟". أخبرته بأن آل غيتي سيحضرون، وشون وروبن رايت بين، وروبن ومارشا ويليامز، بالإضافة إلى قلّة من الأسماء المحلية اللامعة التي لم يعرفها، ولكنها وعدت أن تشير إليهم حال دخولهم.

عادت لتقف بالقرب من الطاولات الطويلة، لتلقي التحية على بعض الأشـخاص وهـم يخـرجون مـن المصعد، بالقرب من طاولات تسجيل الدخول. وبدأ إيفريت كارسون بالتقاط صور للعارضات. اثنتان منهما كانتا مثيرتـي المظهـر مع صدرين يبرزان عقدين ماسيين تعرضانهما. كانت الأخـريات نحيلات جداً ولم يثرن إعجابه. عاد والتقط صورة لسارة، قبل أن تنـشغل في الحفل. كانت امرأة شابة وجميلة، بشعرها الداكن، والنجوم الـصغيرة المبعثـرة داخلـه، وعينيها الخضراوين الكبيرتين اللتين كانتا تبتسمان له.

"شكراً لك"، قالت بلطف، وبدوره ابتسم ابتسامة دافئة. تساءلت لماذا لـم يمـشّط شعره، ربما قد نسي، أو ربما ذلك هو الشكل الذي يظهر فيه. لاحظت الحذاء الجلدي الأسود البالي. بدا كشخصية تلفزيونية، وكانت واثقة مـن أن قـصة مثيـرة تكمـن وراءه، بالرغم من أنها لا تملك الفرصة لمعـرفتها. فهـو مجـرد صحفي من مجلة سكوب جاء من لوس أنجلوس لحضور الأمسية.

"حظـاً طيـباً فـي حفلتك"، قال، ثم مشى بعيداً من جديد، تماماً في اللحظة التي أفرغ فيها المصعد حوالى ثلاثين شخصاً دفعة واحدة. بالنسبة إلى سارة، لقد بدأت أمسية سمولست أنجلز لتوها.

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الفصل الثاني

تأخـر بـرنامج الحفل أكثر مما توقعت سارة، لأن دخول الناس إلى القاعـة والجلـوس في أماكنهم استغرق وقتاً طويلاً. كان مقدّم الحفل نجماً كبيـراً في هوليوود عمل في برنامج مقابلات أمام الجماهير لسنوات، وقد تقاعـد لـتوه، وبـدا رائعاً حقاً. حثّ الجميع على الجلوس في أماكنهم، ثم رحّب بالمشاهير الذين جاؤوا من لوس أنجلوس لحضور الأمسية، وبالطبع بالمحافظ والنجوم المحليين. وبعدها بدأت الأمسية كما هو مخطط لها.

وعـدت سـارة أن تختصر الخطابات لأقصى ما يمكن. فبعد حديث مختـصر من قبل الطبيب المسؤول عن وحدة حديثي الولادة، عُرض فيلم قـصير عـن الأعمـال الإنسانية التي تنجز فيه. تحدثت سارة بعدها عن تجربتها الخاصة مع مولي. وفوراً، بدأوا بالمزاد، وقد امتاز بالحيوية. بيع خلاله عقد ماسي من مؤسسة تيفاني بمبلغ مئة ألف دولار. أما بطاقات لقاء المـشاهير فبيعت بمبالغ مالية طائلة. وكلب بوركشير الصغير والرائع فقد بـيع بعشرة آلاف دولار. وسيارة الرانج روفر بمئة وعشرة آلاف دولار. اسـتمرّ سيث في المزايدة عليها ولكنه أخفض لوحته في النهاية واستسلم. همست سارة بأنه لا بأس بذلك، فهي سعيدة بالسيارة التي تملكها. ابتسم لها ولكنه بدا مشتت الذهن. لاحظت ثانيةً كم كان متوتراً، وافترضت أنه واجه يوماً عصبياً في المكتب.

وقعـت عينيها على إيفريت كارسون مرتين في أثناء الأمسية. كانت قـد أعطـته أرقام طاولات الشخصيات الاجتماعية البارزة. كما تواجدت

صحيفة دبليو هناك، بالإضافة إلى تاون آند كونتري، وإنترتينمينت ويكلي، وإنترتينمينت تونايت. انتظر المصورون ومصورو القنوات التلفزيونية أن تـبدأ ميلاني بالغناء ليبدأوا بالتصوير. بدا أنّ الأمسية ستشهد نجاحاً هائلاً. كـسبوا أكثـر من أربعمئة ألف دولار من المزاد، وذلك بفضل المزايدين المتلهّفـين. كمـا ساعدتهم لوحتان باهظتا الثمن من معرض فنون محلي، وسـاهمت أيضاً بعض بطاقات السفر والرحلات المتميزة في زيادة المبلغ الذي كسبوه. وبالإضافة إلى ثمن المقاعد، تجاوز المبلغ الذي تم جمعه حتى الآن مـا كـان مـتوقعاً، ودائماً ما كان يُتوقع وصول شيكات بعد أيام من مختلف المتبرعين.

أخذت سارة تتجول بين الطاولات، تشكر الأشخاص على حضورهم، وتلقي التحية على الأصدقاء. كان هناك عدة طاولات في القسم الخلفي من القاعة والتي تم التبرع بحجزها للمنظمات الخيرية، والفرع المحلي للصليب الأحمـر، ومؤسـسة مخصصة للتوعية من مخاطر الانتحار، وقد شُغلت طاولة أخرى بالأخوات ورجال الدين، اشترت بطاقاتها المؤسسات الخيرية الدينـية، والتي كان المشفى الذي يضم وحدة حديثي الولادة تابعاً لها. رأت سـارة رجال دين، وعدداً من النساء في زيّ أسود اللون أو أزرق داكن. جلـست إحـدى الأخوات بزيها الخاص على الطاولة، وهي امرأة صغيرة الجـسد بشعرها الأحمر وعينيها الزرقاوين المشعّتين. عرفتها سارة على الفـور. اسمها الأخت ماري مجدلين كينت، وكانت تقوم بالعديد من أعمال البـرّ والإحسان في المدينة. اشتهرت بعملها في الشوارع مع المشردين، وكان مـوقفها ضد حكومة المدينة لعدم بذلها المجهود لمساعدة المشردين، أمراً يثير الكثيـر من الجدل. أرادت سارة التحدث إليها تلك الليلة، ولكنها كانت منشغلة جـداً بـآلاف التفاصيل التي توجب عليها أن تبقي عينيها عليها لضمان نجاح الأمسية. تحركت برشاقة أمام الطاولة مع إيماءة برأسها وابتسامة لرجال الدين والأخـوات الجالـسين هـناك والمستمتعين بالأمسية كما كان واضحاً. كانوا يتحدثون ويبتسمون، وشعرت سارة بالسرور لرؤيتهم يستمتعون بوقتهم.

لـم أعتقد أنني سأراك هنا الليلة، ماغي"، علّق رجل الدين المسؤول عـن تقديم الطعام المجاني للفقراء في المدينة، ضاحكاً. كان يعرفها جيداً. كانـت الأخـت ماري مجدلين مندفعة في الشوارع، تدافع عن الأشخاص الـذين تهتم بهم، ولكنها خجولة عندما تخرج في المناسبات الاجتماعية. لم يـتمكن حتـى من تذكر رؤيتها في أي حفل خيري من قبل. ارتدت إحدى الأخـوات الأخريات زيّاً أزرق أنيق المظهر، كان شعرها قصيراً، وكانت رئيسة كلّية التمريض في جامعة سان فرانسيسكو. بدت الأخوات الأخريات عـصريات ودنيويات بعض الشيء، وهن يجلسن هناك، يستمتعن بالوجبة اللذيـذة. أما الأخت ماري مجدلين، أو ماغي كما يناديها أصدقاؤها، فبدت مـستاءةً معظم الأمسية، تشعر بالحرج لتواجدها في الحفل، وغطاء رأسها المنحـرف بعـض الشيء ينزلق عن شعرها الأحمر القصير اللامع. بدت أشبه بالقزم الذي يرتدي زيّ الأخت.

"لم أرغب بالمجيء"، قالت بصوتٍ خافتٍ للأب أوكاسي. "لا تسألني عن الـسبب، ولكن إحداهن أعطتني البطاقة. عاملة اجتماعية أعمل معها. أخبرتها أن تعطـي المقعـد لـشخص آخر، ولكنني لم أرغب بأن أظهر وكأنني لست شاكرةً لها". بدت وكأنها تعتذر عن تواجدها هنا، واعتقدت أنه يتوجب عليها أن تكون في الشوارع. إن مثل هذه المناسبات ليست من نمطها حتماً.

"امنحي نفسك بعض الراحة، ماغي. تعملين بجد أكثر من أي شخص أعرفه"، قال الأب أوكاسي بسماحة نفس. كان يعرف الأخت ماري مجدلين مـنذ سـنوات، وقد أحب أفكارها وتطرّفها في الأعمال الخيرية، وعملها الدؤوب في الميدان. "ومع ذلك أشعر بالاستغراب لرؤيتك في زيّ الأخت"، ضـحك بينه وبين نفسه، وهو يسكب لها كأساً من الشراب لم تلمسه. حتى قـبل أن تلتحق بالمقر، عندما كانت في الواحدة والعشرين من عمرها، لم تتناول الشراب أو تدخن إطلاقاً.

ضـحكت مجيـبةً: "إنـه الثوب الوحيد الذي أملكه. أرتدي سراويل الجينز والكنزات الخفيفة كل يوم وأنا أعمل مع المشرّدين. لست بحاجة إلى

ملابـس باهظـة الثمن في عملي". نظرت إلى الأخوات الثلاث الأخريات الجالسات قبالتها، واللواتي كن أشبه بسيّدات المنازل أو مدرّسات الجامعات أكثر من كونهن أخوات.

"مـن الجـيد أن تخرجـي". بدأوا يتحدثون عن سياسات دار العبادة بعـدها، الموقف الجدلي الذي اتُخذ مؤخراً بشأن تعيين رجال الدين، وعن آخـر البيانات الصادرة من روما. وكان يشغل بالها بصورة خاصة قانون المدينـة المقتـرح حالياً والذي يتم تقييمه من مجلس المشرفين، ويؤثر في الأشخاص الذين تعمل معهم في الشوارع. اعتقدت أن القانون محدود وغير عـادل وسيؤذي أولئك المقربين منها. كانت ذكية جداً، وبعد بضع دقائق، انضم رجلا دين آخران وأخت إلى المناقشة. اهتموا كثيراً بما تقوله، كونها تعرف عن الموضوع أكثر من أي شخص آخر.

"ماغـي، أنت قاسية جداً"، قالت الأخت دومينيكا، والتي تترأس كلّية التمريض: "لا يمكننا حل كل المشاكل في آن واحد".

"أحـاول حلهـا واحـدة تلـو الأخرى"، قالت الأخت ماري مجدلين بتواضـع. لقـد امتلكت الاثنتان حساً مشتركاً بمساعدة الآخرين، فالأخت ماغـي تخـرجت من كلّية التمريض قبل التحاقها بالمقر. وقد وجدت أن مهاراتها مفيدة لأولئك الذين تحاول مساعدتهم. وفي أثناء إكمالهم محادثتهم، ساد الظلام في القاعة. انتهى المزاد، قُدمت الحلوى، وكانت ميلاني على وشك أن تـبدأ. قدّمها مُقدّم الحفل للتو، وببطء ساد الصمت والترقب في الغرفة. "من هي؟"، همست الأخت ماري مجدلين، فابتسم جميع الموجودين على الطاولة.

"أشـهر مغنـية شابة في العالم. لقد فازت بجائزة غرامي مؤخراً"، همـس الأب جوي، وأومأت الأخت ماغي. كانت الأمسية خارج اهتمامها حتماً. كانت متعبة، وتتلهف لانتهاء الأمسية، عندما بدأت الموسيقى. بدأت الفـرقة بعزف ألحان أغنية ميلاني الأولى، ومن ثم دوّى الصوت وسطع الـضوء واللون، ظهرت ميلاني متجهة إلى المنصة مثل الشارد الغريب، وقد بدأت تغني أغنية الافتتاح.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

شـاهدتها الأخت ماري مجدلين، بافتتان، كحال جميع الموجودين في القاعـة. سُحروا بجمالها، والقوة المذهلة لصوتها. لم يكن هناك أي صوت في القاعة باستثناء صوتها.

"واو!"، قـال سيث وهو ينظر إليها من الصف الأمامي، ويربّت على يـد زوجته. لقد قامت بعمل رائع. كان مشوشاً وقلقاً من قبل، ولكنه أصبح الآن محباً ومنتبهاً إليها. "يا الله! إنها رائعة!"، أضاف سيث، عندما لاحظت سارة إيفريت كارسون جاثماً أسفل المنصة، يلتقط صوراً لميلاني في أثناء أدائهـا. كانـت جميلة على نحو يقطع الأنفاس في ثوبها الذي يكاد يكون شفافاً. بدا ثوبها كأنه بريق على جلدها. ذهبت سارة خلف الكواليس لتراها قبل البدء. كانت والدتها تدعمها، وبدا جيك نصف مخبول، يتناول الشراب من دون أن يضيف إليه الماء.

سحرت أغاني ميلاني الجمهور. جلست على حافة المنصة لأداء آخر أغنية، تمد يدها إلى الجمهور، تغني لهم وتمزّق قلوبهم. وقع كل رجل في القاعـة فـي حبها حينها، وتمنّت كل امرأة لو كانت مكانها. كانت ميلاني أجمـل بألـف مرة مما بدت عليه لسارة عندما رأتها في الجناح. امتلكت حضوراً وطاقة على المنصة وصوتاً لن ينساه أحد أبداً. لقد جمّلت الأمسية، واستندت سارة إلى كرسيها ترتسم على وجهها ابتسامة الرضا المطلق. لقد كانـت ليلة مثالية. كان الطعام ممتازاً، وبدت القاعة رائعة، كانت التغطية الـصحفية كثـيفة، كمـا حقق المزاد عائداً كبيراً، أما ميلاني فكانت الكنز الثمين في هذه الليلة. حظي الحدث بنجاح ساحق، وسيبيع بطاقاته بصورة أسـرع الـسنة القادمة نتيجة لذلك، ربما بأسعار أعلى. عرفت سارة أنها أنجـزت مهمتها، وأنجزتها ببراعة. قال سيث بأنه فخور بها، وكانت هي فخورة بنفسها أيضاً.

رأت سارة إيفريت كارسون يقترب من ميلاني أكثر، يلتقط لها المزيد مـن الـصور فشعرت بالدوار من إثارة الحدث، وبينما هي كذلك، شعرت بـأن القاعة تتأرجح قليلاً. للحظة، اعتقدت بأنها مصابة بالدوار. وبعدها،

رفعـت رأسها بشكل غير إرادي ورأت الثريا تتأرجح فوق رأسها. لم يبدُ الأمـر منطقـياً بالنسبة إليها، وفي اللحظة التي رفعت فيها رأسها، سمعت دمدمـة منخفـضة، مثل تأوه هائل. لدقيقة، بدا أن كل شيء قد توقف، مع اضـطراب الأضـواء وتـأرجح القاعة، نهض شخص ما بقربها وصاح، "زلزال!". توقفت الموسيقى، بينما تحطّمت الطاولات والأواني، في اللحظة التـي انقطعت فيها الإضاءة وبدأ الناس بالصراخ. ساد الظلام الدامس في القاعـة، وارتفع صوت الأنين، كان الناس يصيحون ويصرخون، وتحولت الحركة الخفيفة في القاعة إلى رعدة مخيفة وهي تنتقل من جانب إلى آخر. كان سيث وسارة يجثمان على الأرض في ذلك الوقت، كان قد سحبها إلى تحت الطاولة قبل أن تنقلب.

"أوه يـا الله"، قالـت له، تتشبث به، وهو يطوّقها بذراعيه ويمسكها بقـوة. كـل ما تمكّنت من التفكير فيه هو طفلاها في المنزل مع بارماني. كانت تبكي، مذعورةً ومتلهفةً للعودة إليهما، إن تمكنوا جميعاً من اجتياز ما يحـصل لهـم الآن. بدا أن تموّج القاعة وأصوات التحطم سيستمران إلى الأبـد. مـضى الوقت قبل أن يتوقف كل ذلك. صدر المزيد من أصوات الـتحطم بعـد ذلـك، والناس يصيحون ويتدافعون ويرحلون حين أُضيئت إشارات المخرج. كانت الإشارات قد توقفت، ولكن محركاً في مكان ما في الفندق أعاد إضاءتها مجدداً. انتشر إحساسٌ بالفوضى في كل مكان حولهم.

"لا تتحركـي لبضع دقائق"، قال سيث من حيث يمكثان. تمكنت من الإحـساس بـه، ولكـنها لـم تعد قادرة على رؤيته في الظلام الدامس. "سيسحقك الحشد".

"ماذا إن انهار المبنى علينا؟". كانت ترتجف ولا تزال تبكي.

"إن حصل ذلك، انتهى أمرنا"، قال بصراحة.

أدركـا تماماً، كحال جميع من في القاعة، بأنهما تحت سطح الأرض بـثلاثة طوابـق. لـم يكن لديهم أي فكرة عن طريقة الخروج، أو من أي

طـريق. كـان الضجيج في القاعة يصمّ الآذان مع صياح الناس، ثم ظهر موظفـو الفـندق مع أضواء كشافة عند إشارات الخروج. أعلمهم شخص يحمـل مكبر صوت بأن يبقوا هادئين، ويتقدموا بحذر باتجاه المخارج وألا يـصابوا بالذعر. كانت هناك أضواء خافتة في الرواق خلفهم، بينما ظلت القاعـة فـي ظلام دامس. إنها التجربة الأكثر رعباً في حياة سارة. أمسك سيث بذراعها، وسحبها لتنهض، بينما اندفع مئة وستون شخصاً في طريقهم نحـو المخـارج. كان هناك أصوات لأناس يبكون، ولآخرين يتأوهون من الألـم، والـبعض يـصيحون طالبين النجدة لأنّ شخصاً ما بقربهم أصيب بالأذى.

كانت الأخت ماغي قد وقفت على قدميها مسبقاً، تتحرك بين الحشود بدلاً من التحرك خارج القاعة. "ما الذي تفعلينه؟"، صاح الأب جوي، بات بإمكـانهم أن يـروا قليلاً الآن بسبب النور القادم من الرواق خلفهم. كانت الأوعـية الضخمة من الأزهار قد سقطت، والقاعة في مشهد من الفوضى والاضـطراب. اعتقد الأب جوي بأن ماغي مضطربة وهي تشق طريقها داخل القاعة.

"سـأتلقى بك في الخارج!"، صاحت، وهي تختفي بين الحشود، وفي غـضون دقائـق، كانـت تجثم على ركبتيها أمام رجل قال بأنه يعتقد أنه مـصاب بنوبة قلبية، ولكنه يملك حبّة نتروغلسيرين في جيبه. اقتربت منه من دون أي رسميات وساعدته على إيجادها، أخرجت الحبة، ووضعتها في فمـه، ثم طلبت منه ألا يتحرك. كانت واثقة من أن المساعدة ستأتي سريعاً لإعانة المصابين.

تـركته مع زوجته المذعورة، وانتقلت بين الطاولات المبعثرة متمنية لـو كانت تنتعل حذاء العمل بدلاً من الخف المنبسط الذي كانت قد انتعلته. كانـت أرضـية القاعة تشكل ممراً مُعيقاً من الطاولات المنقلبة رأساً على عقـب، والطعـام والأطـباق والـزجاج المحطـم في كل مكان، وبعض الأشـخاص الممـدين وسـط الحطام. شقّت الأخت ماغي طريقها بصورة

منـتظمة نحوهم، كما فعل العديد من الأشخاص الآخرين، الذين قالوا بأنهم أطباء. لقد كان هناك العديد منهم في القاعة، إلا أن قلّة فقط مكثوا لمساعدة المـصابين. قالت امرأة تبكي مع ذراع مصابة بأنها تعتقد أن المخاض قد جاءها. أخبرتها الأخت ماري ألا تفكر حتى في الأمر إلا بعد خروجها من الفندق، فابتسمت المرأة الحامل عندما ساعدتها ماغي على النهوض وبدأت بالتحرك إلى خارج القاعة متشبّثة بشدة بذراع زوجها. كان الجميع مصاباً بالذعـر خشية حدوث هزات ارتدادية، والتي ربما تكون أسوأ من الزلزال الأول. لـم يكـن هناك شك برأي أحد في أن قوة الزلزال تجاوزت السبع درجـات علـى مقياس ريختر، وربما ثماني درجات، وانتشرت أصوات الأنين في القاعة حولهم حين استقر الحال مجدداً، وهذا لم يكن مطمئناً على الإطلاق.

فـي مقدمـة القاعة، كان إيفريت كارسون بالقرب من ميلاني عندما حـدث الزلـزال. وعندما اهتزت القاعة بجنون، انزلقت من المنصة إلى ذراعـيه، وسقط كلاهما على الأرض. ساعدها على النهوض عندما توقف الاهتزاز.

"هـل أنت بخير؟ لقد كان أداؤك رائعاً بالمناسبة"، قال مازحاً. حالما فتحت أبواب القاعة وانعكس النور إلى الداخل من الرواق لاحظ بأن ثوبها قد تمزق، فخلع سترة بذلته ليغطيها.

"شكراً لك"، قالت، وقد بدت مشوشة. "ما الذي حصل؟".

"زلزال بقوة سبع أو ثماني درجات، على ما أعتقد"، قال إيفريت.

"اللعنة، ما الذي سنفعله الآن؟". بدت ميلاني خائفة، وإنما غير مذعورة.

"نفعل ما يقولونه لنا، ونخرج أنفسنا من هنا ونحاول ألا يدوسنا أحد". لقـد شهد زلازل من قبل وأعاصير وكوارث مشابهة في جنوبي آسيا على مـرّ الـسنوات. ولكن لم يكن هناك شك في أن هذا زلزال كبير جداً. لقد انقـضى بالتحديد مئة سنة منذ الزلزال الأخير الكبير في سان فرانسيسكو سنة 1906.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"يتوجب عليّ أن أعثر على أمي"، قالت ميلاني، وهي تنظر حولها. لم يكن هناك ما يشير إلى وجودها أو وجود جيك، فمن المستحيل تمييز الأشخاص بسهولة في القاعة. إذ كانت مظلمة جداً. والعديد من الأشخاص يصيحون، وكان هناك نوع من الجلبة حولهم لدرجة أن المرء لا يتمكن من سماع أحد سوى الواقف بجانبه.

"من الأفضل أن تبحثي عنها في الخارج"، حذّرها إيفريت، عندما بدأت بشق طريقها إلى حيث كانت المنصة التي انهارت وانزلقت جميع معدات الفرقة. كان البيانو الكبير مائلاً، ولحسن الحظ أنه لم يسقط على أحد. "هل أنت بخير؟"، بدت ميلاني مذهولةً بعض الشيء.

"نعم... أنا كذلك..."، أرشدها إلى المخرج عندها، وأخبرها أنه سيبقى لبضع دقائق. أراد أن يرى ما إن كان بإمكانه فعل أي شيء لمساعدة الناس في القاعة.

بعد بضع دقائق، تعثّر ساقطاً فوق امرأة كانت تساعد رجلاً قال بأنه مصاب بنوبة قلبية. ابتعدت المرأة لتساعد شخصاً آخر، وساعد إيفريت الرجل على الخروج. وضعه هو والرجل الذي قال بأنه طبيب على كرسي ورفعاه إلى الأعلى. توجب عليهما حمله على السلم لثلاثة طوابق. كان هناك مسعفون وسيارات إسعاف وعربات إطفاء في الخارج، يساعدون الأشخاص ذوي الإصابات الطفيفة المتدفقين من الفندق، وآخرين مصابين في الداخل. هرعت فرقة من رجال الإطفاء إلى الداخل. لم يكن هناك أي دليل على اشتعال النيران حولهم، ولكن الأسلاك الكهربائية كانت مشتعلة في الأسفل حيث انطلقت الشرارات في الهواء عندما بدأ رجال الإطفاء يجهزون خراطيم المياه. لاحظ إيفريت بسرعة أن المدينة حولهم كانت مظلمة جداً. وعندها مدّ يده بالفطرة إلى الكاميرا التي لا تزال تتدلى حول رقبته، وبدأ بالتقاط صور للمشهد، من دون التطفل على المصابين. بدا الجميع حوله مصابين بالذهول. كان الرجل الذي أصيب بنوبة قلبية في طريقه إلى المشفى في سيارة الإسعاف، برفقة رجل آخر كُسرت ساقه.

كان هناك أشخاص مصابون ممددون في الشارع، معظمهم كانوا قد خرجوا من الفندق. توقفت إشارات المرور عن العمل. انحرفت حافلة تعمل على الطاقة الكهربائية عن مسارها، وأصيب أربعون شخصاً على الأقل، بينما قدّم المسعفون ورجال الإطفاء المساعدة لهم. كانت هناك امرأة ميتة وقد تم تغطيتها بالمشمع. كان مشهداً مروعاً، ولم يلاحظ إيفريت حتى بعد أن خرج ورأى الدماء على قميصه بأنه أصيب بجرح في صدره. لم يكن لديه أي فكرة عن كيفية إصابته. بدا أنه جرح سطحي ولم يكن قلقاً بشأنه. أخذ منشفة أعطاه إياها موظف الفندق ومسح وجهه. كان هناك العشرات منهم يوزعون المناشف والأغطية وقناني الماء للأشخاص المصدومين حولهم. لم يتمكن أحد من معرفة ما سيفعله بعد ذلك. وقفوا هناك وحسب، يحدقون إلى بعضهم، يتحدثون عما حصل. كان هناك عدة آلاف من الأشخاص المحتشدين في الشارع عندما فرغ الفندق. بعد نصف ساعة، قال رجال الإطفاء بأن القاعة قد فرغت. عندها، لاحظ إيفريت سارة سلون تقف بقربه مع زوجها. كان ثوبها ممزقاً وملطّخاً بالشراب وببقايا الحلوى التي كانت على الطاولة عندما انقلبت.

"هل أنت بخير؟"، سألها. كان هذا هو السؤال نفسه الذي يطرحه الجميع على بعضهم مرات ومرات. كانت تبكي، وبدا زوجها متوتراً، كحال الجميع. كان الناس من حولهم يبكون، من الصدمة أو الخوف أو الراحة أو الشعور بالقلق على عائلاتهم في المنزل. كانت سارة تتصل بجنون عبر هاتفها الخلوي، الذي لم يكن يعمل. وكان سيث قد حاول الاتصال عبر هاتفه أيضاً، وبدا متجهّماً.

"أنا قلقة على طفليّ"، شرحت. "إنهما في المنزل مع المربية. لا أعرف حتى كيف يمكننا الوصول إلى هناك. أعتقد أنه يتوجب علينا أن نمشي". قال أحدهم بأن المرأب حيث رُكنت جميع سياراتهم قد انهار، وهناك أشخاص عالقون في الداخل. لم يكن هناك طريقة للوصول إلى سياراتهم، وكل من كانت سيارته في الداخل لا يمكنه استخدامها بالتأكيد.

ولـيس هناك سيارات أجرة. تحولت سان فرانسيسكو إلى مدينة أشباح في غـضون دقائـق. كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل، والزلزال وقع قبل سـاعة. تـصرف موظفو ريتز – كارلتون بفعالية وروعة، فقد جابوا بين الحـشود، يسألون الناس ما الذي يمكنهم تقديمه كمساعدة. لم يكن هناك ما بإمكان أحد فعله، باستثناء المسعفين ورجال الإطفاء الذين يحاولون ترتيب الأولويات في مساعدة المصابين.

بعـد بـضع دقائـق، أعلن رجال الإطفاء بأن هناك ملجأ لطوارئ الـزلازل علـى بُعد شارعين وأعطوا تعليمات الوصول إليه. حثوا الناس علـى الابتعاد عن هذا الشارع والذهاب إلى الملجأ. كانت أسلاك الكهرباء تحـت الأرض، والأسـلاك الموصـولة بمصادر الطاقة في الشارع. تم تحذيرهم لكي يتجنبوها، وليذهبوا إلى الملجأ بدلاً من محاولة الوصول إلى المنازل. فلا يزال احتمال حدوث هزات ارتدادية يخيف الجميع. وبينما كان رجـل الإطفاء يخبر الحشود ما يفعلونه، استمر إيفريت في التقاط الصور. كان ذلك هو نوع العمل الذي يحبه. لم يكن ينتهز مآسي البشر، بل كان صـادقاً، يـصور هذه اللحظة الاستثنائية التي عرف مسبقاً بأنها حدث تاريخي.

تحـركت الحـشود على أقدام مرتجفة نحو ملجأ الزلازل الواقع عند أسفل التلة. ظل الناس يتحدثون عما حدث، ما الذي فكروا فيه في البداية، وأيـن كانوا. كان أحدهم في غرفته في الفندق يستحمّ، وقال بأنه اعتقد أن هذا نوع من الميزات الارتجاجية في حوض الاستحمام في الثواني الأولى. كـان يـرتدي ثوب الاستحمام ولا شيء غيره، وكان حافي القدمين. كانت إحدى قدميه مجروحة بسبب الزجاج المبعثر في الشارع، ولكن لم يكن في وسـعه فعـل شيء. وقالت امرأة أخرى بأنها اعتقدت أنها كسرت السرير عندما انزلقت إلى الأرض، ومن ثم تأرجحت الغرفة بكاملها وباتت أشبه بكرنفال. ولكن هذا ليس بكرنفال. إنها ثاني أكبر كارثة عرفتها المدينة على مرّ التاريخ.

أخذ إيفريت قنينة من الماء من حارس كان يوزعها. فتحها، ارتشف جـرعة، وأدرك كم كان حلقه جافاً. كان هناك غيوم من الغبار تخرج من الفندق بسبب تحطم البناء داخله وتناثر الأشياء. لم يتمّ إخراج أي جثة. كان رجـال الإطفـاء يغطون المتوفين بالمشمّعات في الرواق. أصبحوا حوالى العـشرين حتى الآن، وهناك إشاعات بوجود أشخاص عالقين في الداخل، الأمـر الـذي جعل الجميع يشعر بالذعر. هنا وهناك، الناس يبكون، غير قـادرين علـى إيجاد أصدقائهم أو أحبائهم الذين كانوا ينزلون في الفندق معهـم، أو إيجـاد الـذين كانوا معهم في الحفل الخيري. كان من السهل التعـرّف علـى مـن كانـوا في الحفل من خلال ملابس السهرة الممزقة والمتـسخة. بـدوا أشبه بناجين من سفينة التايتانيك. عندها، رأى إيفريت ميلاني وأمها. كانت أمها تبكي بجنون. أما ميلاني فبدت يقظة وهادئة، ولا تزال ترتدي سترة بذلته المستأجرة.

"هل أنت بخير؟"، طرح السؤال المألوف، فابتسمت وأومأت.

"نعم. أمي خائفة بعض الشيء. تعتقد أن هناك زلزالاً أكبر بعد بضع دقائـق. هل تريد استعادة سترتك؟"، ستصبح عارية تقريباً إن أعادتها إليه، هز رأسه بالنفي. "يمكنني وضع غطاء".

"احتفظي بها. تبدو جيدة عليك. هل عثرت على كل أفراد مجموعتك؟". عرف بأن حاشية كبيرة كانت معها، ورأى أمها فقط.

"أصـيب كاحل صديقتي أشلي، ويعتني بها المسعفون. صديقي ثمل بعض الشيء، وتوجب على الرجال في فرقتي حمله إلى الخارج. إنه يتقيأ فـي مكان ما هناك"، أشارت بغموض. "كل ما تبقى بخير". بدت مثل المراهقة مجدداً بعد نزولها الآن عن المنصة، ولكنه تذكر أداءها وكم كانت رائعة.

"يـتوجب عليكما الذهاب إلى الملجأ. فالمكان أكثر أماناً هناك"، قال إيفريت لكليهما، وبدأت جانيت هيستينغز بسحب ابنتها.

"أعـتقد أننـي سأظل هنا لبعض الوقت"، قالت ميلاني برقة، وقالت لـوالدتها أن تكمـل طـريقها من دونها، وهذا ما جعلها تبكي أكثر. قالت

www.mlazna.com-RAYAHEEN

ميلاني إنها تريد البقاء لتقديم المساعدة، والذي اعتقد إيفريت أنه أمر مثير للإعجاب. وللمرة الأولى، تساءل إن كان يريد أن يشرب، وشعر بالسرور لأنـــه أدرك أنه لا يريد ذلك. حتى مع وجود عذر الزلزال الكبير، لم يكن لديـــه أي رغبة بأن يثمل. ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يفكر فـــي الأمـــر، في حين اتجهت جانيت نحو الملجأ مصابة بالذعر، واختفت ميلاني بين الحشود.

"ســـتكون بخير"، طمأن إيفريت جانيت. "عندما أراها ثانية، سأرسلها إليك في الملجأ. اذهبي مع الآخرين". بدت جانيت غير واثقة، ولكن حركة الحـــشود نحـــو الملجأ ورغبتها بالذهاب كانتا أقوى منها. علم إيفريت أنه سواء أعثر عليها أم لا، ستكون ميلاني بخير. كانت شابة وقوية، وأعضاء فـــرقتها كانوا في الجوار، وإن أرادت مساعدة المصابين في الحشد، فذلك لـــيس بالأمر السيئ. كان هناك الكثير من الأشخاص حوله ممن يحتاجون المساعدة من أي نوع كانت، وكان عددهم أكبر مما يمكن للمسعفين تقديمه من مساعدة.

كـــان يلتقط الصور مجدداً عندما صادف المرأة الصغيرة ذات الشعر الأحمـــر التـــي رآهـــا تـــساعد الرجل المصاب بالنوبة القلبية وهي تكمل طـــريقها. رآها هذه المرة تساعد طفلة، وتسلّمها إلى رجل إطفاء ليساعدها على العثور على والدتها. التقط إيفريت عدة صور للمرأة، ثم أنزل كاميرته مجدداً بينما كانت المرأة تبتعد عن الفتاة الصغيرة.

"هـــل أنـــت طبيـــبة؟"، سأل باهتمام. لقد بدت واثقة جداً بتعاملها مع الرجل المصاب بالنوبة القلبية.

"لا، أنا ممرضة"، قالت ببساطة، وعيناها الزرقاوان اللامعتان مثبتتان على عينيه لبرهة، ومن ثم ابتسمت. كان هناك شيء مضحك ومؤثر فيها. كانت تملك أكثر عينين جذابتين رآهما في حياته.

"مـــن الجيد أن تكوني كذلك الليلة"، لقد أصيب العديد من الأشخاص، ولـــيس الكثيـــر مـــنهم بحال الخطر. ولكنّ هناك عدداً كبيراً من الجرحى

والمصابين بإصابات ثانوية، بالإضافة إلى إصابات أكبر منها، والعديد من الأشـــخاص الذين أصيبوا بالصدمة. عرف أنه شاهد هذه المرأة في الحفل الخيـــري، ولكن كان هناك أمر متناقض في ثوبها الأسود البسيط وحذائها المنبـــسط. لقد اختفى غطاء رأسها في أعقاب الزلزال، ولم يخطر في باله أبداً ما كانت عليه، باستثناء كونها ممرضة. كان وجهها لا يحمل علامات الزمن، وكان من الصعب معرفة عمرها. اعتقد أنها في أواخر العقد الثالث وأوائل العقد الرابع، وفي الحقيقة، كانت في الثانية والأربعين من عمرها. تـــوقفت للتحدث إلى أحدهم عندما تبعها، ثم توقفت لتناول قنينة من الماء. كانوا جميعاً يشعرون بآثار الغبار التي لا تزال تخرج من الفندق.

"هل ستذهبين إلى الملجأ؟ ربما يحتاجون إلى المساعدة هناك أيضاً"، أبـــدى ملاحظته. كان قد تخلّص من ربطة عنقه، وهناك دماء على قميصه من أثر الجرح في صدره. إلا أنها هزّت رأسها بالنفي.

"ســـأذهب عـــندما أنهي كل ما يمكنني فعله هنا. أظن أن الناس في منطقتي بحاجة إلى بعض المساعدة أيضاً".

"أيـــن تعيشين؟"، سأل باهتمام، بالرغم من أنه لم يكن يعرف المدينة جيداً. ولكن شيئاً في هذه المرأة أسره. وربما هناك قصة فيها في مكان ما، لا يمكـــن لأحـــد معرفة ذلك. لقد استيقظ حدسه الصحفيّ بمجرد النظر إليها.

ابتسمت لسؤاله. "أعيش في تيندير لوين، ليست بعيدة عن هنا". ولكن المكان الذي تعيش فيه كان مختلفاً تماماً عن كل هذا. في ذلك الحي، بضعة أبنية كانت تشكل اختلافاً كبيراً.

"إنه حي مضطرب بعض الشيء، أليس كذلك؟"، ازداد فضوله. كان قـــد ســـمع عن تيندير لوين، وعن مدمني العقاقير فيها، وعن بنات الهوى، والمنبوذين.

"نعم، إنه كذلك"، قالت بصدق. ولكنها كانت سعيدة هناك.

"وهناك تعيشين؟"، بدا مندهشاً ومرتبكاً.

"نعم"، ابتسمت له، بشعرها الأحمر ووجهها المتّسخين، وابتسمت العينان الزرقاوان الأسرتان له بغموض. "أحب المكان هناك". استشعر وجود قصة عندها، وعلم بحدسه القوي بأنها ستتحول إلى واحدة من أبطال قصص الليلة. عندما تعود إلى تينديرلوين، أراد أن يكون معها.

"اسمي إيفريت. هل يمكنني المجيء معك؟"، سألها ببساطة، بينما ترددت لدقيقة ثم أومأت.

"ربما يكون من الخطر الوصول إلى هناك، بسبب جميع اسلاك الكهرباء الموجودة في الشارع. كما أنهم لن يسرعوا إلى مساعدة الناس في ذلك الحي. ستكون فرق الإنقاذ جميعها هنا، أو في أجزاء أخرى من المدينة. بالمناسبة، نادني ماغي".

مضت ساعة أخرى قبل أن يغادر الناس ساحة ريتز. اقتربت الساعة من الثالثة بعد منتصف الليل في ذلك الوقت. كان معظم الأشخاص قد ذهبوا إلى الملجأ أو قرروا الذهاب إلى المنزل. لم يرَ ميلاني ثانية، ولكنه لم يكن قلقاً عليها. كانت سيارات الإسعاف قد غادرت مع ذوي الإصابات الخطيرة، وبدا أن رجال الإطفاء يحكمون السيطرة على الأمور. تمكنوا من سماع صافرات الإنذار في الأفق، وافترض إيفريت أن النيران قد اشتعلت، ومصارف الماء قد انفجرت، ولذلك سيواجهون صعوبة في إخماد النيران. تبع المرأة الصغيرة بإصرار إلى المنزل. مشيا في شارع كاليفورنيا، ثم توجّها جنوباً إلى شارع نوب هيل. مرّا بيونيون سكوير، وفي النهاية انعطفا يميناً واتجها غرباً عند أوفاريل. شعر كلاهما بالصدمة لدى رؤيتهما أن معظم واجهات المحال في يونيون سكوير قد انفجرت وتبعثر زجاجها ومحتوياتها في الشارع. وكان مشهد الساحة أمام فندق سانت فرانسيس شبيهاً بذلك الذي تركوه لتوهم أمام ساحة ريتز – كارلتون. فرغت الفنادق من كل من كان داخلها، وتم إرشاد الناس إلى الملاجئ. استغرق وصولهما إلى حيث تعيش ماغي نصف ساعة.

كان الناس يقفون منتظرين في الشارع، وبدوا مختلفين بصورة ملحوظة هنا. كانوا يرتدون ملابس رثة، كان بعضهم يتصرف بطريقة غريبة لأنه لا يزال تحت تأثير العقاقير، أما البعض الآخر فقد بدت عليه علائم الخوف. كانت واجهات المخازن قد تحطمت، والمدمنون في الشارع، ومجموعة من بنات الهوى يتناقشن على مقربة من بعضهن. أثار اهتمام إيفريت أن الجميع تقريباً يعرف ماغي. توقفت وتحدثت إليهم، تطمئن عن حال الجميع، وما إن كانوا قد أصيبوا بأي أذى، إن كانت المساعدة قد وصلت، وما حصل للحي. تحدثوا بمودة إليها، وفي النهاية جلست هي وإيفريت عند مدخل بناء على الدرج. كانت الساعة حوالى الخامسة فجراً في ذلك الوقت، ولم يبدُ أن ماغي متعبة حتى.

سألها "من أنت؟ أشعر وكأنني في نوع من الأفلام الغريبة، مع شخص خارق، لا يمكن لأحد رؤيته إلا أنا". ضحكت على وصفه لها وذكّرته بأن لا أحد غيره كان يواجه مشكلة في رؤيتها. إنها حقيقية، بشرية، ومرئية تماماً.

"ربما الجواب عن سؤالك هو ماذا، وليس من"، قالت بارتياح متمنية لو تتمكن من خلع زي الأخت. إنه مجرد ثوب أسود بسيط وقبيح، لكنها اشتاقت إلى سروالها الجينز. تمكنت من رؤية أن البناء حيث تسكن قد اهتز ولكنه لم يتأذَّ كثيراً، وليس هناك أي شيء يمنعها من الدخول. لم يكن رجال الإطفاء والشرطة يوجهون الناس إلى الملاجئ هنا.

"ما الذي يعنيه هذا؟"، سأل إيفريت، وقد بدا محتاراً ومتعباً. لقد كانت ليلة طويلة على كليهما، ولكنها بدت نضرة كالزهرة، وأكثر حيوية مما كانت عليه في الحفل الخيري.

"أنا أخت"، قالت ببساطة. "هؤلاء هم الأشخاص الذين أعمل معهم وأعتني بهم. أنجز معظم عملي في الشوارع. بكامله، في الحقيقة. لقد عشت هنا لما يقارب العشر سنوات".

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"أنت أخت؟"، سألها بنظرة من الذهول. "لماذا لم تخبريني؟".

"لا أعرف". رفعت كتفيها بارتياح، وكانت هادئة بصورة مثالية وهي تتحدث إليه، لا سيما هنا في الشارع. هذا هو العالم الذي تعرفه على نحو جيد، أفضل كثيراً من أي قاعة رقص. "لم أفكر في الأمر. أيشكل ذلك أي اختلاف؟".

"أوه، نعم... أقصد، لا"، صحّح قوله، ومن ثم فكر في الأمر أكثر. "أقصد، نعم... بالطبع يشكل اختلافاً. إنه تفصيل بالغ الأهمية فيك. أنت شخصية مثيرة للاهتمام جداً، خاصة إن كنت تعيشين هنا. ألا تعيشين في المقر، أو شيء من هذا؟".

"لا، لقد تم حلّ المقرّ حيث كنت أقيم منذ سنوات. لم يكن هناك ما يكفي من الأخوات لتبرير إبقاء المقر. تمّ تحويله إلى مدرسة. وقد مُنح جميع من كان فيه مسكناً، وها نحن نعيش في شقق. كلّ اثنتين أو ثلاث من الأخوات يعشن معاً، ولكن أياً منهن لم ترغب بالعيش هنا معي". ضحكت له. "أردن العيش في حي أفضل. عملي هنا. هذه هي مهمتي".

"ما هو اسمك الحقيقي؟"، سألها، وهو يشعر بالفضول الكامل الآن. "أقصد اسمك كأخت".

"الأخت ماري مجدلين"، قالت بلطف.

"أشعر بالذهول تماماً"، اعترف لها، وهو يسحب سيجارة من جيبه. كانت تلك السيجارة الأولى التي يدخنها طوال الليل، ولم يبدُ أنها تمانع. بدت مرتاحة تماماً في العالم الحقيقي، بالرغم من حقيقة أنها كانت أختاً. كانت أول أخت يتحدث إليها منذ سنوات، إلا أنه لم يتحدث مع أخت في السابق بمثل هذه الحرية إطلاقاً. شعرا وكأنهما رفيقا حرب بعد ما شهداه معاً، وفي بعض النواحي كانا كذلك. "أتحبين كونك أختاً؟"، سألها، فأومأت، تفكر في الأمر لدقيقة، ومن ثم التفتت إليه.

"أعشقه. إن الذهاب إلى المقر كان أفضل عمل قمت به. عرفت دائماً أنني أريد ذلك، منذ كنت طفلة. كمن يريد أن يصبح طبيباً أو محامياً أو راقص باليه. يطلقون على ذلك النداء الداخلي المبكر. دائماً كان الأمر كذلك بالنسبة إليّ".

"هل ندمت لأنك فعلت ذلك؟".

"لا"، ابتسمت بسرور له. "إطلاقاً. إنها الحياة المثالية بالنسبة إليّ. التزمت بها مباشرة بعد أن غادرت كلّية التمريض. ترعرعت في شيكاغو، وأنا الأكبر بين سبعة أولاد. لطالما عرفت أن هذا هو الأمر المناسب لي".

"هل كان لك صديق حميم من قبل؟". كان يشعر بالفضول لما تقوله.

"واحد"، اعترفت بسهولة، من دون أي شعور بالإحراج. لم تكن قد فكرت فيه منذ سنوات. "عندما كنت في كلّية التمريض".

"ماذا حصل؟"، كان واثقاً من أن مأساة رومانسية قد قادتها إلى المقر. لم يتخيل القيام بذلك لأي سبب آخر. كان المفهوم غريباً عليه تماماً. كان قد ترعرع كشخص علمانيّ، ولم يرَ أختاً من قبل حتى غادر الوطن. الفكرة بكاملها لم تكن مفهومة بالنسبة إليه. ولكن هنا كانت هذه المرأة الصغيرة السعيدة والراضية تتحدث عن حياتها بين بنات الهوى ومدمني العقاقير بمثل هذا الهدوء والمرح والطمأنينة. أذهله الأمر بالكامل.

"توفي في حادث سيارة عندما كنت في السنة الثانية في كلّية التمريض. ولكن حتى ولو كان على قيد الحياة، لم يكن ذلك ليشكل أي اختلاف. أخبرته منذ البداية أنني أريد أن أكون أختاً، بالرغم من أنني لست واثقة من أنه صدقني. لم أخرج مع أحد بعد ذلك، لأنني في ذلك الوقت كنت واثقة تماماً. ربما كنت لأتوقف عن الخروج معه أيضاً. ولكننا كنا صغيرين في السن، وكان الأمر بريئاً بالكامل ولا ضرر فيه. تبعاً لمعايير

اليوم، ذلك أمرٌ مؤكدٌ". وبمعنى آخر، فهمه إيفريت، كانت بتولاً عندما دخلت المقر، ولا تزال كذلك. بدت الفكرة بكاملها غير قابلة للتصديق بالنسبة إليه. فبالإضافة إلى أنها امرأة جميلة، فقد بدت مليئة بالحيوية ومفعمة بالنشاط.

"هذا مذهل".

"ليس حقاً. إنه مجرد أمر يقوم به بعض الناس". قبلت الأمر على أنه عادي، بالرغم من أنه لم يبدُ كذلك بالنسبة إليه. "ماذا عنك؟ متزوج؟ مطلق؟ لديك أطفال؟". أحسّت أن هناك قصة خلف هذا الوجه، وشعر بالراحة في مشاركتها إياها. كان من السهل التحدث إليها، وقد استمتع بصحبتها. أدرك الآن أن الثوب الأسود البسيط هو زيها. وقد فهم سبب عدم ارتدائها ملابس السهرة مثل جميع حاضري الحفل الخيري.

"حملت مني فتاة عندما كنت في الثامنة عشرة من عمري، تزوجتها لأن والدها قال بأنه يتوجب عليّ ذلك وإلا سيقتلني، ثم هجرنا بعضنا في السنة التالية. لم يكن الزواج أمراً مناسباً لي، ليس في ذلك العمر على الأقل. طلبت الطلاق في النهاية، ثم تزوجت مجدداً، على ما أعتقد. رأيت ابني مرة واحدة بعد طلاقنا، عندما كان في الثالثة من عمره تقريباً. لم أكن مستعداً للأبوة بعد. شعرت بالسوء لذلك بعدما رحلت، ولكن ذلك كان أمراً صعباً على صبي في عمري عندها. لذا رحلت. لم أعرف ما أفعله سوى ذلك. أمضيت حياتي بعيداً عنه، وأنا أجوب العالم أصوّر مناطق الحروب والكوارث لوكالة أنباء أسوشييتد برس منذ ذلك الحين. لقد كانت حياة جنونية، ولكنها ناسبتني... أحببتها. والآن، لقد كبرت، وكذلك ابني. لم يعد بحاجة إليّ، وكانت والدته غاضبة جداً مني. لذا، رسمياً، لم أكن متواجداً أبداً في حياة ابني". قال إيفريت بهدوء وهي تراقبه.

"تحتاج دائماً إلى أبوينا"، قالت بلطف وظل كلاهما صامتين لدقيقة وهو يفكر في ما قالته. "ستسعد أسوشييتد برس بالصور التي التقطتها

الليلة"، قالت مشجعة. لم يخبرها عن جائزة بولتزر. لم يكن يتحدث عنها إطلاقاً.

قال ببساطة "لم أعد أعمل لحسابها، اكتسبت عادات سيئة في أسفاري. خرجت عن السيطرة قبل سنة، عندما كنت على حافة الموت بسبب التسمم بالشراب في بانكوك وأنقذت حياتي إحدى بنات الهوى. أخذتني إلى المشفى، وفي النهاية، عدت وأقلعت عن الشراب، دخلت مصح إعادة التأهيل بعد أن طردتني أسوشييتد برس، وكان القيّمون عليها محقين في قيامهم بذلك. لقد مضى عليّ من دون أن أحتسي الشراب سنة كاملة. ولديّ شعور جيد حيال ذلك. لقد بدأت للتو بالعمل في مجلة كنت أصوّر الحفل الخيري لها. ليست من النوع المفضل لديّ. إنها ثرثرة عن المشاهير. أفضّل أن أتعرّض للخطر في مكان غير متحضّر على التواجد في قاعة الرقص التي كنت فيها الليلة، وأنا أرتدي بذلة رسمية".

"وكذلك أنا"، قالت وهي تضحك، "ليست من النوع المفضل لدي". شرحت أنها كانت إلى طاولة متبرع، وأن صديقة قد أعطتها البطاقة، حتى بالرغم من أنها لم تكن ترغب بالحضور، وقد ذهبت لكي لا تذهب البطاقة هباء. "أفضّل أن أعمل في الشوارع مع هؤلاء الناس بدلاً من القيام بأي شيء آخر. ماذا عن ابنك؟ هل سألت عنه أو أردت رؤيته؟ كم عمره الآن؟". شعرت بالفضول لتعرف عن إيفريت هي أيضاً، وذكرت ابنه مجدداً. كانت تثق جداً بأهمية العائلة في حياة الناس. وكان من النادر أن تجد فرصة للتحدث إلى شخص مثله. بل الأكثر غرابة أن يتحدث هو إلى أخت.

"سيبلغ الثلاثين بعد بضعة أسابيع. أفكر فيه أحياناً، ولكن الأوان قد فات لذلك قليلاً... أو كثيراً. لا يمكنك العودة إلى حياة شخص عندما يصبح في الثلاثين وسؤاله عن كيف كانت حياته في السابق. ربما يكرهني كثيراً لأنني هجرته".

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"أتكره نفسك لأنك قمت بذلك؟"، سألت بإيجاز.

"أحياناً. ليس كثيراً. فكّرت في الأمر عندما كنت في المصح. ولكن لا يمكن للمرء الظهور في حياة شخص آخر بعد أن بلغ من العمر ما بلغه".

"ربما يمكنك"، قالت بلطف. "ربما يحب أن يسمع أخبارك. هل تعرف أين هو؟".

"كنت أعرف. بإمكاني محاولة معرفة ذلك. لا أعتقد أنه يتوجب عليّ. ما الذي يمكنني أن أقوله له؟".

"ربما هناك أشياء يريد أن يسألك عنها. ربما يكون من اللطف أن تُعلمه أن سبب هجرك له ليس لخطأ فيه". كانت امرأة ذكية، وأوماً إيفريت وهو ينظر إليها.

تمشّيا في الجوار قليلاً بعد ذلك، وبدا أن كل شيء أصبح في ترتيبه الصحيح على نحو أثار مفاجأة الجميع. ذهب بعض الأشخاص إلى الملاجئ. تأذى آخرون، وتم نقلهم إلى المشفى. أما الباقون فبدوا بخير، بالرغم من أن الجميع كانوا يتحدثون عن قوة الزلزال. فهم شهدوا زلزالاً هائلاً.

عند الساعة السادسة والنصف صباحاً، قالت ماغي إنها ستحاول الحصول على قسط من النوم ثم تعود إلى الشارع بعد بضع ساعات للاطمئنان على معارفها. قال إيفريت إنه سيحاول ركوب الباص أو القطار أو الطائرة للعودة إلى لوس أنجلوس حالما يتمكن، أو يستأجر سيارة إن تمكن من إيجاد واحدة. كان قد التقط العديد من الصور. ولتحقيق بعض الرغبات الشخصية، أراد أن يجوب المدينة قليلاً، ويرى ما إن كان هناك أي شيء آخر يستفيد من تصويره قبل عودته. لم يرغب بأن يضيّع القصة، وحمل معه موادّ رائعة. شعر بالإغواء في الحقيقة ليمكث بضعة أيام، ولكنه لم يكن واثقاً من رد فعل المحرر. ولم يكن هناك اتصالات هاتفية مع العالم الخارجي في سان فرانسيسكو

أو المناطق المجاورة في تلك الأثناء، ولهذا لم يتمكن من معرفة موقفه.

"التقطت صوراً جميلة لك الليلة"، قال إيفريت لماغي وهو يودعها عند مدخل بيتها. كانت تعيش في بناء قديم المظهر يبدو بالياً تماماً بمقدار ما بدا قديماً، ولكن لم يبدُ أن ذلك يهمها. قالت بأنه مضى عليها سنوات وهي تعيش هنا وقد أصبح مكان سكنها علامة في الحي. دوّن عنوانها وأخبرها بأنه سيرسل نسخاً عن الصور التي التقطها لها. طلب منها رقم هاتفها، في حال عاد إلى المدينة. "إن فعلت، سأصطحبك إلى العشاء"، وعدها. "لقد أمضيت وقتاً ممتعاً في الحديث معك".

"وكذلك أنا"، قالت مبتسمةً له. "سيستغرق تنظيف المدينة وقتاً طويلاً. آمل ألا يكون قد وقع الكثير من الضحايا الليلة". بدت قلقة. لم يكن هناك وسيلة للحصول على الأخبار. عُزلوا عن العالم، من دون كهرباء أو هواتف خلوية. ذلك قد منحهم شعوراً غريباً.

كانت الشمس تشرق وهو يودّعها، وتساءل إن كان سيراها مجدداً. بدا أن ذلك الأمر غير محتمل. لقد مرّ الجميع بليلة غريبة لا تُنسى.

"وداعاً ماغي"، قال وهي تدخل المبنى. كان هناك قطع محطمة من الجص على طول الرواق، فابتسمت له على النحو الذي اعتادت أن تفعله دائماً. "اعتنِ بنفسك".

"أنت أيضاً"، قالت له وهي تلوح وتغلق الباب. فاحت رائحة قذرة وهي تفتح باب المدخل، ولم يتمكن من تخيل كيف أمكنها العيش هناك. أدرك وهو يمشي بعيداً أنها امرأة مختلفة، ومن ثم ضحك بلطف. لقد أمضى ليلة زلزال سان فرانسيسكو مع أخت. اعتبرها بطلة. تلهّف لرؤية صورها. وبعد ذلك، بصورة غريبة، وهو يمشي بعيداً عن مبناها، عائداً من تيندرلوين، وجد نفسه يفكر في ابنه، وبالشكل الذي كان عليه تشاد في الثالثة من عمره، وللمرة الأولى منذ سبع وعشرين سنة، شعر بالاشتياق إليه. ربما يمكنه البحث عنه يوماً ما، إن عاد إلى مونتانا، وإن كان تشاد لا

يــزال يعــيش هناك. كان أمراً يستحق التفكير فيه. رسخ شيءٌ مما قالته ماغي في خلده، لكنه أخرجه من رأسه مجدداً. لم يرغب بأن يشعر بالذنب حيال هجره لابنه. عندها خطا بعيداً بحذائه الجالب للحظ، مجتازاً المدمنين وبــنات الهوى في شارع ماغي. كانت الشمس تشرق، وهو يعود إلى قلب المدينــة بحــثاً عــن قصص ربما يجدها هناك بعد وقوع الزلزال. حظي بمــشاهد تصويرٍ لا تحصى. وعرف أنها ربما تخوله الفوز بجائزة بولتزر أخــرى يوماً ما. حتى بعد أحداث اليوم السابق المروّعة، شعر بأنه أفضل ممــا كان عليه قبل سنوات. عاد ليمارس عمله كصحفي، وشعر بثقة أكبر وبقدرة على التحكم بحياته أكثر مما كان قادراً عليه في السابق.

الفصل الثالث

انطلــق سيث وسارة مشياً في طريق طويل إلى المنزل من ريتز – كارلتون بعد الحفل الخيري. كانت تواجه صعوبة كبيرة في المشي بصندلها ذي الكعب العالي، ولكن هناك الكثير من الزجاج المحطم في الشوارع، فلم تجــرؤ علــى خلعه والمشي حافية القدمين. تقرّحت قدماها مع كل خطوة. كانــت هــناك أســلاك كهرباء على الأرض والشرارات تنبعث منها وقد حرصا على تجنبها. تمكنّا في النهاية من الركوب في سيارة مارة لما تبقى مــن الشوارع الاثني عشر التي تفصلهما عن منزلهما، برفقة طبيبٍ عائدٍ من مشفى سانت ماري. كانت الساعة تشير إلى الثالثة بعد منتصف الليل، وكــان الطبيب قد ذهب للاطمئنان على مرضاه بعد الزلزال. أخبرهما بأن الأمور في المشفى تحت السيطرة نسبياً. كانت معدّات قسم الطوارئ تعمل، وقــد تدمّر جزء صغير فقط من مختبر الأشعة في الطابق الرئيسي. وكل شــيء آخــر بدا جيداً، بالرغم من أن جميع المرضى وأفراد الطاقم كانوا مصابين بالصدمة على نحو واضح.

كحال كل من في المدينة، لم يتمكّن المشفى من إجراء أي اتصالات هاتفــية، ولكــنهم كانــوا يتابعون أجهزة التلفاز والراديو التي تعمل على الــبطارية لرؤية أي من الأجزاء في المدينة قد تعرّضت لأسوأ الأضرار، ولسماع نشرات الأخبار.

أخبرهما أيضاً بأن مدينة مارينا تعرّضت لضربة مروّعة مجدداً، كما حدث في الزلزال الأصغر سنة 1989. كانت قد بنيت على منطقة أنقاض،

www.mlazna.com-RAYAHEEN

وخـرجت النيـران المشتعلة فيها عن السيطرة. كما نقلت تقارير حدوث عمليات نهب وسط المدينة. وقد نجت كل من منطقتي راشن ونوب هيلز من الزلزال الذي بلغت قوته 7.9 درجات على مقياس ريختر، والذي شهده كـل مـن كان في ريتز - كارلتون. كانت الأضرار في المناطق الغربية فادحـة، كمـا فـي نو فالي وكاسترو وميشن. واهتزت أجزاء من باسفيك هايـتس على نحو سيّئ. استمر رجال الإطفاء في محاولة إنقاذ الأشخاص العالقـين في الأبنية والمصاعد، وفي إخماد النيران التي اشتعلت في العديد مـن أجـزاء المدينة، الأمر الذي كان عملاً بطولياً لا سيما وأن مصارف المياه خربت في كل مكان تقريباً.

وبيـنما كـان الطبيب يقودهما إلى منزلهما، تمكّن سيث وسارة من سماع صافرات الإنذار من بعيد. وكان كل من جسري المدينة الرئيسيين، بـي بـريدج وغولدن غيت، قد أُغلقا في غضون دقائق بعد الزلزال. كان جـسر غولدن غيت قد تأرجح بشدة، وألحق الأذى بالعديد من الأشخاص. كمـا انهـار قسمان من الجانب العلوي من بي بريدج، وأفادت تقارير بأن العديـد مـن السيارات تحطمت وقد علق أشخاص بداخلها. حتى الآن، لم تـتمكن دوريـة الطـرقات السريعة من إنقاذ أحد. بل كانت التقارير عن الأشـخاص العالقـين فـي الـسيارات وغير القادرين على الخروج وهم يـصرخون ويموتون، رهيبة ومروّعة. ومن المستحيل حتى الآن إحصاء الـضحايا. ولكـن من السهل افتراض أن هناك العديد منهم، والآلاف من المـصابين. أصـغى الثلاثة إلى مذياع السيارة وهم يُكملون طريقهم بحذر عبر الشوارع.

أعطـت سـارة للطبيب عنوان بيتهما، وكانت هادئة في طريقها إلى المنـزل، تـتلو الـدعاء لـسلامة طفليها. لم يكن هناك حتى الآن طريقة للاتـصال بالمنـزل أو بالجليـسة للاطمئنان. كانت جميع خطوط الهاتف معطلـة، والهواتف الخلوية لا تعمل. بدت المدينة المهتزة على نحو سيّئ مـنقطعة عـن العـالم الخارجي بالكامل. كل ما أرادته الآن هو أن يكون

أوليفـر ومولي بخير. كان سيث يحدق خارج النافذة بانبهار، وظل يحاول اسـتخدام هاتفه الخلوي، بينما كان الطبيب يوصلهما إلى منزلهما. وصلا أخيـراً إلى المنزل الكبير المصنوع من الآجر، والواقع على قمة التل عند تقاطـع طريقـي ديفيـساديرو وبرودواي، وقد كان يطل على الخليج. بدا سليماً. شكرا الطبيب، وتمنيا له الخير، ثم خرجا. ركضت سارة إلى الباب الأمامي بينما تبعها سيث مُنهكاً.

كانت سارة قد فتحت الباب عند وصولها إليه، وخلعت حذاءها الذي لا يطاق، وركضت إلى الداخل. لم يكن هناك كهرباء، وقد ساد الظلام على نحـو غيـر اعتيادي، من دون حتى أضواء من الشارع. ركضت مجتازةً غـرفة المعيـشة لتـصعد إلى الأعلى، ومن ثم رأتهم، المربية نائمة على الأريكـة والطفـل يغفو بين ذراعيها ومولي تغط في النوم برقة بجانبها، والـشموع مضاءة على الطاولة. كانت الجليسة نائمة، ولكنها تحركت مع اقتراب سارة.

"أهلاً... أوه... يا له من زلزال كبير!"، قالت. بدأت تستيقظ، ولكنها تـتحدث همساً كي لا تزعج الطفلين. ولكن مع دخول سيث الغرفة وتحدث البالغين الثلاثة، بدأ الطفلان يتحركان. بعد أن نظرت حولها، تمكنت سارة مـن رؤيـة أن جميع اللوحات قد انحرفت بشدة، وقد سقط تمثالان أرضاً، وانقلـبت طاولة التُحف الصغيرة والعديد من الكراسي أيضاً. كانت الغرفة تـبدو بحـال من الفوضى على نحو هائل، بكتبها المبعثرة على الأرضية، والأغراض الأصغر حجماً المنثورة في مختلف الأرجاء. ولكن طفليها كانا بخيـر، وهذا كل ما يهم. لم يصابا بأي أذى وهما على قيد الحياة، وعندما اعـتادت عيـناها على الغرفة المظلمة، تمكنت من رؤية جرح على جبين بارماني. فسّرت وجوده بأن خزانة كتب أوليفر سقطت عليها وهي تركض لإخراجه من سريره عندما بدأ الزلزال. شعرت سارة بالامتنان لأن ذلك لم يفقـدها وعـيها أو يتسبب بمقتل الطفل عند سقوط الكتب والأغراض عن الـرف. فقـد وقعـت حادثة مماثلة في مارينا في زلزال سنة 1989، مع

انـــزلاق غـــرض ثقيل عن الرف وتسببه بمقتل الرضيع في مهده. شعرت سارة بالامتنان لأن التاريخ لم يُعِد نفسه مع طفلها.

تحـــرك أوليفر وهو مستلقٍ على الجليسة، رفع رأسه، ورأى والدته، ومـــن ثم أمسكته سارة ورفعته. كانت مولي لا تزال غارقة في النوم ملتفّة ككـــرة صـــغيرة بجانـــب الجليسة. بدت مثل الدمية، عندها ابتسم والداها، شاكرَين سلامتها.

"أهلاً، حبيبي، كنت مستغرقاً في النوم؟". سألته والدته. بدا الطفل متفاجئاً لرؤيتهما ومن ثم قطب جبهته وارتعشت شفته العليا، وبدأ بالبكاء. برأي سارة، هـــذا ألطـــف صوت تسمعه في حياتها، بدا جميلاً كالليلة التي ولدته فيها. لقد كانـــت مذعـــورة علـــى طفليها طوال الليل، منذ لحظة وقوع الزلزال. كل ما أرادت فعله هو الإسراع إلى المنزل واحتضانهما بين ذراعيها. انحنت ولمست ســـاق مولي بلطف، وكأنها تريد طمأنة نفسها بأنها على قيد الحياة هي أيضاً.

"لا بـــد من أن الأمر كان مخيفاً جداً عليك"، قالت سارة بتعاطف مع بارماني، بيـــنما دخل سيث حجرة القراءة ورفع سماعة الهاتف. لا يزال الخط مقطوعاً. انقطعت الخدمة الهاتفية عن المدينة بكاملها. وحتماً تفحّص سيث هاتفه الخلوي لما يقارب المليون مرة في طريقه إلى المنزل.

"هـــذا ســـخيف"، زمجر وهو عائد إلى الغرفة. "يتوجب عليهم على الأقل أن يتمكنوا من إصلاح شبكات الهواتف الخلوية على الأقل. ما الذي يفتـــرض بـــنا فعله؟ ننقطع عن العالم طوال الأسبوع القادم؟ يتوجب عليهم إعادتنا إلى الحياة غداً". علمت سارة، مثله، أن هناك فرصة ضئيلة لهذا.

انقطعـــت الكهرباء أيضاً، وتصرفت بارماني بحكمة باغلاقها مقابس الغاز، ولهذا السبب كان المنزل بارداً، ولكن لحسن الحظ كانت الليلة دافئة. في ليلة عاصفة عادية في سان فرانسيسكو، كانوا ليشعروا بالبرد.

"يـــتوجب عليـــنا أن نـــتعايش مع الأمر لبعض الوقت"، قالت سارة برزانة. شعرت بالسرور الآن، وطفلها بين ذراعيها، وابنتها أمام ناظريها على الأريكة.

"ربما سأذهب إلى ستانفورد أو سان خوسيه غداً"، قال سيث بهمس. "يتوجب عليّ إجراء بعض المكالمات".

"قـــال الطبيب بأنه سمع في المشفى أن الطرقات مقطوعة. أعتقد أننا منقطعون عن العالم نوعاً ما".

"لا يمكن لهذا أن يحدث"، قال سيث مذعوراً، ثم نظر إلى العقرب المـــضيء في ساعته. "ربما يتوجب عليّ التوجه إلى هناك الآن. إنها الـــسابعة صـــباحاً تقريباً في نيويورك. عندما أصل إلى هناك، سيكون الناس في مكاتبهم في الساحل الشرقي. يتوجب عليّ إكمال تحويل مالي اليوم".

"ألا يمكـــنك أن تأخذ يوم إجازة؟"، اقترحت سارة، بينما أسرع سيث إلى الأعلى من دون أن يجيبها. عاد إلى الأسفل خلال خمس دقائق، مرتدياً ســـروال الجينز وكنزة وينتعل حذاء رياضياً، مع نظرة تركيز وقلق على وجهه وحقيبته في يده.

علقـــت ســـيارتاهما وربمـــا ضاعتا إلى الأبد في المرأب في مركز المديـــنة. لم يكن هناك أمل في إخراج أي منهما، هذا إن تمكنا من العثور علـــيهما حتـــى، وليس حتى قبل مضي وقت طويل، بالنظر إلى أن معظم المرأب قد انهار. ولكنه التفت إلى بارماني بنظرة مترقبة وابتسم لها تحت الظـــلام اللطـــيف الذي يلفّ غرفة المعيشة. كان أوليفر قد عاد للنوم بين ذراعي سارة، مرتاحاً لدفئها وصوتها المألوفين.

"بارمانـــي، هل تمانعين إن استعرت سيارتك لبضع ساعات؟ سأذهب لرؤية إن كان بإمكاني التوجه جنوباً وإجراء بعض المكالمات. ربما يعمل الهاتف الخلوي هناك".

"بالطـــبع يمكـــنك"، أجابـــت الجليسة، وهي مندهشة. بدا طلبه غريباً بـــرأيها، وفظـــيعاً أيـــضاً برأي سارة. ليس هذا بالوقت المناسب لمحاولة الذهاب إلى سان خوسيه. بدا من غير الملائم برأي سارة أن يصاب بهوس العمل الآن، ويتركهم في المدينة.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"ألا يمكنك أن تهدأ وحسب؟ لن يتوقع أحد سماع شيء من أي شخص في سان فرانسيسكو اليوم. هذا سخيف، سيث. ماذا إن حدث زلزال آخر أو هـزات ارتداديـة؟ سـنكون هنا وحدنا، وربما لن تتمكن من العودة". أو الأسوأ، ربما يتحطم الجسر ويسحق الطريق. لم ترغب بأن يذهب إلى أي مكـان، ولكـنه بدا مصمماً ومصرّاً وهو يتوجه إلى الباب الأمامي. قالت بارمانـي بأن مفاتيحها داخل السيارة وقد أوقفتها في مرأب المنزل. كانت سيارة قديمة بالية من نوع هوندا أكورد، ولكنها توصلها إلى حيث تريد. لم تكـن سارة لتسمح لها بأخذ طفليها فيها، ولم تكن متحمسة لفكرة أن يسافر سـيث فـيها أيـضاً. قطعت السيارة أكثر من مئة ألف ميل، ولا تملك أي ميزات أمان عصرية، وعمرها اثنتي عشرة سنة على الأقل.

"لا تقلقا، أيتها السيدتان". ابتسم لهما. "سأعود". ركض خارجاً من الباب. قلقت سارة من مغامرة الخروج هذه، من دون وجود أي إشارات ضوئية يسير وفقهـا، ومن دون وجود إشارات وقوف تضبط السير، وربما هناك الكثير من الحواجز التي تهدّمت وسقطت على الطريق. ولكنها علمت أن لا شيء سيوقفه. غادر حتى قبل أن تنطق بأي كلمة أخرى. ذهبت بارماني لتحضر ضوءاً آخر، واهتزّت أنوار الشموع عندما جلست سارة في غرفة المعيشة، تفكر في سيث. فالإدمـان علـى الشراب مصيبة، لكن المصيبة الأكبر تكمن في انطلاقه إلى الجزيرة بعد ساعات من حدوث زلزال هائل، تاركاً زوجته وطفليه وحدهم. لم تكن مسرورة بذلك إطلاقاً. بدا تصرفاً غير منطقي ومُفرطاً في الهوس برأيها.

جلـست وبارمانـي في غرفة المعيشة تتحدثان بهدوء حتى سطوع الشمس تقريباً. فكرت في الصعود إلى الأعلى إلى غرفتها ووضع الطفلين في السرير معها، ولكنها شعرت بالأمان أكثر في الأسفل، حيث تتمكن من مغادرة المنزل على الفور في حال وقوع زلزال ثانٍ. أخبرتها بارماني بأن شجرة قد هوت في الحديقة، وهناك أشياء وقعت على الأرضية في الأعلى، كمـا سقطت المرآة الكبيرة وتحطمت، وتكسّرت العديد من النوافذ الخلفية وتبعثـر زجاجهـا على الإسمنت في الخارج. كما تحطمت معظم أوانيهم

الخزفية وأواني الكريستال على أرضية المطبخ، بالإضافة إلى البقالة التي بدا وكأنها طارت عن الرفوف. قالت بارماني بأن العديد من قناني العصير وزجاجات الشراب قد تكسّرت، ولم تكن سارة متطلعة إلى تنظيف كل تلك الفوضـى. كانت بارماني قد اعتذرت لعدم قيامها بذلك، ولكنها كانت قلقة جداً على الطفلين، ولم ترغب بتركهما في الوقت الذي تنظف فيه الفوضى. قالـت سـارة بأنها ستعمل على تنظيفها بنفسها. مشت نحو المطبخ لتلقي نظرة، بعد أن وضعت أوليفر على الأريكة، وهو لا يزال غارقاً في النوم. ذُعـرت عند رؤية الفوضى في المطبخ. كانت معظم درف خزائن المطبخ مفتوحة، وسقط كل شيء منها. بدا وكأن تنظيفها سيستغرق أياماً.

مـع بزوغ الشمس، ذهبت بارماني لإعداد القهوة أو الشاي، ومن ثم تذكـرت أن لا كهـرباء ولا غاز في المنزل. وبعد أن خطت برشاقة فوق الركام والزجاج المحطم، سكبت بعض المياه من صنبور المياه الساخنة في كـوب، ووضـعت الشاي بداخله. كان فاتراً تقريباً، ولكنها أحضرته إلى سـارة، لتـشعر بالراحة. قشّرت بارماني موزة لنفسها. أما سارة فأصرّت على أنها لا تريد تناول أي شيء، لا تزال مضطربة جداً وغاضبة إلا أنها عادت وتناولت تحت إصرار بارماني.

كادت تنهي كوب الشاي عندما دخل سيث، وقد بدا متجهماً.

"كان هذا سريعاً"، علّقت سارة.

"الطـرقات مقطوعة". بدا مصدوماً. "أقصد جميع الطرقات. المدخل إلى شـارع 101، كل الطرقات على المنحدر قد انهارت". لم يخبرها عن الأشلاء المـرعبة التي رآها. كان هناك سيارات إسعاف وشرطة في كل مكان. أعادته دوريـة الطرقات السريعة، وأخبرته جازمةً أن يعود إلى المنزل ويبقى هناك. لـيس هـذا بالـوقت المناسب للذهاب إلى أي مكان. حاول إخبار الضابط أنه يعـيش فـي بالو ألتو، فرد عليه الضابط بوجوب التزام البقاء في المدينة حتى تفـتح الطرقات مجدداً. وكإجابة عن سؤال سيث، قال بأنها لن تفتح قبل بضعة أيـام. ربما ليس قبل أسبوع، بالنظر إلى مقدار الضرر الذي لحق بالطرقات.

"حاولت الذهاب إلى جادة نايتنيث لأصل إلى شارع 280، فحدث الأمر نفسه. وعبر الشاطئ المؤدّي إلى باسفيك، هناك انهيارات ترابية. قطعوا الطريق بالكامل. لم أكلف نفسي عناء محاولة الوصول إلى الجسور، لأنني سمعت عبر المذياع بأنها مقطوعة. اللعنة، سارة"، قال بغضب، "لقد علقنا!".

"لفترة قصيرة فقط. لا أعرف لماذا لا يمكنك الهدوء. فضلاً عن ذلك، يبدو أن أمامنا الكثير لتنظيفه. لا أحد في نيويورك يتوقع اتصالك. يعرفون ما حدث هنا أكثر منا. صدقني سيث، لا أحد سيفتقد اتصالك".

"لا تفهمين"، تمتم ذلك بغموض، ومن ثم ركض إلى الأعلى وأغلق باب غرفة نومهما بعنف. تركت سارة الطفلين مع بارماني، التي راقبت المشهد باهتمام، ولحقت بزوجها إلى الأعلى. كان يجوب أرجاء غرفة النوم مثل الأسد في القفص. الأسد الغاضب جداً، والذي بدا وكأنه على وشك أن يلتهم أي شخص، وبسبب عدم وجود أي ضحية أخرى، بدا وكأنه على وشك الانقضاض عليها.

قالت بلطف. "أنا متأسفة، حبيبي، أعرف أنك تبرم صفقة. ولكن لا يمكنك التحكم بالكوارث الطبيعية. ليس هناك أي شيء يمكننا فعله. يمكن للصفقة أن تنتظر بضعة أيام".

"كلا، لن تفعل". لفظ الكلمات بغضب، "بعض الصفقات لا تنتظر. هذه واحدة منها. كل ما أحتاج إليه هو هاتف لعين". كانت لتقدّم له واحداً لو استطاعت، ولكنها لا تستطيع. كانت ممتنة فقط لأن طفليهما بخير. إن هوسه بمتابعة العمل، في ظلّ هذه الظروف، بدا أكثر من مفرط بالنسبة إليها. أدركت في الوقت نفسه سبب تمتعه بمثل هذا النجاح الكبير. سيث لا يتوقف أبداً. يتحدث عبر هاتفه الخلوي ليلاً ونهاراً، يبرم الصفقات. ومن دون وجود الهاتف، شعر أنه عاجز بالكامل، عالق، وكأن شخصاً ما قد قطّع حباله الصوتية وقيّد يديه. إنه مثبّت في أرض مدينة ميتة، من دون إمكانية إجراء أي اتصال مع العالم الخارجي. تمكنت من رؤية أنه يعتبر ذلك أزمة كبيرة، وتمنّت لو بإمكانها إقناعه بالهدوء.

"ما الذي يمكنني أن أفعله لك، سيث؟"، سألت، وهي تجلس على السرير، وتربت على البقعة المجاورة لها. كانت تفكر في تدليك كتفيه، وإقناعه بالاستحمام، أو تناول حبوب مسكّنة، أو ضمّه بين ذراعيها، أو التمدّد على السرير بجانبه.

"ما الذي يمكنك أن تفعليه لي؟ هل تمزحين؟ أهذه مزحة؟". كان يصرخ في غرفة نومهما التي كانت سارة قد أثثتها على أجمل ما يمكن. كانت الشمس قد أشرقت الآن، بدا الأصفر والأزرق السماوي وهما اللونان اللذان يطغيان على الغرفة في أروع مظهر لهما في ظل ضوء الصباح الباكر. لم يكن سيث منتبهاً إلى الغرفة، وهو يحدق إليها بغضب.

"أعني ذلك حقاً"، قالت بهدوء. "سأفعل كل ما في وسعي". حدّق إليها وكأنها مجنونة.

"سارة، لا تملكين أي فكرة عما يحدث. أي فكرة. أي فكرة".

"جرّب. دخلنا كلية الأعمال معاً. أنا لست غبية، تعلم ذلك".

"لا، أعرف"، قال هذا وهو يجلس على السرير ويمرر يده في شعره. لم يكن بإمكانه النظر إليها حتى. "يتوجب عليّ تحويل مبلغ ستين مليون دولار من حسابنا بحلول ظهر اليوم". بدا صوته شبه مسموع وهو يقول ذلك، وبدت سارة مصدومة.

"أتقوم باستثمار بذلك الحجم؟ ما الذي تشتريه؟ بضائع؟ تبدو أموراً خطيرةً مقابل هذا المبلغ". بصورة مُعترف بها، شراء البضائع لم يكن أمراً خطيراً وحسب، بل مربحاً جداً على نحو مشابه لو قام المرء به بالطريقة الصحيحة. عرفت أن سيث عبقري في الاستثمارات التي ينجزها.

"أنا لا أشتري، سارة"، قال محدقاً إليها، ومن ثم حدّق بعيداً مجدداً. "أنا أخفي أخطائي. هذا كل ما أفعله، وإن لم أتمكن، قُضي عليّ... قُضي علينا... سنخسر كل شيء نملكه... بل قد أذهب إلى السجن". كان يحدّق بالأرض أسفل قدميه وهو يتحدث.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"مـا الـذي تتحدث عنه؟"، بدت سارة مذعورة. لا بد من أنه يمزح، ولكن النظرة التي علت وجهه لم تبيّن ذلك.

"جـاء مدققو الحسابات هذا الأسبوع، للتدقيق في تمويلنا الجديد. إنه تدقـيق مـن قِـبل المستثمرين للتأكد من أننا نملك أموالاً بقدر ما نزعم. سنحصل عليها بالطبع في النهاية، ليس هناك شك في ذلك. فعلت ذلك من قبل. موّه سولي ماركهام حسابات كهذه من قبل. وفي النهاية، نجني المبلغ ونـضعه في الحساب. ولكن في بعض الأحيان وفي بداية بعض الصفقات عـندما لا يكـون لديـنا ما يكفي من المال، يساعدني سولي على تضخيم الأمور قليلاً عندما يطالب المستثمرون بالتدقيق". حدقت سارة إليه مذهولة.

"قلـيلاً؟ مبلغ بقيمة ستين مليون دولار هو تضخيم قليل للأمور؟ يا الله، سيث، ما الذي كنت تفكر فيه؟ من الممكن أن يُوقعوا بك، أو ربما لا تتمكن من الحصول على المبلغ؟". وبينما تقول ذلك، أدركت أن هذا ما سيحدث.

"يـتوجب علـيّ أن أحـصل المـبلغ، وإلا سـيتم الإيقاع بسولي في نـيويورك. ينبغـي أن يكون المبلغ في حسابه اليوم. المصارف مغلقة. لا أملـك هاتفـاً خلوياً لعيناً لأستعمله، حتى إنني لا أستطيع الاتصال بسولي لأخبره أن يعمل على إخفاء الأمر بطريقة ما".

"لا بد من أنه عرف أنه يتوجب عليه فعل ذلك. عندما تهدّمت المدينة بكاملهـا، لا بد من أنه عرف أنك لست قادراً على القيام بذلك". بدت سارة شاحبة وهما يتحدثان. لم يخطر في بالها إطلاقاً وطوال حياتها بأن سيث لم يكن نزيهاً. كما أن مبلغ ستين مليون دولار ليس بزلّة صغيرة. إنها كبيرة. إنه جريمة بكل المقاييس. لم تعتقد ولو للحظة بأن سيث كان فاسداً وجشعاً لدرجـة تدفعه للقيام بذلك. فمن شأن هذا الأمر أن يطرح علامات استفهام كبيـرة حـول حـياتهما وربما يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه إلا أن علامة الاستفهام الكبرى تبقى من هو هذا الشخص الذي كانت تعتقد أنها تعرفه.

"كان من المفترض أن أقوم بذلك البارحة"، قال سيث بتجهّم. "وعدت سـولي أن أقـوم بـذلك مع انتهاء وقت العمل. ولكن المدققين ظلوا حتى

الـساعة الـسادسة بعـد الظهـر تقريباً. لهذا السبب وصلت إلى ريتز – كارلـتون متأخـراً. عرفت أن أمامه حتى الثانية من بعد ظهر اليوم، وأن أمامـي حتـى الحادية عشرة صباحاً، لذا اعتقدت أنني سأنجز الأمر هذا الصباح. كنت قلقاً، إلا أنني الآن مذعور. أنا مذعور الآن. لقد انتهى أمرنا تمامـاً وبالكامـل. يـبدأ التدقيق في حساباته يوم الاثنين. يتوجب عليه أن يـؤجله. لـن تفـتح المـصارف هنا بحلول ذلك الوقت. ولا يمكنني حتى الاتـصال بـه لتحذيره". بدا سيث وكأنه على وشك أن يبكي عندما حدّقت سارة إليه بذهول وجحود.

"لا بد من أنه تأكد من الأمر الآن، ورأى أنك لم تقم بالتحويل"، قالت هـذا وهي تشعر بدوار طفيف. شعرت وكأنها عاجزة. لم تتمكن حتى من تخيّل ما يشعر به سيث. إنه معرّضٌ لخطر الدخول إلى السجن. وإن حدث ذلك، ما الذي سيحل بهم؟

"نعـم، يعرف عندها بأنني لم أجرِ التحويل. وبعدها ماذا؟ مع وجود زلـزال لعـين يغلـق المدينة بكاملها، لا يمكنني إعادة الأموال إليه الآن. سيكون هناك نقص بمبلغ ستين مليون دولار عندما يظهر المدققون صباح الاثنـين، ولا يمكننـي القـيام بشيء لتصحيح ذلك". إنه وسولي ماركهام متهمان بكل أنواع الاحتيال والسرقة، لتجاوزهما الحدود الواضحة. عرفت سـارة، تمامـاً كما عرف سيث عندما قام بذلك، بأن هذه جريمة فيدرالية، وسيئة لأقصى ما يمكن أن تكون. لا يجرؤ أحد على التفكير فيها. شعرت وكأن الغرفة تدور وهي تنظر إليه.

"مـا الـذي ستفعله، سيث؟"، قالت بصوت يكاد يتجاوز الهمس. لقد فهمـت تـضمينات ما قام به بالكامل. ولكن الأمر الذي لم تفهمه هو سبب قيامه بذلك، أو متى أصبح مجرماً. كيف يمكن أن يحدث هذا لهم؟

قـال بصدق "لا أعلم"، ومن ثم نظر إلى عينيها. بدا مذعوراً، وكذلك هـي. "ربمـا يـتم الإيقاع بي هذه المرة، سارة. لقد قمت بهذا مسبقاً. وقد سـاعدت سولي على الخروج من مأزق مشابهة. نحن صديقان قديمان. لم

يـتم الإيقاع بنا من قبل، وكنت دائماً قادراً على تسوية الأمور من طرفي. أنا في موقف صعب جداً هذه المرة".

قالـت سـارة بـرقة "أوه، يـا الله، مـاذا يحصل إن أخضعوك للمحاكمة؟".

"لا أعرف. سيكون من الصعب تمويه ذلك. ولا أعتقد أن سولي قادرٌ حتى على تأجيل التدقيق. إن توقيته يتم وفقاً لشروط مستثمريه، ولا يحبون مـنح أحـد الـوقت للمراوغة أو تغيير السجلات. وقد غيرناها فعلاً. لقد غيـرناها كثيراً. لا أعرف إن حاول تأجيل التدقيق حالما رأى أننا تعرّضنا لزلـزال ولـم أعمـل على تحويل المال إليه. إن مبلغ ستين مليون دولار يـصعبُ إخفـاؤه، وهذه فجوة سيلاحظونها. بل الأسوأ، يوصلهم ذلك إليّ مباشـرة. وإن لم يقم سولي بمعجزة من طرفه قبل حلول الاثنين، سينتهي أمرنا".

أضـاف قـائلاً "إن اكتـشف المدققون الأمر، فإن الوكالة الفيدرالية للاسـتثمار ستـصل إليّ في غضون خمس دقائق. وأنا جالس هنا أنتظر حـدوث ذلك، ولكن لا يمكنني الهرب الآن. إن حدث ذلك، فسيحدث حتماً. سـيتوجب علينـا إحضار محامٍ بارع، ونرى إن كان بإمكاننا عقد صفقة مريحة مع القاضي الفيدرالي، إن وصل الأمر إلى ذلك. وإلا، يتوجب عليّ الهـرب إلـى البـرازيل، إلا أنني لن أفعل هذا، لن أخذلك، لذا أعتقد أننا سنجلس هنا، ننتظر وصول الطرف الآخر، بعد أن تستقر فوضى الزلزال. حاولـت اسـتخدام الـبلاك بيري قبل برهة، إنه جامد كمسمار في الباب. يتوجب علينا فقط الانتظار ورؤية ما الذي سيحدث... أنا متأسف، سارة". لـم يعـرف ما يقول لها غير ذلك، وكانت الدموع تتلألأ في عينيها عندما نظرت إليه. لم تكن قد شكّت أبداً وإطلاقاً في أن يكون زوجها غير صادق، وشعرت الآن وكأن كرة قد ضربتها وحطمتها.

"كـيف أمكنك القيام بشيء كهذا؟"، سألته، والدموع قد انهمرت على وجنتيها. لم تتحرك من مكانها. جلست هناك تحدق إليه وحسب، غير قادرة

على تصديق ما قاله. ولكن كان من الواضح أن الأمر حقيقي. لقد تحولت حياتها على الفور إلى فيلم رعب.

قـال وهو يهز كتفيه باستهجان "اعتقدت أنه لن يوقع بنا أبداً". بدا أنه أمر لا يستطيع تصديقه هو أيضاً، ولكن لأسباب مختلفة عن تلك التي تثير غـضبها. لـم يفهـم سيث الأمر. لم تكن لديه أي فكرة عن شعور سارة بالخيانة عندما اعترف لها.

"حتى ولو لم يتم الإيقاع بك، كيف تقوم بأمور غير نزيهة؟ لقد خرقت كـل قانون يمكن تخيّله، عندما غششت في تقييم الأصول أمام مستثمريك. ماذا لو خسرت المبلغ؟".

"اعـتقدت أنـه بإمكانـي إخفاء ذلك. غالباً ما أفعل ذلك. وما الذي تتذمـرين منه؟ انظري كم تطور عملي بسرعة. كيف تعتقدين أننا حصلنا علـى كل هذا؟". لوّح بذراعيه مشيراً إلى أثاث غرفة نومهما الفخم، عندها أدركت أنها لا تعرفه. اعتقدت أنها تعرفه، ولكنها لم تعرفه أبداً. بدا وكأن سيث الذي عرفته قد تلاشى، وأخذ مجرم مكانه.

"ومـا الـذي سيحل بكل هذا إن دخلت السجن؟". لم تتوقع أن يصبح بمـثل هـذا الـنجاح إطلاقاً، ولكنهما يمتلكان نمط حياة مترفاً الآن. فهما يمـتلكان منـزلاً فـي المديـنة، وآخر ضخماً في تاهو وطائرة وسيارتين وممتلكات ومجوهرات. لقد بنى أموراً كثيرة على وشك أن تتحطم حولهما، لم تتمكن من منع نفسها من التفكير في أوضاعهما التي ستسوء حتماً. كان سيث يبدو متوتراً ومحرجاً، تماماً كما يجب أن يشعر.

قـال ببـساطة "أعـتقد أن ذلك سيختفي، حتى ولو لم أدخل السجن. سيتوجب عليّ أن أدفع الغرامات والفوائد على المبلغ الذي استدنته".

"لـم تـستدنه، أخذته. لم تكن حتى أموال سولي ليعطيك إياها. إنها تخـص مـستثمريه، ليست لأي منكما. لقد أبرمت صفقة مالية مع صديق لتتمكن من الكذب على الناس. لا شيء من هذا جيد، سيث". لم ترغب بأن يتم الإيقاع به، لمصلحته ومصلحتها، ولكنها عرفت أن ذلك هو العدل.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

قال متألماً "شكراً لمحاضرة الأخلاق هذه، على أي حال، للإجابة عن سؤالك، سيذهب كل هذا، بسرعة كبيرة نوعاً ما. سيستولون على ممتلكاتنا كلها، أو على جزءٍ كبير منها، على المنزلين والطائرة ومعظم ما تبقى. تلك التي لا يأخذونها، بإمكاننا بيعها". بدا وكأن الأمر حقيقيّ تقريباً. حالما ضرب الزلزال المدينة في الليلة السابقة، عرف أن المصيبة قد وقعت.

"وكيف يفترض بنا أن نعيش؟".

"تستدين الأموال من الأصدقاء، على ما أظن. لا أعرف، سارة. سيتوجب علينا معرفة ذلك عندما يحدث. الآن، اليوم، نحن بخير. لن يطاردني أحد وسط حطام الزلزال. سيتوجب علينا رؤية ما الذي سيحدث الأسبوع القادم". ولكن سارة عرفت، كما عرف هو أيضاً، أن عالمهما بكامله على وشك الانهيار على مرأى منهما. ليس هناك طريقة لتجنب الأمر، بعد الخديعة التي اقترفها. لقد عرّض حياتهما وحياة طفليهما للخطر بأسوأ طريقة ممكنة.

"هل تعتقد أنهم سيأخذون المنزل؟". بدت مذعورة فجأة وهي تنظر في أرجاء الغرفة. إنه موطنها الآن. في الماضي، لم تكن تحتاج إلى منزل بمثل فخامة هذا، ولكن هذا هو المكان الذي عاشوا فيه، المنزل الذي ترعرع طفلاها داخله. إن مفهوم فقدان كل شيء أثار رعبها. بين دقيقة وأخرى، يمكن أن يفقدا كل شيء في حال تم اعتقال سيث ومحاكمته. بدأت تشعر بالذعر حيال ذلك. سيتوجب عليها البحث عن عمل، وعن مكان تعيش فيه. فكّرت أين سيكون سيث؟ في السجن؟ قبل ساعات فقط، كل ما أرادت معرفته هو أن طفليها بخير وسلامة بعد الزلزال، وبأن المنزل لم يسقط على أحد. وفجأة، بعد ما قاله سيث لها، لم يعودا يمتلكان إلا طفليهما. لم تعرف حتى من هو سيث، بعد ما قاله لها. لقد كانت متزوجة بغريب لأربع سنوات. إنه والد طفليها. لقد وثقت به وأحبته.

بدأت تبكي أكثر من قبل وهي تفكّر في الأمر، وجاء سيث ليضمها، إلا أنها لم تسمح له بذلك. لم تعلم إن كان حليفاً أو عدواً الآن. من دون

حتى التفكير فيها وبالطفلين، عرّضهم جميعاً للخطر. لقد أغضبها وحطّم قلبها بما اقترفه.

قال بلطف "أحبك، حبيبتي"، بينما نظرت إليه باستغراب.

"كيف يمكنك أن تقول هذا؟ أنا أيضاً أحبك. ولكن انظر إلى ما فعلته بنا، جميعنا. ربما يُلقى بنا في الشارع. وينتهي أمرك في السجن".

"ربما ليس لهذه الدرجة من السوء"، حاول أن يطمئنها، ولكنها لم تصدقه. كانت تعرف تماماً قوانين الوكالة الفيدرالية للمستثمرين لدرجة لا يمكنها تصديق الهراء الذي يقوله لها. إنه معرّض لخطر الاعتقال ودخول السجن. وإن فعل، فإن حياتهما، كما يعرفانها، ستذهب معه. ولن تعود حياتهما إلى سابق عهدها أبداً.

سألت بصورة بائسة وهي تمسح أنفها بمنديل "ما الذي نفعله الآن؟". لم تبدُ تلك الشابة الرائعة ذات الشخصية البارزة في المجتمع كالليلة السابقة. لقد بدت أشبه بامرأة خائفة. كانت ترتدي كنزة فوق ثوب الحفل، وحافية القدمين وهي تجلس على السرير، تبكي. بدت مثل مراهقة تلاشى عالمها لتوه. وقد تحقق ذلك فعلاً، بفضل زوجها.

فكّت تسريحة شعرها الفرنسية، وتركت شعرها الأسود ينسدل على كتفيها. بدت أكبر سناً وهي تجلس هناك، تحدّق إليه، تشعر بالخيانة كما لم يحصل معها من قبل أبداً. ليس بسبب المال والحياة اللذين سيخسرانهما، بالرغم مما لذلك من أهمية. ففي الماضي ليس البعيد كانت الحياة آمنة بنظرها وهذا كان مهماً جداً بالنسبة إليها، وإلى طفليها. ولكن الأسوأ من ذلك، أن سيث انتزع منهم الحياة السعيدة التي أعدّها لهم، والإحساس بالأمان الذي عوّلت عليه. لقد خاطر بكل شيء، عندما حوّل الأموال التي استدانها من سولي ماركهام. لقد أصاب حياتهما بقذيفة مدفع.

قال بهدوء "أعتقد أن كل ما يمكننا فعله هو الانتظار"، وهو يعبر الغرفة ليحدق خارج النافذة. كانت هناك نيران مشتعلة في الأسفل، وتحت

شمس الصباح، تمكّن من رؤية الضرر الذي لحق بالمنازل حولهم. لقد سقطت الأشجار، وكانت الشرفات معلقة في زوايا ونواحٍ لا تخطر في بال، وانتزعت المداخن عن الأسطح. كان الناس يتجولون في الخارج مشدوهين. ولكن لم يكن أحد منهم مشدوهاً مثل سارة، فقد كانت تبكي في غرفة نومهما. سيمضي بعض الوقت فقط قبل أن تنتهي حياتهما التي يعرفانها الآن، وربما زواجهما معها.

الفصل الرابع

مكثت ميلاني في الشارع خارج ريتز - كارلتون لوقت طويل تلك الليلة، تساعد الناس، وتحاول إحضار المسعفين لهم. وجدت فتاتين صغيرتين ضائعتين وساعدتهما على العثور على والدتهما. لم يكن هناك الكثير مما أمكنها فعله. لم تمتلك المهارات التمريضية التي امتلكتها الأخت ماري مجدلين، ولكن كان هناك نوع من الراحة والطمأنينة تمكنت من بثّهما لدى الآخرين. تبعها رجل من فرقتها لبعض الوقت، ولكنه في النهاية، ذهب لينضم إلى الآخرين في الملجأ. عرف بأنها فتاة راشدة وقادرة على الاعتناء بنفسها. لم يبقَ معها أحد من حاشيتها. كانت لا تزال تنتعل الحذاء عالي الكعب الذي انتعلته على المنصة، وترتدي الثوب الذي كانت ترتديه في الحفل وفوقه سترة إيفريت كارسون، والتي كانت بحلول ذلك الوقت قذرة، وملطّخة بالغبار والدماء من الأشخاص الذين ساعدتهم. ولكنها أحسّت بشعور جيد للتواجد هناك في الخارج. للمرة الأولى منذ وقت طويل، بالرغم من الغبار في الهواء، شعرت أن بإمكانها التنفس.

اتّكأت على إحدى سيارات الإطفاء، تتناول الكعك المحلى وتشرب كوباً من القهوة، تتحدث إلى رجال الإطفاء عما حدث تلك الليلة. انتابتهم مشاعر الصدمة والسرور في آنٍ واحدٍ لتناولهم القهوة مع ميلاني فري.

"إذاً كيف هي الحياة عندما تكونين ميلاني فري؟"، سألها رجل من رجال الإطفاء الشباب. كان قد ولد في سان فرانسيسكو وترعرع في

www.mlazna.com-RAYAHEEN

ميشن. كان والده شرطياً، وكذلك كان اثنان من إخوته، أما الاثنان الآخران فكانا رجلي إطفاء مثله. أما أخواته فجميعهن تزوجن مباشرة بعد التخرج من الثانوية. كانت حياة ميلاني فري مختلفة جداً عن حياته لأقصى ما يمكن لأحد تصوّره، بالرغم من أنه عند مشاهدتها ترتشف القهوة وتأكل الكعك، بدت تماماً مثل أي شخص آخر برأيه.

اعترفت له "أحياناً يكون الأمر ممتعاً، وأحياناً لا. الكثير من العمل والكثير من الضغوطات لا سيما عند إقامة الحفلات الغنائية. فالصحافيون يلاحقونني كوخز في المؤخرة". ضحكوا جميعاً على تعليقها عندما مدت يدها لتتناول كعكة أخرى. كان رجل الإطفاء الذي طرح عليها السؤال في الثانية والعشرين من عمره ولديه ثلاثة أطفال. اعتقد بأن حياتها تبدو أكثر متعة من حياته، بالرغم من أنه يعشق زوجته وأطفاله. سألته "ماذا عنك؟ هل تحب ما تقوم به؟".

"نعم. معظم الوقت، وخاصة في ليالٍ كهذه. يمتلك المرء شعوراً حقيقياً بأن عمله يحدث فرقاً، ويؤدي بعض الفائدة. يؤلمني عندما يلقي البعض زجاجات الشراب علينا، أو يصوّبون علينا، عندما نظهر في بيه فيو لإخماد نار أشعلوها بأنفسهم. ولكن ليس الأمر كذلك دائماً. معظم الوقت، أحب كوني رجل إطفاء".

علّقت ميلاني "رجال الإطفاء ظرفاء"، ومن ثم قهقهت. لم تتمكن من تذكّر المرة الأخيرة التي تناولت فيها قطعتين من الكعك معاً. كانت والدتها لتقتلها. فقد كانت ميلاني على نقيض والدتها، في حمية مستمرة، بإصرار من والدتها. هذا ثمن صغير يتوجب عليها دفعه لقاء الشهرة. بدت أصغر من عمرها وهي تجلس على حافة سيارة الإطفاء، تتزثر مع الرجال.

"أنت ظريفة أيضاً"، علّق أحد رجال الإطفاء الأكبر سناً وهو يمشي بقربها. كان قد أمضى أربع ساعات للتو في إخراج أشخاص كانوا عالقين في مصعد. أغمي على امرأة بينهم، أما الآخرون فكانوا بخير. لقد كانت ليلة طويلة على الجميع. لوّحت ميلاني بيدها عندما مرّت الطفلتان اللتان

وجدتهما أمامها مع والدتهما في طريقهنّ إلى الملجأ. بدت والدتهما مذهولة عندما أدركت من هي ميلاني. حتى مع شعرها الطويل الأشقر غير المصفف والمتشابك، والأوساخ على وجهها، كان من السهل تمييز هذه النجمة.

"ألا تسأمين من تعرّف الناس إليك في معظم الأوقات؟"، سألها أحد رجال الإطفاء الآخرين.

"بلى، كثيراً. صديقي يكره ذلك. لكَم مصوّراً على وجهه، وانتهى به الأمر في السجن. الأمر يغضبه جداً".

"يبدو الأمر كذلك". ابتسم رجل الإطفاء وعاد إلى عمله. عندها، أخبرها الباقون أنه يتوجب عليها الذهاب إلى الملجأ. إنه أكثر أماناً لها. لقد كانت تساعد ضيوف الفندق والكثير من الغرباء طوال الليل، ولكن مكتب الخدمات الإسعافية يريد أن يدخل الناس الملاجئ. فهناك ركام متساقط في كل مكان، كقطع من النوافذ وكتل من الإسمنت المتساقط من الأبنية. فعلاً، لم يكن من الآمن تواجدها في الخارج، أضف إلى ذلك أن الأسلاك كانت تشكل خطراً مستمراً.

عرض عليها أصغر رجال الإطفاء أن يمشي معها مسافة الشارعين اللذين يفصلانهما عن الملجأ، فقبلت على مضض. كانت الساعة تشير إلى السابعة صباحاً، وعرفت أن والدتها ستكون قلقة جداً عليها في ذلك الوقت، وربما ستثير الكثير من الصخب عندما تلتقي بها. تحدثت ميلاني بارتياح إلى رجل الإطفاء الشاب في الطريق إلى مدرج دار العبادة الكبير حيث احتشد الناس. وكما اتضح، كان البناء مليئاً بالكامل، وكان متطوعو الصليب الأحمر وأعضاء دار العبادة يقدّمون طعام الإفطار. عندما رأت حجم الحشود، لم تتخيل ميلاني كيف ستتمكن من العثور على والدتها. ودّعت رجل الإطفاء عند الباب، وشكرته لمرافقته لها، وشقّت طريقها عبر الحشود تبحث عن شخص تعرفه. رأت مجموعة هائلة من الأشخاص يتحدثون، يبكون، يضحكون، البعض بدا قلقاً، وكان مئات الأشخاص يجلسون على الأرض.

أخيراً، وجدت والدتها تجلس بجانب آشلي وبام، مساعدة ميلاني. كنّ يشعرن بالقلق على ميلاني لساعات. صرخت جانيت بصوت مرتفع عندما رأتهـا، وضـمّتها إلى صدرها. كادت قبضتها تسحق ميلاني، ثم وبختها بصوت عالٍ لاختفائها طوال الليل.

"بحـق الله، مـيل، لقد اعتقدت أنك ميتة الآن، صعقتك الكهرباء، أو أصبت بضربة من قطعة بناء سقطت من الفندق".

قالـت ميلانـي بلطف "لا، لقد كنت أقدم المساعدة في الخارج". دائمـاً مـا يكون صوتها خافتاً عندما تكون بجانب أمها. ولاحظت أن آشـلي تـبدو شـاحبة جـداً. لقـد كانت المسكينة خائفة حتى الموت، ومـصدومة بالكامـل من الزلزال. ظلت جاثمة أمام جيك طوال الليل، بيـنما تجاهلهـا هذا الأخير، وغط في النوم بسبب كل ما كان يشربه ويدخّنه قبل الزلزال.

كـان قـد فتح عينيه ونظر إلى ميلاني عندما سمع صراخ أمها. بدا متـرنحاً جداً، وهو ينظر بغرابة إلى ميلاني. حتى إنه لم يكن يذكر أداءها ولـم يكـن واثقـاً أنـه كان متواجداً معها، بالرغم من أنه يتذكر بالتأكيد الاهتزاز الذي سبّبه الزلزال.

"سترة جميلة"، علّق وهو ينظر إليها في سترة البذلة القذرة. "أين كنت طوال الليلة؟". بدا مهتماً أكثر من كونه قلقاً.

قالت "كنت أعمل"، ولكنها لم تتحنِ لتقبّله. بدا مضطرباً جداً. لقد كان ممدداً على الأرض، غارقاً في النوم، وسترته مكوّمة تحت رأسه كالوسادة. كان معظم مساعدي الفرقة ومعظم أعضائها نائمين هناك.

"ألم تشعري بالخوف؟"، سألت آشلي وهي تبدو مذعورة، بينما هزّت ميلاني رأسها.

"لا. لقـد احـتاج العديد من الأشخاص إلى المساعدة. فقد كان هناك أطفال ضائعون، وأناس احتاجوا إلى مسعفين. جُرح العديد من الأشخاص بسبب الزجاج المتساقط. وقد فعلت كل ما أمكنني فعله".

صـرخت والـدتها في وجهها "أنت لست ممرضة، بحق الله، أنت فائزة بجائزة غرامي. الفائزون بهذه الجائزة لا يتجولون بين الناس ليمسحوا أنوفهم". حملقت جانيت في وجهها. لم تكن تلك هي الصورة التي تريدها لابنتها.

"لـمَ لا، أمـي؟ مـا الخطأ في مساعدة الناس؟ كان هناك العديد من الأشخاص الخائفين الذين احتاجوا إلى شخص ما ليساعدهم بكل ما أمكن".

قالـت والـدتها وهـي تـتمدد بالقرب من جيك "دَعي شخصاً آخر يـساعدهم، يـا الله، أتساءل كم سنظل عالقين هنا. قالوا بأن المطار مغلق بـسبب الـضرر الـذي لحق بالبرج. آمل أن يتمكنوا من إرسالنا بطائرة خاصـة". لقـد كانـت تلك الأمور تهمها كثيراً. اهتمت جداً بالاستفادة من الميـزات الكاملـة التي يتمتعون بها. اهتمت بذلك أكثر مما فعلت ميلاني نفسها. كانت ميلاني لتشعر بالسرور نفسه في حافلة غريهاوند.

"مـن يأبـه، ماما؟ ربما يمكننا استئجار سيارة وقيادتها إلى المنزل. نـريد فقـط أن نـتمكن مـن العودة في النهاية. ليس لدي حفل آخر حتى الأسبوع القادم".

"حـسناً، لـن أظل ممددة هنا على أرضية مدرج دار العبادة طوال الأسبوع القادم. ظهري يؤلمني. يتوجب عليهم وضعنا في مكان لائق".

"جمـيع الفنادق مغلقة، أمي. فمولدات الكهرباء فيها وكذلك الثلاجات متوقفة عن العمل، كما أن وضعها الإنشائي خطر". عرفت ميلاني ذلك من رجال الإطفاء الذين تحدثت إليهم. "على الأقل نحن بأمان هنا".

"أريـد العـودة إلى لوس أنجلوس"، تذمرت والدتها. أخبرت بام بأن تـستمر فـي السؤال عن موعد فتح المطار مجدداً، ووعدت بام أن تفعل. أعجـبت بميلانـي لتقديمها المساعدة للناس طوال الليل. كانت قد أمضت اللـيلة وهي تحضر لجانيت الأغطية والسجائر والقهوة التي يتم تحضيرها في أفران تعمل على البيوتان في صالة الطعام. وكانت آشلي مذعورة جداً لدرجـة أنّها تقيأت مرتين. أما جيك فكان شاحباً، وثملاً، وتائهاً من الناحية الذهنية. لقد كانت ليلة مروّعة، ولكنهم جميعاً أحياء على الأقل.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

كانت مصففة شعر ميلاني ومديرة أعمالها في مقدمة المدرج تقدمان الشطائر والكعك، وتوزعان قناني الماء. نفد الطعام بسرعة من مطبخ دار العبادة الكبير والذي يقدم الطعام عادةً للمشردين. بعد ذلك، أخذوا يقدّمون معلّبات تحتوي على لحم الحبش أو اللحم المقدد. لن يمر وقت طويل قبل نفاد ذلك أيضاً. لم تكن ميلاني لتبالي بذلك، فلم تكن جائعة على أي حال.

وقت الظهر، قيل لهم بأنهم سينقلون إلى ملجأ في بريسيديو. ستصل الحافلات لنقلهم، وسيغادرون دار العبادة على دفعات. تم توزيع الأغطية وحقائب النوم والاحتياجات الشخصية لهم مثل فراشي ومعجون الأسنان، والتي حملوها مع أشيائهم الخاصة، بالنظر إلى أنهم لن يعودوا إلى دار العبادة مجدداً.

لم تتمكن ميلاني وحاشيتها من الصعود إلى الحافلة حتى الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم. كانت قد تمكنت من النوم لساعتين، وكانت تشعر أنها بخير وهي تساعد والدتها على لفّ غطائها، وتهز جيك لتوقظه.

قالت لجيك "هيا سنذهب"، متسائلة ما هي العقاقير التي تناولها الليلة الماضية. لقد جعلته غافلاً عن العالم طوال اليوم ولا يزال مترنحاً حتى الآن. كان رجلاً وسيماً، ولكن عندما نهض ونظر حوله، بدا غريباً جداً.

"يا الله. أكره هذا الفيلم. يبدو هذا مثل مسرح لملحمة كارثية، وأشعر وكأنني أقوم بالتجربة النهائية. كنت أنتظر أن يأتي أحدهم ليطلي الدماء على وجهي ويضع الضمادة على رأسي".

"تبدو رائعاً حتى من دون الدماء والضمادة"، طمأنته ميلاني، وهي تعقد شعرها في ضفيرة.

تذمرت والدتها طوال الطريق إلى الحافلة، وقالت بأن الطريقة التي تم التعامل بها معهم سيئة جداً، وتساءلت عن عدم وجود أحد يعرف من هم. أكّدت لها ميلاني بأن ذلك لن يشكل أي اختلاف، وبأن لا أحد يهتم. إنهم مجرد مجموعة من الأشخاص نجوا من زلزال، ولا يختلفون عن أي شخص آخر.

وبّختها والدتها "أقفلي فمك، يا فتاة، هذه ليست طريقة تتحدث بها نجمة".

"لست نجمة هنا، أمي. لا أحد يبالي إن كنت قادرة على الغناء. إنهم متعبون، جائعون، خائفون، والجميع يريد الذهاب إلى منزله، مثلنا تماماً. لا نختلف عنهم".

"أخبريها، ميلي"، قال أحد الشباب في فرقتها، وهم يصعدون الحافلة، ومن ثم عرفتها فتاتان مراهقتان وصرختا. وقّعت لهما، وبدا ذلك عملاً سخيفاً برأيها. شعرت بأنها كل شيء ما عدا نجمة، نصف عارية وقذرة، ترتدي سترة رجل غريب وثوباً شبكياً لامعاً ممزقاً.

"غنّي لنا شيئاً"، طلبت منها الفتاتان، فضحكت ميلاني. أخبرتهما أنه من المستحيل أن تغني هنا. كانتا صغيرتين وسخيفتين في حوالى الرابعة عشرة من عمرهما. تعيشان بالقرب من دار العبادة مع أفراد عائلتيهما الذين كانوا في الحافلة معهما. قالتا بأن جزءاً من مبنى حيث تقطنان قد سقط، وتم إنقاذهما من قبل الشرطة، ولكن أحداً لم يصب بأذى، باستثناء سيدة عجوز في الطابق العلوي قد كسرت ساقها. كان في جعبتهما الكثير من القصص.

وصلوا إلى بريسيديو بعد عشرين دقيقة، وتم إيصالهم إلى هنغارات عسكرية قديمة حيث وضع فيها الصليب الأحمر أسرّة وجهّز قاعة طعام. كما تم تنظيم مشفى ميداني مزوّد بطاقم طبي متطوع في أحد الهنغارات، وتأمين مسعفين من الحرس الوطني، من الأطباء والممرضات، ومجموعة من المتطوعين من دور العبادة المحلية، ومتطوعين من الصليب الأحمر.

"ربما يمكنهم نقلنا بالطائرة العمودية من هنا"، قالت جانيت وهي تجلس على السرير، مذعورةً بالكامل لرؤيتها تجهيزات المبيت هنا. ذهب جيك وأشلي لإحضار شيء يتناولانه، وعرضت بام أن تحضر الطعام لجانيت عندما قالت بأنها متعبة جداً وغير قادرة على الحركة. لم تكن كبيرة بما يكفي لتصاب بمثل هذا العجز، ولكنها لم ترَ سبباً للانتظار في الصف لساعات

لإحضار طعام مثير للغثيان. ظلّ أعضاء الفرقة ومساعدوها في الخارج يدخنون، وبعد أن غادر الجميع، تسلّلت ميلاني بهدوء عبر الحشود إلى مكتب عند المقدمة. تحدثت إلى المرأة المسؤولة بصوت لطيف. كانت المرأة عند المكتب ضابطة احتياط في الحرس الوطني، ترتدي ملابس مموهة عسكرية وتنتعل حذاء عسكرياً. نظرت إلى ميلاني متفاجئة، وعرفتها على الفور.

"ما الذي تفعلينه هنا؟"، سألتها وهي تبتسم بدفء. لم تقل ميلاني اسمها. لم تحتج إلى ذلك. فلقد عرفت المرأة هويتها على الفور.

قالت ميلاني بهدوء "كنت أغني في حفل خيري هنا ليلة أمس". وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه الضابطة. "وعلّقت هنا كالجميع".

"ما الذي يمكنني فعله لك؟". كانت تشعر بالإثارة للقائها ميلاني شخصياً.

"أردت سؤالك عما يمكنني فعله للمساعدة". علمت أن هذا أفضل من الجلوس على سريرها، تستمع إلى تذمر والدتها. "هل تحتاجين إلى متطوعين؟".

"أعلم أن هناك مجموعة منهم في قاعة الطعام، يطهون ويقدمون الطعام. المشفى الميداني في آخر الطريق، ولست متأكدة مما يحتاجون إليه. يمكنني أن أضعك للعمل في المكتب، إن أردت. ولكن ربما يحتشد الناس حولك في حال عرفوك"، أومأت ميلاني مؤكدة على صحة ما تقوله الضابطة، فقد سبق لها وأن فكّرت في الأمر وتوصلت لذات الجواب.

"سأحاول في المشفى أولاً". بدا ذلك أفضل بالنسبة إليها.

"يبدو جيداً. عودي إليّ إن لم تجدي شيئاً هناك. لقد أصبح المكان هنا كحديقة حيوانات منذ بدأت الحافلات بالقدوم. نحن ننتظر وصول خمسين ألف شخص آخر الليلة. إنهم يحضرونهم بالحافلات من كل أنحاء المدينة".

قالت ميلاني "شكراً"، وعادت لتجد والدتها. كانت جانيت مستلقية على سريرها، تتناول البوظة التي أحضرتها لها بام مع علبة بسكويت في يدها الأخرى.

"أين كنت؟"، سألت وهي تحدق إلى ابنتها.

قالت ميلاني بغموض "أطمئنّ على الأمور، سأعود بعد بعض الوقت"، ومشت بعيداً وتبعتها بام. أخبرت مساعدتها أنها ذاهبة إلى المشفى الميداني لتتطوع.

"هل أنت متأكدة؟"، سألتها بام وهي تبدو قلقة.

"نعم، أنا كذلك. لا أريد أن أجلس هنا ولا أقوم بشيء، أصغي إلى شكاوى أمي. ربما أقدّم بعض المساعدة".

"سمعت أن أفراد طاقمهم من متطوعي الحرس الوطني والصليب الأحمر جيّدون نوعاً ما".

"ربما هم كذلك. أعتقد أنهم في المشفى بحاجة إلى المزيد من المساعدة. ليس هناك الكثير للقيام به هنا باستثناء توزيع المياه وتقديم الطعام. سأعود بعد برهة، وإن لم أفعل، يمكنك أن تجديني هناك. إن المشفى الميداني في نهاية الطريق"، أومأت بام وعادت إلى جانيت، والتي قالت بأنها مصابة بألم في الرأس وتحتاج إلى الأسبرين والماء. كانوا يوزعونه في صالة الطعام. أصيب العديد من الأشخاص بآلام في الرأس بسبب الغبار والتوتر والصدمة. كانت بام قد أصيبت بألم الرأس هي أيضاً، ليس من مشاكل تلك الليلة، وإنما من مطالب جانيت.

غادرت ميلاني المبنى بسرعة، من دون أن يلحظها أحد، منحنية الرأس، ويداها في جيبي السترة. تفاجأت لعثورها على قطعة نقدية في أحد الجيبين. لم تكن قد لاحظتها مسبقاً. أخرجتها وهي تمشي. كُتب على أحد جانبيها الرقم الروماني واحد، I، مع رمز للحرفين أيه أيه، وعلى جانبها الآخر، دعاء الصحوة. افترضت أنها تخص إيفريت كارسون، المصور الذي أعارها السترة. أعادتها، متمنية لو كانت تملك حذاءً مختلفاً. فقد كان المشي على الطريق الإسمنتي المليء بالحصى عملاً شاقاً بذلك الحذاء ذي الكعب العالي الذي انتعله على المنصة في الليلة السابقة. فقد جعلها تشعر بعدم التوازن.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

وصلت المشفى الميداني في أقل من خمس دقائق، وكان هناك حركة لا تكلّ. كانوا يستخدمون المولد لإنارة الصالة، وامتلكوا كمية مذهلة من المعدات التي كانت مخزّنة في بريسيديو مسبقاً أو التي تم إرسالها من المشافي المجاورة. بدا المكان أشبه بغرفة عمليات احترافية، مليئة بالرجال والنساء ذوي الأثواب البيضاء، والزي العسكري، وأربطة الصليب الأحمر على الأذرع. لدقيقة، شعرت ميلاني أنها لا تنتمي إلى هذه المجموعة، وبالغباء لأنها أرادت التطوع هنا.

كان هناك مكتب في المدخل لتسجيل الأشخاص، وكما فعلت في الهنغار الذي أُدخلوا إليه، سألت الجندي عند المكتب إن احتاجوا إلى المساعدة.

"أوه، نعم"، ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة. بدا واضحاً من لكنته أنه من ديب ساوث، كما بدت أسنانه مثل مفاتيح البيانو وهو يبتسم. شعرت بالراحة لأنه لم يعرفها، وذهب ليسأل شخصاً آخر عن الأمكنة حيث يحتاجون إلى المتطوعين. عاد في غضون دقيقة.

"ما رأيك بالعمل مع المشردين؟ لقد استمرّوا في جلبهم بالحافلة طيلة اليوم". حتى الآن، كان الكثير من المصابين هم من المشرّدين.

ابتسمت وقالت "لما لا، الأمر مناسب".

"أصيب العديد منهم في أثناء نومهم في المداخل. لقد عملنا على خياطة جروحهم لساعات. بالإضافة إلى آخرين". كان المرضى المشردون هم الأكثر صعوبة، بالنظر إلى أنهم كانوا في حالة سيئة حتى قبل حدوث الزلزال، والعديد منهم مرضى عقليين ومن الصعب التعامل معهم. لم تخف ميلاني مما قاله. لم يخبرها عن الشخص الذي فقد ساقه عندما سقط زجاج نافذة عليها، ولكن تم نقله في سيارة إسعاف إلى مكان آخر. معظم من كانوا يتعاملون معهم في المشفى الميداني هم من ذوي الإصابات الطفيفة، ولكن كان هناك العديد منهم، بل الآلاف في الحقيقة.

تواجد متطوعون من الصليب الأحمر وكانوا هم المسؤولين عن تسجيل دخول الأشخاص. كما كان هناك أخصائيون اجتماعيون متوافرون

لرؤية إن كان بإمكانهم المساعدة بطرائق مختلفة. عرضوا المساعدة لإدخالهم في برامج المدينة للمشردين، أو الملاجئ الدائمة إن تأهلوا لها، وحتى إن فعلوا، لم يُظهر البعض اهتماماً بالانتساب. كانوا موجودين في بريسيديو لعدم وجود مكان آخر يذهبون إليه، تماماً كحال الجميع. وكل شخص في بريسيديو حصل على سرير وطعام مجانيين. كما أن هناك صالة كاملة مخصصة للاستحمام.

"هل بإمكاننا أن نعطيك شيئاً آخر ترتدينه؟". ابتسمت لها إحدى المتطوعات المسؤولات. "لا بد من أن هذا كان ثوباً رائعاً. قد تتسببين بنوبة قلبية لأحدهم إن فتحت السترة". كانت تبتسم ابتسامة عريضة، فضحكت ميلاني، ونظرت إلى صدرها الرائع، والذي كان بارزاً من السترة وبقايا الثوب. كانت قد نسيت ذلك الأمر برمّته.

"سيكون هذا رائعاً. إن كان لديك أي منها، كما أنني بحاجة إلى حذاء أيضاً. فالحذاء الذي أنتعله يؤلمني، ويصعب المشي فيه".

علّقت المتطوعة "يمكنني فهم السبب، لدينا طن من الصنادل في آخر الهنغار. أوصلها شخص إلينا للناس الذين خرجوا من منازلهم من دون أحذية. لقد أمضينا اليوم بكامله نخرج الزجاج من أقدام الناس". كان أكثر من نصف عدد الأشخاص الذين وصلوا إلى هنا لا ينتعلون أحذية. كانت ميلاني ممتنة لفكرة الصندل، وأعطاها أحدهم سروالاً عسكرياً وكنزة. كتب على الكنزة *خارج بكفالة من هارفي*، وكان مقاس السروال كبيراً جداً. وجدت قطعة من حبل فربطتها حول خصرها، لتمسك السروال به. انتعلت الصندل، وألقت بحذائها وثوبها والسترة. لم تعتقد أنها سترى إيفريت مجدداً، وشعرت بالأسف لرمي سترته، ولكنها كانت قذرة على أي حال، ملطّخة بالغبار والأوساخ، وفي اللحظة الأخيرة تذكرت قطعة أيه أيه فوضعتها في جيب سروالها العسكري الجديد. بدت مثل عملة جالبة للحظ لها الآن، وإن رأته مجدداً، بإمكانها أن تعيدها إليه بدلاً من السترة.

بعد خمس دقائق، كانت تحمل لوحاً مشبكياً، تسجل أسماء الأشخاص القادمين، تتحدث إلى الرجال الذين كانوا يعيشون لسنوات في الشوارع وتفوح منهم رائحة المُسكّر، ومع نساء مدمنات لا يمتلكن أسناناً، وأطفال أصيبوا بالأذى وتواجدوا هناك مع ذويهم القادمين من مارينا وباسفيك هايتس. ومع أزواج شباب، وعجائز، وأناس امتلكوا الموارد كما هو واضح، وآخرين معدومين. أناس من كل الأعراق، والأعمار، والأحجام. كان هذا نموذجاً عن التداخل في هذه المدينة وعن الحياة الحقيقية. كان البعض منهم لا يزالون يتجولون في الأرجاء في حالة من الصدمة ويقولون بأن منازلهم قد سُحقت، وآخرون كُسرت أو التوت أقدامهم أو كواحلهم يعرجون في الأنحاء. رأت عدداً من الأشخاص مع أكتاف وأذرع مكسورة. لم تتوقف ميلاني عن العمل لساعات، حتى إنها لم تتوقف لتناول الطعام أو الاستراحة. لم تكن مسرورة في حياتها كما هي الآن أو عملت بمثل هذا الجدّ من قبل. أصبح الوقت منتصف الليل تقريباً عندما هدأت الأمور قليلاً، وبحلول ذلك الوقت كان قد مضى عليها هناك ثماني ساعات، من دون استراحة، ولم تكن تمانع في هذا إطلاقاً.

"مرحباً، أيتها الشقراء!"، صاح رجل عجوز، وتوقفت لتعطيه عكازه وابتسمت له. "ما الذي تفعله فتاة جميلة مثلك هنا؟ هل أنت في الجيش؟".

"لا. استعرت سروالهم وحسب. ما الذي يمكنني القيام به لك، سيدي؟".

"أحتاج إلى شخص يوصلني إلى الحمام. هل بإمكانك العثور على أحدهم؟".

"بالتأكيد!". وجدت أحد جنود الاحتياط من الحرس الوطني وأحضرته إلى الرجل ذي العكاز، وانطلقا نحو المراحيض النقالة المجهزة في الخلف. بعد لحظة، جلست للمرة الأولى هذا الليل، وقبلت شاكرةً قنينة من الماء من متطوع من الصليب الأحمر يعمل على توزيعها.

"شكراً"، ابتسمت ميلاني بامتنان. كانت تشعر بالعطش الشديد، ولكنها لم تمتلك الوقت للقيام بأي شيء حيال الأمر منذ ساعات. لم تكن قد تناولت الطعام منذ الظهر، فهي لم تكن جائعة، بل كانت متعبة. كانت تشرب الماء قبل عودتها إلى العمل، عندما اقتربت منها امرأة ترتدي سروال جينز وكنزة وتنتعل حذاء رياضياً ورديّ اللون من كونفيرس. كان الجو دافئاً في المشفى الميداني، وكانت الكنزة باللون الوردي الفاتح. امتلكت المرأة عينين زرقاوين لامعتين، وأخذت تنظر إلى ميلاني، ثم ابتسمت ابتسامة عريضة.

همست المرأة ذات الكنزة الوردية "أحببت أداءك ليلة أمس".

"حقاً؟ كنت هناك؟". من الواضح أنها كانت هناك مما قالته. تأثرت ميلاني. بدا أنه قد مضت مليون سنة منذ ذلك الأداء والزلزال الذي وقع قبل انتهاء الحفل. "شكراً لك. ليلة لا تنسى، أليس كذلك؟ هل خرجت بخير؟". بدت المرأة ذات الشعر الأحمر سليمة وخالية من أي إصابات، وكانت تحمل صينيّة من الضمادات، وشريطاً لاصقاً ومقصّاً طبياً. "هل أنت مع الصليب الأحمر؟".

"لا، أنا ممرضة". بدت أشبه بفتاة في المخيم في حذائها الوردي. بدت عيناها الزرقاوان مشحونتين بالطاقة، وبدت منشغلة حقاً. تساءلت "هل أنت من الصليب الأحمر؟"، فقد كانت تحتاج إلى مساعدتها. لقد كانت تخيط الجروح الثانوية منذ ساعات، وتعيد الناس إلى الصالات الأخرى للنوم. كانوا يحاولون جعل الأشخاص في هنغار المشفى يدخلون ويخرجون بخطى سريعة، ويرتّبون أولويات العلاج بأفضل ما يمكن. وكان يتم نقل الحالات السيئة إلى المشافي ذات أنظمة الإنعاش. أما المشفى الميداني فعمل على منع الإصابات الثانوية من الوصول إلى غرف الإسعاف في المشافي، وذلك لإتاحة الفرصة لها للتعامل مع الإصابات الخطيرة. حتى الآن، كان ذلك النظام يعطي نتيجته.

شرحت ميلاني "لا، جئت إلى هنا وحسب، اعتقدت أن بإمكاني المساعدة".

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"فتاة طيبة. ماذا عن مشاهدة الناس في أثناء خياطة جروحها؟ هل تفقدين الوعي من منظر الدم؟".

قالت ميلاني "لم يحدث هذا معي بعد". كانت قد رأت الكثير من عمليات خياطة الجروح منذ الليلة الماضية، وحتى الآن لم تصب بالغثيان، بالرغم من أن صديقتها آشلي أصيبت به، وجيك ووالدتها. ولكن ميلاني بخير.

"جيد. بإمكانك القدوم لمساعدتي إذاً". رافقت ميلاني إلى آخر الهنغار، حيث كانت قد جهّزت منطقة صغيرة لنفسها مع طاولة فحص مؤقتة ومعدات تعقيم. كان الناس مصطفّين، ينتظرون خياطة جروحهم، وفي غضون دقائق، غسلت ميلاني يديها بمحلول معقّم، وقامت بتزويدها بالمعدات بينما كانت تخيط القُطَب بعناية لمرضاها. معظم الإصابات كانت ثانوية بعض الشيء، مع بعض الاستثناءات النادرة. ولم تتوقف تلك المرأة الصغيرة ذات الشعر الأحمر إطلاقاً. كان هناك هدوء قرابة الساعة الثانية بعد منتصف الليل، عندما جلست كل منهما لشرب الماء والتحدث لدقيقة.

"أعرف اسمك"، قالت المرأة الصغيرة ذات الشعر الأحمر مع ابتسامة على وجهها. "تسيت أن أخبرك باسمي. أنا ماغي. الأخت ماغي"، أضافت.

"أخت؟ أنت أخت؟". بدت ميلاني مندهشة. لم يخطر في بالها أبداً أن هذا الجسد الصغير الذي يرتدي اللون الوردي مع شعر بلون اللهب قد يكون لأخت. لم يكن هناك شيء يدل على ذلك. ضحكت ميلاني "أنت حقاً لا تبدين مثل الأخت". كانت قد ذهبت إلى مدرسة دينية وهي صغيرة، واعتقدت أن بعض الأخوات لطيفات، الشابات منهن فقط. فالجميع اتفق على أن الكبار منهن لئيمات، ولكنها لم تقل ذلك لماغي. لم يكن فيها من اللؤم شيء، كانت مبتسمة، ومرحة، وتعمل بجدّ. اعتقدت ميلاني أن لديها طريقة رائعة في التعامل مع الناس.

"أبدو حقاً مثل الأخت"، أصرّت ماغي. "هذا ما تبدو عليه الأخوات هذه الأيام".

قالت ميلاني "لم يكن حالهن كحالك عندما كنت في المدرسة، لقد أعجبتني كنزتك".

"أعطانيها إياها بعض الأطفال الذين أعرفهم. أعتقد أنها تجعل الناس يضحكون. اعتقدت أن اليوم هو الوقت المناسب لارتدائها. يحتاج الناس إلى بعض الابتسامات الآن. يبدو وكأن الكثير من الضرر لحق بالمدينة، وفقد العديد من الأشخاص منازلهم، بسبب النيران في الأغلب. أين تعيشين، ميلاني؟". سألت الأخت ماغي باهتمام عندما أنهت كل منهما شرب المياه ونهضتا.

"في لوس أنجلوس. مع والدتي".

"هذا لطيف"، أطرت ماغي على ذلك. "بمثل نجاحك، يمكنك العيش وحدك، أو ربما توقعين نفسك بالكثير من المشاكل. هل لديك صديق؟". ابتسمت ميلاني كإجابة وأومأت.

"نعم. إنه هنا أيضاً. ربما يكون نائماً في الصالة التي وضعونا فيها. جلبت صديقتي معي أيضاً لحضور الحفل، وأمي هنا، وبعض الأشخاص الذين يعملون معي، وأعضاء الفرقة بالطبع".

"يبدو وكأنكم مجموعة كبيرة. هل صديقك لطيف معك؟". تفحصتها العينان الزرقاوان اللامعتان، وترددت ميلاني قبل أن تجيب. كانت الأخت ماغي مهتمة بميلاني، بدت فتاة ذكية ولطيفة، ولم يكن هناك شيء فيها يدل على أنها مشهورة. كانت ميلاني متواضعة وغير متباهية لدرجة أصبحت فيها بسيطة جداً. أحبّت ماغي ذلك فيها. تصرّفت كأي فتاة في عمرها وليس كنجمة.

"أحياناً يكون صديقي لطيفاً معي"، أجابت ميلاني عن سؤالها. "لديه مشاكله الخاصة. تعيق حياتنا أحياناً". قرأت ماغي بين السطور، ووجدت أنه ربما يدمن الشراب والعقاقير. الأمر الذي فاجأها هو أن ميلاني لا

تفعـل ذلـك، وجـاءت للعمل في المشفى بإرادتها، أرادت حقاً المساعدة، وبالفعـل قدّمت مساعدة كبيرة، وكانت متفهّمة لما تقوم به. إنها متواضعة تماماً.

"هذا سيّئ جداً"، علّقت ماغي عن جيك، ومن ثم أخبرت ميلاني بأنها قـد عملت لوقت طويل بما يكفي. لقد عملت لما يقارب إحدى عشرة ساعة مـن دون أن تكون قد نامت بشكل كافٍ في الليلة الماضية. طلبت منها أن تعـود إلـى صالتها، وتأخذ قسطاً من الراحة، وإلا لن يستفيد منها أحد في الـيوم التالـي. سـتنام ماغـي على سرير في منطقة كان قد تم تجهيزها للمتطوعـين والطـاقم الطبـي. كانوا يخططون لفتح مبنى منفصل لذلك، ولكنهم لم يفعلوا بعد.

"أيتوجب عليّ العودة غداً؟"، سألت ميلاني مفعمة بالأمل. لقد أحبّت الوقت الـذي أمضته هنا، وشعرت بأنها ذات فائدة حقيقية، وهذا كفيل بأن يجعل الوقت الذي سيقضونه بانتظار العودة إلى الوطن أكثر متعة ويمرّ على نحو أسرع.

"عـودي حالمـا تـستيقظين. يمكنك تناول الطعام في صالة الطعام. سأكون هنا. يمكنك القدوم متى أردت"، قالت الأخت ماغي بلطف.

"شـكراً لك"، قالت ميلاني باحترام وهي لا تزال متفاجئة من حقيقة أنها أخت. "أراك غداً، أيتها الأخت".

"ليلة هادئة، ميلاني"، ابتسمت ماغي بلطف. "شكراً للمساعدة"، لوّحت ميلانـي لها وهي تغادر، وراقبتها ماغي وهي تذهب. لقد كانت فتاة جميلة حقاً، ولم تكن ماغي واثقة من السبب ولكن راودها شعور بأنها تبحث عن شيء، وبأن هناك عنصراً هاماً في حياتها مفقود. كان من الصعب تصديق ذلك نظراً لما تمتلكه من شكلٍ وصوتٍ، ولما أصابت من نجاح. ولكن مهما كان الأمر الذي تبحث عنه، أملت ماغي أن تجده.

غادرت ماغي عندها لتسجّل خروجها، وأخذت قسطاً من الراحة هي الأخـرى، وعندما عادت ميلاني إلى الصالة حيث تركت الآخرين، كانت

تبتـسم. لقـد أحبّت العمل مع ماغي. لم تتمكن حتى الآن من تصديق أن المرأة الودودة تلك كانت أختاً. لم تتمكن ميلاني من منع نفسها من تمنّي أن يكون لها والدة كهذه، عطوفة، ودافئة، وحكيمة بدلاً من أمّها، التي لا تكف عن الضغط عليها، وتعيش نيابة عن ابنتها. أدركت ميلاني تماماً أن والدتها تتمنـى لـو كانـت هي النجمة، واعتقدت أنها كذلك لأن ابنتها حقّقت ذلك وتمتّعت بالنجومية. كان ذلك عبئاً ثقيلاً عليها أحياناً، أن تحقّق حلم والدتها، بـدلاً مـن امتلاك حلم آخر خاص بها. لم تكن ميلاني واثقةً مما تريده أو تحلم بتحقيقه. كل ما عرفته هو أنها لبضع ساعات، شعرت وكأنها وجدت حلمها تلك الليلة في أعقاب زلزال سان فرانسيسكو.

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الفصل الخامس

عـــادت ميلانـــي إلى المشفى الميداني بحلول التاسعة صباح اليوم التالـــي. كـــان بإمكانها العودة في وقت أبكر، ولكنها توقفت لتصغي إلى الأخبار والإعلانات التي أذيعت عبر مكبّر الصوت الرئيسي. تجمّع مئات الأشـــخاص لـــسماع أخـــبار المدينة ومعرفة أحوالها. كانت إحصائيات الوفيات قد تجاوزت الألف قتيل بحلول ذلك الوقت، وقالوا بأنه سيمضي أســـبوع علـــى الأقل، إن لم يكن أكثر، قبل أن تصلهم الكهرباء مجدداً. أذاعوا لائحة بأسماء المناطق التي تعرّضت لأكبر الأضرار، وقالوا بأن خدمـــة الهواتف الخلوية لن تعود قبل عشرة أيام أخرى على الأقل، وبأنّ موارد الإغاثة ستصل عبر الطائرات من جميع أنحاء البلد. كما أخبروهم بأن رئيس البلد جاء لتفقّد المدينة المُدّمرة في اليوم السابق، ومن ثم حلّق عائداً إلى واشنطن، واعداً بتقديم مساعدات فيدرالية، ومادحاً سكّان سان فرانسيـــسكو لشجاعتهم، ومحبتهم لبعضهم، وتضامنهم. أخبروا المقيمين المؤقتـــين فـــي بريسيديو بأن ملاجئ خاصة قد جُهّزت من قبل الجمعية الأميركية لرعاية الحيوانات الأليفة حيث سيتم إحضار الحيوانات الأليفة الـــتائهة علـــى أمـــل إعادة الحيوانات التائهة إلى أصحابها مجدداً. أفاد الإعلان أيضاً بأن مترجمي اللغتين الصينية والروسية متوافرون، وشكر الـــشخص الـــذي أصدر الإعلان الجميع لتعاونهم على الانصياع لقوانين المخـــيمات المؤقتة. قالوا بأن أكثر من ثمانين ألف شخص يعيشون الآن في بريسيديو، وسيتم افتتاح صالتي طعام إضافيتين في ذلك اليوم. وعدوا

بإبقـــاء الجميع على اطّلاع بأي تطورات إضافية حال حصولها، وتمنوا للجميع يوماً ساراً.

عـــندما عثرت ميلاني على ماغي في المشفى الميداني، كانت الأخت تتذمـــر مـــن أن الرئيس جال في بريسيديو عبر الطائرة العمودية ولم يقم بـــزيارة المـــشفى الميدانـــي. كان المحافظ قد زاره لوقت قصير في اليوم السابق، وكان من المفترض أن يقوم الحاكم بجولة في بريسيديو بعد ظهر ذلـــك اليوم. كان هناك تغطية إعلامية كثيفة. لقد أصبحت بريسيديو منطقة نموذجية داخل المدينة التي انهارت بفعل قوة الزلزال الذي وقع قبل يومين. بالنظر إلى قوة الزلزال، أُعجِبَت السلطات المحلية بمقدار التنظيم الذي كان ســـائداً في بريسيديو، وبتضامن سكان سان فرانسيسكو. ساد جوّ من الوئام والمحـــبة فـــي جمـــيع أنحاء المخيم، كتلك الصداقة الحميمة التي تنشأ بين الجنود في مناطق الحروب.

"استيقظت مشرقةً وبكّرت في المجيء"، علّقت الأخت ماغي، عندما ظهرت ميلاني. بدت شابة جميلة، ونظيفة، بالرغم من أنها لا تزال ترتدي الملابـــس نفسها من اليوم السابق. لم يكن لديها سواها، ولكنها نهضت في الـــسابعة لتصطفّ في الدور أمام حجرات الاستحمام. منحها غسل شعرها والاســـتحمام بمـــاء ساخن شعوراً جيداً. كما تناولت دقيق الشوفان والخبز المحمص في صالة الطعام.

لحـــسن الحـــظ، تمكنت المولدات من الحفاظ على الطعام بارداً. كان الطـــاقم الطبـــي يخشى من حصول حالات تسمّم وإسهال في حال تعطلت المـــولّدات وفَـــسُدَ الطعـــام. ولكن حتى الآن، كانت مشكلتهم الكبرى هي الجرحـــى، وليست الأمراض التي قد تصبح مشكلة لاحقاً. "هل نمتِ جيداً لـــيلة الأمس؟"، سألتها ماغي. إن نقص النوم هو أحد الأعراض الرئيسية للـــصدمة، والعديـــد من الأشخاص الذين يرونهم قالوا بأنهم لم يتمكنوا من النوم منذ يومين. كان عدد كبير من الأطباء النفسيين قد تطوع للتعامل مع ضحايا الصدمة، الذين وُضعوا في صالة منفصلة. أرسلت ماغي العديد من

الأشـــخاص إلى هناك لفحصهم، وخاصة كبار السن والصغار جداً، والذين كانوا خائفين ومصدومين بشدة.

كانت ميلاني تسجّل الأسماء، وتدوّن التفاصيل والأعراض ومعلومات عـــن المرضـــى. لم يكونوا يتلقون أجراً، كما لم يكونوا يقومون بالفوترة، وكـــان المـــتطوعون ينجـــزون جميع الأعمال الإدارية والمكتبية. شعرت ميلاني بالسرور لوجودها هناك. لقد كانت ليلة الزلزال مرعبة، ولكن للمرة الأولـــى فـــي حياتها، شعرت وكأنها تفعل شيئاً هاماً بدلاً من التسكع خلف الكوالـــيس فـــي المسارح، وتسجيل الاسطوانات، والغناء. على الأقل هنا، يستفيد منها الناس. وشعرت ماغي بالسرور من عملها.

عمـــل العديد من الأخوات ورجال الدين الآخرين في بريسيديو، في العديـــد من دور العبادة المحلية. كان هناك رجال دين يتجولون، ويتحدثون إلـــى الـــناس، كمـــا جهّزوا مكاتب للاستشارة. كان رجال الدين من جميع المـــراتب يزورون الجرحى والمرضى. عُرف قلّة منهم من أثوابهم. قدّموا أنفـــسهم إلـــى الـــناس، وتحدثوا إليهم بلطف وهم يتجولون بينهم. كما كان الـــبعض منهم يقدم الطعام في الصالة. عرفت ماغي العديد من رجال الـــدين والأخوات المحليين. بدا أنها تعرف الجميع. علّقت ميلاني على ذلـــك في وقت لاحق من ذلك الصباح، في أثناء الاستراحة، فضحكت ماغي.

"لقد مضى عليّ وقت طويل معهم".

"هـــل تحبـــين كونك أختاً؟"، شعرت ميلاني بالفضول لتعرف معلومات عنها. اعتقدت أنها المرأة الأكثر إثارة للاهتمام ممن عرفتهن طوال حياتها. في ســـنواتها العـــشرين تقريباً، لم تكن قد التقت بأحد بمثل هذا اللطف، والحكمة، والعمـــق، والتعاطف. تعيش وفق معتقداتها، بدلاً من مجرد التحدث عن نفسها. وامـــتلكت لطفـــاً واتـــزاناً وكانت تسحر قلوب كل من تلتقي بهم. قالت إحدى العـــاملات فـــي المـــشفى الميداني بأن ماغي تمتلك النعمة العظيمة، جعل ذلك التعبيـــر ميلانـــي تبتسم. لطالما أحبت تلك الأنشودة وكثيراً ما أنتها. من الآن

وصـــاعداً، عرفت بأنها ستذكّرها بماغي. كانت تلك الأنشودة على أول قرص مدمج أعتته ميلاني، وسمحت لها حقاً بإطلاق صوتها.

أجابـــت ماغي "أحب كوني أختاً، لطالما فعلت. لم أندم على ذلك ولو للحظـــة. يناســـبني الأمر على نحو مثالي"، قالت هذا والسعادة بادية على محياها. لاحظت ميلاني خاتماً ذهبياً كانت تضعه في إصبعها، والتي قالت ماغي بأنها تلقّته عندما أدلت بنذورها الأخيرة قبل عشر سنوات. قالت بأنها انتظـــرت كثيراً للحصول على هذا الخاتم، وهو يمثل الحياة والعمل اللذين أحبتهما كثيراً وافتخرت بهما جداً.

"لا بـــد من أنه من الصعب عليك أن تكوني أختاً"، علّقت ميلاني مع احترام شديد.

"من الصعب أن تكوني أي شيء في هذه الحياة"، قالت ماغي بحكمة. "ما تفعلينه ليس بالأمر السهل أيضاً".

"بـــل إنه كذلك"، لم توافقها ميلاني. "إنه كذلك بالنسبة إليّ. الغناء سهل وهو ما أحب. لهذا السبب أقوم بذلك. ولكن الجولات الغنائية تكون صـــعبة أحـــياناً لأننا نسافر كثيراً، ويتوجب علينا العمل كل يوم. كنا نسافر بواسطة حافلة كبيرة، نقودها طوال اليوم، ونقدّم الحفلات طوال اللـــيل، مـــع تدريبات حالما نصل. أصبح الأمر أسهل الآن باستخدامنا للطائرات". ففي النهاية، تمكنت من الاستمتاع بأيام رائعة بفضل نجاحها الهائل.

"هل تسافر والدتك معك دائماً؟"، سألتها ماغي، وهي تشعر بالفضول لمعرفة تفاصيل حياتها. قالت بأن والدتها والعديد من الأشخاص قد رافقوها إلـــى سان فرانسيسكو. علمت ماغي بأن طبيعة عملها تفرض عليها السفر مـــع حاشيتها، ولكنها اعتقدت أن مرافقة والدتها لها أمر غير معتاد، حتى بالنسبة إلى فتاة في عمرها. إنها في العشرين تقريباً.

قالـــت ميلانـــي وهي تتنهد "نعم، لطالما أرادت والدتي أن تكون مغنـــية فـــي صِغَرِها. كانت في الكورس في فيغاس، وتشعر بالإثارة

www.mlazna.com-RAYAHEEN

نوعاً ما لأن الأمور تسير معي على خير ما يرام، إنها إثارة مفرطة في بعض الأحيان"، ابتسمت ميلاني. "دائماً ما تدفعني إلى بذل كل ما في وسعي".

علقت الأخت ماغي "ليس هذا بالأمر السيئ، طالما أنها لا تمارس الضغوط عليك. أليس هذا صحيحاً، ما رأيك؟".

قالت ميلاني بصدق "أحياناً، أعتقد أنها تبالغ في الأمر بعض الشيء، أحب أن اتخذ قراراتي بنفسي، وهي دائماً تعتقد أنها تمتلك المعرفة والخبرة اللتين افتقدهما".

"وهل هي كذلك؟".

"لا أعرف. أعتقد أنها تقرر ما كانت ستقرره لنفسها. لست واثقة دائماً من أن تلك القرارات هي التي أريدها لنفسي. كاد قلبها يتوقف عن العمل من شدة الفرح عندما فزت بجائزة غرامي"، ابتسمت ميلاني، فتراقصت عينا ماغي وهي تنظر إليها.

"لا بد من أن تلك كانت لحظة كبيرة، ذروة عملك الدؤوب. يا له من تكريم رائع!". لم تكن تعرف الفتاة كثيراً، ولكنها شعرت بأنها فخورة بها بالرغم من ذلك.

قالت ميلاني بلطف "أعطيت الجائزة لوالدتي، شعرت وكأنها هي من فاز بالجائزة. لم أكن لأتمكن من القيام بالأمر من دونها". ولكن شيئاً ما في الطريقة التي قالتها بها جعل الأخت الحكيمة تتساءل إن كان ذلك النوع من النجومية هو ما تريده ميلاني لنفسها، أم أنها تسعى وراء النجومية لا سعادة والدتها فقط.

"يلزمك الكثير من الحكمة والشجاعة لتعرفي أي طريق عليك أن تسلكي، وما هي الطرقات التي نسلكها لنُسعد الآخرين". إن الطريقة التي عبرت بها ماغي جعلت ميلاني تشعر بالكآبة.

"هل أرادت عائلتك أن تكوني أختاً؟ أو شعروا بالغضب بسبب قرارك؟"، بدت عينا ميلاني مليئتين بالأسئلة.

"شعروا بالسرور. في عائلتي، تلك خطوة كبيرة. يفضّلون أن يكون أولادهم رجال دين أو أخوات على أن يتزوجوا. اليوم، يبدو ذلك نوعاً من الجنون. ولكن قبل عشرين سنة، في العائلات الملتزمة، لطالما تباهى الآباء بالأمر. كان أحد إخوتي رجل دين".

سألتها ميلاني "كان؟"، فابتسمت الأخت ماغي.

"ترك المقر بعد عشر سنوات من الالتزام وتزوّج. اعتقدت أن ذلك سيتسبب بوفاة والدتي. كان والدي قد توفي قبل فترة من قرار أخي ترك المقر، وأعتقد أنه لو كان على قيد الحياة لتسبب قرار أخي بموته. في عائلتي، حالما يقدّم المرء نذوره، لا يترك المقرّ إطلاقاً. لأكون صادقة، لقد خيّب أملي فيه. في الحقيقة، إنه رجل رائع، ولا أعتقد أنه ندم على قراره، إنه يمتلك أسرة مؤلفة من زوجة وستة أولاد وهم يعيشون في وئام وسعادة. أعتقد أن ندائه الداخلي كان يقوده إلى تكوين عائلة وليس التزام النذور في دور العبادة".

"هل تتمنين لو كان لديك أطفال؟"، سألت ميلاني بكآبة. بدت الحياة التي تعيشها ماغي حزينة برأيها، بعيدة عن عائلتها، من دون زواج، تعمل في الشوارع مع الغرباء، تعيش فقيرة طوال حياتها. ولكن بدا أن ذلك ما تسعى إليه عن قناعة. فذلك يبدو واضحاً من خلال النظر إلى عينها. لقد كانت امرأة سعيدة وبارعة وراضية بحياتها.

"جميع الأشخاص الذين ألتقي بهم أطفالي. أولئك الذين أعرفهم في الشوارع وأراهم سنة بعد سنة، أولئك الذين أساعدهم وأخرجهم من الشوارع. وهناك الأشخاص الذين يحتلّون مكانة خاصة مثلك، ميلاني، الذين دخلوا حياتي وحجزوا ركناً لهم في قلبي. أنا مسرورة جداً للقائي بك"، عانقتها، وبذلك أنهتا حديثهما وعادتا إلى العمل، بدورها عانقتها ميلاني بمحبة واضحة.

"أنا مسرورة جداً للقائي بك. أريد أن أكون مثلك عندما أكبر"، قهقهت.

"أخت؟ أوه، لا أعتقد أن والدتك ستحب ذلك! ليس هناك نجوم في المقر! فحياة المقر هي حياة التواضع والحرمان المُبهج".

"لا، أقصد مساعدة الناس بالطريقة التي تفعلينها. آمل أن أتمكن من القيام بشيء كهذا".

"يمكنك ذلك، إن أردت. لا يتوجب عليك أن تكوني في مقر ديني للقيام بذلك. كل ما عليك فعله هو التشمير عن ساعديك والبدء بالعمل. هناك أشخاص بحاجة إلى المساعدة في كل مكان من حولك، حتى بين الناس المحظوظين. لا يجلب المال والنجاح السرور للناس دائماً". كانت تلك رسالة لميلاني، وقد فهمتها، والأهم من ذلك، كانت رسالة لوالدتها.

اشتكت ميلاني "لا أملك الوقت أبداً للقيام بأعمال تطوعية، وأمي لا ترغب بتواجدي مع أناس مصابين بالأمراض. تقول إن مرضت، سأفوّت مواعيد الحفلات أو الجولات".

"ربما يوماً ما ستجدين الوقت للأمرين معاً. ربما عندما تكبرين في السن". عندما تخفف والدتها من قبضتها وسيطرتها على مهنتها، إن تمكنت من ذلك أصلاً. بدا بالنسبة إلى ماغي وكأن والدة ميلاني تعيش بالنيابة عن ابنتها. كانت تعيش أحلامها من خلال ابنتها. ومن حسن حظها أن ميلاني نجمة. شعرت الأخت ذات العينين الزرقاوين بأن ميلاني أسيرة والدتها، وأنها في أعماقها، وحتى من دون معرفتها، تناضل لتنال حريتها.

انشغلتا بالمرضى بعد ذلك. أجرتا عمليات خياطة لسيل لا ينتهي من المصابين طوال اليوم، معظم الجروح كانت طفيفة يمكن أن تخيطها ممرضة وليس طبيباً. أما الآخرون، ووفقاً للأولويات التي كانوا يعتمدونها فقد ذهبوا إلى المشفى الميداني نظراً لأن حالهم كان يستدعي تدخلاً أكثر احترافية مما يمكن أن تقدمه الممرضات والمتطوعات. كانت ميلاني مساعدة صغيرة بارعة، وكثيراً ما أطرت عليها الأخت ماغي.

أخذتا استراحة غداء في وقت متأخر بعد ظهر ذلك اليوم، وجلستا في الخارج تحت أشعة الشمس، تتناولان شطائر الديك الرومي التي كانت لذيذة على نحو غريب. بدا أن طباخين ماهرين جداً تطوّعوا للقيام بالطهي، وكان الطعام يأتي من كل مكان، تتبرع به المدن الأخرى في معظم

الأحيان، أو ولايات أخرى حتى، يتم إيصاله عبر الطائرة، وغالباً ما تضعه الطائرات العمودية مباشرة على أراضي بريسيديو. أما المساعدات الطبية والملابس والأسرّة لآلاف الأشخاص القاطنين هناك فيتم إيصالها بالطائرات أيضاً. كان الأمر أشبه بالعيش في مناطق الحروب، وكان هناك طائرات نفاثة تحلّق فوق الرؤوس باستمرار، ليلاً ونهاراً. قال العديد من كبار السن بأن ذلك يقلق راحتهم في أثناء نومهم. أما الشباب الأصغر سناً فلم يبالوا واعتادوا على ذلك. كانت تجربة صعبة وصادمة تلك التي يعيشونها.

أنهت ميلاني وماغي شطائرهما للتو، عندما لاحظت ميلاني إيفريت مراراً أمامهما. كالعديد غيره، كان لا يزال يرتدي سروال البذلة الأسود نفسه والقميص الأبيض الذي كان يرتديه ليلة حدوث الزلزال. مشى أمامهما، من دون أن يلاحظهما، وكاميرته حول رقبته، وحقيبتها تتدلى فوق ذراعه. نادته ميلاني، فالتفت، ورآهما بنظرة من الاستغراب. أسرع إليهما، ثم جلس حيث كانتا تجلسان.

"ما الذي تفعلانه أنتما الاثنتان هنا؟ ومعاً أيضاً. كيف حدث ذلك؟".

شرحت الأخت ماغي "أنا أعمل في المشفى الميداني هنا".

قالت ميلاني بفخر "وأنا مساعدتها. تطوعت للعمل عندما نقلنا إلى هنا من دار العبادة. أصبحت ممرضة".

أضافت ماغي "إنها ممرضة رائعة، وأنت يا إيفريت ما الذي تفعله هنا؟ هل تلتقط الصور، أم جئت للمكوث هنا؟". لم تكن قد رأته منذ الصباح الذي تلا الزلزال، عندما انطلق ليرى ما الذي يحدث في المدينة. لم تكن قد ذهبت إلى المنزل منذ ذلك الحين، إن كان قد حاول العثور عليها، وهذا ما شكّت فيه.

"ربما يتوجب عليّ المكوث هنا الآن. كنت أمكث في ملجأ وسط المدينة، لقد أغلقوه للتو. بدأ المبنى المجاور له بالانهيار، ولهذا أفرغوا الملجأ، واقترحوا علينا المجيء إلى هنا. اعتقدت أنني سأتمكن من الخروج من هنا بحلول اليوم، ولكن لا طريق للخروج. لا أحد يستطيع الخروج من

www.mlazna.com-RAYAHEEN

سان فرانسيسكو، ولهذا علقنا جميعاً هنا. هناك أقدار أسوأ"، قال للمرأتين بابتسامة، "لقد حصلت على صور رائعة". وبينما كان يقول ذلك، وجه كاميرته نحوهما، والتقط صورة للمرأتين وهما تبتسمان تحت أشعة الشمس. بدت كل منهما مسرورة ومسترخية، بالرغم من الظروف التي كانتا تعيشانها. ولكنّ كلتيهما كانتا مُنتجتين ومستمتعتين بما تفعلانه. ظهر ذلك على وجهيهما وفي عيونهما. "لا أعتقد أن أحداً سيصدّق هذه الصورة عن ميلاني فري، النجمة العالمية المشهورة، تجلس على الحافة مرتدية السروال العسكري وتنتعل الصندل، وتعمل في مشفى ميداني كمساعدة طُبية بعد الزلزال. ستكون هذه لقطة تاريخية". كان قد التقط صوراً رائعة لماغي منذ ليلة الحفل. تلهف لرؤيتها لدى عودته إلى لوس أنجلوس. وكان واثقاً من أن محرّريه سيشعرون بالإثارة لكل الصور التي التقطها قبل وبعد الزلزال. وأما تلك التي لن يستخدموها، فربما يتمكّن من بيعها في مكان آخر. ربما قد تقوده تلك الصور إلى الفوز بجائزة أخرى. عرف من خلال حدسه القويّ بأن المواد التي حصل عليها رائعة. بدت الصور التي التقطها بالغة الأهمية من الناحية التاريخية برأيه. فهذه حالة نادرة لم تحدث منذ مئات السنوات، وربما لن تتكرر لمئة سنة أخرى. أمل ألا تتكرر. ولكن بالرغم من الأضرار الهائلة، صمدت المدينة على نحوٍ فاجأ الجميع، تماماً مثل سكانها.

تساءل "ما الذي تنويان فعله، هل ستعاودان العمل أم ستتابعان استراحتكما؟". كان قد مضى عليهما نصف ساعة في الخارج فقط عندما شاهدتاه، وكانتا على وشك العودة.

أجابت ماغي بالنيابة عنهما "سنعود إلى العمل، ماذا عنك؟".

"أظن أنني سأسجل اسمي للحصول على سرير. وربما أعود بعدها لرؤيتك. ربما يمكنني الحصول على بعض اللقطات الرائعة لك في العمل، إن لم يمانع المرضى".

"سيتوجب عليك سؤالهم"، قالت ماغي سريعاً، دائماً تحترم مرضاها، أياً كانوا. وفجأة، تذكرت ميلاني سترته.

"أنا آسفة جداً. كانت السترة قذرة، ولم أعتقد أنني سأراك مجدداً. رميتها".

ضحك إيفريت على نظرة الاعتذار التي علت وجهها. "لا تقلقي. إنها مُستأجرة. سأخبرهم أنها تمزقت في أثناء الزلزال. لا بدّ من أنهم كانوا ليعطونني إياها من دون مقابل حتى. لا أعتقد أنهم يريدونها لو أعدتها. بصدق، ميلاني، لم تكن بالخسارة. لا تقلقي بشأنها". ومن ثم تذكّرت القطعة النقدية أيضاً، مدّت يدها إلى جيب سروالها، وأخرجتها وأعطته إياه. كانت تلك هي الرقاقة التي نالها لامتناعه عن الشرب لسنة كاملة، وبدا سعيداً جداً لاستعادتها.

"ولكنني أريد استعادة هذه حتماً. إنها قطعتي الجالبة للحظ!". مرر أصابعه فوقها، وكأن لها تأثيراً عجيباً، وكانت كذلك بالنسبة إليه. لقد فوّت الذهاب إلى الاجتماعات في اليومين الماضيين، وباستعادة الرقاقة شعر برابط مع ما كان قد أنقذه قبل أكثر من سنة. قبّلها، ووضعها في جيب سرواله، وهو القطعة الوحيدة المتبقية له من البذلة المستأجرة. إنه يمتلك الآن سروالاً ممزقاً وبالتأكيد لن يستطيع إعادته. سيرميه عندما يصل إلى المنزل. "شكراً لاعتنائك برقاقتي". اشتاق إلى اجتماعات المتعافين من الإدمان والتي كانت لتساعده على التعايش مع هذا التوتر، ولكنه لم يرغب بالشرب. كان منهكاً. لقد أمضى يومين طويلين مُتعبين، ولكنهما مأساويان بالنسبة إلى البعض.

في هذه الأثناء، عادت ماغي وميلاني إلى المشفى الميداني، وذهب إيفريت ليُسجّل اسمه للحصول على سرير لتلك الليلة. كان هناك العديد من الأبنية في بريسيديو لإيواء الناس لدرجة أنه لم يكن هناك خوف من نفاد الأماكن. كان المكان قاعدة عسكرية قديمة أُغلقت قبل سنوات، ولكن البنية التحتية فيها لا تزال سليمة. كان جورج لوكاس قد بنى الاستديو الأسطوري له هناك في المشفى القديم على أراضي بريسيديو.

كان إيفريت قد وعدهما "سألحق بكما بعد قليل".

كـان الـوقت ما بعد الظهر، عندما ظهرت سارة سلون مع كل من طفليها ومربية الأطفال النيبالية. كان الطفل مصاباً بالحمى، ويسعل وكانت إحـدى أذنية تؤلمه. كانت قد أحضرت طفلتها معها أيضاً لأنها لم ترغب بتركها في المنزل. لم ترغب بأن تبتعد عنهما الآن ولو للحظة، بعد ما مرّ بهما من تجربة مزوعة ليلة الخميس. في حال وقوع أي زلزال، كما خشي الجمـيع، أرادت أن تكون معهما. كانت قد تركت سيث وحده في المنزل، يائـساً متألماً كما كانت حاله منذ ليلة الخميس. بل كان حاله يزداد سوءاً، وعـرفت أن ليس هناك أمل من فتح المصارف أو تمكّنه من الاتصال مع العـالم الخارجـي في أي وقت قريب، لتغطية ما اقترفه من جرم. انتهت مهنته، وربما حياته التي عرفها لسنوات. وكذلك حياة سارة أيضاً. أما الآن فهـي قلقة على ابنها. ليس هذا بالوقت المناسب ليمرض. كانت قد ذهبت إلـى غـرفة الطـوارئ في المشفى الأقرب إليهم، ولكنهم كانوا يعالجون الإصـابات الخطيـرة هناك، وطلبوا منها التوجه إلى المشفى الميداني في بريسيديو، قصدت المشفى الميداني مستخدمة سيارة بارماني. كانت ميلاني قـد رأتها عند المكتب الأمامي، وأخبرت ماغي من تكون. اقتربتا معاً من السيارة، وجعلت ماغي الطفل يهدأ ويضحك في أقل من دقيقة، بالرغم من أنه كان لا يزال يتألّم ويشير إلى أذنه. أخبرتها سارة ما المشكلة.

قالـت ماغي "دعيني أحضر لك طبيباً"، واختفت، وبعد بضع دقائق أومـأت إلى سارة، التي كانت تتحدث إلى ميلاني عن الحفل الخيري وعن مقدار روعة أدائها، وكم كان الأمر مثيراً للصدمة عندما وقع الزلزال.

تبع الجميع بمن فيهم ميلاني وسارة والفتاة الصغيرة والمربية ماغي إلـى المكـان الذي ينتظرهم فيه الطبيب للفحص. وكما خشيت سارة، كان الطفـل مـصاباً بالـتهاب الأذن. كانت حرارته قد انخفضت قليلاً، وقال الطبـيب بـأن تلك أعراض بداية التهاب الحنجرة. أعطاها مضاداً حيوياً، فقالت له بأن أوليفر تناول منه من قبل، وأعطى مولي مصاصة ومسّد بيده شـعرها. لقـد كان الطبيب لطيفاً جداً معهم، بالرغم من أنه كان يعمل منذ

انـتهاء الزلـزال لـيلة الخميس، من دون أن ينال قسطاً وافياً من الراحة والنوم. لقد كان الجميع يتطوعون للعمل بعدد لا يصدق من الساعات، كما كانت حالة كل من ماغي وميلاني.

كانـوا على وشك مغادرة المكان حيث كان الطبيب يفحص أوليفر، عـندما رأت سـارة إيفـريت قادماً. بدا وكأنه يحاول العثور على أحدهم، فلـوّحت كـل من ماغي وميلاني له سوية. تقدّم في حذائه الجلدي الأسود المألوف الذي نجا من قساوة الزلزال من دون أن يمسه الأذى.

"مـا هـذا؟ اجتماع جديد للحفل الخيري؟"، مزح مع سارة. "أعددت حفـلاً رائعاً. مليئاً بالمخاطر في نهايته، ولكن حتى ذلك الوقت، أعتقد أنك قمـت بعمـل رائـع"، ابتسم لها وشكرها، وعندما نظرت إليها ماغي، مع طفلهـا بين ذراعيها، رأت أن سارة غاضبة. لقد لاحظت ذلك منذ البداية، واعـتقدت أن سـبب قلقهـا هو حرارة أوليفر والألم في أذنه، ولكن بعد اطمئـنانها الآن، تساءلت ماغي إن كان هناك شيء آخر. لقد كانت طاقات ملاحظتها دقيقة وصائبة.

اقتـرحت ماغي بأن تحمل المربية الطفل وتبقى مولي بالقرب منها، بيـنما طلبت من سارة أن تأتي وتتكلم معها للحظة. تركا ميلاني وإيفريت يتحدثان بحميمية، بينما كانت بارماني ترعى الطفلين. مشت مع سارة بعيداً لما يكفي لكي لا يسمع الآخرون ما ستقوله.

"هـل أنـت بخيـر؟"، سألت ماغي. "تبدين غاضبة. هل هناك شيء يمكننـي القـيام بـه لمـساعدتك؟". رأت الدموع في عيني سارة، وكانت مسرورة لأنها سألت.

"لا... أنا... حقاً... أنا بخير... حسناً... في الحقيقة... لدي مشكلة، ولكن لا يمكن القيام بأي شيء حيالها". بدأت تفتح قلبها لها، ومن ثم عرفت أنهـا غيـر قـادرة على ذلك. ربما يشكّل ذلك خطراً كبيراً على سيث إن فعلـت. كانـت لا تزال تتلو الدعاء كي لا يفتضح أمره، ولكنها عرفت أن ذلـك حاصـل لا محال. بوجود مبلغ ستين مليون دولار بين يديه بطريقة

www.mlazna.com-RAYAHEEN

غيـر شرعية، كان من المستحيل ألا يلاحظ أحد جريمته، أو أن يفلت منها من دون عقاب. كانت تشعر بالغثيان في كل مرة تفكّر فيها بالأمر، وبدت كـذلك. "إنـه زوجي... لا يمكنني التحدّث عن ذلك الآن"، مسحت عينيها وبدت شاكرة لاهتمام ماغي. "شكراً لسؤالك".

"حسناً، تعرفين أين أنا، في هذه الأثناء على أي حال". أمسكت ماغي قلماً وقصاصة ورق عندها، ودوّنت عليه رقم هاتفها الخلوي. "حالما نتمكن مـن الحـصول علـى تغطية خلوية، يمكنك الاتصال بي على هذا الرقم. وحتى ذلك الحين، سأكون هنا. أحياناً يكون من المفيد التحدث إلى شخص مـا، كصديق فقط. لا أريد التطفّل، لذا يمكنك الاتصال بي إن اعتقدت أن بإمكاني المساعدة بأي شيء".

"شـكراً لـك"، قالت سارة ممتنة. تذكّرت أن ماغي كانت واحدة من الأخـوات الحاضرات في الحفل الخيري. وتماماً كحال ميلاني وإيفريت، اعـتقدت سـارة بأنهـا لا تبدو كالأخت إطلاقاً، خاصة في سروال الجينز والحذاء الوردي عالي الساق. بدت لطيفة جداً، ونضرةً على نحو مفاجئ. ولكـنها امتلكت عيني امرأة رأتا كل شيء. لم يكن هناك شيء في عينيها يدلّ على صغر سنها. وعدتها سارة "سأتصل بك"، وبعد دقائق انضمت إلى الآخـرين. في أثناء عودتهما، مسحت سارة عينيها. كان إيفريت قد لاحظ أيـضاً وجـود أمرٍ ما، ولكنه لم يقل شيئاً. مدحها ثانية على الحفل والمال الـذي جمعـته. قال بأنها قامت بعملٍ متميزٍ، وأن ما زاد العمل تميزاً كان مـشاركة ميلانـي فيه. قال أشياء لطيفة للجميع. لقد كان رجلاً لطيفاً وممتعاً.

"أتمنـى لو كنت قادرة على التطوّع هنا"، أضافت سارة، متأثرة من الكفاءة التي يديرون فيها العملية.

أجابـتها ماغي "يجب أن تكوني في المنزل مع طفليك، إنهما بحاجة إلـيك". وتمكـنت من الإحساس الآن بأن سارة تحتاج إليهما. مهما كانت مشكلتها مع زوجها، كان من الواضح أن سارة غاضبة كثيراً.

"لا أعـتقد أنني سأتركهما ثانية على الإطلاق"، قالت سارة بارتعاش. "كـدت أُجن في الفترة التي سبقت وصولي إليهما في المنزل ليلة الزلزال ولكـنهما بحمد الله، كانا بخير". ستمكث معهم الآن، فلم يكن هناك طريق لـتعود مـنه إلى منزلها. لقد تحول حيها بكامله إلى أنقاض وضُرب طوق حـوله. كانوا قد مرّوا بالقرب منه للتأكد. ولم تسمح الشرطة لها بالدخول إلى مبنى حيث تقع شقتها، حيث كان جزءٌ من السطح قد سقط.

كانـت جمـيع الأعمـال والخدمات في المدينة لا تزال متوقفة عن العمـل. أغلقـت المنطقة المالية، ووضعت الحواجز عند مداخلها. لم تكن الكهرباء متوفرة في كل أنحاء المدينة، ومن دون محالّ مفتوحة أو غاز أو خدمة هاتفية، ما من أحد كان يستطيع العمل.

بعـد بضع دقائق، غادرت سارة مع المربية والطفلين. استقلّوا سيارة بارماني القديمة وانطلقوا فيها، بعد شكرهم ماغي على المساعدة. كانت قد أعطـت ماغي رقم هاتفها وعنوان بيتها، ورقم هاتفها الخلوي، ولم تتوقف عن التساؤل كم سيمضي عليهم هناك، أو في ما إن كانوا سيفقدون منزلهم. تمـنّت أن يظلـوا هـناك لفترة، وربما يمكن لسيث عقد صفقة، في أسوأ الأحـوال. كانـت سارة قد ودّعت إيفريت وميلاني أيضاً عندما غادرت. شـكّت فـي أن تـتمكن من رؤية أي منهما مجدداً. كلاهما كان من لوس أنجلـوس ومن غير المحتمل أن يلتقيا ثانيةً. لقد أحبّت سارة ميلاني كثيراً، وكـان أداؤها متميزاً، تماماً كما قال إيفريت. كل من كان في الحفل يوافق على هذا، بالرغم من النهاية المروّعة للأمسية.

أرسـلت ماغي ميلاني لجلب اللوازم بعد مغادرة سارة، بينما وقفت تتحدث مع إيفريت. كانت ماغي تعرف أن مستودع اللوازم الرئيسي حيث كانوا يخزّنون المواد والأدوية على مسافة بعيدة نوعاً ما، لذا لن تعود قبل مرور بعض الوقت. لم تكن تلك حيلة، فقد كانت تريد بعض المواد بالفعل. وخاصـة خـيوط التقطـيب. إن جميع الأطباء الذين عملت معهم دائماً ما يخبـرونها بأنهـا قادرة على خياطة قُطَب تجميليّة خالية من العيوب. جاء

ذلـك نتيجة سنوات من العمل في التطريز في المقر. عندما كانت أصغر سـناً، كـان أمراً جيداً تقوم به في الليل عندما تتجمع الأخوات بعد العشاء ويجلـسن ويتحدثن. في السنوات التي كانت تعيش وحدها في الشقة، نادراً مـا عملـت على التطريز. ولكنها لا تزال تبرع في خياطة قطب صغيرة مرتّبة.

قـال إيفريت ممتدحاً سارة "تبدو امرأة رائعة، كانت ليلة رائعة على نحـو اسـتثنائي". وبالرغم من أنها كانت أكثر تقليدية من الأشخاص الذين يخـرج-إيفـريت معهم عادة، إلاّ أنه أحبّ سارة حقاً. كان هناك نوع من الوجود والكرامة فيها يشعّان عبر مظهرها الخارجي المحافظ.

قـال إيفريت "عجيب كم تتقاطع دروب الناس معاً، أليس كذلك؟ إن القـدر أمـر رائـع، لقد شاهدتك خارج ريتز - كارلتون، وتبعتك لأمسية كاملة، حتى في الشوارع. والآن، أنا هنا، أصادفك مجدداً. كما أنني التقيت ميلاني تلك الليلة، وأعطيتها السترة. ثم حدث أن التقيتها هنا، وها أنا ألتقي بكما من جديد، كما ألتقي بمنظمة الحفل التي كانت السبب في لقائنا الأول، أليس من الغريب أن يلتقي شخصان دون قصد في مدينة بهذا الحجم، إنه لمن المريح أن تشاهد وجوهاً مألوفة. أحببت ذلك كثيراً"، ابتسم لماغي.

"وأنـا أيـضاً"، وافقـته ماغي. التقت الكثير من الغرباء في حياتها، ولكنها تستمتع على نحو استثنائي برؤية هؤلاء الأشخاص.

تابعـا حديثهما لبعض الوقت، ثم عادت ميلاني في النهاية. حملت المواد التـي أرادتهـا ماغـي، وبـدت ميلاني مسرورة. كانت متلهفة لإيجاد سبل للمـساعدة، وشـعرت بالانتـصار لأن كـل اللوازم التي طلبتها ماغي كانت موجـودة لدى مسؤول المستودع والتي كانت كثيرة على كل حال. لقد أعطاها جميع الأدوية والمواد التي طلبتها ماغي، والضمادات ذات الحجم الملائم، وكلاً من المطاط والشاش، كما أرسل لها علبة كاملة من الشريط اللاصق.

"أحـياناً أعـتقد أنـك ممرضـة أكثر من كونك أختاً. تقدّمين الكثير للجرحى"، علّق إيفريت، وأومأت، ولكنها لم توافقه بالكامل.

قالـت ماغـي بهـدوء "أقدّم الكثير لكل من جرحى الجسد وجرحى القلـوب. وأنـت تعتقد أنني ممرضة أكثر ربما لأن ذلك يبدو أكثر طبيعية بالنـسبة إليك. ولكن في الحقيقة، أنا أخت أكثر من أي شيء آخر. لا تدع الحـذاء الوردي يخدعك. أقوم بذلك للمرح. ولكنني أخت وهذه الصفة هي الأكثر أهمية في حياتي، أعتقد أن *التحفظ هو الجزء الأفضل من الشجاعة*، لطالمـا أحببت هذه المقولة، بالرغم من أنني لا أملك أي فكرة عن قائلها، ولكن أعتقد أنه على حق. لا يشعر الناس بالارتياح إن تجولت حولهم وأنا أقول إنني أخت".

سألها إيفريت "لماذا؟".

"أعـتقد أن الناس يخشون من الأخوات"، قالت ماغي بصورة عملية. "لهذا السبب أصبح من الرائع أنه لم يعد يتوجب علينا ارتداء الزي الخاص. فهو لطالما نفّر الناس منا".

"أعتقد أنه كان جميلاً بعض الشيء. لطالما كنت معجباً بالأخوات وأنا أصغر سناً. إنهن جميلات جداً، البعض منهن على أي حال. لم نعد نشاهد أخوات شابات. ربما هذا أمر جيد".

"ربما تكون على حق. لم يعد الناس يلتزمون وهم شباب. في المقرّ، انـضمت امرأتان في أواخر العقد الرابع السنة الماضية إلى المقر، وأعتقد أن واحدة منهما كانت في العقد الخامس من العمر وأرملة. لقد تغيّر الزمن، ولكنّ الأخوات يعرفن على الأقل ما الذي يفعلنه عندما يلتحقن بالمقر الآن. فـي زمنـي، اقترف الكثير من الأشخاص الأخطاء، دخلوا المقر ولم يكن يفتـرض بهـم دخوله، فحياة المقر ليست بالحياة السهلة"، قالت بصراحة. "وإنها تعديل كبير، مهما كان شكل الحياة في السابق. دائماً ما يشكل العيش ضمن المجتمع تحدّياً. يتوجب عليّ الاعتراف، أشتاق إلى ذلك الآن. ولكن الوقت الوحيد الذي أدخل فيه شقتي هو عندما أنام". كانت شقتها تتألف من غـرفة واحدة صغيرة في حي مروّع. لمح المبنى من الخارج فقط عندما كان هناك.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

وصل سيل من الجرحى الجدد بعد ذلك، من ذوي الإصابات الطفيفة، وتـوجب على ميلاني وماغي العودة إلى العمل. اتّفق إيفريت معهما على مـوعد للقاء في صالة الطعام تلك الليلة، إن تمكنّا من الذهاب. لم تكن أيٌّ مـنهما قد تناولت العشاء في الليلة السابقة. وكما اتضح في النهاية، فاتهما العـشاء مجـدداً. فقد جاءتهما حالة طارئة، واحتاجت ماغي إلى مساعدة ميلانـي في خياطة قطب لمرأة. كانت ميلاني تتعلم الكثير هنا، وكانت لا تـزال تفكّـر في الأمر تلك الليلة عندما عادت إلى حيث كان يتواجد بقية أفـراد حاشـيتها. كانـوا يجلسون هناك ويشعرون بالملل الشديد، لا شيء يفعلونه. كانت ميلاني قد اقترحت على جيك وآشلي عدة مرات أنه يتوجب علـيهما التطوع لعمل شيء أيضاً، فربما يمكثون هنا لأسبوع على الأقل، تبعاً لتقارير الصباح. كان برج المطار قد دُمّر بالكامل، ومن المستحيل أن يتمكنوا من المغادرة. في ظل إغلاق المطار وانقطاع الطرقات.

"لماذا تمضين كل هذا الوقت في المشفى؟"، تذمرت جانيت. "سينتهي بك الأمر بالتقاط عدوى من أحد الجرحى". هزّت ميلاني رأسها، ونظرت إلى أمها.

"مامـا، أعتقد أنني أريد أن أصبح ممرضة"، كانت تبتسم وهي تقول ذلك، وكأنها تمزح مع أمها من ناحية، ومن ناحية أخرى تريد أن تزعجها. ولكـنها كانت تشعر بالسرور لتقديم المساعدة في المشفى الميداني. أحبّت العمل مع ماغي، وكانت تتعلم الكثير من الأمور الجديدة.

"هـل أنـت مجـنونة؟"، قالـت والدتها لها مع نظرة ونبرة مليئتين بالغـضب. "ممرضة؟ بعد كل ما فعلته من أجل مهنتك؟ كيف تجرئين على قـول شيء كهذا لي؟ تعتقدين أنني بذلت كل هذا المجهود لجعلك على ما أنت عليه الآن لترمي كل هذا وتفرّغي أوعية تفريغ البراز؟"، بدت والدتها مذعـورة تمامـاً كما بدت متألمة لمجرد فكرة أن ميلاني قد تختار طريق مهنة أخرى، في الوقت الذي امتلكت فيه النجومية.

قالت ميلاني بإصرار "إنني لم أبدأ بعد بتفريغ البراز".

"صدّقيني، ستفعلين. لا تحاولي قول ذلك مجدداً".

لـم تجبها ميلاني. تحدثت إلى بقية أفراد المجموعة، ألقت المزحات لـبعض الـوقت مع آشلي وجيك، وهي لا تزال مرتدية كنزتها وسروالها العـسكري، تمـددت على سريرها، وغطّت في النوم. كانت منهكة تماماً. وبينما تغط في نوم عميق، حلمت بأنها هربت وانضمت إلى الجيش. ولكن عـندما فعلت، اكتشفت أن الرقيب المدرّب الذي يشرف عليها ليلاً ونهاراً هـو والـدتها. تذكـرت ميلاني الحلم في الصباح، وتساءلت إن كان ذلك كابوساً، أو هو حياتها الحقيقية فعلاً.

الفصل السادس

صباح يوم الأحد، علم الجميع عبر المكبّر في بريسيديو أنّه قد تم إنقاذ العديد من الأشخاص من مختلف أنحاء المدينة، سُحبوا من الأماكن التي علقوا فيها، وأُخرجوا من مصاعد وسط المدينة ومن تحت المنازل المنهارة، بالإضافة إلى أولئك الذين علقوا بين الهياكل المتساقطة. لقد أصبحت أنظمة البناء منذ زلزال سنة 1989 أكثر صلابةً، وبفضل ذلك كانت الأضرار أقل من المتوقع، ولكن حجم هذا الزلزال الأخير كان كبيراً جداً وقد كان الدمار الذي خلّفه كبيراً، لقد ارتفعت حصيلة القتلى المعلنة لتتجاوز الأربعة آلاف. ولا يزال هناك العديد من المناطق التي يتم العمل فيها. أخذ رجال الطوارئ يبحثون عن الناجين بين الركام، وتحت الممرات المنهارة المؤدّية إلى الطريق السريع. لقد مضت ستون ساعة فقط على وقوع الزلزال ليلة الخميس، ولا يزال هناك أمل في إنقاذ العديد ممن لم يتم إنقاذهم بعد.

كانت الأخبار مُرعبة ومشجّعة في آن واحد، وبدا الناس مكتئبين وهم يبتعدون عن المناطق الزراعية التي أمضوا فيها الساعات الستين الماضية، وأخذوا يتجهون إلى حيث توجههم الإعلانات التي تبث عبر مكبرات الصوت. توجه الكثيرون إلى صالة الطعام بعد ذلك لتناول الإفطار. كما تم إعلامهم أنهم سيقضون على الأرجح بضعة أسابيع أخرى قبل أن يتمكنوا من العودة إلى منازلهم. فلا تزال الجسور والطرقات السريعة والمطارات والعديد من مناطق المدينة مغلقة. ولم تكن هناك وسيلة لمعرفة متى سيحظون بالكهرباء مجدداً، بل الأسوأ، أنهم لم يكونوا يعرفون متى سيعودون إلى حياتهم الطبيعية مجدداً.

كان إيفريت يتحدث بهدوء إلى الأخت ماغي حين دخلت ميلاني، كانت قد تناولت طعام الإفطار مع والدتها ومساعدتها وأشلي وجيك والعديد من أعضاء الفرقة. كانوا جميعاً متعبين ويتلهفون للعودة إلى لوس أنجلوس، وهذا ما اتضح أنه ليس ممكناً في هذه الأونة. توجب عليهم فقط الجلوس وانتظار ما سيحدث. بحلول هذا الوقت كان قد انتشر خبر وجود ميلاني في الأرجاء، وقد لاحظ البعض وجودها في صالة الطعام مع أصدقائها وكانت والدتها تتباهى بغباء. ولكن حتى الآن، لم ينتبه لوجودها الكثير ممن مكثوا في المشفى. حتى عندما كانوا يعرفون من هي، كانوا يبتسمون ويكملون طريقهم. كان من السهل معرفة أنها تطوعت للعمل هناك بجدّ. كانت بام قد تطوعت للعمل في مكتب تسجيل القادمين الجدد والذي كانوا يتدفقون باستمرار، مع نفاد الطعام في المدينة، حيث لجأوا إلى بريسيديو سعياً وراء الطعام.

"مرحباً، أيتها الطفلة"، حياها إيفريت بلا رسمية، وابتسمت. كانت قد حصلت على كنزة جديدة من إحدى الطاولات التي وُضعَت عليها بعض الثياب المُتبرع بها، وعلى سترة منقوبة يبدو أنها كانت تعود لرجل ضخم الجثة، منحها ذلك مظهر فتاة يتيمة. وكانت لا تزال ترتدي السروال العسكري الممزوه وتنتعل الصندل. كذلك غيّرت الأخت ماغي ملابسها أيضاً. كانت قد أحضرت بضعة أشياء في حقيبة معها، عندما قدِمت للتطوع.

"أعتقد أن هذا هو النموذج العصري لزي الأخت اليوم". كانت تنتعل حذاءً أحمر عالي الساق، ولا تزال تبدو كمستشارة تدريب في مخيم صيفي. ساهم حجمها البالغ في الصغر في إعطاء الانطباع بأنها أصغر بسنوات مما هي عليه في الحقيقة. بدت وكأنها تجاوزت للتو العقد الثالث. ولكنها في الحقيقة كانت أكبر من ذلك باثنتي عشرة سنة، وهي أصغر من إيفريت بستّ سنوات فقط، بالرغم من أنه بدا أكبر منها بكثير. بدا كبيراً بما يكفي ليكون والدها. فقط عندما يتحدث المرء إلى ماغي يدرك حقيقة عمرها، ومنافع حكمتها.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

انطلـق ليلـتقط صـوراً في أرجاء بريسيديو ذلك اليوم، وقال بأنه سيمـشي إلى مارينا وباسفيك هايتس لرؤية ما إن كان شيء يحدث هناك. عملـوا علـى دفع الناس للخروج من المنطقة المالية ومركز المدينة حيث الأبنية كانت تشكل مصدر خطر كبير نظراً لارتفاعها الشاهق، وحيث كان الزلزال قد أحدث أفدح الأضرار. كانت الشرطة لا تزال تخشى من القطع الثقـيلة أو الأجـزاء المحطّمـة التي لا تزال تتهاوى من الأبنية. كان من الأسـهل دخول الأحياء السكنية، بالرغم من قيام رجال الشرطة والطوارئ بـاغلاق العديد منها. استمرت الطائرات المروحية في التحليق فوق كامل المدينـة وعلـى علـو منخفض، لدرجة تمكن فيها الناس من رؤية وجوه الطيارين. كانوا يحطّون من وقت إلى آخر في حقل كريسي في بريسيديو، وتحـدث الطيارون إلى الناس الذين جاؤوا لمعرفة المزيد من الأخبار عما يحـدث فـي المدينة أو في المناطق المجاورة. كان العديد من الأشخاص الموجـودين فـي الملاجئ في بريسيديو ممن يعيشون في الواقع في خليج إيست، في بيننسولا، ومارين، وما من وسيلة أمامهم للوصول إلى منازلهم في تلك الأثناء بسبب إغلاق الجسور والطرقات السريعة. نادراً ما وصلتهم أخـبار حقيقـية، بل انتشرت إشاعات عن قتلى ودمار وأشلاء في الأماكن الأخرى في المدينة. دائماً ما يكون من المطمئن سماع أخبار من أشخاص على اطّلاع؛ والطيارون هم المصدر الأكثر موثوقية بين الجميع.

أمـضت ميلاني يومها في مساعدة ماغي، كما فعلت طوال اليومين الماضـيين. ظل الجرحى يتدفقون، واستمرّت غرف الطوارئ في المشافي حول المدينة في إرسال الناس إليهم. كان هناك خط تموين جوي كبير بعد ظهـر ذلك اليوم، والذي عمل على تزويدهم بالمزيد من الأدوية والطعام. كانـت الوجـبات فـي صالة الطعام متعددة، وبدا أن هناك وفرة في عدد الطباخـين المبدعـين الرائعين. كان رئيس الطهاة في أحد أفضل مطاعم المدينـة يمكـث في الهنغار مع عائلته، وقد تولى مسؤولية صالة الطعام الرئيـسية، وهـذا ما أثار بهجة الجميع. كانت الوجبات في الحقيقة رائعة

جداً، بالرغم من أن كلاً من ميلاني أو ماغي لم تمتلكا الوقت لتناول الطعام أبداً. بدلاً من التوقف لتناول الغداء، خرجتا مع معظم أطباء لاستلام حمولة الطائرات وإدخال المواد.

كانـت ميلانـي تناضـل في حمل علبة ضخمة، عندما أسرع شاب يـرتدي سروال جينز مهترئ وسترة ممزقة لمساعدتها قبل أن تفلت منها. كُتب عليها بأنها قابلة للكسر، وكانت ممتنة لمساعدته. ساعدها برفق على حملهـا وابتسم، فشكرته لأنه ساعدها على تجنّب الكارثة. فقد كان بداخلها زجاجـات من الأنسولين، وحقن لمرضى السكري الموجودين هنا، والذين اتـضح بـأنهم كُثـر. كانوا قد سجّلوا دخولهم حال وصولهم. وعمل أحد المشافي في واشنطن على إرسال كل ما يحتاجون إليه.

"شـكراً"، قالـت ميلاني، وهي تلهث. كانت العلبة كبيرة جداً. "كدت أوقعها".

ابتسم لها وقال "إنها أكبر منك، لقد رأيتك تتجولين في أرجاء المخيم"، قـال بسرور وهو يمشي نحو المشفى الميداني معها، حاملاً العلبة. "تبدين مألـوفة. هل التقينا من قبل؟ أنا طالب في سنة ما قبل التخرج في بيركلي، أدرس الهندسـة، هل تدرسين في بيركلي؟". علم أنه رأى وجهها من قبل، فابتسمت ميلاني له.

"لا، أنا من لوس أنجلوس"، قالت بغموض، وهما يقتربان من المشفى الميداني. كان طويلاً، أزرق العينين، أشقر الشعر مثلها. بدا مفعماً بالصحة ويتمتّع بالشباب وقوة البنية. "كان من المفترض أن أمكث هنا لليلة واحدة"، شـرحت وهو يبتسم لها، وبدا أن جمالها قد سحره حتى من دون وضعها لمـساحيق التجميل أو تصفيف شعرها أو ارتداء ملابس نظيفة. بدا الجميع وكـأنهم ناجـون من سفينة غارقة. كان ينتعل حذاء شخص آخر، كان قد أمـضى اللـيلة في المدينة في منزل صديق له، وخرج بعد وقوع الزلزال راكـضاً فـي سروال قصير، حافي القدمين في اللحظة التي سبقت انهيار المنزل. لحسن الحظ، نجا كل القاطنين هناك.

"أنـا من باسادينا"، ردّ عليها، "كنت أدرس في جامعة كاليفورنيا في لـوس أنجلوس، ولكنني انتقلت إلى هنا السنة الماضية. أحببت المكان هنا. أو على الأقل، حتى الآن"، ابتسم. "تواجه زلازل في لوس أنجلوس أيضاً". ساعدها على إدخال العلبة، وأخبرته الأخت ماغي أين يضعها. بحلول ذلك الوقت، شعر برغبة في البقاء معها والتحدث إليها. لم تقل شيئاً عن نفسها، ولم يكفّ عن التساؤل في أي جامعة درست. "اسمي توم. توم جينكينز".

"أنـا ميلانـي"، قالت بلطف، من دون إضافة كنيتها. ابتسمت ماغي وهـي تبـتعد. كان من الواضح أنه لا يملك أي فكرة عمّن تكون ميلاني، واعتقدت أن هذا رائع بالنسبة إليها. للمرة الأولى، يتحدث شخص إليها فقط لأنها إنسانة عادية، وليس لأنها نجمة.

"أنـا أعمـل في صالة الطعام"، أضاف. "يبدو أنكم منشغلون بعض الشيء هنا".

"نحن كذلك"، قالت ميلاني بخفة وهو يساعدها على فتح العلبة.

"أعـتقد أنـك سـتمكثين هنا لبعض الوقت. جميعنا سنفعل ذلك في الحقـيقة. سـمعت بـأن بـرج المطـار قد انهار مثل منزل مصنوع من الأوراق".

"أوه، لا أعتقد أننا سنرحل عما قريب".

"بقـي لنا أسبوعان من الدروس. لا أعتقد أننا سنعود. ولا أعتقد أننا سـنحتفل بالتخرج أيضاً. ربما يرسلون شهاداتنا عبر البريد. كنت سأقضي الصيف هنا. حصلت على عمل في المدينة، ولكن، أعتقد أن ذلك مستحيل الآن أيضاً، بالرغم من أنهم، والله أعلم، سيحتاجون إلى مهندسين. ولكنني سأعود إلى لوس أنجلوس متى استطعت".

"أنـا أيضاً"، قالت، عندما بدأ الاثنان بإفراغ حمولة العلبة. لم يبدُ أنه فـي عجلة للمغادرة والعودة إلى صالة الطعام. كان يستمتع بالتحدث إليها. بدت رقيقة، وخجولة، وجميلة حقاً.

سألها باهتمام "هل سبق لكِ أن تدرّبتِ في أي مجال طبي؟".

"لا، لم أعمل قبل الآن، إنني أتعلم الآن وأنفذ ما أتعلمه على الفور".

"إنـكِ مـتدرّبة رائعة"، جزمت ماغي بذلك، عندما عادت لتتفحص محتويات العلبة. حصلوا على كل شيء وعدوا به، وشعرت بارتياح كبير. لقـد سـبق أن زودوا بالأنسولين من المشافي المحلية والجيش، ولكنه نفد بـسرعة. "ستصبحين ممرضة رائعة"، أضافت ماغي مبتسمةً، ثم توجهت بمحتويات العلبة إلى حيث يخزّنون المواد.

شـرح الشاب في محاولة لإطالة مدة مكوثه بجانبها "أخي يدرس في كلية الطب في سيراكوس"، فابتسمت له ميلاني ابتسامة صادقة وبطيئة.

اعترفت له "أحبّ حقاً الالتحاق بكلّية تمريض، ولكن والدتي ستقتلني إن فعلت. لديها مخططات أخرى".

"مـثل ماذا؟". شعر بالفضول تجاه ما قالته، وهو لا يزال مذهلاً من وجههـا المألوف. في بعض النواحي، بدت أشبه بالفتاة العادية القاطنة في الجوار، إلا أنها أفضل بكثير. ولكنه لم يسكن إطلاقاً بجوار فتاة تشبهها.

"الأمـر معقّـد. لدى والدتي الكثير من الأحلام التي يفترض بي أن أعيشها. تلك الأمور السخيفة المتعلقة بالأم والابنة. أنا الابنة الوحيدة، ولهذا يجـب عليّ أن أحقق لها كل أحلامها بمفردي". كان ذلك تذمراً لطيفاً له، حتـى بالرغم من أنها لم تعرفه جيداً. بدا متعاطفاً، وأصغى إليها باهتمام. للمرة الأولى، راودها شعورٌ بأن شخصاً ما يهتم بأرائها.

"ألـحّ والـدي عليّ بشدة لأصبح محامياً. مارس الكثير من الضغط عليّ. اعتقد بأن دراستي للهندسة ضرب من الغباء، ودائماً ما يشير إلى أن العمل في البلدان النامية لن يعود عليّ بأي أموال. إنه محق في ذلك، ولكن بـشهادة الهندسـة، يمكنني دائماً أن أحوّل تخصّصي في ما بعد. أكره حقاً كلـية الحقـوق. أراد وجـود طبيب ومحامٍ في العائلة. تحمل أختي شهادة دكـتوراه فـي الفيزياء، تدرّس في أم آي تي. إن والديّ مهووسان بالعلم. ولكـن الـشهادات لا تجعل المرء إنساناً محترماً. أريد أن أكون أكثر من مجرد شخص متعلم. أريد أن أترك بصمة في هذا العالم. أما أفراد عائلتي

www.mlazna.com-RAYAHEEN

فهـم أكثر اهتماماً بالعلم لأنه يؤدّي إلى جني المال". كان من الواضح أن أفراد عائلته من الأشخاص المثقفين جداً، ومن المستحيل أن تتمكن ميلاني من أن تشرح له أن كل ما تريده والدتها منها هو أن تكون نجمة. لا تزال ميلانـي تحلـم بالالتحاق بالجامعة في النهاية، ولكن مع جدول تسجيلاتها وجولاتها الغنائية، ما من وقت متاح لذلك على الإطلاق وإن استمر الوضع علـى مـا هو عليه فلن تمتلك الوقت. كانت تقرأ الكثير للتعويض، وكانت على الأقل مطّلعة على ما يدور في العالم. لم يكن العمل الفني يكفيها أبداً. أخيراً قال "من الأفضل أن أعود إلى صالة الطعام، يفترض أن أساعد في إعـداد حـساء الجزر. أنا طباخ أخرق، ولم يلاحظ ذلك أحد حتى الآن"، ضـحك بارتياح، وقال بأنه يأمل أن يراها مجدداً. أخبرته أن يأتي إلى هنا إن أصيب بأذى، بالرغم من أنها تمنّت ألا يصاب بأذى أبداً، ثم غادر وهو يلوّح لها. مرّت الأخت ماغي، وعلّقت على لقائهما بابتسامة.

"إنه ظريف"، قالت بعينين متلألئتين، بينما ضحكت ميلاني كمراهقة، لا كنجمة مشهورة في أرجاء العالم.

"نعـم، إنه كذلك. سيتخرج عما قريب من بيركلي كمهندس. إنه من باسـادينا". اختلف كثيراً عن جيك، ذي الجسد المصقول ومهنة في التمثيل والزيارات المتكررة إلى مصحّ إعادة التأهيل، بالرغم من أنها أحبته لبعض الوقت. ولكنها تذمّرت مؤخراً من كونه أنانياً بصورة لا تصدّق. حتى إنها لـم تكن مقتنعة بأنه مخلص لها بالكامل. بدا توم رجلاً لطيفاً ولائقاً وقوي البنـية. فـي الحقـيقة، كمـا تقول لأشلي، إنه ظريف جداً. مثير... قويّ الجسد... وعقله لامع... وابتسامته رائعة.

"ربمـا سـتتمكنين من رؤيته في لوس أنجلوس"، قالت ماغي مفعمةً بالأمل. أحبّت فكرة الشباب اللطفاء الذين يقعون في الحب. ولم تكن متأثرة أبـداً حتـى الآن بصديق ميلاني الحالي. كان قد مرّ بالمشفى لرؤيتها مرة واحدة فقط، قال بأن رائحته مروّعة، وعاد إلى الهنغار ليستلقي. لم يتطوع بـأي نـوع من الخدمات التي كان الآخرون يقدمونها له، واعتقد أنه من

الـسخيف لـشخص بمنزلة ميلاني أن تلعب دور الممرضة. كانت آراؤه مشابهة لآراء والدتها، والتي كانت منزعجة مما تفعله ميلاني، وتتذمر على ذلك كل ليلة عندما تعود ميلاني وتستلقي على سريرها متعبةً.

انشغلت ماغي وميلاني بعد ذلك، وكان توم في غرفة الطعام يتحدث إلى صديقه الذي كان يمكث عنده ليلة حدوث الزلزال. كان مضيفه في تلك الليلة المشؤومة طالباً في سنة ما قبل التخرج في جامعة سان فرانسيسكو.

"رأيـتك وأنت تتحدث إليها"، قال بابتسامةٍ ماكرة. "ألست أنت أذكى ماكرٍ حتى تمكّنت من العثور عليها".

"نعـم"، قال توم متورد الوجنتين. "إنها لطيفة. جميلة أيضاً. إنها من لوس أنجلوس".

"أتمزح؟". ضحك صديقه عليه، وهما يضعان كميات هائلة من الجزر فـي قـدر كبيـرة قـدّمها الحرس الوطني. "أين اعتقدت أنها تعيش؟ في المريخ؟". لم يكن لدى توم فكرة عن سبب ذهول صديقه من هذه التفاصيل الصغيرة عنها.

"ما الذي يفترض أن يعنيه هذا؟ ربما كانت من هنا".

"أوه، ألا تقـرأ أياً من ثرثرة مجلات هوليوود؟ بالطبع إنها تعيش فـي لوس أنجلوس. تباً لك يا رجل، لقد فازت بجائزة غرامي منذ فترة قصيرة".

"حقـاً؟"، بدا توم منذهلاً وهو يحدّق إليه. "اسمها ميلاني..."، ومن ثم شـعر بالخزي عندما أدرك ما الذي فعله ومن هي. "أوه، يا الله، لا بد من أنهـا اعتقدت أنني أبلة تماماً... لم أعرفها. أوه يا الله... اعتقدت فقط أنها فـتاة شـقراء لطـيفة على وشك أن توقع علبة. بالرغم من أن لها جسداً جمـيلاً"، ضـحك مـع صديقه. "بل الأفضل من ذلك، بدت إنسانة لطيفة، وكانـت متواضـعة وبسيطة تماماً. كان يجدر بي أن أعرف من هي من حديـثها عن طموحات والدتها بشأن مستقبلها. قالت بأنها تتمنى لو تتمكن من الالتحاق بكلّية التمريض، ولكن والدتها لن تسمح لها".

"إنها على حق طبعاً. ليس مع ذلك المقدار من المال الذي تجنيه من الغـناء. تباً، ما كنت لأسمح لها بالذهاب إلى كلّية التمريض أيضاً لو كنت أمها. لا بد من أنها تجني الملايين من أسطواناتها"، بدا توم منزعجاً عندها.

"ومـاذا فـي ذلـك؟ إن كانت تكره ما تفعله. لا يتعلق الأمر بالمال وحسب".

"بـل هـو كـذلك، عندما تكون من طبقتها"، قال طالب جامعة سان فرانسيسكو بصورة عملية. "بإمكانها ادّخار الكثير من المال، والقيام بما تشاء بعد ذلك. بالرغم من أنني لا أستطيع تخيلها ممرضة".

"يبدو وكأنها تحب ما تفعله، وقالت إنها تبرع في العمل الذي تطوعت فيه. لا بد من أنه من المريح المكوث هنا من دون أن يميزها أحد". ومن ثـم بـدا مُحرجاً من جديد. "هل أنا الشخص الوحيد على الكوكب الذي لم يعرف من هي؟".

"أعـتقد أنك كذلك. سمعت أنها هنا. ولكنني لم أرَها بنفسي حتى هذا الـصباح، عـندما كـنت تتحدث إليها. لا شك في أنها مثيرة. فُزت بها يا رجل". هنّأه صديقه على ذوقه وحكمته الرائعين.

"نعـم، هـذا صـحيح. لا بد من أنها اعتقدت بأنني أغبى رجل هنا. وربما كنت الشخص الوحيد الذي لم يعرف من هي".

طمأنه صديقه "ربما اعتقدت أن هذا لطيف".

"أخبـرتها أنهـا تـبدو مألوفة وسألتها إن التقينا مسبقاً"، قال متأوهاً، "اعتقدت أنها ربما تدرس في بيركلي".

"لا"، قال صديقه بابتسامة عريضة. "أوه، إنها أفضل من ذلك بكثير! هـل ستعود لرؤيتها؟". تمنى ذلك. أراد اللقاء بها بنفسه. لمرة واحدة فقط، ليتمكن من القول إنه رآها.

"ربما. إن تخطيت الشعور بالغباء".

"تخـطَّ ذلك. إنّها تستحق العناء. وفضلاً عن ذلك، لن تحظى بفرصة أخرى كهذه للقاء نجمة كبيرة".

علّق توم "لا تبدو كواحدة منهن. إنها متواضعة تماماً". كان ذلك أمراً أحبه فيها، بدت متواضعة جداً. ولا يؤذي كونها ذكية ولطيفة. من الواضح أنها عاملة مُجدّة.

"لـذا، توقـف عن الانتحاب لما أنت عليه من غباء. واذهب لرؤيتها مجدداً".

"نعـم. ربمـا"، قال توم وهو يبدو غير مقتنع، ثم انشغل في تحريك الحساء. تساءل إن كانت ستأتي إلى صالة الطعام لتناول الغداء.

عاد إيفريت من التجول في أنحاء باسفيك هايتس في وقت متأخر من بعـد ظهر ذلك اليوم. التقط صوراً لامرأة يتم سحبها من تحت أنقاض أحد المـنازل وقـد فقدت ساقها، ولكنها ظلّت على قيد الحياة. لقد كان مشهداً مؤثراً جداً عندما سحبوها إلى الخارج، وقد انهمرت دموع إيفريت حينها. لقد كانت أياماً مفعمة بالعواطف، وبالرغم من خبرته في مناطق الحروب، فقـد شاهد أموراً كثيرةً في المخيم أثرت في قلبه كثيراً. أخبر ماغي عنها وهمـا يجلسان في الخارج في أثناء استراحتها الأولى منذ ساعات. كانت ميلانـي في الداخل تسلّم الأنسولين والحقن للأشخاص الذين جاؤوا لأخذها بعد أن تم الإعلان عن توافرها عبر مكبرات الصوت.

قـال مبتسماً لماغي "أتعرفين سأشعر بالحزن لدى عودتي إلى لوس أنجلوس. لقد أحببت المكان هنا".

أجابته بهدوء كالمعتاد "لطالما أحببت هذا المكان لقد وقعت بحب هذه المدينـة لحظـة جئت إليها من شيكاغو. جئت إلى هنا للانضمام إلى مقرّ كارميلـيت، وانتهى بي الأمر في مقرّ آخر بدلاً من ذلك. أحببت العمل مع الفقراء في الشوارع".

لقـد امتلكت ماغي صفات الإنسانية والطاقة والحب الذي لا ينتهي، والتـي نبعت جميعها من معتقداتها وطبيعتها الطيبة. بدت وكأنها تشعّ من الـداخل. "أعـتقد أن مقرّ كارميليت مملّ جداً بالنسبة إليّ. ففيه الكثير من الأمـور غير المجدية. أنا أكثر ارتياحاً في مقرّي الحاليّ"، قالت وهي تبدو

www.mlazna.com-RAYAHEEN

مرتاحة، عندما كانا يشربان الماء. ومجدداً، كان الطقس دافئاً كطقس اليوم السابق على نحو لا يتناسب مع ذلك الفصل من السنة، منذ الوقت الذي سبق الزلزال. لم تكن سان فرانسيسكو حارةً من قبل أبداً، ولكنها كذلك الآن. كان لشمس ما بعد الظهر تأثيراً جيداً في لون وجوههم.

"هل سئمتِ من قبل، أو راودتكِ الشكوك حول ندائكِ الداخلي؟"، سألها باهتمام. أصبحا صديقين الآن، وكان معجباً بها.

بدت مندهشة "لماذا أسأم أو أشك؟".

"لأن معظمنا يفعل ذلك في وقت ما، يتساءل ما الذي يفعله في حياته، أو إن كان قد اختار الطريق الصحيح. فعلت ذلك كثيراً"، اعترف، فأومأت.

قالت بلطف "لقد قمت بخيارات أكثر صعوبة كزواجك وأنت في الثامنة عشرة، وطلاقك، وهجرك لابنك، ومغادرتك مونتانا، والعمل الذي كان أشبه بالموهبة الطبيعية لديك، وليس بالعمل. إنه بالنسبة إليك تضحية بكل أنواع الحياة الشخصية. ومن ثم تخلّيك عن العمل، وتخلّيك عن الشراب. جميعها قرارات كبرى لا بد أن اتّخاذها كان صعباً عليك. لطالما كانت خياراتي أكثر سهولة. أذهب إلى حيث يرسلونني، وأفعل ما يُقال لي أن أفعل... الطاعة. إنها تجعل الحياة سهلة جداً"، بدت رزينةً وواثقةً وهي تقول ذلك.

"هل الأمر بهذه البساطة؟ ألا تختلفين مع مشرفيك أبداً، وتريدين القيام بالأمر على طريقتك الخاصة؟".

قالت بتحفظ، "أحياناً أعتقد أن ما تريده الأم المشرفة أو ما يقوله الأب المشرف أمر سخيف، أو لا أفق له، أو هو رأي غير حكيم أو قديم الطراز جداً. يعتقد معظمهم بأنني راديكالية بعض الشيء، ولكنهم نوعاً ما يسمحون لي بأن أقوم بما أريده الآن. يعرفون أنني لن أحرجهم، وأحاول ألا أكون صريحة جداً بشأن السياسات المحلية. فذلك يثير غضب الجميع، لا سيما عندما أكون محقة"، ثم ابتسمت.

"ألا يزعجك عدم وجود حياة خاصة بك؟". لم يتمكن حتى من تخيّل ذلك. لقد كان مفرطاً في الاستقلالية ولا يمكنه العيش مطيعاً لأحد، خاصة بالنسبة إلى دار العبادة أو إلى أشخاص يديرونها. إلا أن هذا هو جوهر حياتها.

"هذه هي حياتي. أعشقها. لا يهم إن كنت أقوم بذلك هنا أو في بريسيديو، أو في تيندرلوين، أو مع بنات الهوى أو مدمني العقاقير. أنا هنا لأساعدهم فقط. نوع أشبه بالخدمة العسكرية التي يقدمها الجنود لهذا البلد. أنا أتّبع القوانين وحسب. لا أحتاج إلى وضعها بنفسي". لطالما واجه إيفريت مشاكل مع القوانين والسلطة، والتي كانت، في فترة ما من حياته، السبب وراء شربه المفرط. كانت تلك طريقته ليتجنب القوانين، ويهرب من الضغط الساحق الذي شعر به عندما أملى عليه الآخرون ما يفعله. كانت ماغي أكثر تساهلاً في هذا الشأن مما كان عليه، حتى الآن عندما لم يعد يحتسي الشراب. لا تزال السلطة تثير غيظه أحياناً، بالرغم من أنه يتحمّلها بشكل أفضل الآن. لقد كبر في السن، وأصبح أكثر لطفاً، وقد ساعده التأهيل الطبّي الذي حظيَ به كثيراً.

"تجعلين الأمر يبدو بسيطاً"، قال إيفريت متنهّداً، وهو يشرب آخر جرعة مياه، وينظر إليها بعناية. كانت امرأة جميلة، ومع ذلك حجبت نفسها نوعاً ما، بحذر كي لا تتعلق كثيراً بالناس لا سيّما وأنها تتمتّع بصفات أنثوية. فقد كانت جميلة المظهر، ولكن دائماً ما تضع حاجزاً خفياً بينها وبين إيفريت، وقد حرصت على إبقاء هذا الحاجز قائماً. كان أقوى من زي الأخت الذي لم تكن ترتديه. سواء أكان الآخرون يرونه أم لا، لطالما أدركت تماماً أنها أخت، وأرادت الأمر على هذا النحو.

ردت بلطف "إنه بالفعل بسيط إيفريت، إنني أتلقى التعليمات من الأب، وأفعل ما يُقال لي. أنا هنا لأخدم، وليس لأدير الأمور، أو أخبر أي شخص آخر كيف يعيش. ليس هذا عملي".

ردّ عليها إيفريت "وليس عملي أيضاً، ولكن لديّ وجهات نظر قوية حيال معظم الأمور. ألا تتمنّين لو كنت تمتلكين منزلاً خاصاً أو أسرة أو أطفال؟". هزت رأسها نافيةً.

"لم أفكّر في الأمر على الإطلاق. لم أعتقد أن ذلك لي أصلاً. لو كنت متزوجة ولديّ أطفال، سأكون مهتمة بهم وحسب. أما الآن، فأنا قادرة على الاهتمام بالكثيرين". بدت راضيةً إلى أقصى الحدود.

"وماذا عنك؟ ألا تريدين المزيد من ذلك؟ لنفسك؟".

ابتسمت له بصدق وردت "لا، لا أريد، تبدو لي حياتي مثالية كما هي، وأعشقها. هذه هي الموهبة الطبيعية. لقد خُلقت لأقوم بهذا، وقُدّر لي ذلك. إنه أشبه بأن يتم اختيارك لغرض خاص. إنه شرف. أعلم أنك لا ترى الأمر على هذا النحو. لم أتخلّ عن أي شيء إطلاقاً. حصلت على أكثر بكثير مما حلمت به أو أردته".

قال بحزن للحظة "أنت محظوظة". اتضح له أنها لا تريد أي شيء لنفسها، ولم تسمح لنفسها بأن تفكر في أي احتياجات، أو رغبات تقدمها لنفسها أو بطلب أي شيء. لقد كانت سعيدة بالكامل، وراضية بتقديم المساعدة للآخرين. "دائماً أريد أشياء لا أمتلكها، أتساءل ما قد تكون. كمشاركة حياتي مع شخص آخر، امتلاك عائلة وأطفال أراهم يكبرون أمامي، بدلاً من الطفل الوحيد الذي لا أعرفه أبداً. أي شخص آخر أشاركه حياتي. بعد تجاوز عمر محدد، ليس من الممتع أبداً القيام بالأمور وحدي. يعطيني ذلك شعوراً بالأنانية والفراغ. إن لم أشارك كل شيء مع شخص آخر أحبه، فما الفائدة؟ وماذا بعد ذلك، أموت وحيداً؟ لم أمتلك الوقت نوعاً ما لأفعل أياً من ذلك. لقد كنت منشغلاً جداً بتغطية وتصوير أحداث مناطق الحروب. أو ربما كنت خائفاً جداً من ذلك النوع من الالتزام، بعد أن تورطت في الزواج وأنا فتى صغير. كان أقل ذعراً بالنسبة إليّ أن أتعرّض للطلقات النارية من البقاء متزوجاً". بدا كئيباً وهو يقول ذلك، ومن ثم لمست ذراعه بلطف.

قالت له بلطف "ينبغي عليك أن تحاول البحث عن ابنك، ربما يحتاج إليك إيفريت. ربما تكون هدية عظيمة له. وربما يتمكن من ملء ذلك الفراغ لك". تمكّنت من إدراك الوحدة التي يشعر بها، وبدلاً من التطلع إلى

المستقبل الفارغ الذي يراه أمامه، اعتقدت أنه يتوجب عليه العودة إلى الوراء، لبعض الوقت على الأقل، والبحث عن ابنه.

قال وهو يفكر في الأمر "ربما ينبغي عليّ ذلك"، ومن ثم غيّر الموضوع. كان هناك أمر يثير خوفه من فكرة البحث عن ابنه. الأمر صعب جداً. لقد مضى وقت طويل، وربما يكرهه تشاد الآن لأنه هجره وقطع التواصل معه. في ذلك الوقت، كان إيفريت في الواحدة والعشرين من عمره فقط، وتلك المسؤولية كانت كبيرة جداً عليه. لهذا ابتعد، وثمل طوال السنوات الست والعشرين التالية. ظل يرسل المال لإعالة طفله حتى بلغ الثامنة عشرة، ولكن ذلك انتهى قبل اثنتي عشرة سنة. خاطب ماغي قائلاً "أشتاق إلى اجتماعاتي، دائماً تراودني مشاعر فظيعة عندما لا أحضر اجتماعات المتعافين. أحاول الذهاب مرتين في الأسبوع. وأحياناً أكثر". ولم يكن قد ذهب إلى أي منها منذ ثلاثة أيام، لم يكن هناك أي منها في المدينة المدّمرة، ولم يفعل أي شيء بخصوص تنظيم اجتماع من هذا النوع هنا.

شجعته "أعتقد أنه يتوجب عليك تنظيم أحد هذه الاجتماعات هنا، ربما سنظل هنا لأسبوع أو أكثر. وهذا وقت طويل عليك لتمضيه من دون أي اجتماع، تماماً مثل أي شخص آخر يشتاق إلى حضور هذا النوع من الاجتماعات. مع وجود العديد من هؤلاء الأشخاص في مكان واحد، أراهن على أنك ستحصل على استجابة مذهلة".

ابتسم وقال لها "ربما سأفعل"، لطالما جعلته يحس بشعور أفضل بعد التحدّث إليها. إنها إنسانة رائعة في كل المجالات. "أعتقد أنني أحبك، ماغي". قال بارتياح. "لم ألتقِ بأحد مثلك أبداً. أنت بمثابة شقيقة لم أمتلكها أبداً، وأتمنى لو فعلت".

قالت له بلطف "شكراً لك" ونهضت. "أنت تذكّرني قليلاً بأحد إخوتي. ذلك الذي كان رجل دين. أعتقد حقاً أنه يتوجب عليك الانضمام إلى دار العبادة"، مزحت معه. "لديك الكثير لتشاركه مع غيرك. فكّر في كل تلك الاعترافات الفظيعة التي ستسمعها!".

www.mlazna.com-RAYAHEEN

تـركها إيفـريت، وذهـب لـرؤية المتطوعين في الصليب الأحمر المـسؤولين عـن إدارة المخيم لأخذ رأيهم في تنظيم اجتماع للمتعافين من الإدمان على العقاقير، ثم عاد لإعداد لافتة كتب عليها "أصدقاء بيل دبليو". سيعرف أعضاء اجتماعات المتعافين ما الذي يعنيه ذلك. كانت تلك شيفرة تعرّف اجتماعهم، باستخدام اسم مؤسسها. في هذا الطقس الدافئ، بإمكانهم عقد الاجتماع في الهواء الطلق، بعيداً نوعاً ما عن الطُرقات المُدمّرة. كان هـناك بستان هادئ اكتشفه في أثناء تجوله حول المخيم. كان موقعاً مثالياً. وتلقـى وعـداً بأن يتم الإعلان عن الاجتماع في صباح اليوم التالي عبر مبكـر الـصوت. لقـد جمعهم الزلزال هنا بالآلاف، كل منهم مع مشاكله الخاصـة. ومجـدداً، كانت ماغي محقة. فقد شعر بأنه أفضل حالاً بعد أن قـرر تنظـيم الاجتماع هنا. ثم فكّر في ماغي ثانيةً، وفي التأثير الإيجابي الـذي تُحدثـه فـيه. في عينيه، لم تكن مجرد امرأة أو أخت، إنها امرأةٌ عظيمةٌ.

الفصل السابع

فـي اليوم التالي، عاد توم لرؤية ميلاني في المشفى وقد بدا مرتبكاً. لمحهـا وهـي تتّجه عائدة إلى سقيفة كانوا يستخدمون فيها الغسالات التي تعمـل على البيوتان. كانت تحمل الثياب التي ستضعها في الغسالات بكلتا يديها، وكادت تتعثر عندما رأته، فساعدها على وضع الثياب في الغسالات، بينما اعتذر على غبائه حين التقاها بالأمس.

"أنـا متأسـف، ميلانـي. لست عادة بهذا الغباء. لم أتمكن من ربط الأمور ببعضها. أعتقد أنني لم أتوقع رؤيتك هنا".

ابتسمت له غير منزعجة لأنه لم يعرفها. في الحقيقة كانت مسرورة لأنه لم يعرفها. "كنت أغني في حفل خيريّ هنا ليلة الخميس".

"أحب موسيقاك وصوتك. اعتقدت أنك تبدين مألوفة"، ضحك شاعراً بالراحة أخيراً. "اعتقدت أنني حتماً أعرفك من بيركلي".

"أتمنـى لو كنت كذلك"، ابتسمت وهما يخرجان. قالت بصراحة "أحببت حقيقة أنك لم تعرفني. الأمرُ مزعج أحياناً عندما يعرفني الجميع ويتملقونني".

"نعـم، أراهن على ذلك"، عادا إلى الساحة الرئيسية، وتناولا قنينتي مياه من العربة، وجلسا على الحافة يتحدثان. كان المكان يطلّ على منظر طبيعي رائع، حيث جسر غولدن غيت في الأفق، والخليج يتلألأ تحت أشعة الشمس. "هل تحبين ما تفعلينه، أقصد، عملك؟".

"أحـياناً... أحياناً يكون صعباً. تضغط والدتي عليّ كثيراً. أعلم أنه يتوجب عليّ أن أشعر بالامتنان لذلك. هي من صنع مهنتي ونجاحي. دائماً

مـا تقـول لـي ذلك. ولكنها تريد ذلك أكثر مما أريده أنا. أحب أن أغني وحـسب، وأعـشق الموسيقى. أحياناً تكون الحفلات، والجولات الغنائية، وتلـك الأمور ممتعة. ولكن في أحيان أخرى تكون كثيرة جداً. ولا يمكن للمرء الانتقاء والاختيار. إما أن تقوم بالأمر بالكامل أو لا تقوم به إطلاقاً. لا يمكن أن نقوم بأنصاف الأمور".

"هـل أخـذت إجازة في حياتك؟ أو استراحة لبعض الوقت؟". هزّت رأسـها بالنفي، ثم ضحكت، عندما أدركت كم تبدو صبيانية. "لن تسمح لي أمي. تقول بأن ذلك انتحار مهني. قالت لا أحد يأخذ استراحة عندما يكون في عمري. أردت الالتحاق بالكلية، ولكن ذلك كان مستحيلاً مع كل الأمور التـي كنت أقوم بها. بدأت أحصد النجاح عندما كنت في السنة الأخيرة في المدرسة الثانوية، لذا توقفت عن الذهاب إلى المدرسة، وأحضرت معلّمين خـصوصيين، واجتزت امتحان التعليم العام. لم أكن أمزح، أتمنى لو كان باستطاعتي الالتحاق بكلّية التمريض. لن تسمح لي والدتي بذلك أبداً". حتى بالنسبة إليها، بدا الأمر مثل حكايات الفتاة الثرية الصغيرة المسكينة. ولكن توم كان متعاطفاً معها، وفهم نوع الضغط الذي تتعرّض له ميلاني. لم يبدُ الأمـر ممـتعاً بالنسبة إليه، مهما اعتقد الآخرون ذلك. بدت حزينة وهي تتحدث عن الموضوع، وكأنها فقدت جزءاً كبيراً من شبابها، وهذا ما كان عليه الحال حقاً. تأثر كثيراً وهو ينظر إليها، وشعر بالأسى حيالها.

قـال توم وهو غارق بالتفكير "أرغب بمشاهدتك وأنت تؤدين في يوم من الأيام بعدما تعرفت عليك الآن".

"سأقيم حفلاً في لوس أنجلوس في حزيران. وبعدها أنطلق في جولة. فـي البداية إلى فيغاس، ثم إلى أنحاء البلد. في تموز، وآب، وأوائل أيلول. ربمـا يمكنك المجيء في حزيران". أحبّت تلك الفكرة، وكذلك هو، بالرغم من أنهما التقيا للتو.

بعـدها سارا ببطء وهما يعودان إلى المشفى الميداني، وودعها عند البـاب الأمامي، ووعدها بالعودة لاحقاً. لم يسألها إن كان لها صديق، كما

أنها نسيت أن تأتي على ذكر جيك أمامه. لقد كان يتصرّف بطريقة مزعجة مـنذ وصولهم، ويتذمّر طوال الوقت. أراد العودة إلى المنزل، ذلك كانت حـال ثمانـين ألـف شخص آخر، إلا أنهم أظهروا قدرة على التكيف مع الوضـع الـراهن. لـم تكن المشاكل التي يعيشونها قد حصلت خصّيصاً لإزعاجـه فقط. كانت قد تحدثت عن ذلك إلى آشلي الليلة السابقة، مشيرة إلـى أن جيك يتصرف كالأطفال الرضع. وقد سئمت من التعامل معه. لم يكـن ناضـجاً، بل مجرد شخص أناني. نسيت كل شيء عنه، وحتى عن توم، عندما عادت للعمل مع ماغي.

لاقـى اجـتماع المتعافين من الإدمان الذي أقامه إيفريت تلك الليلة نجاحـاً منقطع النظير. وما أثار ذهوله هو ظهور ما يقارب المئة شخص مـن المتحمـسين لحضور الاجتماع. لقد جذبت لافتة "أصدقاء بيل دبليو" المطلّعـين والمبتدئين، كما أنهم أُعلموا بمكان الاجتماع صباحاً عبر مكبر الصوت. استمر الاجتماع لساعتين، وشارك فيه عددٌ كبيرٌ من الأشخاص. شـعر إيفـريت وكأنه إنسانٌ جديدٌ عندما عاد عند الساعة الثامنة والنصف مساءً ليخبر ماغي عما حدث. لاحظ أنها تبدو متعبة.

"لقـد كـنت محقة! كان اجتماعاً رائعاً!". كانت عيناه متوهجتين من الفـرح والإثارة عندما أخبرها كم لاقى اجتماعه نجاحاً. سُرّت لأجله. ظل فـي المشفى لمدة ساعة، كانت الأمور هادئة في تلك الأثناء. كانت ميلاني قـد عـادت إلـى حيث يتواجد أصدقاؤها ووالدتها بحلول ذلك الوقت. أما ماغي فجلست وإيفريت يتحدثان لوقت طويل.

فـي النهاية، غادرت المشفى معه، بعد أن سجلت خروجها، ومشى معهـا فـي أثـناء عـودتها إلى المبنى الذي مكث فيه جميع المتطوعين الملتزمين. كانوا من الأخوات ورجال الدين والأخوة، والعديد من الملتزمين الآخرين. كانوا يدخلون ويخرجون بينما جلست ماغي وإيفريت على الدرج الأمامـي. استمتعت في التحدّث إليه. وشعر هو بأنه متجدّد بعد الاجتماع، وشكرها مجدداً حين نهض ليغادر.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"شكراً لك، ماغي، أنتِ صديقة رائعة".

ابتسمت وردت عليه "وكذلك أنت، إيفريت، أنا مسرورة لنجاح الاجتماع". للحظة، خشيت ألا يأتي أحد. ولكن المجموعة اتفقت على اللقاء كل يوم في الوقت نفسه وراودها شعور بأن العدد سيزداد. تعرّض الجميع للكثير من الضغوط. حتى إنها هي شعرت بتلك الضغوط. أخذ رجال الدين في المبنى حيث تمكث يتلون الدعاء كل صباح، وكان ذلك انطلاقةً جيدةً في حياتها كل يوم، تماماً كما كان اجتماع إيفريت بالنسبة إليه. وتلت هي الدعاء لساعة على الأقل قبل خلودها للنوم، أو طوال الفترة التي تمكّنت فيها من البقاء مستيقظة. كانت تعمل لأيام بدت طويلةً وصعبةً ومُنهكةً.

قال لها "أراك غداً، ثم غادر. دخلت إلى حيث تمكث. كان هناك أضواء تعمل على البطارية في الرواق وعلى السلالم. كانت تفكّر فيه عندما دخلت الغرفة التي تتشاركها مع ست أخوات أخريات، جميعهن اشتركن في أعمال تطوعية في بريسيديو، وللمرة الأولى منذ سنوات، شعرت بأنها منفصلة عنهن. ظلّت إحداهن تتذمر ليومين لعدم تمكنها من ارتداء زيّها. كانت قد تركته في المقر، عندما التهمت النيران المبنى بسبب تسرّب الغاز، كن قد هربن ووصلن إلى بريسيديو في ثياب الاستحمام والأحذية الخفيفة. قالت بأنها تشعر وكأنها عارية من دون زيها. أما ماغي فكرهت ارتداء زيها في السنوات الأخيرة، وارتدته فقط ليلة الحفل الخيري لأنها لم تكن تمتلك ثوباً غيره، فقط تلك الملابس التي ترتديها للعمل في الشوارع.

للمرة الأولى في حياتها، شعرت بأنها منعزلة عن الأخوات الأخريات. لم تكن واثقة من السبب، ولكن بدا أن جميعهن محدودات التفكير نوعاً ما مقارنةً بها، ووجدت نفسها تفكر في الأحاديث التي أجرتها مع إيفريت عن مقدار شغفها بكونها أختاً. لقد كانت مشاعرها هكذا حقاً، ولكن، أحياناً، تثير الأخوات الأخريات أو حتى رجال الدين غضبها. إلا

أنها تنسى ذلك في أحيان أخرى. إن عملها هو مع الأشخاص الضائعين الذين تعمل على مساعدتهم في الشارع. بدا أن الناس في المقرات الدينية يزعجونها في بعض الأحيان، خصوصاً عندما يكونون متزمّتين أو محدودي التفكير بشأن خياراتهم الخاصة في الحياة.

لكن ما كانت تشعر به أقلقها. كان إيفريت قد سألها ما إن تساءلت في حياتها عن موهبتها الطبيعية، ولم تكن قد فعلت ذلك على الإطلاق من قبل. ولم تكن تفعل ذلك الآن. ولكن فجأة، اشتاقت إلى التحدث إليه، وإلى أحاديثهما الفلسفية، وإلى الأمور الممتعة التي يقولها. بينما كانت تفكّر قلقت، فهي لم تكن ترغب بالتعلق بأي رجل. تساءلت إن كانت الأخت الأخرى على حق. ربما تحتاج الأخوات إلى زيهن لتذكير الآخرين بمن يكنّ، وللحفاظ على المسافة بينهنّ وبين الآخرين. لم يكن هناك أي مسافة بينها وبين إيفريت بالرغم من الحاجز الذي وضعته بينهما. في هذه الظروف غير العادية التي يعيشونها جميعاً، تشكّلت الصداقات القوية، والعلاقات المتينة، بل حتى ازدهرت العلاقات الرومانسية. كانت مستعدة لتكون صديقة إيفريت، وليس سوى ذلك حتماً. ذكّرت نفسها بذلك وهي تغسل وجهها بالماء البارد، ثم تمددت على سريرها، تتلو الدعاء كما تفعل دائماً. لم تسمح له بالتطفل على دعائها، ولكن ليس هناك شك في أنه ظلّ يخطر في بالها، وتوجب عليها بذل جهد كبير لإبعاده عن تفكيرها. ذلك هو الحال دائماً، وسيظلّ كذلك إلى الأبد. وبينما تتلو الدعاء، مع حماستها الخاصة، تمكّنت في النهاية من إبعاد صورة إيفريت عن ذهنها. تنهدت مطولاً، عندما أنهت دعاءها، ثم أغمضت عينيها، لتغطّ في نوم هادئ وعميق.

كانت ميلاني مُنهكة عندما عادت تلك الليلة إلى حيث تقيم. لقد كان ذلك هو يومها الثالث من العمل الجاد في المشفى الميداني، وبالرغم من أنها أحبّت العمل الذي تقوم به، اعترفت لنفسها، وهي في طريق عودتها إلى الصالة حيث تمكث، أنه سيكون من الرائع لو تتمكن من أخذ حمام

ساخن، والاستلقاء على سرير مريح أمام التلفاز، والاستغراق في النوم. إلا أن واقع الحال يشير إلى أنها تتشارك مع ما يمكن أن يوصف بغرفة نوم عملاقة مع مئات الأشخاص. كانت الغرفة مليئة بالضجيج، ومزدحمة، وتفوح منها روائح كريهة، أما فراش ميلاني فقد كان قاسياً وغير مريح. علمت أنهم سيمكثون هناك لعدة أيام أخرى على الأقل. فالمدينة لا تزال مغلقة بالكامل، ومن المستحيل مغادرتها. توجب عليهم التعايش مع الأمر بأفضل الأشكال، كما ظلّت تقول لجيك هذا في كل مرة يتذمّر فيها. استاءت منه كثيراً، وفي الكثير من الأوقات كان يلومها على ما هم فيه. ولم تكن أشلي أفضل منه. كانت تبكي كثيراً، وقالت بأنها تعاني من أعراض ما بعد الصدمة، وتريد العودة إلى المنزل. بدورها لم تحب جانيت المكان، ولكنها على الأقل كانت تعقد الصداقات، وتتحدث عن ابنتها باستمرار بهدف جعل الجميع يعرفون مقدار أهميتها ومكانتها الخاصة. لم تبالِ ميلاني لذلك... اعتادت الأمر. فوالدتها تقوم بذلك في كل مكان تذهبان إليه. وكذلك عقد أعضاء فرقتها ومساعدوهم الكثير من الصداقات. كانوا يخرجون ويلعبون كثيراً. أما هي وبام فكانتا الوحيدتين اللتين تعملان من بين أعضاء المجموعة، ولهذا قليلاً ما تمكّنت ميلاني من رؤية الآخرين.

تناولت علبة صودا في طريقها إلى الداخل. كانت الصالة مضاءة على نحو باهت بمصابيح تعمل على البطارية والتي أضاءت أطراف الصالة في الليل. كانت الصالة مظلمة بما يكفي ليدوس المرء فوق الأشخاص الممدّدين على الأرض، أو يسقط فوقهم إن لم ينتبه. كان هناك أشخاص ينامون في أكياس النوم في الممرات، وآخرون على الأسرّة، وطوال الليل بدا أن هناك أطفالاً يبكون. كان الأمر أشبه بالمكوث على متن سفينة في أدنى الدرجات، أو في مخيم للاجئين وربما هذا هو الوصف الأدق لحالهم. شقّت ميلاني طريقها إلى حيث تنام المجموعة. امتلكوا أكثر من اثني عشر سريراً معاً، وبعض مساعدي الفرقة كانوا ينامون على الأرض في أكياس للنوم. كان سرير جيك إلى يمينها مباشرة.

جلست على حافة سريره، وربتت على كتفه العاري الذي كان بارزاً من كيس النوم. كان ظهره موجهاً إليها.

"مرحباً، حبيبي"، همست في العتمة الخفيفة. كانت الصالة بكاملها قد هدأت للاستراحة. توجه الناس إلى أسرّتهم باكراً. كانوا غاضبين، وخائفين، ومستائين لما فقدوه، ولم يكن هناك شيء للقيام به في الليل، لذا ذهبوا إلى أسرّتهم. لم يتحرك في البداية، فافترضت أنه نائم، وكانت على وشك أن تنتقل إلى سريرها. لم تكن والدتها هناك، ربما كانت تتسكع في مكان ما. وبينما كانت ميلاني على وشك الانتقال إلى سريرها، ظهرت حركة مفاجئة في كيس نوم جيك، وبرز منه رأسان في آن واحد، يبدوان مُجفلين ومُحرجين. كان الوجه الأول المحدق إليها هو وجه أشلي، والثاني وجه جيك.

"ما الذي تفعلينه هنا؟"، سألها وهو يبدو غاضباً ومتفاجئاً.

قالت ميلاني "أعتقد أنني أنام هنا". غير قادرة على فهم ما تراه في البداية، وفجأة، أدركت الأمر تماماً. قالت لأشلي، صديقة عمرها "هذا رائع. يا له من أمر فظيع تقومان به معاً". قالت ذلك بصوت منخفض كي لا يسمعها الآخرون. كان كل من أشلي وجيك قد وقفا عندها. تمكنت من رؤية أنهما عاريان. قامت أشلي ببعض حركات الجمباز الخفيفة، وخرجت من الكيس بكنزة وملابس داخلية. عرفت ميلاني أن تلك الملابس تخصّها. قالت ميلاني لجيك "أنت وغد" وانطلقت لتمشي بعيداً. أمسك ذراعها، واجتهد للخروج من الكيس، وهو يرتدي ملابسه الداخلية فقط.

"بحق الله، حبيبتي. لقد كنا نعبث وحسب. لم يكن بالأمر الهام". عندها بدأ الناس بالتحديق إليهما. بل الأسوأ، عرفوا من هي. لقد عملت والدتها بجدٍّ لكي يعرف الجميع من هي ابنتها.

قالت ميلاني "يبدو أمراً هاماً بالنسبة إليّ". وهي تلتفت لتحدق إليهما ثانية، وتحدثت إلى أشلي في البداية. "لا أمانع أن تسرقي ملابسي الداخلية، أشلي، ولكن سرقة صديقي أمرٌ مبالغٌ فيه، أليس كذلك؟".

قالت آشلي "أنا متأسفة، ميل"، وأخفضت رأسها، بينما انهمرت الدموع على وجنتيها. "لا أعلم، المكان مخيف جداً هنا... أنا مصابة بالجنون... أصبت بنوبة قلق اليوم. كان جيك يحاول أن يجعلني أحسّ بشعور أفضل... أنا... لم يكن...". كانت تبكي بشدة، وشعرت ميلاني بالغثيان لمجرد النظر إليها.

قالت ميلاني "وفري عليّ ذلك. لم أكن أنا من سبّب ذلك لك. ربما لو حرّك كل منكما جسده الميت، وقام بعمل شيء مفيد هنا، لما توجب عليكما العبث مع بعضكما للتسلية. لقد سبّبتما لي الغثيان". كان صوتها يرتجف وهي تتحدث.

"لا تمثّلي دور بنت الهوى الصالحة هنا!"، قال جيك بغضب، مقرراً أن أفضل دفاعٍ هو الهجوم الأقوى. لم ينفع الأمر معها.

ردت عليه "اللعنة عليك". عندها وصلت أمها، بدت مرتبكة لما كان يحدث. تمكنت من استشعار خلاف شديد، ولكنها لم تمتلك أي فكرة عن السبب. كانت تتسلى مع بعض الأصدقاء الجدد، ومع رجلين وسيمين حقاً.

ردّ عليها جيك "أوه، اللعنة عليك، أنت لست مثيرة كما تعتقدين!"، في تلك الأثناء مشت ميلاني مبتعدة، وركضت والدتها خلفها والقلق بادٍ عليها.

"ما الذي حدث؟".

قالت ميلاني "لا أريد التحدث عن الأمر". واتجهت إلى الخارج لتتنشّق الهواء النقيّ.

صاحت والدتها "ميلاني! إلى أين أنت ذاهبة؟". عندها أخذ الناس في الطريق ينهضون ويحدقون إليهما.

"إلى الخارج... لا تقلقي. لست عائدة إلى لوس أنجلوس". عندها ركضت إلى الباب. وعادت جانيت لترى آشلي تنشج بالبكاء وجيك مصاباً بنوبة من الغضب الهستيري. أخذ يقذف الأشياء، وصاح به الناس في الأسرّة المجاورة لكي يتوقف عن فعل ذلك، وإلا فسيوسعونه ضرباً. لم

يكن محبوباً في المنطقة التي كانوا ينامون فيها. لقد كان وقحاً مع جميع من حوله، ولم يجده أحد لطيفاً أو ظريفاً، حتى ولو كان نجماً تلفزيونياً. بدت جانيت قلقة جداً، وطلبت من أحد أعضاء الفرقة أن يتحدث إليه، ويخبره بأن يتوقف.

صاح جيك "أكره هذا المكان!". ثم خرج، وآشلي تركض خلفه. لقد قاما بعمل غبي، وقد عرفت ذلك. كانت تعرف ميلاني وتعرف أن الإخلاص والصدق يعنيان كل شيء بالنسبة إليها. خشيت ألا تغفر لها ميلاني أبداً وقالت ذلك لجيك، عندما جلسا في الخارج يلتفّان بالأغطية حافيي الأقدام. نظرت آشلي حولها، ولم ترَ ميلاني في أي مكان. "أوه، اللعنة عليها!"، أضاف جيك. "متى سيخرجنا الأوغاد من هنا؟". كان قد طلب من أحد الطيارين أن يأخذهم بالطائرة معه، ويعيدهم إلى لوس أنجلوس. فما كان من الطيار إلا أن نظر إلى جيك وكأنه ينظر إلى مجنون وقال له إنها طائرات للحكومة وليست للأجرة.

اشتكت آشلي "لن تسامحني أبداً".

أخذ جيك نفَساً عميقاً من نسيم المساء العليل وقال لها "لا تعري الأمر أهمية، لقد كان الأمر مجرد تسلية صغيرة آشلي، فليس لدينا أي شيء آخر نفعله، وكانت ميلاني منشغلة جداً في لعب دور فلورانس نايتنجيل. لو أنها مكثت مع المجموعة، لما حدث هذا أبداً، هذا خطأها، أنت أجمل منها بمرتين". فما كان من آشلي إلا أن هدأت واحتضنته.

"هل تعتقد ذلك حقاً؟"، سألته هذا وهي تبدو مفعمة بالأمل وأقل شعوراً بالذنب مما كانت عليه قبل دقائق.

"بالطبع، حبيبتي، بالطبع"، قال، وبعد بضع دقائق، عادا إلى الداخل. نامت في كيس النوم معه، بالنظر إلى أن ميلاني لم تكن هناك على أي حال. تظاهرت جانيت بأنها لم ترَهما، ولكنها فهمت تماماً ما حدث. لم تكن تحب جيك على أي حال. برأيها، لم يكن نجماً كبيراً بما يكفي لابنتها، وقد كان رأيها فيه سيئاً نظراً لماضيه مع العقاقير.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

كانت ميلاني قد عادت إلى المشفى الميداني، ونامت على أحد الأسرّة الفارغة المخصّصة للمرضى أو الجرحى الجدد. قالت الممرضة المسؤولة إنــه بإمكانهــا النوم هنا، عندما شرحت ميلاني أنها واجهت مشكلة حيث تمكث. وعدتها أن تنهض إن احتاجوا إلى السرير.

"لا تقلقــي حــيال ذلك"، أخبرتها الممرضة بلطف. "خذي قسطاً من الراحة، ونامي. تبدين منهكة".

"أنــا كــذلك"، قالت ميلاني، ثم تمددت مستيقظة لساعات، تفكر في وجهــي آشــلي وجيك وهما يخرجان من كيس نومه. لم يفاجئها قيام جيك بذلك إطلاقاً، بالرغم من أنها كرهته، واعتقدت أنه مجرد وغدٍ لخيانتها مع أفــضل صديقاتها. ولكن خيانة آشلي هي التي آلمتها. كان كلاهما ضعيفين وأنانيين واستغلاليين ووقحين للإقدام على خيانتها. علمت أن الخيانة ترافق مــسيرتها، فقــد شهدت خيانات أخرى سابقاً. ولكنها سئمت من كل خيبات الأمــل تلــك التــي ترافق النجومية. ماذا حل بالحب، والصدق، والأدب، والإخلاص، وبالصداقة الحقيقية؟

كانــت ميلانــي غارقة في النوم على سرير المشفى عندما وجدتها ماغي هناك في الصباح التالي، وغطّتها بلطف ببطانية. لم يكن لديها فكرة عما حدث، ولكن مهما كان الأمر، عرفت بحدسها بأنّ سبباً وجيهاً ومحزناً جلــبها إلى هنا. تركتها ماغي لتنام طالما أمكنها ذلك. بدت ميلاني كطفلة وهي نائمة، بينما بدأت ماغي يومها. إذ كان أمامها الكثير للقيام به.

الفصل الثامن

كــان التوتر يسود منزل سيث وسارة في ديفيساديرو صباح الاثنين. وكما ظلّ يفعل منذ وقوع الزلزال، أخذ سيث يجرّب جميع هواتف المنزل وهاتفيهما الخلويين، حتى جهاز البلاكبيري الخاص به، ولكن دون جدوى. لا تــزال ســان فرانسيسكو معزولة عن العالم بالكامل. وظلت المروحيات تحلّــق فــوق رؤوسهم، تطير على ارتفاعٍ منخفضٍ للاطمئنان على الناس وإرســال التقاريــر إلــى خدمات الطوارئ. كان بإمكانهم سماع صفارات الإنــذار فــي جميع أنحاء المدينة حتى الآن. ومكث الناس في منازلهم في حــال كانت غير متضرّرة على نحو بالغ. بدت الشوارع مقفرة مثل مدينة الأشباح. أما داخل منزلهم، فساد إحساس باقترابٍ وشيكٍ ليوم الآخرة. بقيت ســارة بعــيدة عــن سيث، وشغلت نفسها بطفليها. أكملوا روتينهم المعتاد. ولكــنها نــادراً مــا كانت تتحدث إلى سيث. لقد صدمتها تلك الأمور التي اعترف بها ودفعتها للصمت.

قدّمت لطفليها طعام الإفطار، وكان مخزونهم من الطعام يتضاءل. لعــبت معهما في الحديقة بعد ذلك، ودفعتهما على الأرجوحة. اعتقدت مولــي أن سقوط الشجرة أمر مضحك. وكان سعال وألم أذن أوليفر قد تحسنا، بفضل المضاد الحيوي الذي تناوله. شعر الطفلان بالابتهاج؛ إلا أن الأمر نفسه لم يكن ينطبق على الوالدين. أعدّت لهما سارة وبارماني شطائر الهلام وزبدة الفول السوداني للغداء، مع شرائح الموز، ومن ثم وضعتاهما في سريريهما ليغفُوا. كان المنزل هادئاً عندما ذهبت أخيراً

لـرؤية سـيث في مكتبه. بدا مُنهكاً، وكان يحدّق إلى الحائط بجمود، ضائعاً في أفكاره.

"هـل أنـت على ما يُرام؟". لم يكلّف نفسه عناء الإجابة. التفت فقط لينظـر إليها بعينين مُحطّمتين. كان كل شيء بناه على وشك الانهيار. بدا مُحطّماً وبائساً. "أتريد تناول الغداء؟"، سألته، فهز رأسه نافياً، ثم نظر إليها متنهداً.

"تفهمين ما سيحصل، أليس كذلك؟".

أجابـت بلطـف "ليس بالتحديد". ثم جلست. "أعرف ما أخبرتني به، بـأنهم سيعملون على التدقيق في سجلات سولي، وعندها يرون أن أموال المستثمرين قد نفدت، فسيتعقبونها إلى حساباتك".

"إنها تدعى سرقة وتلاعباً بالمستندات. وهي جناية فيدرالية. فضلاً عـن ذكر الدعاوى التي سيرفعها مستثمرو سولي، ومستثمريّ أيضاً. سارة ستعم الفوضى. وربما ستدوم لوقتٍ طويلٍ، طويلٍ جداً". لم يفكّر فـي أي شيء آخر سوى ذلك منذ ليلة الخميس، وكذلك هي منذ صباح الجمعة.

قالـت بحـزن "ما الذي يعنيه ذلك؟ حدّد ماذا تقصد بكلمة فوضى". أرادت أن تعرف ماذا سيحدث فذلك سينعكس عليها أيضاً.

"تهمـة قضائية على الأرجح... هيئة محلفين كبرى... محاكمة. ربمـا أُدان خلالهـا ثـم أسـجن". نظر إلى ساعته. إنها الرابعة في نيويورك، أربع ساعات قد مرّت على موعد إرساله المال إلى سولي في الـوقت المناسـب ليعمل مستثمروه على التدقيق في الحسابات. بسبب حظهمـا العاثـر، توجب التدقيق في حساباتهما بصورة متتالية وقريبة جداً، بل الحظ الأسوأ أن زلزال سان فرانسيسكو قطع جميع الاتصالات، وتـسبّب في إقفال مصارف المدينة. إنهما غارقان بالكامل، وينتظران عاجزين عن إيجاد أي وسيلة لإخفاء ما فعلاه. "ربما ألقي القبض على سـولي متلبّـساً، وفـي وقت ما هذا الأسبوع ستبدأ الوكالة الفيدرالية

بالتحقيق في سجلاته وسجلاتي عندما تفتح المدينة أبوابها مجدداً. كلانا فـي المـركب نفـسه. سيبدأ المستثمرون برفع الدعاوى في المحاكم المدنية، بتهم إساءة التصرف بأموالهم، والسرقة، والخديعة". وكأنه يريد أن تكون الأمور بأسوأ أحوالها، أضاف، "أنا واثق تماماً من أننا سنخسر المنزل، وكل شيء آخر نملكه".

سـألت سـارة بصوت أجش "وما الذي يعنيه هذا؟". لم تكن مذعورة بشأن فقدان ملكيتهما ورفاهتهما بل بشأن اكتشافها أن سيث رجلٌ كاذبٌ... محـتالٌ ولصٌّ. لقد عرفته وأحبته لست سنوات، لتكتشف بعدها أنها لم تكن تعـرفه إطلاقاً. لم تكن لتشعر بالصدمة أكثر لو تحوّل إلى شخص شرس أمام عينيها. "ما الذي سيحدث لي وللولدين؟".

أجابهـا بـصدق "لا أعلم سارة، ربما سيتوجب عليك الحصول على عمل". أومأت. هناك أقدار أسوأ من تلك. إنها مستعدة للعمل حتماً إن كان ذلـك سيـساعدهم، ولكـن إن تمّـت إدانـته، ما الذي سيحدث لحياتهما، ولزواجهما؟ إن دخل السجن، عندها ماذا، ولكم من الوقت؟ لم تتمكن حتى مـن نطـق الكلمات لتسأله، جلس سيث يهز رأسه، والدموع تنساب ببطء على وجنتيه. والأمر الآخر الذي أثار خوفها هو أنه كان يفكر في نفسه في خضمّ كل هذا، وليس بهم. ما الذي سيحدث لها وللطفلين إن دخل السجن؟

"هـل تفتـرض أنه حالما تفتح المدينة مجدداً، ستظهر الشرطة؟". لم تمـتلك أي فكرة عما سيجري. في أسوأ كوابيسها، لم تكن لتتمكن من توقّع أي شيء كهذا.

"لا أعلم. أعتقد أن الوكالة الفيدرالية ستجري تحقيقاً في البداية. ولكن ربمـا يـزداد الأمـر سوءاً بسرعة. حالما تفتح المصارف، سيكون المال هناك، وعندها ينتهي أمري"، أومأت، تحاول فهم ذلك، وتتذكر ما قاله.

"قلـت بأنـك فعلت هذا أنت وسولي من قبل. لمرات كثيرة؟". كانت عيـناها كئيبتـين، وصوتها أجش. لم تكن تلك أول مرة يمارس فيها سيث الاحتيال، ولربما كان يمارس الاحتيال طوال السنوات الماضية.

أجابها متوتراً "بضع مرات".

"كم عددها؟". أرادت أن تعرف.

"هل يهم ذلك؟"، رأت أن عضلة في فكه قد تشنّجت. "ثلاث... ربما أربع مرات. ساعدني ذلك على إطلاق عملي التجاري. المرة الأولى التي قمت فيها بذلك كانت مباشرة بعدما بدأنا، للحصول على القليل من الدفع وإثارة اهتمام المستثمرين بالمزيد من التمويل. إنه نوع أشبه بالستارة، التي تجعلنا نظهر بمظهر أفضل وأقوى في السوق. كان ذلك مجدياً... فقمت بالأمر ثانيةً. جلب ذلك الكثير من المستثمرين الكبار، الذين اعتقدوا بأننا نمتلك ذلك المبلغ في المصرف". لقد كذب سيث على المستثمرين، وخدعهم، ودبّر حيلة صريحة. لم تكن قادرة على تخيّل الأمر، ولكنه يفسر الآن نجاحه السريع والباهر. إن ذلك الرجل البارع الذي تحدّث عنه الجميع هو مجرد كاذب وسارق، ومخادع. بل الأمر الأكثر هولاً هو حقيقة أنها زوجته. لقد خدعها هي الأخرى. لم تكن تريد إطلاقاً كل تلك الرفاهية التي وفرها لها. لم تكن بحاجة إليها. بل أثارت قلقها في البداية. أما سيث فأصرّ على أنه يجني المال بسهولة، وبأنهما يستحقان نمط الحياة الرائع الذي يوفره لهما عمله التجاري. المنزلان، المجوهرات، السيارتان الفخمتان، طائرته. وقد حصل على كل هذا بوسائل غير شرعية. أما الآن فهو على وشك أن يتم الإيقاع به، وسيخسر كل شيء عمل من أجله، كما ستفقد كل شيء هي أيضاً.

سألته مذعورة "هل سنواجه مشاكل مع الضرائب؟". إن كان الحال كذلك، ربما يشملها هي أيضاً بالنظر إلى إدراجهما جميع العائدات على أساس مشترك. ماذا سيحدث لطفليهما إن دخلت هي الأخرى؟ أرعبها مجرد التفكير في الأمر.

طمأنها "لا أبداً، فتصاريحنا الضريبية سلمية مئة بالمئة، لن أفعل هذا بك".

سألت "لمَ لا؟"، والدموع تنهمر ببطء على وجنتيها. لقد سحقها الأمر. بدا الزلزال الذي ضرب المدينة أمراً لا يذكر مقارنة بالأمور التي كانت

على وشك الحدوث. "فعلتَ كل شيء غير ذلك. عرّضتَ نفسك للخطر، وستدمّرنا جميعاً معك". لم تتمكن حتى من تخيّل ما ستقوله لوالديها. سيصابان بالذعر، وبالخزي العميق حالما يقرأان الخبر في الصحف. لا وسيلة لإخفاء الأمر الآن. أدركت أن ما حدث سيشكّل مادة دسمة في عناوين الأخبار، لا سيّما إن تمّت إدانة سيث وأدخل السجن. ستنتهز الصحف تلك الفرصة. فكلما كانت نجاحاته أكبر ستكون السقطة أكثر إيلاماً. يسهل التوقّع بذلك، قالت عندما نهضت ومشت في أرجاء الغرفة: "نحتاج إلى محامٍ، سيث، محامٍ بارع حقاً".

قال وهو ينظر إليها تحدّق خارج النافذة "سأهتم بالأمر". كانت نوافذ الجيران قد سقطت، ولا تزال مبعثرة ومحطّمة على طول الرصيف، والأوساخ والزهور في كل مكان. كان الجيران قد ذهبوا إلى الملجأ في بريسيديو عندما سقطت مدخنة منزلهم، ولم يقم أحد بتنظيف الأوساخ. سيتوجب عليهم القيام بالكثير من أعمال التنظيف في المدينة. ولكن ذلك لا يقارن بأي شيء مع القذارة التي سيتوجب على سيث التعامل معها. همس لها "أنا متأسف، سارة".

التفتت لتنظر إليه وقالت "كذلك أنا، لا أعلم إن كان يعني لك أي شيء، ولكنني أحبك، سيث. أحببتك منذ اللحظة التي التقينا فيها. لا أزال أحبك، حتى بعد هذا. لكنني لا أعلم إلى أين ننطلق من هنا. أو حتى إن كنا سنتقدم أصلاً". لم تقل ذلك له، ولكنها لم تعلم إن كانت قادرة على أن تغفر له كذبه وإساءته للأمانة. لقد كانت تلك فضيحة مروّعة عن الرجل الذي أحبته. وإن كان في حقيقته مختلفاً بالكامل عما ظنّته، فمن هو الذي أحبته؟ بدا مثل الغريب بالنسبة إليها الآن، وفي الواقع، كان كذلك.

قال بائساً "أنا أيضاً أحبك، أنا متأسف جداً. لم أعتقد أن الأمر سيصل إلى هذا الحدّ. لم أعتقد أنه سيتم الإيقاع بنا"، قال ذلك وكأنه سرق تفاحة من عربة، أو أخفق في إعادة كتاب إلى المكتبة. لقد بدأت تتساءل إن كان يدرك بالكامل مقدار سوء ما اقترفه.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"ليس هذا هو الموضوع. ليس الأمر عن الإمساك بك. بل من أنت وما الذي كنت تفكّر فيه عندما خطّطت لكل هذا. الخطر الذي جازفت به. الكذب الذي كنت تعيشه. الأشخاص الذين تمكنت من إيذائهم والكذب عليهم، فأنت لم تؤذِ مستثمريك فقط، وإنما أنا والطفلان أيضاً. فهما سيتأذيان بسبب هذا أيضاً. إن دخلتَ السجن، سيتوجب عليهما العيش مع تلك الحقيقة لبقية حياتهما، مدركين ما الذي اقترفته. كيف سيحترمانك عندما يكبران؟ ما هو الانطباع الذي سيتركه هذا عنك؟".

قال والأسف يغمره "إنني إنسان اقترف خطأً وسيغفر لي أحبائي وكذلك أنت".

"ربما لن يكون الأمر بهذه البساطة. لا أعلم كيف سنخرج من أمر كهذا. كيف يمكن للمرء أن ينسى أنه وثق بشخص بشكل كامل، كاذب ومخادع، ولص... ومحتال... كيف يمكنني أن أثق بك مجدداً؟". لم يجب بشيء إنما جلس محدقاً إليها. لم يكن قد اقترب منها منذ ثلاثة أيام. لم يتمكن. لقد وضعت حاجزاً بينهما بعلو عشرة أقدام. حتى في سريرهما ليلاً، كانا ينامان بعيدين، مع فراغ كبير بينهما. لم يلمسها، ولم تتمكن هي من الاقتراب منه. كانت مجروحة بعمق وتتألم كثيراً، وكان أملها قد خاب به. أرادها أن تسامحه، وتتفهّمه، وتدعمه غير أنها لم تمتلك أي فكرة إن كانت ستفعل ذلك، أو تقدر على فعله. الأمر صعب جداً عليها.

شعرت بالامتنان نوعاً ما لأن المدينة قد عُزلت. احتاجت إلى الوقت كي تتفهم الأمر قبل أن تنهار الدنيا عليهما. ولكن مجدداً، لو لم يضرب الزلزال المدينة، لم يكن أي من هذا ليحدث. كان ليتمكن من إعادة المال إلى سولي، ليتمكن هو بدوره من تمويه سجلاته. وبعدها، في وقت ما، سيقومان بالأمر مجدداً، وربما يتم الإيقاع بهما في ما بعد. عاجلاً أم آجلاً، سيحدث الأمر. لم يتمتّع أيٌ منهما بذلك الذكاء وبعد النظر لإدراك أنهما لن يتمكّنا من النجاة من جريمة بهذا الحجم إلى الأبد. كان الأمر بسيطاً لدرجة تثير الشفقة، وخادعاً جداً إلى درجة تُجفل العقل.

"هل ستهجرينني، سارة؟". تلك ستكون مصيبة تضاف إلى مصائبه. أرادها أن تقف إلى جانبه، ولم يبدُ أنها ستفعل. امتلكت سارة قيَماً صارمةً جداً بخصوص الصدق والأمانة. لقد وضعت معايير مرتفعةً جداً لنفسها ولكل شخصٍ آخر. أما هو، فاخترقها بكل بساطة. بل عرّض عائلته للخطر، وتلك ستكون القشة التي ستقصم ظهر البعير بالنسبة إليها. إن العائلة أمرٌ فائق الأهمية بالنسبة إليها. لقد عاشت وفق القيم التي تعتقد بها. إنها امرأة شريفة، وتوقعت واعتقدت أن ذلك ينطبق على زوجها أيضاً.

قالت بصراحة "لا أعلم، لا فكرة لديّ عما سأفعله. لا أزال أواجه مشكلة في فهم الأمر بأكمله. لقد اقترفت أمراً هائلاً، لست واثقة من أنني استوعبته حتى الآن". لم يصدمها أي شيء حدث في الزلزال مثل ما فعل هذا. بدت وكأن العالم بكامله قد انهار عليها وعلى طفليها.

قال بحزن "آمل ألا ترحلي، أريدك أن تبقي"، احتاج إليها. لم يعتقد أنه قادرٌ على مواجهة الأمر وحده. ولكنه أدرك احتمال حصول ذلك، وأدرك إلى حدٍّ ما أن هذا خطأه.

"أريد أن أبقى"، قالت وهي تبكي مجدداً. لم تشعر بمثل هذا الإنهاك في حياتها من قبل، إلا عندما اعتقدا أنهما سيفقدان طفلتهما. وبفضل الله أُنقذت مولي. ولكنها لم تتمكن الآن من تخيّل أن شيئاً سيكون قادراً على إنقاذ سيث. حتى ولو وكّل محامياً بارعاً قادراً على المفاوضة إلى أقصى الحدود، لم تتخيّل أنه سيكسب الدعوى، ليس مع الدليل الذي سيجدونه في المصرف. أضافت "لا أعلم إن كنت سأقدر، دعنا ننتظر ما سيحدث عندما نتمكن من الاتصال بالعالم مجدداً. أتخيل أن ذلك الهراء سينتشر بسرعة". علم كلاهما أن هذا التوقيت للانقطاع عن العالم كان إنقاذاً مؤقتاً. لم يكن أمامهما أي وسيلة للتصرف أو التفاعل. سيتوجب عليهما المكوث هناك والانتظار. أضاف ذلك مزيداً من التوتر في الأيام التي تلت الزلزال بصورة لا يمكن تخيلها، ولكنها شعرت بالامتنان لهذا الوقت ليتسنى لها

التفكير في ما ينبغي عليها فعله. جلب لها فائدة أكثر مما جلبه لسيث، والذي كان يطوف في أرجاء المنزل مثل أسد في القفص، يفكر في ما سيحدث له، ويشعر بالقلق باستمرار. كان متلهفاً بشدة للتحدث إلى سولي، ليعرف ما الذي حدث معه في نيويورك. ظلّ سيث يتفحص جهاز البلاكبيري باستمرار، وكأنه سيعمل فجأة. لا يزال خالياً من أي دليل على الحياة كحال كل شيء آخر، وربما كحال زواجهما أيضاً.

وكما فعلا طوال الليالي الثلاث السابقة، ابتعدا عن بعضهما في السرير تلك الليلة. أراد سيث أن يشعر بالطمأنينة ويتأكد من أنها لا تزال تحبه، ولكنه لم يقترب منها، ولم يلمها على ما كانت تشعر به. تمدد على السرير مستيقظاً، بعد أن غطّت هي في النوم. عند منتصف الليل، استيقظ أوليفر، يبكي ويضع يده على أذنه مجدداً. كانت أسنانه تنبت، ولم تكن سارة واثقة مما يؤلمه، أذناه أم أسنانه. حملته بين ذراعيها لوقتٍ طويل، وهزته حتى عاد إلى النوم من جديد. لم تعده سارة إلى سريره، جلست هناك وحسب، تحمله، تنظر إلى القمر، وتصغي إلى الضجيج الذي تثيره المروحيات التي تجوب المدينة في الليل. بدت مثل الجالس في أحد أقاليم الحرب، وبينما هي تصغي، وتجلس هناك، أدركت أنها تعيش ما يشبه حالة الحرب. علمت أن هذا سيكون وقتاً عصيباً عليهم. ليس هناك وسيلة لتجنبه، أو تغييره، أو إعادة الساعة إلى الوراء. تماماً كما اهتزت المدينة من جذورها بسبب الزلزال، انهارت حياتهما على مرأى منهما. لقد سقطت من السماء، ارتطمت بالرصيف، وتحطمت إلى أجزاء.

أمضت ما تبقى من الليل على الكرسي الهزاز، تحمل أوليفر، ولم تعد إلى سريرها أبداً. لم تتمكن من حمل نفسها على العودة والتمدد بالقرب من سيث، وربما لن تتمكن من فعل ذلك أبداً. في اليوم التالي، انتقلت من غرفة نومهما إلى غرفة الضيوف.

الفصل التاسع

يوم الجمعة، وهو اليوم الثامن بعد الزلزال، أُخبر نُزلاء الملجأ في بريسيديو أنه سيتم فتح الطرقات السريعة والمطار مُجدداً في اليوم التالي. لقد تم إنشاء برج مؤقت. وسيستغرق منهم إعادة بناء البرج القديم أشهراً. أشار افتتاح الطريقين السريعين 280 و101 إلى أن الناس بات بإمكانهم الآن التحرك بحرية باتجاه الجنوب، ولكن جسر غولدن غيت لن يُفتتح قبل بضعة أيام، وهذا يعني أن الحركة باتجاه الشمال لا تزال مستحيلة. عُلِمَ أيضاً بأن جسر بي سيظل مقطوعاً لعدة أشهر، إلى حين إصلاحه. وبهذا سيتوجب على القادمين من إيست بي السفر إلى المدينة عن طريق جسرَي ريتشموند وغولدن غيت، أو عن طريق جسرَي دومبارتون وسان ماتيو إلى الجنوب. سيكون التنقل أشبه بالكابوس، والسير بطيئاً إلى أبعد الحدود. أما الآن، فالذين يسكنون في شبه جزيرة باتوا قادرين على العودة إلى منازلهم يوم السبت.

تم فتح العديد من الأحياء أيضاً، وسيتمكن الناس من الاطمئنان على أحوال منازلهم. أما الآخرون فسيتوجب عليهم مواجهة حواجز الشرطة والأشرطة الصفراء، في حال كانت الأحوال خطيرة جداً ولا تسمح لهم بدخول الأماكن التي يقطنونها. كما أن المنطقة المالية لا تزال بحال كارثي، وقد أُعلِنَت منطقة محظورة على الجميع، وذلك يعني أنه يتعذر على العديد من أعمال الإصلاح أن تبدأ مُجدداً. وستتوافر الكهرباء لقسم محدود فقط من المدينة خلال عطلة الأسبوع.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

انتشرت إشاعات بأن الكهرباء لن تتوافر بالكامل ربما لفترة قد تزيد عن الشهرين، أو الشهر الواحد إن حالفهم الحظ. ظلت المدينة على أهبة الاستعداد، ولكنها بدأت بالتقدم زحفاً. بعد أن دُمِّرَت بالكامل طوال الأيام الثمانية الماضية، بدأت تظهر فيها علامات الحياة من جديد، غير أن سان فرانسيسكو ستستغرق أشهراً قبل أن تتمكن من الوقوف على قدميها ثانيةً. انتشر الكثير من الكلام في الملاجئ عن أشخاص راغبين بهجر المدينة. كانوا قد عاشوا خائفين من خطر وقوع زلزال كبير طيلة سنوات، وقد تحقّق ذلك الآن، ووقع بقوة هائلة. كان البعض مستعدين للرحيل، وآخرون صمموا على البقاء. قال كبار السن منهم إنهم لن يعيشوا زمناً طويلاً يسمح لهم أن يشهدوا زلزالاً آخر مثله، ولهذا لم يكن الأمر يشكل أي اختلاف. أما الشباب، فكانوا متلهفين لإعادة إعمار المدينة والبدء من جديد. ولكن العديد من الأشخاص بين الفريقين قالوا بأنهم قد اكتفوا من هذه المدينة. خسروا الكثير فيها، وشعروا بالخوف الشديد. كان هناك تنافر مستمر بين الأصوات القلقة في صالات النوم وصالة الطعام وفي الممرات حيث يتجول الناس، وحتى على طول الشاطئ المحاذي لحقل كريسي. في النهار المشمس، كان من الأسهل نسيان ما حدث لهم. ولكن في المساء، حين كان الجميع يشعرون بالهزات الارتدادية التي كانت تقع، يصيبهم الذعر. لقد كان وقتاً عصيباً عليهم، ولم ينتهِ الأمر حتى الآن.

بعد أن سمعا خبر افتتاح المطار الذي سيتم في اليوم التالي، جلس توم وميلاني على الشاطئ، يتحدثان، ينظران إلى الخليج. كانا يقصدان هذا المكان كل يوم. أخبرته ما حدث مع جيك وآشلي، وظلت تنام في المشفى منذ ذلك الحين. تلهفت للعودة إلى ديارها والابتعاد عنهما، ولكنها استمتعت كثيراً بالتعرّف بتوم بشكل أفضل.

"ما الذي ستفعله الآن؟"، سألته بهدوء. لطالما جعلها الجلوس معه تشعر بالراحة والطمأنينة. امتاز بثقة ولباقة تبعثان الراحة في نفسها.

لقد كان من اللطيف المكوث مع شخص لا ينشغل بصورة مباشرة في عملها، أو في أي مجال من مجالات الأعمال الفنية. لقد سئمت من الممثلين والمغنين والموسيقيين، ومن جميع غريبي الأطوار الذين تتعامل معهم كل يوم. كانت قد واعدت العديد منهم، ودائماً ما انتهى بها الأمر على النحو الذي حدث مع جيك، وأحياناً أسوأ. إنهم نرجسيون، مدمنو عقاقير، طائشون، أو مجرد أشخاص سيّئو السلوك بصورة عامة يريدون استغلالها بطريقة ما. مما رأته، لم يمتلك أي منهم الضمير أو الأخلاق، وكانوا يقومون بكل ما يشعرون أنه يجلب الفائدة لهم في ذلك الوقت. أرادت شيئاً أفضل من ذلك في حياتها. حتى وهي في التاسعة عشرة من عمرها، كانت أكثر اتزاناً منهم. لم تكن تتناول العقاقير إطلاقاً، لم ترتكب خيانةً بحق أحد، لم تكن تكذب، لم تكن مهووسة بنفسها، بل كانت مجرد إنسانة لطيفة، وحسنة الخلق، وصادقة. توقعت الأمر نفسه من الشخص الآخر. تحدثت إلى توم كثيراً عن مهنتها في الأيام القليلة الماضية وأين تريد الاتجاه فيها. لم تكن راغبة بالتخلي عنها، ولكنها أرادت تحمّل المسؤولية الكاملة بنفسها. لا وجود لاحتمال أن تسمح لها والدتها بالقيام بذلك. قالت ميلاني لتوم بأنها سئمت من الخضوع لإرادة جميع من حولها، فكلّهم يُسيطرون عليها، يستغلّونها، ويلحّون عليها. لقد شعر بالإعجاب لمقدار المنطق، والعقلانية، والحكمة التي تتحلّى بها.

"يتوجّب عليّ العودة إلى بيركلي والانتقال من شقتي"، قال توم، إجابةً عن سؤالها. "يبدو وكأنه سيمرّ بعض الوقت قبل أن أتمكّن من القيام بذلك. على الأقل حتى افتتاح جسرَي غولدن غيت وريتشموند مجدداً، لأتمكن من الوصول إلى إيست بي. بعدها سأعود إلى باسادينا. كنت سأمكث هنا في الصيف. لديّ عمل في الخريف، ولكن يمكن لكل شيء أن يتغير الآن، اعتماداً على السرعة التي تنطلق بها الأعمال مجدداً. ربما أبحث عن شيء آخر أفعله هنا". مثلها تماماً، كان عملياً، ومنطقي التفكير، ويمتلك مخططات واضحة لأهدافه. كان في الثانية والعشرين من عمره، أراد

العمل لبضع سنوات، ثم الالتحاق بكلّية الأعمال، ربما في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس. "ماذا عنك؟ ماذا لديك على جدول أعمالك للأسابيع القليلة المقبلة؟". لم يتحدثا عن أي تفاصيل من قبل. عرف أنها ستنطلق في جولة في تموز، بعد حفل في لاس فيغاس. كانت قد أخبرته كم تكره الحفلات هناك، ولكن حفل لاس فيغاس يعود عليها بعائد كبير، وستكون الجولة طويلة جداً. بعد ذلك، تخطط للعودة إلى لوس أنجلوس في أيلول بعد انتهاء الجولة. ولكنه لم يمتلك أي فكرة عما خططت له لشهر حزيران غير الحفل الذي ستقيمه. فهم لا يزالون في شهر أيار.

"لدي جلسة تسجيل الأسبوع القادم لأسطوانة جديدة. سنقوم بتسجيل بعض الأغنيات التي سأقوم بتأديتها في الجولة. سيكون تدريباً جيداً لي. وعدا ذلك، أنا متفرغة نوعاً ما حتى حفل لوس أنجلوس في حزيران مباشرة قبل مغادرتي. هل تعتقد أنك ستعود إلى باسادينا بحلول ذلك الوقت؟". أرادت أن يتّفقا على موعد للّقاء، وبدت متطلعة إلى ذلك. ابتسم وهو يصغي إليها. لقد كان التعرف بها أمراً رائعاً، ورؤيتها مجدداً أشبه بالحلم. لم يمنع نفسه من التفكير في ما إن كانت ستتساه حالما تعود إلى لوس أنجلوس. "أرغب بأن تكون ضيفي في حفل لوس أنجلوس. يصبح الأمر جنونياً بعض الشيء عندما أعمل، ولكن قد يكون الأمر ممتعاً بالنسبة إليك. يمكنك إحضار بعض الأصدقاء إن أردت".

ابتسم وقال "ستصاب أختي بالجنون عندما تعلم بهذا الخبر، فهي الأخرى ستعود إلى المنزل في حزيران".

"لمَ لا تحضرها إذاً؟!"، قالت ميلاني، ومن ثم انخفض صوتها ليصبح همساً. "أمل أن تتّصل بي عندما تعود".

"سترتين على مكالمتي؟"، سألها قلقاً. حالما تخرج من بريسيديو ستعود إلى حياتها الحقيقية، هي نجمة لامعة. ما الذي يمكن أن يعجبها فيه؟ إنه مجرد مهندس قليل الخبرة ولا موقع له على رادارها. ولكن بدا أنها أحبّت المكوث معه، تماماً كما استمتع هو بصحبتها.

طمأنته "بالطبع سأفعل، أمل أن تتصل بي". دوّنت رقم هاتفها الخلوي على ورقة، وأعطته إياه. لم تكن الهواتف الخلوية تعمل في منطقة سان فرانسيسكو بعد، ولن تعمل قبل فترة وجيزة. لم يتم استعادة أي من خدمات الكمبيوتر أو الهاتف أيضاً. انتشر حديثٌ أنه سيتم تجهيزها وإطلاقها للعمل في غضون أسبوع.

عادا إلى المشفى بعد ذلك، ومزح معها وهما يدخلان قائلاً: "أعتقد أنك لن تدخلي كلّية التمريض حتى بعد مضي فترة من الزمن، إن كنت تريدين الانطلاق في جولتك".

"نعم، هذا صحيح. ليس في هذه الحياة". كانت قد عرّفت توم بوالدتها في اليوم السابق، ولكن جانيت لم تُبدِ أي إعجاب به. برأيها، هو مجرد فتى، ولم تكن شهادة الهندسة تعني شيئاً بالنسبة إليها. أرادت أن تواعد ميلاني المنتجين، والمخرجين، والمغنين البارعين، والممثلين المشهورين، أي شخص يمكنه جذب الصحافة أو مساعدة مهنتها بطريقة ما. أياً كانت مشاكله السيئة، فقد انضم جيك إلى هذه الفئة، جاذباً الصحافة إليه وإلى ميلاني. لن يكون توم كذلك. ولم تكن أسرته المملّة، والمتحفّظة، والمثقّفة من باسادينا تثير اهتمام جانيت بأي شكل من الأشكال. لم تكن قلقة بشأنه، لاعتقادها أن ميلاني ستتساه حال مغادرتهم سان فرانسيسكو، ولن تتمكن من رؤيته مجدداً. لم يكن لديها فكرة عن نيتهما اللقاء مجدداً في لوس أنجلوس.

عملت ميلاني مع ماغي طوال اليوم بجدٍّ حتى المساء. تناولتا البيتزا معاً، والتي كان توم قد أحضرها لهما تلك الليلة من صالة الطعام. ظل الطعام في الحقيبة طازجاً بصورة مثيرة للاستغراب، بفضل الإمداد المتواصل باللحم الطازج، والفاكهة، والخضراوات التي كانت تصل عبر الطائرات، وبفضل مهارات الطهاة البارعين. انضم إيفريت إليهما بعد حضوره الاجتماع الأخير، وقال بأنه سلم إدارة الاجتماع إلى سكرتيرة جديدة، وهي امرأة كان منزلها في مارينا قد تحطم، وتنوي البقاء في الملجأ

www.mlazna.com-RAYAHEEN

فـي بريسيديو لعدة أشهر. كانت أصداء الاجتماع قد لاقت رواجاً بصورة ملحـوظة خـلال الأيـام القليلة الماضية، وشكّل ذلك مصدر دعم هائل لإيفريت. شكر ماغي مجدداً على تشجيعها. أكدّت له بامتنان أنه كان لينظّم هـذا الاجتماع على أي حال. واستمرا في الجلوس والتحدث، بعدما غادر تـوم وميلانـي للـتجول معاً للمرة الأخيرة قبل مغادرة الملجأ. إنه وقتٌ سـيذكرونه وسيتذكرونه جميعاً لفترة طويلة، والبعض منهم على نحو مؤلم.

"أكره أن أعود إلى لوس أنجلوس غداً"، اعترف إيفريت، بعد مغادرة الشابّين. كانا قد وعدا بالعودة وإلقاء تحية المساء. من المفترض بمجموعة لـوس أنجلوس أن تغادر في وقت مبكر من صباح الغد، ولن تعود ميلاني إلـى العمل مجدداً. "هل ستكونين على ما يرام هنا؟"، بدا قلقاً عليها. كانت تفيض بالطاقة، ولكن كان هناك شيءٌ حساسٌ فيها بدأ يحبه.

"بالطـبع سأكون كذلك. لا تكن سخيفاً. لقد ذهبت إلى أماكن أسوأ مـن هذا المكان بكثير. الحي الذي أعيش فيه، مثلاً"، ضحكت، وابتسم لها.

"وكذلك أنا. ولكن كان من اللطيف المكوث هنا معك، ماغي".

"الأخت ماغي بالنسبة إليك"، نبّهته، ومن ثم ضحكا. كان هناك شيءٌ بينهما يثير قلقها أحياناً. لقد بدأ يُعاملها كامرأة، وليس كأخت. كان يحميها، وذكّـرته بأن الأخوات لسنَ بالنساء العاديات، فالله يرعاهن. "الله يحميني. سأكون بخير هنا. أما أنت فاحرص على أن تكون بخير في لوس أنجلوس أيـضاً". كانت لا تزال تأمل أن يعود إلى مونتانا ليعثر على ابنه يوماً ما، بالرغم من معرفتها أنه لم يكن مستعداً للقيام بذلك. ولكنهما تحدثا عن الأمر عدة مرات، وشجعته على أن يفكر في ذلك.

"سأكون منشغلاً في تحميض جميع الصور التي التقطّها هنا. سيصاب المحـرر بالجـنون"، ابتسم لها، متلهفاً لرؤية الصور التي التقطها لها ليلة الزلزال وبعدها. "سأرسل لك نسخاً عن الصور التي التقطها لك".

"أتطلـع شـوقاً لـرؤيتها"، ابتسمت. لقد كان وقتاً مميزاً بالنسبة إلى الجميع، مأساوياً بالنسبة إلى البعض، ومغيراً لحياة الآخرين على نحو جيد. قالـت الأمر نفسه لميلاني عصر ذلك اليوم. كانت تأمل أن تنشغل ميلاني في فترة ما بعملٍ تطوعي. لقد كانت بارعة جداً في ذلك النوع من الأعمال وقد جلبت الراحة للعديد من الأشخاص بلطفها وتفانيها. "كانت لتصبح أختاً رائعة"، علّقت ماغي لإيفريت، فقهقه من الضحك.

"توقفـي عـن التجنيد. إنها الفتاة الوحيدة التي لن تدخل اللائحة أبداً. سـتقتلها والدتها". كان إيفريت قد التقى بجانيت مرة، مع ميلاني، وكرهها حـال رؤيـتها. اعـتقد أنها فظّة، ولا تطاق، ولجوجة، ومُدّعية، ووقحة. عاملـت ميلاني وكأنها في الخامسة من عمرها، وفي الوقت نفسه استغلّت نجاح ابنتها حتى الذروة.

"اقترحتُ أن تبحث عن نوع من البعثات الإنسانية في لوس أنجلوس. بإمكانهـا إنجاز عمل بارع مع المشردين. أخبرتني أنها ترغب بإيقاف كل شـيء تفعله يوماً ما، والسفر لستة أشهر، للعمل مع الفقراء في بلدٍ أجنبي. تحدث أشياء أكثر غرابة. ربما يعود عليها ذلك بالكثير من الفائدة. يا له من عالم مجنون تعمل فيه. ربما تحتاج إلى استراحة منه يوماً ما".

"ربمـا، ولكـن لا أعتقد أن هذا سيحدث، مع والدة كوالدتها، ولا مع مبـيعات تـسجيلاتها التي تفوق الملايين، ولا مع استمرارها في الحصول علـى جوائز غرامي. ربما سيمضي بعض الوقت قبل أن تتمكن من القيام بشيء كهذا. إن تمكّنت من ذلك أصلاً".

"لا يمكـن للمرء معرفة ذلك"، قالت ماغي. كانت قد أعطت لميلاني اسم رجل الدين في لوس أنجلوس والذي ينجز أعمالاً رائعة مع المشردين، ويذهب إلى المكسيك لعدة أشهر كل عام لتقديم المساعدة هناك.

سـألها إيفـريت "وماذا عنك؟ ماذا ستفعلين الآن؟ هل ستعودين إلى تينديرلوين عندما تتمكنين؟". كره الحي الذي تعيش فيه. لقد كان خطراً جداً عليها، سواء أعترفت هي بذلك أم لا.

"أعتقد أنني سأظل هنا لبعض الوقت. ستمكث الأخوات الأخريات، وبعض رجال الدين أيضاً. الكثير من الأشخاص الذين يعيشون هنا الآن لا يملكون مكاناً آخر يذهبون إليه. سيبقون الملاجئ مفتوحة في بريسيديو لستة أشهر أخرى على الأقل. سأعمل أنا في المشفى الميداني، ولكنني سأذهب إلى المنزل للاطمئنان على بعض الأمور من وقت إلى آخر. ربما هناك المزيد لأفعله هناك. يمكنني استخدام مهاراتي في التمريض". وقد استخدمتها ببراعة حقاً.

"متى أراك مجدداً، ماغي؟"، بدا قلقاً عليها. لقد أحب رؤيتها كل يوم، وتمكن مسبقاً من الشعور أنه سيفقدها من حياته، ربما إلى الأبد.

"لا أعلم"، اعترفت. بدت حزينة للحظة، ثم ابتسمت، عندما تذكّرت شيئاً أرادت إخباره به منذ أيام. "أتعلم، إيفريت، تذكّرني بفيلم شاهدته عندما كنت طفلة. كان فيلماً قديماً، لروبرت ميتشوم وديبورا كير. علقت أخت وجندي في سلاح البحرية على جزيرة مهجورة. كادا يقعان في الحب، إلا أنهما احتاطا بما يكفي لكي لا يحدث ذلك، وظلا صديقين. تصرف بسوء في البداية. فكان يثمل كثيراً، واعتقد أنها كانت تخفي عنه الشراب. ساعدته على الإقلاع عن الشراب بطريقة ما، اعتنت به جيداً، كما اعتنى بها بدوره. اختبأا من اليابانيين في أثناء مكوثهما على الجزيرة. حدث ذلك في أثناء الحرب العالمية الثانية. وفي النهاية، تم إنقاذهما. عاد هو إلى سلاح البحرية، وعادت هي إلى المقر. كان فيلماً رائعاً جداً... أحببته. مثّلت ديبورا كير دور أخت رائعة".

قال بحزن "وكذلك أنت سأشتاق إليك، ماغي. لقد كان من الرائع جداً التحدث إليك كل يوم".

"يمكنك الاتصال بي عندما نستعيد خدمة الخلوي مجدداً، بالرغم من أنني لا أعتقد أن ذلك سيحدث قبل مضي بعض الوقت. سأدعو لك، إيفريت"، قالت هذا وهي تثبت نظرها في عينيه.

قال إيفريت "ربما أدعو أنا لك أيضاً، ماذا عن ذلك الفيلم، المشهد الذي كادا يقعان بالحب فيه ولكنهما أصبحا صديقين. هل حصل الأمر مثله معنا؟".

ظلت صامتة للحظة بدت طويلة، تفكر في الأمر، قبل أن تجيب. "أعتقد أننا أكثر انتباهاً منهما، وأكثر واقعية. لا تقع الأخوات في الحب".

"وماذا إن حدث ذلك؟"، أصرّ عليها، يريد إجابة أفضل من تلك التي سمعها للتو.

"لا يفعلن. لا يمكنهن ذلك".

"لا تقولي هذا. بعض الأخوات يتركن المقر. بل ويتزوجن حتى. لقد ترك أخوك دار العبادة. ماغي...".

أوقفته عن الكلام قبل أن يتمكن من قول المزيد، أو اقتراف شيء يندمان عليه. لا يمكنها أن تكون صديقته ما لم يحترم حدودها الثابتة ولا يتجاوز الحاجز الذي وضعته. "إيفريت، لا تفعل. أنا صديقتك. أعتقد أنك صديقي. دعنا نظل ممتنين لهذا".

"وإن كنت أريد المزيد؟".

"لا إيفريت"، ابتسمت له بعينيها الزرقاوين المشعتين. "أنت تريد فقط ما لا يمكنك الحصول عليه. أو تعتقد أنك تريده. هناك الكثير من النساء والفتيات من حولك".

"ولكن لا أحد مثلك. لم أعرف أحداً مثلك من قبل".

ضحكت عليه عندها. "ربما يكون هذا أمراً جيداً. ستكون ممتناً لذلك يوماً ما".

أجابها بجدية "أنا ممتن لأنني التقيت بك".

"وكذلك أنا. أنت رجلٌ رائع، وأشعر بالفخر لمعرفتك. أراهن أنك ستفوز بجائزة بولتزر أخرى على الصور التي التقطتها". كان قد اعترف لها في النهاية، بطريقة خجولة بعض الشيء، في أحد أحاديثهما الطويلة عن حياته وعمله. "أو بنوع آخر من الجوائز! أتطلع بشوق إلى رؤية ما

www.mlazna.com-RAYAHEEN

سيتم نشره". كانت تدير الحديث إلى اتجاه أكثر أمناً، وقد أدرك ذلك. لن تسمح له بفتح هذا الباب مجدداً، ولن تدعه يحاول ذلك حتى.

كانت الساعة العاشرة مساء عندما عاد توم وميلاني لإلقاء تحية الوداع. بدوا مسرورين ومفعمين بالشباب ومفتونين نوعاً ما بحداثة علاقتهما المتبرعمة. حسدهما إيفريت. ستبدأ الحياة بالنسبة إليهما. شعر وكأن حياته قد انتهت تقريباً، انتهى أفضل جزءٍ فيها على الأقل، بالرغم من أن الاجتماعات والمصح قد غيّراه إلى الأبد، وحسّنا حياته على نحو لا يمكن قياسه. كان يشعر بالملل من عمله، وقد اشتاق إلى مناطق الحروب القديمة. لقد أعادت سان فرانسيسكو وزلزالها الحيوية إلى حياته مجدداً، وكان يأمل أن تكون الصور رائعة. ولكنه علم أيضاً أنه سيعود إلى عمل لا يقدّم له سوى القليل من التحدي إذ إنه لا يستخدم مهاراته وخبرته اللتين اكتسبهما في عمله السابق. لقد أوصله الشراب، إلى ما هو عليه اليوم، إلا أنه لم يقضِ على حياته، ولا يزال بإمكانه استعادتها.

تمنّت ميلاني لماغي ليلة هنيئة، وغادرت مع توم. سيغادر إيفريت مع ميلاني وحاشيتها في اليوم التالي. هم من أوائل الأشخاص الذين سيغادرون سان فرانسيسكو، وستأتي حافلة لتقلّهم في الثامنة من صباح اليوم التالي. كان الصليب الأحمر قد رتّب لذلك. كان هناك آخرون سيغادرون في ما بعد إلى وجهات مختلفة. تم تحذيرهم مسبقاً بأنهم ربما سيتجهون إلى المطار عن طريق الشوارع الفرعية والطرقات الخلفية بسبب وجود الكثير من الانخسافات على الطريق السريع، وربما سيستغرقهم الوصول إلى هناك حوالى الساعتين، إن لم يكن أكثر.

ألقى إيفريت على ماغي تحية المساء آسفاً. عانقها، ودسّ شيئاً في يدها. لم تنظر إليه حتى ابتعاده، ومن ثم فتحت يدها ورأت بطاقة اجتماع المتعافين من الإدمان في كفها. كان يعطيها قطعته النقدية الجالبة للحظ. ابتسمت وهي تنظر إليها، والدموع في عينيها، ثم دستها في جيبها.

عاد توم وميلاني إلى حيث تمكث ميلاني. ستنام هناك لليلة الأخيرة. تلك كانت المرة الأولى التي تعود فيها إلى ذلك المكان منذ وقوع الحادثة مع جيك وآشلي. كانت قد رأتهما في الساحة، ولكنها تجنبتهما. كانت آشلي قد جاءت إلى المشفى للتحدث إليها عدة مرات، ولكن ميلاني تظاهرت بأنها مشغولة، أو انسلّت من الباب الخلفي، وطلبت من ماغي التعامل معها. لم ترغب بسماع الأكاذيب أو التبريرات أو القصص. برأي ميلاني، يستحقان بعضهما. شعرت بسعادة أكبر في قضاء الوقت مع توم الآن. إنه إنسان مميزٌ جداً، يمتلك قلباً وكياسةً يماثلان الصفات التي تتحلّى ميلاني بها.

وعدها توم "سأتصل بك حالما نستعيد خدمة الهاتف، ميلاني". كان متحمساً لمعرفة أنها ستشعر بالسرور لتلقّي مكالماته. شعر وكأنه ربح جائزة اليانصيب، ولا يزال عاجزاً عن تصديق حظه الرائع. لم يبالِ من هي من الناحية المهنية، اعتقد أنها ألطف فتاة عرفها في حياته. وكانت هي معجبة به بالمقدار نفسه، وللأسباب نفسها.

قالت بلطف "سأشتاق إليك".

"وكذلك أنا. حظاً موفقاً في جلسات التسجيل".

هزت كتفيها. "إنها سهلة، وتكون ممتعة أحياناً. إن جرت الأمور بشكل جيد. سيتوجب علينا القيام بالكثير من التدريب بعد عودتنا. أشعر بأنني صدئة".

"من الصعب تخيّل هذا. لن أقلق عليك أبداً".

"سأفكر فيك"، طمأنته، ثم ضحكت. "لم أعتقد أبداً أنني سأشعر بالحنين إلى مخيم اللاجئين في سان فرانسيسكو"، ضحك، ومن دون أي تحذير، اقترب منها برقة، ضمها بين ذراعيه، وقبّلها. كانت منقطعة الأنفاس عندما رفعت رأسها تبتسم له. لم تكن تتوقع ذلك، ولكنها أحبّت قيامه بذلك. لم يكن قد قبّلها مسبقاً على الإطلاق في أثناء تجولهما، أو عندما كانا يمضيان وقتاً هادئاً معاً. كانا صديقين حتى تلك اللحظة، وعلى أمل أنهما سيظلان كذلك، حتى ولو تطوّرت علاقتهما.

قـال بلطف "اعتني بنفسك، نامي جيداً. أراك في الصباح". في صالة الطعـام، كانـوا يعدّون الطعام لجميع أولئك الذين سيغادرون في الصباح التالـي. لـم يكـن هـناك طريقة لمعرفة كم سيتوجب عليهم الانتظار في المطار، أو ما إن كان هناك طعام. لم يبدُ ذلك محتملاً، ولهذا عملت صالة الطعام على تقديم ما يكفي من الطعام ليأخذوه معهم.

دخلـت ميلانـي إلـى حيث يقيم أفراد فرقتها وابتسامة حزينة على وجهها، ووجدت أفراد مجموعتها في المكان نفسه الذي كانوا يشغلونه من قبل. لاحظت أن آشلي تنام على سريرٍ منفصلٍ عن سرير جيك تلك الليلة، لكـنها لم تعد تبالي. كانت والدتها غارقة في النوم، مرتدية كامل ملابسها، وتـشخر. سـتكون تلك ليلتهم الأخيرة في الملجأ. في اليوم التالي سيصبح الأمـر كالحلم، عندما يعودون إلى رفاهية حياتهم في لوس أنجلوس. ولكن ميلاني علمت بأنها ستذكر هذا الأسبوع إلى الأبد.

رأت ميلانـي أن آشلي مستيقظة، فتجاهلتها. كان ظهر جيك موجهاً إلـيها، ولـم يتحـرك عندما دخلت، وبعث ذلك الراحة في نفسها. لم تكن مـستلهفة لرؤيته، أو السفر معه في اليوم التالي. ولكن لا خيار آخر أمامها. سيحلقون جميعاً بالطائرة نفسها مع حوالى خمسين شخصاً آخر من المخيم.

اندسـت ميلانـي تحت الغطاء على سريرها، ومن ثم سمعت آشلي تهمس لها. "ميل... ميل... أنا متأسفة".

أجابتها ميلاني "لا بأس، آش... لا تقلقي حيال ذلك". كانت تفكر في تـوم. أدارت ظهرها إلى صديقة طفولتها التي خانتها، وبعد خمس دقائق، غطت في النوم، بقلبٍ مُسامح. تمددت آشلي مستيقظة، تتقلب طوال الليل، تعرف أنها فقدت أفضل صديقاتها إلى الأبد. وكانت تعلم مسبقاً أن جيك لا يستحق ذلك.

الفصل العاشر

جـاء تـوم والأخت ماغي لرؤية الآخرين قبل رحيلهم في الصباح التالـي. استخدمت حافلتان مدرسيتان لنقلهم. وعلم الجميع أنهم سيقطعون طـريقاً طـويلاً إلـى المطار. لقد تم تجهيز طعام المسافرين ووضعه في الحافلتـين. كان توم وعددٌ من العمال الآخرين من صالة الطعام قد أنهوا هذه المهمة عند السادسة من صباح ذلك اليوم. كل شيء أصبح جاهزاً.

لدهشة الجميع، كان هناك الكثير من لحظات الوداع الحزينة في أثناء المغادرة. توقع الجميع أنهم سيشعرون بالحماسة عند الرحيل، بدلاً من ذلك وجـدوا فجأة أنه يصعب عليهم الابتعاد عن أصدقائهم الجدد. كانت هناك وعـود بالاتـصال والمراسـلة، أو حتـى الزيارة. لقد تشارك الناس في بريـسيديو الكثيـر مـن لحظات الحزن، والخوف، والصدمة. وسيظلون يشعرون بالروابط التي نُسِجَت إلى الأبد.

كـان تـوم يـتحدث بهـدوء إلى ميلاني عندما صعد جيك وآشلي والآخـرون إلـى الحافلة، بينما أخبرتها جانيت أن تَسّرع. لم تكلف نفسها حتـى عـناء إلقاء تحية الوداع على توم. لوّحت لامرأتين جاءتا لوداعها. تمنـى الآخرون لو يذهبون إلى منازلهم أيضاً، بالرغم من أن العديد منهم كانـوا قد فقدوا منازلهم ولم يكن لديهم مكان يذهبون إليه. كانت قافلة لوس أنجلوس محظوظة لمغادرتها المنطقة والعودة إلى الحياة الطبيعية مـن جديـد. سيمـضي زمـن طويل قبل أن يعود أي شيءٍ في سان فرانسيسكو إلى حاله.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"اعتني بنفسك، ميلاني"، همس توم لها، وهو يضمها بلطف ثم يقبّلها ثانية. لم يكن لديها فكرة إن كان جيك يشاهدها، ولكن بعد أن فعل ما فعله، لم تعد تهتم. لقد انتهى الأمر بينهما، وكان ينبغي أن ينتهي منذ وقت طويل. كانت واثقة من أنه سيتناول العقاقير مجدداً حال عودتهم إلى لوس أنجلوس. أُجبر على الأقل على الامتناع عنها في المخيم، أو ربما وجد بعضها هناك. لم تعد تهتم بهذا أيضاً. "سأتصل بك حالما أصل إلى باسادينا".

"اعتنِ بنفسك"، همست له، قبلته بلطف على شفتيه، واستقلّت الحافلة مع الآخرين. رماها جيك بنظرة شريرة عندما مرّت بالقرب منه. وكان إيفريت بجانبها تماماً في الصف قبل صعودهما. كان يودع ماغي، وأرته أنها تحمل الرقاقة في جيبها.

قال لها "احتفظي بها، ماغي، ستجلب لك الحظ".

قالت وهي تبتسم له "لطالما كنت محظوظة". وأضافت "كنت محظوظة عندما التقيت بك".

"ليس بقدر ما كنت أنا محظوظاً. اعتني بنفسك وكوني حذرة. سأظل على اتصال"، وعدها، قبّلها على وجنتها، نظر إلى تلك العينين الزرقاوين العميقتين للمرة الأخيرة، ثم صعد الحافلة.

فتح إيفريت النافذة المجاورة له، ولوّح لماغي وهم ينطلقون. وقفت هي وتوم ونظرا إلى الحافلة لوقت طويل، ومن ثم عادا إلى عمليهما. كانت ماغي هادئة وحزينة وهي تدخل المشفى، تتساءل إن كانت سترى إيفريت من جديد، وتعلم أنها إن لم تفعل، فتلك مشيئة الله. شعرت بأنها لا تملك الحق بطلب المزيد الآن. لقد شاركته أسبوعاً رائعاً حتى ولو لم يتمكنا من اللقاء مجدداً أبداً. شعرت برقاقته في جيبها، لمستها بسرعة، ومن ثم عادت إلى العمل، تشغل نفسها بالعمل بقوة، لكي لا تسمح لنفسها بالتفكير فيه. علمت أنها لن تتمكن من السماح لنفسها بالقيام بذلك. سيعود إلى حياته الخاصة، وكذلك هي.

اتضح أن الطريق إلى المطار كان أطول مما توقع الجميع. كان هناك عوائق في الطريق، وأجزاء منه كانت محطمة، وبدا مُدمراً بشدة. كانت المعابر قد انهارت، وشاهدوا منازل تهدمت بالكامل، وقد سلك سائقا الحافلتين طريقاً أطول وغير مباشر إلى المطار. اقترب وقت الظهر عند وصولهم، وشاهدوا الضرر الذي لحق بالعديد من المحطات حال وصولهم. أما البرج الذي كان ينتصب هناك قبل تسعة أيام، فقد اختفى بالكامل. كانت هناك زمرة صغيرة فقط من المسافرين، وبضع طائرات فقط قد وصلت، ولكن طائرتهم كانت تنتظر. كان من المحدد لهم المغادرة عند الساعة الواحدة. لقد بدوا بحالة رثة وهم يسجلون دخولهم. ضاع الكثير من بطاقات الائتمان، وقلة فقط لا يزالون يحملون المال معهم. أما لأولئك الذين احتاجوا إلى المال، فدفع الصليب الأحمر ثمن رحلتهم. حملت بام بطاقات ائتمان ميلاني معها، ودفعت تكلفة جميع البطاقات. لقد تركت مجموعة كبيرة من الأصدقاء خلفها في بريسيديو بعد عملها الشاق لأسبوع. وبينما كانت بام تدفع لحجز المقاعد، أصرت جانيت على أن تكون هي وميلاني في الدرجة الأولى.

قالت ميلاني بهدوء "لا نحتاج إلى ذلك، أمي، أفضّل أن أجلس مع الآخرين".

"بعد كل ما مررنا به؟ كان يتوجب عليهم توفير طائرة خاصة لنا"، لقد نسيت جانيت كما هو واضح بأن الآخرين قد مروا بالمحنة نفسها أيضاً. كان إيفريت يقف بجانبهم، يدفع ثمن تذكرته ببطاقة ائتمان المجلة، والتي لا يزال يحملها معه، ونظر إلى ميلاني. ابتسمت له وغمزت بعينيها، في اللحظة التي مرت فيها أشلي مع جيك. لا تزال تشعر بالخزي كلما مرت أمام صديقتها القديمة. بدا أن جيك قد سئم بالكامل.

قال جيك "يا الله، لا أطيق الانتظار حتى أعود إلى لوس أنجلوس". عندما نظر إليه إيفريت مبتسماً.

"البقـية مـنا يتمنون المكوث هنا"، هزأ إيفريت منه، بينما ضحكت ميلانـي، بالرغم من أنه في حالته كان الأمر صحيحاً، وكذلك كان بالنسبة إليها. ترك كلاهما شخصين يهتمان بأمرهما في المخيم.

كان أفراد طاقم الطائرة الذين قدموا المساعدة لهم لطفاء على نحو استثنائي. أدركوا جيداً ما مرّ به هؤلاء الأشخاص، وتعاملوا معهم على أنهـم أشخاص هامون، ليس فقط ميلاني وحاشيتها. عاد أعضاء الفرقة والمساعدون معها. من الناحية النظرية، لا تزال كلفة رحلتهم مدفوعة مـن ضـمن ثمـن بطاقات الحفل، ولكن البطاقات ضاعت في الفندق. سـتعمل بـام علـى حلّ تلك المشكلة في ما بعد. لم يكن هناك وسيلة لطمأنـة عـائلاتهم عـن أحوالهم منذ حدوث الزلزال، إلا عن طريق الـصليب الأحمر، والذي قدم المساعدات الهائلة. تولّت شركة الطيران الآن المهمة عنهم.

أخذوا أماكنهم على متن الطائرة، وحال انطلاقها، رحب الطيّار بهم، وقال إنه يأمل أن تكون الأيام التسعة الماضية قد انقضت من دون التسبّب لهم بالكثير من الصدمة والحزن. حالما قال ذلك، انفجر العديد من الركاب بالـبكاء. كـان إيفريت قد التقط بضع صور لميلاني ومجموعتها. اختلفت أشـكالهم كثيراً عما كانوا عليه جميعاً لدى وصولهم. كانت ميلاني لا تزال تـرتدي سروالاً عسكرياً مشدوداً بحبل، أما جانيت فلا تزال ترتدي بعضاً مـن ملابسها التي ارتدتها خلف كواليس الحفل الخيري. لقد بقي سروالها المصنوع من البوليستر بحالة لا بأس بها، علماً أنها، كالجميع، ارتدت في النهاية كنزات حصلت عليها من طاولات التبرّع. كانت الكنزة التي ترتديها أصـغر بقياسـات عـدة مـن حجمها. لم تمنحها مظهراً جيداً مع سروال البوليستر والكعب العالي الذي كانت تنتعله، والذي رفضت استبداله بصندل كـان الجميع ينتعلون مثله في ذلك الوقت. كانت بام ترتدي زياً كاملاً من الملابـس العـسكرية التـي قـدّمها الحـرس الوطني. وبدا أفراد الفرقة ومـساعدوها مثل المُدانين في زيهم الكامل. وكما قال إيفريت، منحه ذلك

صـورةً رائعةً. إنها واحدة من الصور التي عرف أن سكوب ستعرضها، ربمـا على الغلاف، كتناقض واضح مع تلك التي التقطها لميلاني وفرقتها فـي أثـناء الأداء في الحفل الخيري في الثوب الأنيق والحذاء العالي. كما قالت ميلاني، بدت قدماها مثل قدمي المزارع، وقد اختفت عنايتها الفاخرة بأظافـرها بالكامـل في قذارة وأوساخ المخيم حيث كانت تتجوّل بصندلها المطاطـي. أمـا إيفريت فلا يزال ينتعل جزمته الجلدية السوداء التي يعشقها.

قدمـوا لهم الشراب في أثناء الرحلة، وبعد أقل من ساعة حطوا في مطـار لـوس أنجلوس، بين صياح وصراخ، وتصفيق ودموع. لقد كانت تـسعة أيـام عصيبة عليهم جميعاً. أفضل من غيرها بالنسبة إلى البعض، ولكن حتى في أفضل أحوالها مرّ الجميع بفترات مروّعة. وكانت القصص التـي رووهـا مـشابهة لتلك التي تخص المحاربين القدامى، عن الهرب والنجاة، وعن الإصابة والخوف. كان أحد الرجال يضع جبيرة حول ساقه ويـستند إلـى عكـازين، قـدّمهما لـه المشفى الميداني، وكان العديد من الأشخاص قد أصيبوا بكسور في أذرعهم ويضعون الجبيرة أيضاً. تعرفت ميلانـي بالعديد من الأشخاص الذين خاطت لهم ماغي الجروح. في بعض الأيـام، راودهـا شـعور بأنها وماغي خاطتا جروح نصف المقيمين في المخـيم. وقـد جعلهـا مجرد التفكير في ذلك، تشتاق إلى ماغي. خططت للاتصال بها عبر هاتفها الخلوي، عندما تتمكن.

عندما حطّت الطائرة في المطار، كان هناك عدد هائل من الصحفيين الـذين شـكّلوا مـا يشبه الجدار وهم ينتظرون خروج أول مجموعة من الناجين من زلزال سان فرانسيسكو الذين وصلوا لوس أنجلوس. كان هناك كاميـرات لمحطـات تلفزيونية أيضاً، وقد انقضّ المصوّرون والمحرّرون علـى ميلانـي لحظة خروجها من البوابة، بدت مصابة بالدوار نوعاً ما. كانـت والدتها قد طلبت منها تسريح شعرها، تحسباً، ولكنها لم تهتم بذلك. إنها لا تبالي بذلك حقاً. كانت سعيدة بالعودة إلى الوطن، بالرغم من أنها لم

www.mlazna.com-RAYAHEEN

تكن قد فكّرت في الأمر كثيراً عندما كانت في المخيم. حيث كانت منشغلة جداً هناك.

عـرف المـصورون جيك على الفور، والتقطوا بضع صور له، ولكنه مـشى بجانـب ميلاني من دون أن يتفوه بأي كلمة، واتجه نحو الشارع. قال لـشخص ما يقف في الجوار بأنه إن لم يرّها مجدداً على الإطلاق، فذلك أمر جيد. ولحسن الحظ، لم يسمعه أحد من الصحافيين الذين كانوا يلتقطون الصور.

"ميلانـي!... ميلانـي!... هـنا... هنا... كيف كان الأمر؟... كنت خائفة؟... هل أصبت بأذى؟... هيا، ابتسمي لنا... تبدين رائعة!". لم يتمكن إيفـريت من منع نفسه من التفكير في ما يجري ببعض من السخرية؛ إنها فـي التاسعة عشرة، وهي تجذب الجميع إليها. حتى إنهم لم يشاهدوا آشلي بين الحشود. ابتعدت إلى الخلف، وانتظرت مع جانيت وبام كما فعلت آلاف المرات من قبل. انطلق أعضاء الفرقة والمساعدون في طريقهم، بعد إلقاء تحـية الـوداع على ميلاني ووالدتها. أخبرها الشباب في الفرقة أنهم سـيرونها فـي تدريـبات الأسبوع القادم، وقالت بام إنها ستتصل بهم لتجهيز الأمر. حيث إن موعد جلسة تسجيل ميلاني التالية بعد أقل من أسبوع.

اسـتغرق اجتياز حشود المصورين والمراسلين نصف ساعة تقريباً. سـاعدها إيفـريت على تفاديهم، ورافقها إلى حيث كانت سيارات الأجرة العديـدة مركونة عند الحاجز تنتظر الركاب. للمرة الأولى منذ سنوات، لم يكن هناك سيارة ليموزين بانتظارها. إلا أن كل ما كانت ميلاني تريده هو الابتعاد عن الصحافيين الذين يطاردونها. أغلق إيفريت باب سيارة الأجرة التـي استقلّتها، لوّح لها، وشاهدها تنطلق بعيداً. لم يتوقف عن التفكير في أنهـم جمـيعاً شهدوا أسبوعاً شاقاً. بعد دقائق من رحيل ميلاني، اختفى ما تبقـى من صحافيين. استقلّت ميلاني سيارة الأجرة الأولى مع بام، وكانت آشـلي فـي الثانية مع جانيت. كان جيك قد غادر منذ وقت طويل لوحده. ومضى أعضاء الفرقة وحدهم.

ألقـى إيفريت نظرة مطوّلة حوله، يشعر بالراحة لعودته بالرغم من أسـفه. بدت لوس أنجلوس وكأن شيئاً لم يحدث. كان من الصعب تصديق أن الحـياة طبيعية هنا. بدا من المستحيل استيعاب أن العالم كاد ينتهي في سان فرانسيسكو، وهنا لا تزال جميع الأعمال على حالها. كان لذلك تأثير غـريب. استقلّ إيفريت سيارة أجرة، وأعطى السائق عنوان مكان اجتماع المتعافين من الإدمان والذي كان المفضل لديه. أراد الذهاب إلى هناك حتى قـبل العودة إلى المنزل. وكان الاجتماع رائعاً. عندما حان دوره، أخبرهم عـن كـل مـا حدث في سان فرانسيسكو، عن الاجتماع الذي نظمه في بريسيديو، وقبل أن يمنع نفسه، قال من دون تفكير إنه وقع في حب أخت. ولكون الأحاديث الجانبية غير مسموح بها في اجتماعات الخطوات الاثنتي عـشرة، لـم يعلّـق أحد. بعد ذلك، عندما نهض وجاء الناس ليسألوه عن الزلزال، علّق أحد الرجال الذين يعرفهم هناك.

"تحدثت عن أمر غريب بعض الشيء يا رجل. كيف ذلك؟".

قال إيفريت بهدوء "إنه مجرد حب ليس إلا".

"هل ستترك المقر من أجلك؟".

"كلا، لن تفعل. تعشق حقيقة كونها أختاً".

"وما الذي سيحدث لك عندها؟".

فكـر إيفـريت فـي الأمر لدقيقة قبل أن يجيب. "أتابع حياتي. أظل أحضر الاجتماعات. وأحبها إلى الأبد".

"وهل ينفع هذا معك؟"، سأله عضو في الاجتماع بنظرة من القلق.

"سيتوجب عليّ ذلك"، قال إيفريت. وبهذا، خرج بهدوء من الاجتماع، أوقف سيارة أجرة، واتجه إلى منزله.

الفصل الحادي عشر

خططت ميلاني لقضاء عطلة نهاية أسبوع هادئة تتمدد فيها أمام البركة، وتستمتع بمنزلها في هوليوود هيلز كما لم تفعل من قبل إطلاقاً. كان ذلك علاجاً مثالياً لتسعة أيام من التوتر والصدمة. وعلمت أنها كانت أقل صدمةً من كثيرين غيرها. مقارنة مع أشخاص أُصيبوا بالجروح، وفقدوا أحباءهم أو منازلهم، كان حالها أفضل بكثير، بل شعرت أنها قامت بأعمال مفيدة خلال عملها في المشفى الميداني، وساعدت من كان بحاجة إلى المساعدة في المخيم. كما أنها التقت بتوم.

على نحو توقعته وبعث في نفسها الكثير من الراحة، لم يتصل بها جيك منذ عودتهم. ولكن آشلي اتصلت عدة مرات، وتحدثت إلى والدتها، ولكن ميلاني رفضت التحدث إليها. أخبرت والدتها أن الأمر قد انتهى.

بينما كانت ميلاني تقلّم أظافرها بجانب البركة، خاطبتها والدتها بعد ظهر يوم السبت الذي كان يوماً رائعاً قائلة "ألا تعتقدين أنك تقسين عليها نوعاً ما". كانت بام قد حجزت لها موعداً لجلسة تدليك في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم. ولكن ميلاني كانت تشعر بالذنب الآن، لكونها متكاسلة جداً، وتمنت لو تعود إلى المشفى الميداني مع ماغي، وترى توم. كانت تأمل أن تراه قريباً. كان أمراً تتطلع إليه الآن بعد أن عادت إلى عالمها المألوف في لوس أنجلوس. اشتاقت إليهما.

"لقد أقامت علاقة مع صديقي، أمي"، ذكّرت جانيت بما فعلته آشلي.

"ألا تعتقدين أن هذا خطأه أكثر من كونه خطأها؟". كانت جانيت تحب آشلي، وكانت قد وعدتها عندما كانوا في سان فرانسيسكو بأن تتكلم مع ميلاني في محاولة لإعادة الدفء إلى علاقتهما وذلك عندما يعودون إلى لوس أنجلوس، إلا أن ميلاني لم تكن ترغب بذلك على الإطلاق.

"لم يجبرها على القيام بذلك. إنها بالغة وعاقلة. لو كان أمري يهمها، أو صداقتي تهمها، لما كانت فعلت ذلك. لم تهتم. وأنا بدوري لن أهتم".

"لا تتصرفي كطفلة. أنتما صديقتان منذ كنتما في الثالثة من عمركما".

قالت ميلاني ببرودة "هذه هي المشكلة، أعتقد أن ذلك يستحق بعض الإخلاص. أخمن أنها لم تعتقد ذلك. يمكنها أن تأخذه الآن. ولكن الأمر انتهى بالنسبة إليّ. انتهى بالكامل. لقد اقترفت أمراً بغيضاً. أعتقد أن الصداقة لم تعنِ لها ما كانت تعنيه لي. هذا أمر أعرفه جيداً". لن تغير ميلاني رأيها ولو قليلاً.

"أخبرتها أنني سأتحدث إليك وأن كل شيء سيعود إلى ما كان عليه. أنت لا تريدينني أن أبدو كالغبية، أو الكاذبة؟ أليس كذلك؟". لقد زاد تملّق والدتها وتدخلها من حدّة موقف ميلاني، وجعله أكثر صلابة. كان الولاء والأمانة أمرين هامين بالنسبة إليها. وخاصة بالنظر إلى الحياة التي تعيشها، حيث الجميع يريدون استغلالها، عند كل فرصة تتوافر لهم. ترافق ذلك مع نجاحها ونجوميتها. توقعت ذلك من الغرباء، وحتى من جيك، والذي اتضح أنه حثالة. ولكنها لم تتوقع، أو تتقبل أن تقوم أفضل صديقاتها بذلك. شعرت بالغضب من والدتها لمجرد محاولتها إقناعها بغير ذلك.

"أخبرتك أمي، انتهى الأمر. هذه هي الطريقة التي سنظل عليها. سأتصرف بأدب عندما أراها، ولكن هذا كل ما ستحصل عليه مني".

"سيكون هذا صعباً جداً عليها"، قالت جانيت متعاطفة، ولكنها كانت تضيع جهدها. لم تكن ميلاني معجبة بحقيقة أن والدتها قد تبنّت قضية آشلي للدفاع عنها.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"كـان يتوجب عليها أن تفكّر في الأمر قبل أن تدخل كيس النوم مع جيك. وأفترض أنها ظلت تفعل ذلك طوال الأسبوع". لم تعلّق جانيت لدقيقة ثم حاولت مجدداً.

"أعتقد أنه يتوجب عليك التفكير في الأمر".

"فكّرت. دعينا نتحدث عن شيءٍ آخر".

بـدت جانـيت متألمة فمشت بعيداً. كانت قد وعدت آشلي أن تتصل بهـا، والآن لا تعـرف مـا الذي ستقوله لها. كرهت إخبارها أن ميلاني تـرفض التحدّث إليها مجدداً، ولكن هذه هي الحقيقة. برأي ميلاني، انتهت صـداقتهما. تلاشت سنوات الصداقة الست عشرة. علمت والدتها أنه حالما شـعرت ميلانـي بالخيانة وقالت بأن الأمر قد انتهى، فهذا يعني أنه انتهى بالفعـل. رأتهـا تفعل ذلك من قبل، بشأن أمورٍ أخرى. مع صديق كان قد خانهـا قبل جيك، ومدير كانت قد وثقت به إلا أنه سرق المال منها. كانت هـذه أقـصى حـدود ميلاني. اتصلت جانيت بآشلي بعد ظهر ذلك اليوم وأخبرتها أن تمنح ميلاني بعض الوقت لتهدأ، فهي لا تزال تشعر بالسوء. قالـت آشلي بأنها تتفهم ذلك، ثم انفجرت بالبكاء. وعدتها جانيت أن تتصل بهـا مجدداً في أقرب وقت. كانت آشلي بمثابة الابنة الثانية لها، ولكنها لم تكن كالأخت لأفضل صديقاتها عندما أقامت علاقة مع جيك. عرفت آشلي ذلك، وأدركت أن ميلاني لن تغفر لها.

عـندما أنهت مقلّمة الأظافر عملها، قفزت ميلاني إلى البركة. قامت ببضع حركات بهلوانية وعدة قفزات إلى حين وصول مدربها عند السادسة عصراً. كانت بام قد جهّزت لها ذلك أيضاً، ومن ثم عادت إلى منزلها. بعد مغـادرة المـدرب، طلبت جانيت طعاماً صينياً، وتناولت ميلاني بيضتين مسلوقتين طريتين. قالت إنها ليست جائعة وكانت قد اكتسبت بعض الوزن فـي المخيم حيث كان الطعام لذيذاً جداً، وقد زاد وزنها بفعل تناول أطعمة لا تتـناولها فـي العادة. حان الوقت للتصرف بجدية من جديد قبل حفلتها المقررة بعد فترة. تذكرت مجيء توم وأخته، فابتسمت. لم تكن قد أخبرت

والـدتها عـنهما بعد. وجدت أن هناك ما يكفي من الوقت قبل وصولهما. سـيظل توم في سان فرانسيسكو لبعض الوقت. وليس هناك وسيلة لمعرفة متـى سيصل لوس أنجلوس. يبدو أن والدتها قد قرأت ما يدور في عقلها، سألت ميلاني عن توم وهي تجلس في المطبخ تتناول البيض. كانت والدتها تلتهم الطعام الصيني، مدّعيةً بأنها كانت تتضور جوعاً طوال الأيام التسعة الماضـية، الأمر الذي لم يكن صحيحاً على الإطلاق. كل مرة رأتها فيها ميلانـي، كانت تتناول الكعك المحلى أو البوظة أو كيساً من رقائق الذرة. بـدت وكأنهـا قـد كسبت خمسة أرطال في الأسبوع الأخير، إن لم يكن عشرة.

"لـستِ متحمسة لذلك الفتى الذي التقيت به في المخيم، أليس كذلك؟ ذلـك الـذي يحمل شهادة في الهندسة من بيركلي"، تفاجأت من أن والدتها تتذكره. كانت تتجاهله تماماً لدرجة أن ميلاني وجدت صعوبة في تصديق أن والدتها تتذكر مجال دراسته. ولكن من المؤكد أنها على علم بمن يكون وحتى بشهادته.

"لا تقلقي حيال ذلك، أمي"، قالت ميلاني هذا محاولةً ألا تصرح عن رأيها. اعتقدت أن هذا ليس من شأن والدتها. ستبلغ العشرين بعد أسبوعين. وبرأيها، هي كبيرة بما يكفي لاختيار رفاقها. لقد تعلمت الكثير من الأخطاء التـي ارتكبـتها، ومن صُحبة جيك. إن توم من نوع مختلف، وأحبّت أن تكون جزءاً من حياته، والتي كانت أكثر صحة وانتزاناً من حياة جيك.

سألتها والدتها والقلق باد عليها "ما الذي يعنيه هذا؟".

"أعنـي أنه شابٌ لطيفٌ، وأنا فتاةٌ ناضجةٌ، ونعم، ربما سأراه مجدداً. آمل ذلك. إن اتصل بي".

"سيتصل. بدا مفتوناً بك، وأنت ميلاني فري على أي حال".

"وماذا في ذلك؟"، سألت ميلاني وهي تشعر بالغضب.

ذكّـرتها جانـيت "هناك اختلافٌ كبيرٌ"، برأي جميع المتواجدين على الكوكب، سواك. ألا تعتقدين أنك متواضعة جداً؟ انظري، لا يمكن لأحد أن

يميّز أنك نجمة. أنا واثقة من أن هذا الشاب معجبٌ بك كأي شخصٍ آخر. مـن يـرغب بمواعدة فتاة عادية إن كان بإمكانه مواعدة نجمة؟ ستكونين فخراً له".

"لا أعـتقد أنه مهتم بالتفاخر. هو مهتم بالأمور الجدية، إنه مهندس، ورجلٌ طيب".

قالت والدتها "كم هذا ممل!". وعلت وجهها نظرة اشمئزاز.

ردت ميلانـي بإصـرار "إنه ليس مملاً، إنه ذكي، وأنا أحب الشبان الأذكياء". لم تكن تدافع عن توم بل تقول الحقيقة.

"إذاً من الجيد أنك تخلّصت من جيك. لقد سبّب لي الجنون في الأيام التسعة الماضية. كل ما فعله هو النواح".

بدت ميلاني متفاجئة "اعتقدت أنك تحبينه".

قالت جانيت "أنا أيضاً ظننت ذلك، لقد سئمت منه كثيراً بحلول وقت رحيلـنا. بعض الأشخاص غير مناسبين، لا سيّما في أثناء الأزمات. وهو واحدٌ منهم. جُل ما يتحدث عنه هو نفسه".

"مـن الواضح أن آشلي واحدة من هؤلاء الأشخاص أيضاً، من الذين لا تـرغبين بتجاوز الأزمات معهم. خاصةً إن أقامت علاقة مع صديقك. يمكنها أخذه الآن. إنه نرجسي ووغد تماماً".

"ربما أنت محقة. ولكن لا تتخلي عن آشلي في خضمّ هذا"، لم تعلّق ميلاني. لقد سبق أن تخلّت عنها.

ذهـبت ميلاني إلى غرفتها باكراً في ذلك اليوم. كانت غرفةً مطليةً باللـون الـوردي والساتان الأبيض متواجداً بكثرة فيها، مع ثعلب وردي وأبـيض موضـوع على السرير. كان تصميم الغرفة يعكس ذوق والدتها وليس ذوقها. بدت أشبه بغرفة فتاة استعراض في لاس فيغاس، وهذا تماماً ما امتلأ به قلب والدتها، حتى هذا اليوم. كانت قد أعلمت المصمم بالتحديد عمـا تريده في غرفة ميلاني، بما في ذلك دب الفرو الوردي. وأما طلبات ميلانـي بكاملها فقد تم تجاهلها ببساطة. هذا ما قالت والدتها إنها ستحصل

علـيه. وهي مريحة على الأقل، اعترفت ميلاني بذلك لنفسها، وهي تتمدد على السرير. امتلكت شعوراً رائعاً بتدليل نفسها من جديد. شعرت بالذنب لـذلك قليلاً، خاصة عندما فكّرت في الأشخاص في ملجأ سان فرانسيسكو، وحقيقة أنهم سيظلون هناك لأشهر، على الأغلب، بينما هي في المنزل على سـريرها المكسو بالفرو والساتان. نوعاً ما، بدا الديكور غير متناسب مع شخـصيتها، بالـرغم من أنه كان يبعث فيها الراحة أحياناً، ولكن ليس بما يكفي. وقد أدركت ميلاني ذلك مع مرور الأيام.

تمددت ميلاني على سريرها، وشاهدت التلفاز حتى وقت متأخرٍ تلك اللـيلة. شاهدت فيلماً قديماً، ثم نشرة الأخبار، وأخيراً قناة أم تي في. كانت تـستمتع بكـل مـا تملكه من حياة مرفّهة، بالرغم من حسّها بالمسؤولية، وإرادتها القوية، والتجربة الممتعة التي حظيت بها، بدا من الرائع أن تكون في منزلها.

بعـد ظهـر يوم السبت، وبينما كانت ميلاني وأفراد مجموعتها في طـريقهم إلـى لوس أنجلوس، كان سيث سلون يجلس في غرفة معيشته، يحـدّق إلـى الفراغ. لقد مضت تسعة أيام منذ وقوع الزلزال، ولا يزالون معـزولين ومنقطعين عن العالم في سان فرانسيسكو. لم يعد سيث واثقاً إن كانـت تلـك نعمـة أو نقمـة. لم يتمكن من الحصول على أي أخبار من نيويورك... لا شيء... صفر... لا شيء على الإطلاق.

نتيجة لذلك، كانت عطلة نهاية أسبوع مليئة بالتوتر والألم. بدا يائساً، حـاول أن يُبعدَ المشاكل عن عقله ويلعب مع طفليه. لم تتحدث إليه سارة مـنذ أيـام. وقلـيلاً ما كان يراها، فحالما يأتي المساء وتضع الطفلين في سـريريهما، تختفي في غرفة الضيوف. لم يعلّق على ذلك أبداً، ولم يجرؤ على سؤالها عن الأمر.

صـباح يـوم الاثنين، بعد مضي أحد عشر يوماً على الزلزال، كان سـيث جالـساً إلى طاولة المطبخ، يشرب فنجاناً من القهوة، عندما انبعثت الحـياة فجأة في جهاز البلاكبيري الذي وضعه على الطاولة بالقرب منه.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

كانت تلك أول فرصة يمتلكها للتواصل مع العالم الخارجي، أمسك به. بعث برسالة نصية إلى سولي على الفور، وسأله عما حدث. وصل الرّدُ في غضون دقيقتين.

كان رد سولي موجزاً. "الوكالة الفيدرالية تحقق معي. أنت التالي. علمت بكل شيء. حصلت على السجلات من المصرف. حظاً طيباً".

"اللعنة"، همس سيث، وبعث برسالة نصية ثانية.

"هل اعتقلوك؟".

"ليس بعد. ستجتمع هيئة المحلفين الكبرى الأسبوع القادم. أوقع بنا، يا صاح. انتهى أمرنا". كان ذلك هو التأكيد نفسه الذي خشي تصديقه لأكثر من أسبوع. ولكن حتى بعد معرفة ما قد يحدث على الأرجح، شعر سيث بالغثيان لقراءة عبارة: "انتهى أمرنا"، كانت تصريحاً باهتاً، خاصة إن حصلت الوكالة الفيدرالية على السجلات من حساب سولي. لا يزال حساب سيث مُغلقاً، ولكن لن يدوم ذلك كثيراً.

سيفتح المصرف في اليوم التالي، وكان محامي سيث قد أخبره ألا يقوم بأي شيء. مشى إلى منزله للتحدث إليه بالنظر إلى أنه لم يتمكن من الوصول إليه عبر الهاتف. إن أي شيء يفعله سيث الآن قد يجرّمه أكثر، لا سيما وأن سولي يخضع للتحقيقات. وبسبب تهدم جزءٍ من منزله في الزلزال، لن يتمكن محامي سيث من اللقاء به حتى يوم الجمعة. وكما اتضح، سبقه مكتب التحقيقات الفيدرالية إلى ذلك. صباح يوم الجمعة، بعد أسبوعين من وقوع الزلزال، ظهر عميلان خاصان من مكتب التحقيقات الفيدرالية عند باب منزله. أدخلتهما سارة. طلبا رؤية سيث. قادتهما إلى غرفة الجلوس وذهبت لاستدعاء سيث. كان يجلس في مكتبه، المكان الذي مكث فيه وهو مصاب بالذعر لمدة أسبوعين. بدأت الأمور تتبلور، وكان من الصعب معرفة ما سيحلّ بسيث وعائلته بسبب ما ارتكبته يداه.

أمضى عميلا الوكالة الفيدرالية المركزية ساعتين مع سيث، يطرحان عليه أسئلة بخصوص سولي في نيويورك. رفض الإجابة عن أي أسئلة

عن نفسه من دون حضور المحامي وأجاب بطريقة مقتضبة عن الأسئلة المتعلّقة بسولي. هدداه بالاعتقال على الفور بتهمة إعاقة العدالة في حال رفض الإجابة عن أي من الأسئلة عن صديقه. بدا سيث شاحباً عندما غادرا. ولكنهما لم يعتقلاه. كان واثقاً من أن ذلك سيحدث قريباً.

"ماذا قالا؟"، سألته سارة بتوتر بعد مغادرتهما.

"أرادا معرفة بعض الأمور عن سولي. لم أقل الكثير، بل إنني أخبرتهما بأقل ما أمكن".

"ماذا قالا عنك؟"، سألت سارة، والقلق بادٍ عليها.

"أخبرتهما أنني لن أناقش شيئاً من دون حضور المحامي، وقالا بأنهما سيعودان. يمكنك الوثوق بذلك".

"ماذا سنفعل الآن؟"، شعر سيث بالراحة لسماعها تقول: "نفعل". لم يكن واثقاً من أن هذا ناجم عن اعتيادها استخدام الضمير المنفصل **نحن**، أو أنها بذلك تعبّر عن رأيها. لم يجرؤ على السؤال. لم تكن قد تحدثت إليه طوال الأسبوع الماضي. ولم يرغب بأن يفقد ذلك ثانيةً الآن.

"سيأتي هنري جاكوبس إلى هنا بعد ظهر اليوم". عادت الهواتف تعمل مجدداً. لقد دام انقطاع الاتصالات الهاتفية أسبوعين. إلا أنه شعر بالذعر من التحدث إلى أحد. أجرى مكالمةً مشفرةً مع سولي، وهذا كل شيء. بالنظر إلى أن المكتب الفيدرالي يحقق معه، عرف بإمكانية التنصت على هواتفه، ولم يرغب بأن يزيد الأمور تعقيداً وسوءاً.

عندما جاء، مكث المحامي مع سيث في مكتبه لما يقارب الأربع ساعات. قاما بتغطية الموضوع. أخبره سيث بكل شيء، وعندما انتهى الأمر، لم يكن محاميه متشجعاً. قال إنه حالما يتم الحصول على سجلاته من المصرف، ربما يتم استدعاؤه أمام هيئة المحلفين الكبرى ويتم اتهامه، واعتقاله بعد فترة قصيرة. كان واثقاً تقريباً بأنه سيتوجب عليه المثول أمام المحاكمة. لم يعلم ما قد يحدث سوى ذلك، ولكن تلك الزيارة الأولية من عميلي مكتب التحقيقات لم تكن إشارةً جيدةً.

لقد كانت عطلة نهاية أسبوع مروّعة بالنسبة إلى سيث وسارة. لا تزال المنطقة المالية مغلقة، بلا كهرباء ولا ماء، ولهذا لم يكن سيث قادراً حتى الآن على الذهاب إلى مركز المدينة. جلس في منزله وحسب، ينتظر الطرف الأخر ليكشف ما لديه. تحقق ذلك صباح يوم الاثنين. اتصل رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالية المحلي بسيث على جهاز البلاكبيري. قال بأن مكاتبهم الرئيسية مغلقة، وطلب لقاء المحامي وسيث في منزل الأخير بعد ظهر اليوم التالي. ذكّره بألا يغادر المدينة، وأعلمه بأنه سيخضع للتحقيق، وبأن المكتب قد تلقّى التعليمات من مفوضية النقد والسندات. كما أخبر رئيس مكتب التحقيقات سيث بأن سولي سيمثل أمام هيئة المحلفين الكبرى في نيويورك هذا الأسبوع، وهكذا ما كان سيث على علم به أصلاً.

وجد سارة في المطبخ تُطعم أوليفر. كان وجه الطفل ملطّخاً بصلصة التفاح، وكانت سارة تتحدث إليه وإلى مولي، وبرنامج سيزمي ستريت يسمع عبر المذياع. كان قد تم تأمين الطاقة الكهربائية منذ عطلة نهاية الأسبوع، ولم تحظَ بها جميع المناطق في المدينة بل بعضها فقط، على أن يتم تزويد هذه المناطق بالطاقة تدريجياً. كان الحي الذي يسكنون فيه من الأحياء القليلة التي زوّدت بالطاقة، ربما لكونه حياً فخماً، ويعيش المحافظ على بُعد بضعة شوارع منه، وكان ذلك من حسن حظهم. إذ كان الحيّ الذي يسكنون فيه يحصل على الطاقة من الشبكة الأولى، وهي الوحيدة التي تمّ إصلاحها حتى الآن. بالإضافة إلى ذلك، فُتحت بضعة محال في الأسواق التجارية، ومحال الأغذية، والمصارف.

بدت سارة مذعورة عندما أخبرها سيث بأن موعد جلسة التحقيقات تحدد في اليوم التالي. الخبر الجيد الوحيد بالنسبة إليها هو أنها بصفتها زوجته، بإمكانها أن ترفض تقديم أي شهادة ضده. وعلى أي حال، لم تكن تعرف شيئاً على الإطلاق. لم يخبرها شيئاً عن الصفقات غير المشروعة في شركته. بل كان الأمر صدمةً كبيرةً عليها.

سألت بصوت مختنق "ما الذي ستفعله؟".

"سألتقي بهم مع هنري غداً. ليس لدي خيارٌ آخر. إن رفضت، سيبدو الأمر أسوأ، وبإمكانهم الحصول على إذنٍ من المحكمة لإجباري على ذلك. سيأتي هنري إلى هنا بعد ظهر اليوم لإخباري ما يجب أن أدلي به في التحقيق". كان قد اتصل بمحاميه لحظة إنهائه المكالمة مع مكتب التحقيقات وأصرّ أن يأتي إليه على الفور.

وصل هنري جاكوبس، وقد بدا كئيباً ورسمياً بعد ظهر ذلك اليوم. فتحت له سارة الباب، واصطحبته إلى الحجرة العلوية حيث ينتظره سيث، غارقاً بأفكاره في مكتبه، ويحدق بكآبة خارج النافذة من وقت إلى آخر. غرق في التفكير طوال اليوم، وبعد محادثة قصيرة مع سارة في وقت باكر، أغلق سيث على نفسه باب الغرفة. طرقت الباب بلطف وأدخلت هنري.

نهض لتحيته، وأشار إليه ليجلس على الكرسي، وتنهد وهو يجلس. "شكراً لمجيئك، هنري. آمل أنك تحمل عصا سحرية في حقيبتك. سيتطلب الأمر عملاً بطولياً لإخراجي من هذه الورطة". مرّر يده في شعره بينما جلس المحامي كئيب الملامح قبالته.

قال هنري بغموض "هذا ممكن".

كان هنري في أوائل العقد الخامس من عمره، وقد تعامل مع قضايا مشابهة من قبل. كان سيث قد استشاره عدة مرات، لا سيّما في المأزق، إذ كان يطلب معلومات مفصّلة عن كيفية إخفاء صفقاته المشبوهة قبل حدوثها. لم يخطر في بال محاميه أن هذا ما كان يدور في عقله. بدا الأمر نظرياً بكامله وكان هنري قد افترض أن الأسئلة التي كان سيث يطرحها عليه هي لضمان عدم اقترافه أمراً قد يندم عليه. كان معجباً بسيث لتفانيه وحذره، ولكنه أدرك الآن ما كان يحدث. لم يحكم على الأمر بعد، ولكن لا شك في أن سيث في مأزق خطير، بنتائج كارثية وشيكة.

"أفهم أنك قمت بهذا من قبل"، علّق هنري عندما بدأا التحدث عن الموضوع. بدت صفقات سيث المالية فيها من الخبرة، والاطّلاع، والدقة

www.mlazna.com-RAYAHEEN

بحـيث لا يمكـن أن تكون هذه المرة الأولى التي يقترف فيها عملاً مشيناً كهذا. أومأ سيث. كان هنري ذكياً، وبارعاً بما يفعله. "كم مرة؟".

"أربع مرات".

"هل هناك أي شخص آخر متورط؟".

"لا. فقط الصديق نفسه في نيويورك. نحن صديقان منذ أيام المدرسة الـثانوية. أثـق بـه بالكامل. أعتقد بأنها ليست المشكلة الآن"، ابتسم سيث بـتجهم، ومـن ثـم رمى القلم على المكتب. "لو لم يحدث الزلزال اللعين، لكانت أمورنا بخير هذه المرة أيضاً. من كان يظن أنه سيحدث؟ كان الوقت ضـيقاً، والحظ العاثر جعل مدققي مستثمريه يأتون إليه بسرعة هائلة بعد الانتهاء من التدقيق عندي. كان الأمر لينجح لو لم يقلب الزلزال كل شيء رأسـاً علـى عقـب". كانت الأموال مجمدة في المصارف، وهذا ما سمح لمخططهما أن ينكشف.

طـيلة أسـبوعين، ظـل سيث عاجزاً عن القيام بأي شيء، وأموال مـستثمري سـولي في حساباته. ما لم يتمكّن سيث من فهمه هو ليس أن وقـوع الزلزال حال دون إخفاء جريمته، ولكن حقيقة أنه وسولي حوّلا كل تلـك الأمـوال إلى حسابيهما أصلاً. لا يمكن للأمر أن يكون أكثر مخالفةً للقوانين من ذلك، إلا في حال الهرب بالأموال بعيداً. كذبا على مجموعتين مـن المـستثمرين، بحيث أوهَمَا كلتا المجموعتين مدّعيَين وجود عائدات ضـخمة في رصيديهما، وقد تم كشفهما الآن. لم يشعر هنري بالصدمة – فالـدفاع عـن أشـخاص مثل سيث هو عمله – ولا حتى بالتعاطف حيال المشكلة التي سبّبها الزلزال. وقد قرأ سيث ذلك في عينيه. "ما الذي ينتظرنا هنا؟"، سأل سيث بصراحة. وقد غطى الذعر وجهه بالكامل.

علـم سيث أن الإجابة لن تعجبه، ولكنه أراد معرفتها. شعر بالذعر. سـتنعقد هيئة المحلفين الكبرى في نيويورك هذا الأسبوع لمقاضاة سولي، بطلـبٍ خـاصٍّ من الادعاء الفيدرالي. علم سيث بأنه سيحين دوره قريباً، بالنظر إلى ما كان قد سمعه من مكتب التحقيقات الفيدرالية.

"منطقـياً، الدليل قوي ضدك، سيث"، قال هنري بهدوء. لم يكن هناك وسـيلة لتحـسين الأمـر له. "يمتلكون أدلة مادية ضدك، من حساباتك في المصرف". كان هنري قد أخبره ألا يلمس المال لحظة اتصاله به. ولم يكن ليـتمكن مـن القيام بذلك على أي حال، ليس هناك من مكان يحوّله إليه. كانـت حـسابات سولي مجمّدة مسبقاً في نيويورك. ولا يمكنه أن يسحب سـتين مليون دولار نقداً ويخبئها في حقيبة تحت سريره. وحتى الآن على الأقل، بقي المال مجمّداً هناك وحسب. "يعمل مكتب التحقيقات باسم الوكالة الفيدرالية للاستثمار. وأعتقد أنه حالما يتم رفع تقرير بما أدليت به، ستنعقد هيـئة محلفين كبرى هنا. وربما لن تطلب الهيئة حضورك، إن كان الدليل ضـدك قـوياً بمـا يكفي. وإذا صوتت هيئة المحلفين الكبرى لإحالتك إلى المحاكمـة، فسيـصدرون التهم ضدك بسرعة، ربما يعتقلونك، ثم يحيلونك إلـى المحاكمـة. وبعـد ذلك، يعود الأمر إليّ. ولكن هناك القليل فقط مما يمكنـنا القيام به. ربما لا يكون من المنطقي أن ندفع بالأمر إلى المحاكمة. في حال كان الدليل قوياً جداً، ربما من الأفضل عقد صفقة مربحة مع هيئة المحلّفـين، ومحاولة الحصول على أقل قدر ممكن من التهم الموجّهة إليك. في حـال حـصول ذلك، ربما نتمكن من إعطائهم معلومات كافية للفوز بقضيتهم ضـد صديقك في نيويورك. وإن رضيت الوكالة بذلك، ربما نحصل على حكم مخفـف أو مدة سجن أقل. ولكنني لا أريد خداعك. وإن كان ما قلته صحيحاً، وتمكنوا من إثباته، أعتقد أنك ستدخل السجن، سيث. سيكون الأمر صعباً، بل أسـوأ مـن ذلك، لن أتمكن من إخراجك من المأزق. تركتَ آثاراً واضحةً خلفـك. لا نـتكلم عن دراهم هنا. إنه مبلغٌ هائلٌ. إن الاحتيال بمبلغ ستين ملـيون دولار لـيس بالأمـر البسيط بالنسبة إلى الحكومة. لن يسحبوا ادعـاءهم"، خطـر في باله أمرٌ آخر عندها. "هل ضرائبك نظامية؟"؛ سـتكون تلك مشكلة أخرى معقدة، وكانت سارة قد طرحت على سيث الـسؤال نفسه. فلو احتال على الضرائب أيضاً، سيسجن لوقت طويل، طويل جداً.

قال سيث وقد شعر بالإهانة "نعم ضرائبي منظمة إلى أقصى حدّ، فأنا لا أحتال على الضرائب أبداً فقط على مستثمريّ ومستثمري سولي".

"هذا خبر جيد"، قال هنري بتحفظ. وقاطعه سيث على الفور.

"مـا الـذي ينتظرني هنا، هنري؟ لكم من الوقت سأسجن، في أسوأ الأحوال، إن سار كل شيء على نحو غير مرضٍ؟".

"في أسوأ الأحوال؟"، قال هنري، متأملاً، وهو يضع كل العناصر في اعتـباره، أو تلك التي يعرفها حتى الآن. "من الصعب معرفة ذلك. يمتلك القانون والوكالة الفيدرالية آراء سلبية بشأن الاحتيال على المستثمرين... لا أعلـم. مـن دون أي نوعٍ من التعديل أو التجريم بتهم أقل، قد تسجن لمدة خمـس وعـشرين سنة، وربما ثلاثين سنة. ولكن هذا لن يحدث، سيث"، طمأنه، "يمكننا تسوية بعض من ذلك مع عوامل أخرى. في أسوأ الأحوال، ربما تتراوح عقوبة سجنك بين الخمس والعشر سنوات. وإن حالفك الحظ، ستسجن لفترة تتراوح بين السنتين والخمس سنوات. أعتقد أن ذلك سيكون أفضل ما يمكن الحصول عليه في هذه الحالة. آمل أن نتمكن من الوصول معهم إلى صفقة كهذه".

"في سجن فيدرالي؟ ألا تفترض أنهم سيوافقون على نوع من المراقبة الإلكتـرونية فـي المنزل؟ يمكنني التعايش مع ذلك بسهولة أكثر بكثير من المكـوث وراء القـضبان"، قال، بصوت خائف. "لديّ زوجة وطفلان". لم يخبـره هنري أنه كان يتوجب عليه أن يفكر في ذلك مسبقاً، ولكنها فكرة خطـرت في باله. كان سيث في السابعة والثلاثين من عمره، جشعاً وغير أمين، لقد دمّر حياته وحياة أفراد عائلته أيضاً. لن يكون الأمر جميلاً، ولم يـرغب بـأن يعطـي سـيث انطباعاً مغلوطاً أن بإمكانه إنقاذه من مسألة التعويض على المجتمع جرّاء ما اقترفته يداه. أولئك الفيدراليون المنشغلون بالأمر لا يمزحون. يكرهون الرجال أمثال سيث ممن يتملّكهم الجشع وحب الـذات، ويعتقدون أنهم فوق القانون. إن القوانين التي تحكم عمل الشركات والمؤسسات الاستثمارية قد وُضعت لحماية المستثمرين من رجال مثله. لا

تزال قوانين الشركات الاستثمارية تمتلك بعض المنافذ، ولكنها ليست كبيرة بما يكفي للتنصّل من جريمة كهذه. فعمل هنري يقضي بحماية سيث، مهما كانت النتيجة. في هذه الحالة، ربما تكون سيئة. لا مجال لإنكار أنها قضيةٌ صعبةٌ، في أفضل أحوالها.

"لا أعتقد أن إيقاءك هنا مع قيود أمر منطقي"، قال هنري بصراحة. لا يـريد أن يكـذب علـيه. لم يرغب بأن يثير ذعره بإفراط أيضاً، ولكن يتوجب عليه أن يكون صادقاً معه حيال الفرص التي يمتلكها. "ربما يمكنني الحـصول علـى إطـلاق سراح مشروط في وقت مبكر. ولكن ليس في الـبداية. سيث، أعتقد أنه يتوجب عليك مواجهة حقيقة أنك ستسجن لبعض الوقت. نأمل ألا يكون ذلك لفترة طويلة جداً. ولكن بالنظر إلى المبلغ الذي عبثـتما بـه أنت وسولي، ستكون هذه تهمة كبيرة، إلا في حال تمكّنا من التوصّـل إلى شيء يقنعهم بعقد صفقة مربحة معنا. وحتى إن حدث ذلك، فلن تخرج من دون أن تدفع الثمن". كان ذلك مشابهاً نوعاً ما لما قاله سيث لـسارة فـي الصباح الذي تلا الزلزال. لحظة وقوعه وانقطاع الاتصالات الهاتفـية، علـم أن أمـره قد انتهى. وكذلك هي. وكان هنري ينطق بذلك بوضـوح أكثـر. ناقشا التفاصيل بعد ذلك، وكان سيث صادقاً معه تماماً. تـوجب علـيه ذلـك. احتاج إلى مساعدته، ووعد هنري بأن يرافقه إلى اجـتماعه مع أعضاء مكتب التحقيقات بعد ظهر اليوم التالي. ستلتقي هيئة المحلفين الكبرى في نيويورك بسولي في الوقت نفسه تقريباً. غادر هنري عند السادسة عصراً، وخرج سيث من مكتبه مُستنزفاً.

نـزل لـيجد سارة في المطبخ، تطعم الطفلين. كانت بارماني تنجز أعمال الغسيل في الأسفل. بدت سارة قلقةً عند دخول سيث.

"ما الذي قاله؟". مثل سيث، كانت تأمل بحدوث عمل بطولي. فإنقاذه يـتطلب ذلك حتماً. جلس سيث متثاقلاً على كرسي المطبخ، ونظر بتعاسة إلى طفليه، ثم إليها. كانت مولي تحاول أن تريه شيئاً، ولكنه تجاهلها. كان يفكّر في أمور كثيرة.

"كمـا ظننـت". قـرر أن يخبرها عن أسوأ الاحتمالات في البداية. "قال بأننـي ربما أدخل السجن لثلاثين سنة. إن حالفني الحظ، وأرادوا عقد صفقة، ربمـا تتراوح فترة سجني بين سنتين وخمس سنوات. سيتوجب عليّ أن أوقع بسولي للقيام بذلك، ولا أريد فعل ذلك حقاً"، تنهد عندها، محاولاً إظهار الجانب الآخر من نفسه لها. "ولكن ربما أضطر إلى ذلك. حياتي على المحك".

"وكـذلك حياته". لم تحب سولي إطلاقاً. اعتقدت بأنه سيّئ الأخلاق، ولطالمـا كـان متباهياً من وجهة نظرها. لقد كانت محقة. إنه رجل سيّئ. ولكـن سيث سيّئ أيضاً. وكان مستعداً للإيقاع بصديقه حقاً، وهذا ما جعله يـبدو أسوأ مما عليه حتى. "ماذا إن أوقع بك أولاً؟". لم يكن سيث قد فكّر فـي هذا. لقد كان سولي غارقاً في العملية أكثر منه. ربما في هذه اللحظة بالـتحديد، يعمل سولي على تملق الوكالة الفيدرالية ومكتب التحقيقات. لن يدع الأمر يفوته. كما أن سيث مستعدّ للقيام بذلك أيضاً. قرر ذلك من قبل، بعد كل شيء قاله محاميه. لا يريد أن يسجن لثلاثين سنة، فهو مستعدّ للقيام بـأي شـيء الآن لإنقاذ نفسه. حتى إن اقتضى ذلك الإيقاع بصديقه. رأت سـارة ذلـك على وجهه، وهذا ما جعلها تشعر بالغثيان، ليس لأنه سيوقع بسولي، الذي يستحق ذلك برأيها، ولكن لعدم وجود أي شيء مقدس بالنسبة إلـيه، سـواء مستثمريه، أو شريكه في الجريمة، أو حتى زوجته وطفليه. أخبرها ذلك عن مكانتها وعمن يكون.

"مـاذا عـنك؟ أيـن أنت من كل هذا؟"، سألها سيث والقلق بادٍ على وجهـه، بعـد أن أخذت بارماني الطفلين إلى الأعلى للاستحمام. على أي حال، كانت المحادثة تتجاوز مستوى فهم مولي، وأولي مجرد رضيع.

"لا أعرف"، قالت سارة وهي غارقة في التفكير. أخبره هنري أنه من المهم أن تحضر جلسات الاستماع والمحاكمة. أياً كان مظهر الاحترام الذي بإمكانهم منحه له فهو بالغ الأهمية الآن.

قال بصدق "أنا بحاجة إليك في أثناء المحاكمة، بل سأكون أكثر حاجةً بعـد ذلك. ربما أذهب لوقت طويل". ملأت الدموع عينيها وهو يقول ذلك،

ونهضت هي، ووضعت الأطباق في الحوض. لم ترغب بأن يراها طفليها تبكـي، أو حتى هو. ولكن سيث لحقها إلى حيث تقف. "لا تتركيني الآن، سارة. أحبك. أنت زوجتي. لا يمكنك تركي الآن". كان يتوسل إليها.

"لمـاذا لم تفكر في ذلك من قبل؟"، قالت ذلك وكأنها تهمس والدموع تنهمـر على وجنتيها، بينما كانت تقف في المطبخ الجميل، في منزل أحبته كثيـراً. إن مشكلتها في وضعهما الحالي لا تتعلق بإنقاذ منزلهما أو أسلوب حـياتهما، بل بحقيقة أنها متزوجة برجل محتال وكاذب إلى درجة دمرت حياتهما ومستقبلهما، ويقول إنه بحاجة إليها الآن. ماذا عما تحتاج إليه هي وطفلاهـا؟ ماذا إن دخل السجن لثلاثين سنة؟ ما الذي سيحدث لهم جميعاً؟ ما الحياة التي ستعيشها هي وطفلاها؟

"كـنت أبني شيئاً لنا"، شرح سيث لها بضعف، وهو يقف قربها عند الحوض. "كنت أفعل ذلك لك، سارة، لهما"، لوح دونما تحديد نحو الطفلين في الأعلى. "أعتقد أنني حاولت إنجاز ذلك بسرعة هائلة، فانفجر كل شيء فـي وجهي"، أخفض رأسه وبدا الخزي عليه. ولكنها تمكنت من رؤية أنه يـتلاعب فـيها الآن، تمامـاً كمـا كـان مستعداً لخيانة صديقه، الأمران متشابهان. كل شيء يتعلق فيه. والباقي إلى الجحيم.

ذكّرته سارة "حاولت إنجاز ذلك بصورة غير نزيهة. وهذا يختلف، لا يتعلق الأمر ببناء شيء لنا. إنه يتعلق بك، لتكون بارعاً كبيراً وفائزاً هاماً، مهمـا تطلـب ذلك، على حساب الجميع، حتى الأطفال. إن دخلت السجن لثلاثـين سـنة، لـن يعرفانك حتى. سيريانك مرة بين كل حين في أوقات الزيارات. بحق الله، ربما تكون ميتاً حتى".

قـال سـيث "شكراً لك". مع ظهور شيء قبيح في عينيه. "لا تكوني واثقـة مـن ذلـك كثيـراً. سأصرف كل فلس لإحضار أفضل المحامين، وسأسـتأنف المحاكمة إلى الأبد إن تطلب ذلك". ولكنهما كانا يعرفان تماماً بأنـه عاجلاً أو آجلاً سيتوجب عليه دفع ثمن جرائمه. وهذه الأخيرة كانت بمثابة الطريق المؤدي إلى جميع الجرائم الأخرى المشابهة التي اقترفها هو

www.mlazna.com-RAYAHEEN

وسولي. سيتحطمان، معاً، وبقوة، ولم ترغب سارة بأن يحطمها هي وطفليها معه، مهما تطلب الأمر. "وماذا عن عبارة *في السراء أو الضراء*؟".

"لا أعتقد أنهم قصدوا بها الجرائم المالية وثلاثين سنة في السجن"، قالت سارة، وصوتها يرتجف.

"قُصد بها الوقوف إلى جانب زوجك عندما يكون غارقاً حتى أذنيه في المصائب. حاولت أن أبني حياة لنا، سارة. حياة جيدة. حياة كبيرة. لم أسمع تذمرك عن *السراء* عندما اشتريت هذا المنزل، وتركتك تملئينه بالأعمال الفنية، واشتريت لك المجوهرات والملابس الثمينة ومنزلاً في تاهو وطائرة. لم أسمعك تقولين بأن هذا كثير جداً". لم تتمكن من تصديق ما الذي يقوله لها الآن. إن مجرد الاستماع له جعلها تشعر بالغثيان أكثر.

ذكّرته "أخبرتك أن ذلك باهظ جداً وكنت قلقة، قمت بذلك كله بسرعة هائلة". ولكن الآن، كلاهما يعرف كيف. لقد اعتمد لتحقيق نجاحه على مكاسب غير شرعية، على خداع مستثمريه لجعلهم يصدقوا أنه يمتلك أكثر من الواقع، ليغدقوا عليه بالمزيد من الأموال لاستثمارات محفوفة بالمخاطر. وكل ما عرفته هو أنه يختار الأفضل منها وحسب. عند التفكير في الأمر الآن، أدركت أنه ربما فعل ذلك. لم يكن ليوقفه أي شيء للوصول إلى القمة، والآن حان دور السقوط المميت إلى الأسفل. ربما حتى يكون مميتاً لها، بعد أن دمر حياتهم.

خاطبها لاتماً "لم أشاهدك تعيدين أياً منها، أو حتى تحاولين إيقافي". فثبتت نظرها في عينيه.

"هل كان بإمكاني إيقافك؟ لا أظن ذلك، سيث. أعتقد أن جشعك وطموحك كانا يقودانك للقيام بما تقوم به، ومهما كان الثمن. لقد تجاوزت جميع الحدود، والآن يتوجب علينا أن ندفع الثمن".

"أنا من سيجلس في السجن، سارة، وليس أنت".

"ما الذي كنت تتوقعه عندما اقترفت أموراً كهذه؟ أنت لست بالبطل الأسطوريّ، سيث، أنت محتال". كانت تبكي مجدداً، واندفع هو خارج

الغرفة، وأغلق الباب بقوة. لم يكن يرغب بأن يسمع ذلك منها. أراد معرفة أنها ستسانده مهما حدث. لكنه كان يعرف أنه يطلب الكثير، وأنه ينال منها ما يستحقه".

كانت ليلة طويلة مؤلمة عليهما. ظل في مكتبه حتى الرابعة صباحاً، ومكثت هي في غرفة الضيوف. تمدد أخيراً على سريرهما عند الخامسة ذلك الصباح، ونام حتى الظهر. نهض في الوقت المناسب ليجهز نفسه للقاء محاميه وأعضاء مكتب التحقيقات. كانت سارة قد أخذت الطفلين إلى الحديقة مسبقاً. لا تزال من دون سيارة بعد خسارة سيارتيهما في الزلزال، ولكن بارماني امتلكت سيارة الهوندا القديمة، والتي كانوا يستخدمونها. كانت سارة تشعر بالغضب الشديد، ما منعها حتى من استئجار سيارة، وسيث لم يكن يذهب إلى أي مكان، لذا لم يستأجر واحدة هو أيضاً. كان محبوساً في منزلهم، مذعوراً جداً بشأن مستقبله وذلك منعه من أن يتحرك أو يخرج.

كانوا في طريقهم عائدين من الحديقة عندما راودت سارة فكرة، وسألت بارماني إن كان بإمكانها استعارة سيارتها للقيام بمهمة. أخبرتها أن تأخذ الطفلين إلى المنزل ليأخذا قيلولة. أجابتها المرأة النيبالية الطيبة بأنها ترحب بالأمر. علمت بوجود خطب ما، وخشيت أن شيئاً يحدث بينهما، ولكن لم يكن لديها أدنى فكرة عما يكون ولم تكن لتسأل أبداً. اعتقدت ربما أن سيث يقيم علاقة، أو يواجهان مشكلة في علاقتهما. لم تكن لتصدق أن سيث على وشك أن يحاكم وربما يدخل السجن، أو حتى أنهم قد يخسروا منزلهم. كل ما تعرفه هو أنهما شابان ثريان مستقران، وذلك تماماً ما كانت سارة تظنه قبل أسبوعين ونصف، وقد علمت الآن أنهما لا شيء. شابان ربما، ولكن الثراء والاستقرار خرجا من المنزل مع الزلزال. وكذلك أدركت الآن أنه قد يتم القبض عليه عاجلاً أم آجلاً. ليس بإمكان المرء فعل ما فعله، وألا يُفضح بعد فترة ما. إن ذلك أمرٌ محتمٌ، ولكنها لم تكن تعرف وحسب.

عندما أعارتها بارماني السيارة، قادت سارة مباشرةً أسفل التل ثم شمالاً إلى ديفيسادييرو. التفت يساراً إلى جادة مارينا، ثم إلى بارسيدو بعد

مـــرورها بحقـــل كريـــسي. كانت قد حاولت الاتصال بماغي عبر هاتفها الخلـــوي، ولكنه كان خارج الخدمة. لم تعرف حتى ما إن كانت ماغي لا تـــزال في المشفى الميداني هناك، ولكنها احتاجت إلى أن تتحدث إلى أحد، ولـــم تتمكن من التفكير في أحد سواها. من المستحيل أن تخبر والديها عن الكارثـــة التي سببها سيث. ستصاب والدتها بالهستيريا، وسيغضب والدها مـــن ســـيث كثيراً. مع علمها أنهما سيقرأان الخبر سريعاً من الصحف إذا وصـــلت الأمـــور إلـــى السوء الذي يعتقدان أنها ستكون عليه. علمت أنه يتوجب عليها إخبارهما قبل أن يصل الخبر إلى الصحف، ولكن ليس الآن، كل ما تحتاج إليه الآن هو شخص عاقل منطقي تتحدث إليه، لتفرغ كل ما في قلبها وتشاركه مصائبها. أخبرها حدسها أن الأخت ماغي هي الشخص المناسب.

ركنت السيارة الصغيرة البالية خارج المشفى الميداني، ودخلته. كانت علـــى وشك أن تسأل ما إن كانت الأخت ماري مجدلين لا تزال تعمل هنا عـــندما رأتهـــا تـــسرع نحو نهاية الصالة، تحمل كومة من الشاس الطبي والمناشـــف والتـــي كانت أطول منها تقريباً. اتجهت سارة نحوها، وحالما رأتها، نظرت ماغي إليها باستغراب.

"كـــم مـــن اللطيف رؤيتك، سارة. ما الذي أتى بك إلى هنا؟ هل أنت مريـــضة؟". كانت غرف الطوارئ في جميع مشافي المدينة تعمل بصورة كاملة الآن، بالرغم من أن المشفى الميداني في بريسيديو لا يزال بالخدمة. ولكنه لم يكن مزدحماً كحاله قبل بضعة أيام.

"لا... أنـــا بخيـــر... أنا... أنا آسفة... هل تملكين الوقت للتحدث؟"؛ رأت ماغـــي النظـــرة في عينيها، فأنزلت على الفور ما كانت تحمله على سرير فارغ.

"هيا نذهب. لمَ لا نذهب ونجلس على الشاطئ لبضع دقائق؟ سنشعر هناك بالراحة. أنا هنا منذ السادسة صباحاً".

"شـــكراً لـــك"، قالت سارة بهدوء، وتبعتها إلى الخارج. مشيتا على الطريق إلى الممر ثم إلى الشاطئ، تجريان حديثاً عادياً. سألتها ماغي عن

صحة أولي، وأخبرتها سارة أنه أصبح بخير. وفي النهاية، وصلتا الشاطئ، وجلـــستا على الرمال. كانتا ترتديان الجينز، وبدا الخليج متلألئاً ومنبسطاً. كان يوماً رائعاً آخر. كان ذلك أجمل شهر أيار يمكن لسارة أن تذكره، بالرغم من أن العالم بدا مظلماً جداً بالنسبة إليها الآن. لا سيما عالمها وعالم سيث.

"مـــا الذي يحدث؟"، سألت ماغي بلطف وهي تنظر إلى وجه المرأة الشابة. بدت عالقة في مشاكل كبيرة، وكان هناك ألم لا نهاية له في عينيها. اعـــتقدت ماغي أن هناك مشكلة في زواجها. كانت سارة قد لمحت وجود شيء من قبل عندما جلبت رضيعها المصاب بالتهاب في أذنه. ولكن مهما كانت المشكلة، أحست ماغي بأنها ازدادت سوءاً. بدت مهتاجة بشدة.

"لا أعـــرف حتـــى من أين أبدأ"، انتظرت ماغي، بينما عثرت سارة علـــى الكلمـــات. قبل أن تفعل، ملأت الدموع عينيها، وبدأت تنهمر على وجنتـــيها. لم تقم بأي حركة لإبعادها، بينما جلست الأخت اللطيفة بجانبها وهي تتلو الدعاء بصمت. تضرعت لله لترفع الأعباء المثقلة بها سارة عن قلـــبها. "إنه سيث..."، بدأت أخيراً، ولم تكن ماغي متفاجئة. "شيءٌ مروعٌ حـــصل... لا... هو قام بشيء فظيع... شيء خاطئ جداً... وتم الإمساك بـــه". لم تتمكن ماغي حتى من تخيل ما هو ذلك، وتساءلت إن كان علاقةً عرفت بها سارة، أو ربما شكت بوجودها مسبقاً.

"هل أخبرك بالأمر هو نفسه؟"، سألت ماغي بلطف.

"نعـــم، ليلة الزلزال، عند وصولنا المنزل، أقصد في الصباح التالي". بحثت عينا ماغي قبل أن تخبرها القصة الكاملة، ولكنها عرفت أن بإمكانها الوثوق فيها. لقد حافظت ماغي على جميع أسرار الناس لنفسها، وشاركتها مـــع الله وحـــسب، عندما تتلو الدعاء. "اقترف أمراً غير شرعي... حوّل أمـــوالاً لم يتوجب أن يمتلكها إلى شركته. كان سيخرجها مجدداً، ولكن مع وقوع الزلزال، أُغلقت جميع المصارف، لذا بقي المال هنا ولم يحول، علِمَ أن أمره سيفتضح. قبل أن تفتح المصارف أبوابها من جديد". صمتت ماغي ولكنها بدت متفاجئة. من الواضح أنها مشكلة أكبر بكثير مما توقعت.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"وهل كُشف؟".

"نعم"، أومأت سارة بيأس. "لقد تم ذلك. في نيويورك. يوم الاثنين بعد الزلزال. تم نقل ذلك إلى الوكالة الفيدرالية للاستثمار. وأعلموا ذلك لمكتب التحقيقات الفيدرالية هنا. إنهم يجرون التحقيقات، وربما سيتم عقد جلسة لهيئة محلفين كبرى ثم محاكمة". توقفت عن الكلام لتجمع أفكارها. "إن أُدين، سيدخل السجن لثلاثين سنة. ربما أقل، ولكن ذلك في أسوأ الأحوال. ويتحدث الآن عن الإيقاع بصديقه الذي ساعده على القيام بذلك. لقد بدأت التحقيقات مع صديقه قبله في نيويورك". بدأت تبكي بصوتٍ أعلى من قبل حتى، ومدت يدها، وأمسكت بيد الأخت. "ماغي... لا أعلم حتى من هو. ليس الرجل الذي ظننته. إنه رجل مخادع ومحتال. كيف أمكنه فعل هذا بنا؟".

"هل كنت تشكّين في أي من هذا؟"، بدت ماغي قلقة عليها. إنها في الحقيقة قصة مروّعة.

"إطلاقاً... لا شيء... اعتقدت أنه نزيه بالكامل، ومجرد شخص ذكي وناجح على نحو لا يصدق. اعتقدت أننا ننفق الكثير من المال، وظل يقول أننا نمتلكه لننفقه. لا أعلم الآن حتى إن كانت تلك أموالنا أو لا. الله وحده يعرف ما اقترف أيضاً. أو ما الذي سيحدث الآن. ربما نخسر منزلنا... ولكن الأسوأ، أنني خسرت زوجي، إنه رجل مُدان. لن يتمكن أبداً من الخروج من هذه الورطة. ويريدني أن أقف إلى جانبه، وأظل معه. يقول بأن هذا ما وافقت عليه، *في السراء والضراء*... وما الذي سيحدث لي وللطفلين إن دخل السجن؟". علمت ماغي أنها لا تزال شابة، ومهما حدث، يمكنها أن تبدأ حياتها من جديد. ولكن ليس هناك شك في أن هذه طريقة مروعة لأن تنتهي بها الأمور مع سيث، إن أنهياها كذلك. بدت الأمور مروّعة حتى بالنسبة إليها، مع قلة المعلومات التي عرفتها.

"هل تريدين الوقوف إلى جانبه، سارة؟".

"لا أعرف. لا أعرف ما الذي أريده أو أفكر فيه. كنت أحبه، ولكن الآن لست واثقة، إنني لا أعرف ممن كنت متزوجة طوال أربع سنوات، أو

عرفت لسنتين قبل ذلك. إنه محتال حقاً. وماذا إن لم أتمكن من أن أسامحه على فعلته هذه؟".

"تلك قصة مختلفة"، قالت ماغي بحكمة. "يمكنك أن تغفري له وألا تمكثي معه في الوقت نفسه. لديك الحق أن تقرري من وماذا وكم مقدار الحرمان الذي تريدينه في حياتك. المسامحة قصة مختلفة بالكامل، وأنا واثقة أنك مع الزمن ستفعلين. ربما من الباكر جداً بالنسبة إليك أن تتخذي أي قرارات كبرى. تحتاجين إلى أن تفكري في الأمر لبعض الوقت وتنتظري لتعرفي حقيقة مشاعرك. ربما تقرري أن تمكثي معه في النهاية، وتقفي إلى جانبه، وربما لا. لا يتوجب عليك أن تصدري هذا القرار الآن".

"يقول أنه يتوجب عليّ ذلك"، قالت سارة هذا وهي تبدو حزينة جداً ومضطربة.

"ليس من حقه قول ذلك. الأمر يعود لك. إنه يطلب الكثير منك بعد ما فعله. هل جاءت السلطات لرؤيته؟".

"أعضاء من مكتب التحقيقات الفيدرالية معه الآن. لا أعرف ما الذي سيحدث".

"سيتوجب عليك الانتظار ورؤية ذلك".

"لست واثقة مما أدين له، أو ما أدين به لطفليّ ولنفسي. لا أريد أن أندمر معه، أو أكون زوجة لرجل في السجن لعشرين أو ثلاثين سنة، أو حتى خمس سنوات. لا أعلم إن كنت قادرة على القيام بذلك. ربما ينتهي بي الأمر وأن أشعر بالكره تجاهه".

"آمل ألا تفعلي، سارة، مهما كان قرارك. لست بحاجة إلى أن تكرهيه، هذا سيؤلمك فقط. لديه الحق بأن تتعاطفي معه وتسامحيه، ولكن ليس ليدمّر حياتك أو حياة طفليك".

"هل أدين له بهذا، بصفتي زوجته؟"؛ كانت عينا سارة كقطعٍ لا تحصى من الألم، والارتباك والشعور بالذنب، وشعرت ماغي بالأسى العميق عليها، عليهم جميعاً في الحقيقة. إنهم في كارثة فظيعة، ومهما

اقتـرف هو نفسه، شكت بأن حال سيث في الوقت الراهن ليس أفضل من حال زوجته، وكانت على حق.

"تدينـين لـه بـتفهمك وشفقتك وعطفك، وليس حياتك، سارة. لا يمكنك أن تمنحيها له، مهما فعلت. ولكن قرار الوقوف إلى جانبه أو لا هـو قـرارك بالكامـل، مهمـا قال. إن كان ذلك أفضل بالنسبة إليك ولطفلـيك، تمتلكـين الحـق بهجره. الأمر الوحيد الذي تدينين به هو المسامحة. والباقي يعود لك. أما المسامحة فتحمل في طياتها نوعاً من الـنعمة العظيمة. وهذا وحده يباركما في النهاية". كانت ماغي تحاول أن تقدم لها نصيحة عملية، ممزوجة بمعتقداتها القوية، المعتمدة بكاملها على الرحمة والغفران والحب.

"لم أشهد موقفاً مشابهاً لهذا من قبل"، اعترفت ماغي بصدق. "لا أريد تقـديم نصيحة سيئة. أريد فقط إخبارك برأيي. وما تفعلينه يعود لك. ولكن ربمـا من المبكر جداً أن تقرري. إن كنتِ لا تزالين تحبينه، فهذا جيد بما فـيه الكفاية. ولكن كيف يظهر هذا الحب في النهاية، وكيف تعبرين عنه، سـيكون خـيارك. ربمـا يكون من الأفضل بالنسبة إليك وإلى طفليك في الـنهاية أن تتـركيه. يـتوجب عليه أن يدفع ثمن أخطائه، ويبدو أن الثمن سـيكون باهظاً جداً. لا يتوجب عليك ذلك. ولكن إلى حد ما، ستفعلين على أي حال. لن يكون الأمر سهلاً عليك أيضاً، مهما قررت فعله".

"إنـه لـيس بالسهل. يقول سيث إننا ربما سنخسر المنزل. بإمكانهم الاستيلاء عليه. أو ربما يتوجب علينا بيعه لدفع أتعاب محاميه".

"أيـن ستذهبين؟"، سألت ماغي بنظرةٍ من القلق. كان من الواضح أن سـارة تـشعر بالضياع، ولهذا السبب جاءت لرؤيتها. "هل عائلتك هنا؟"، هزت سارة رأسها نافيةً.

"انتقل والداي إلى بيرمودا. لا يمكنني المكوث معهما، إنها بعيدة جداً. لا أريـد إبعاد الطفلين عن سيث. ولا أريد أن أقول أي شيء لوالدي بعد. أعـتقد أنـه إن خـسرنا المنـزل، يمكننـي الحصول على شقة صغيرة،

وسـيتوجب علـيّ العمل. لم أعمل منذ تزوجنا، لأنني أردت المكوث في المنـزل مع الطفلين، وقد كان ذلك رائعاً. ولكن لا أعتقد أن أمامي الكثير مـن الخـيارات. يمكنني الحصول على عمل إن أردت. أحمل شهادة في إدارة الأعمـال. هكـذا التقـيت أنا وسيث، في كلية ستانفورد للأعمال"، ابتـسمت ماغـي لهـا، وفكّرت في أن زوجها قد حال دون استفادتها من شهادته القيمة في إدارة الأعمال. ولكن سارة على الأقل تمتلك التعليم الذي يخـولها الحـصول على عمل جيد وإعالة نفسها وطفليها إن احتاجت إلى ذلك. لم تكن تلك المشكلة. علامة الاستفهام الكبرى هو زواجهما، ومستقبل سـيث إن تمـت محاكمـته، وهذا بدا شيئاً مؤكداً. تماماً كما تفعل الإدانة النهائية، إن كان ما قالته سارة صحيحاً، وبدا أنه كذلك.

"أعـتقد أنك تحتاجين إلى منح نفسك بعض الوقت، إن كنت مستعدة لـذلك، وسترين كيف تجري الأمور. ليس هناك شك في أن سيث اقترف أخطـاءً محطمـةً هنا. أنت وحدك فقط تعلمين إن كان بإمكانك مسامحته، ولـديك الـرغبة بالبقاء معه. صلي لذلك، سارة"، حثتها، "ستأتي الإجابات عندما تُحل الأمور. في النهاية ستتضح الصور، وربما أسرع مما تعتقدين"، أو أسـرع ممـا تريد هي حتى. تذكرت ماغي أنها غالباً عندما كانت تتلو الدعاء ليتضح موقف ما، كانت الإجابات تأتي أكثر وضوحاً وصراحةً مما أرادت، خاصة إن لم تكن تحبها. ولكنها لم تقل ذلك لسارة.

"يقول إنه يحتاج إليّ في أثناء المحاكمة"، قالت سارة بتجهم. "سأكون هـناك معـه. أشعر بأنني أدين له بذلك. ولكن الأمر سيكون فظيعاً جداً. سيظهر كمجرم حقيقي في الصحف"، وهذه هي حقيقته، وعرفتا ذلك تماماً. "هذا مهين جداً".

حـذّرتها ماغـي: "لا تتصرفي بدافع الغرور والتكبر سارة، اجعلي الحـب مـصدر تصرفاتك، إن كان الحب هو مصدر التصرفات فستكون تصرفات ينعم الجميع بحسناتها. وهذا حقاً ما نريده هنا. الإجابة الصحيحة، القرار الصحيح، المستقبل الصحيح لك وللطفلين، سواء أكان يضم سيث أو لا.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

سـيظلان طفلـيه دائمـاً، هو والدهما، مهما انتهى الأمر. السؤال هو هل سيحظى بك. والأهم من ذلك، إن كنت تريدينه أن يحظى بك".

"لا أعلم. لا أعلم من هو. أشعر وكأنني أحببت وهماً طوال السنوات الـست الماضية. ليس لدي أي فكرة عن حقيقة هذا الرجل، إنه آخر رجل على الكوكب كنت أشك ولو للحظة في أنه محتال".

"لا يمكن لأحد أن يعرف أبداً"، قالت ماغي وهما تنظران إلى الخليج. "يقوم الناس بأمور غريبة. حتى الأشخاص الذين نعتقد أننا نعرفهم ونحبهم. سأدعو لك"، طمأنتها. "وادعي أنت أيضاً، وسلّمي الأمر لله. دعيه يساعدك على اختيار طريقك". أومأت سارة، والتفت إليها بابتسامة صغيرة.

"شـكراً لـك. علمت أن التحدث إليك سيساعدني. لا أعرف ما الذي سأفعله بعد، ولكنني أشعر بتحسن. كنت كالمجنونة عندما أتيت لرؤيتك".

"تعالـي لرؤيتـي فـي أي وقت، أو اتصلي بي. سأظل هنا لبعض الوقت". لا يزال هناك الكثير أمامها لتفعله لجميع الأشخاص الذين وضعهم الزلـزال هنا وسيعيشون في بريسيديو لعدة أشهر. لقد كانت أرضاً وفيرة بالنشاط لها، وتناسب مهمتها كأخت. فقد جلبت الحب، والطمأنينة، والراحة لكـل من لمست. "كوني رحيمة"، كانت الكلمتان الأخيرتان اللتين نصحتها بهما. "الرحمة شيء هام في الحياة. ولا يعني هذا أن تظلي معه، أو تسلمي حياتك الخاصة له. ولكن يتوجب عليك أن تكوني رحيمة ولطيفة معه ومع نفـسك عـندما تصدرين قرارك، مهما كان في النهاية. الحب لا يعني أن تظلـي معه، بل أن تكوني عطوفة. من هنا تأتي النعمة. ستعرفينها عندما تحظين بها".

"شـكراً لـك"، قالـت سارة وهي تعانقها، كانتا تقفان خارج المشفى الميداني مجدداً. "سأبقى على اتصال".

"سـأدعو لـك"، طمأنتها ماغي، ولوّحت مع ابتسامة محبة عندما انطلقـت سـارة بعيداً. لقد كان الوقت الذي مكثتا فيه معاً هو تماماً ما تحتاج إليه سارة.

عـادت إلـى جادة مارينا في سيارة بارماني، وجنوباً أعلى التل إلى ديفيـسادييرو. تـوقفت هـناك في الوقت الذي غادر فيه كل من العميلين الفيدراليـين، وشـعرت بالامتـنان لأنها لم تكن هناك. انتظرت حتى قادا سـيارتهما بعـيداً، ثـم دخلت. كان هنري يناقش بعض الأمور مع سيث. انتظرت حتى غادر هو أيضاً، ثم دخلت مكتب سيث.

"أين كنت؟"، سألها وهو يبدو مُنهكاً بالكامل.

"احتجت إلى بعض الهواء النقي. كيف كان الأمر؟".

قـال بكآبـة "سيئ نوعاً ما، كانوا واضحين. إنهم يطالبون بالشهادة الأسـبوع القادم. سيكون هذا صعباً، سارة. لقد كان من اللطيف لو مكثت هـنا اليوم". كانت عيناه ممتلئتين بالخزي. لم تشاهده بمثل هذه الحالة من قبل. تذكرت ما قالته ماغي، وحاولت أن تتعاطف معه. مهما كانت الأمور التـي سببها لها بصورة غير مباشرة، فهو في ورطة كبيرة الآن، وشعرت بالأسف عليه، أكثر مما شعرت قبل أن تذهب لرؤية ماغي في ذلك اليوم.

سألت والقلق في عينيها "هل أراد العميلان رؤيتي؟".

"لا. لا علاقـة لك بالأمر أبداً. أخبرتهم أنك لا تعرفين شيئاً عن هذا. لا تعملين معي. ولا يمكنهم إجبارك على الشهادة ضدي على أي حال، أنت زوجتي"، بدت سارة مطمئنة لما قاله. "أردتك أن تكوني هنا من أجلي".

"أنا هنا، سيث"، الآن على الأقل. كان ذلك أفضل ما يمكنها فعله.

"شـكراً لـك"، قال بهدوء، ثم غادرت الغرفة، وصعدت إلى الأعلى لـرؤية طفلـيها. لـم يقل لها أي شيء سوى ذلك، وحالما خرجت، وضع وجهه بين يديه وانهار بالبكاء.

الفصل الثاني عشر

طـوال الأيـام العـشرة التالية، استمرت الإجابات على ألغار سيث بالظهور. قدّم الإدعاء الفيدرالي قضيته أمام هيئة المحلفين الكبرى، والذين وجدوا بدورهم موجباً لإحالة سيث إلى المحاكمة. بعد يومين، جاء عميلان فيدراليان لاعتقاله. أعلماه بحقوقه، وأخذاه إلى دار القضاء الفيدرالي حيث تـم تـصويره، ومن ثم اتُهم رسمياً، وحجز عليه. قضى الليلة في السجن، وفي اليوم التالي أطلق القاضي سراحه لقاء كفالة مالية.

أعـيدت الأموال التي أودعت على أسس الاحتيال في المصرف إلى نيويورك، بأمر من المحكمة، لتعويض مستثمري سولي. وبهذا لا يتعرّض مستثمرو سولي لأي خسارة، في حين تم إظهار السجلات لمستثمري سيث والتـي ضخمها هو نفسه بمقدار ستين مليون دولار عما هي في الحقيقة. وبناءً على سجلات سيث المخادعة التي قدّمها لهم، استثمروا في الشركة. إن طبـيعة وقـسوة جـريمة سيث دفعتا القاضي لتحديد مبلغ الكفالة بقيمة عشرة مليون دولار. توجب عليه دفع مبلغ مليون دولار للكفيل ليخرجه من السجن. وهذا كان كفيلاً بسحب كل السيولة النقدية التي كانت لديه. رأوا أن لا خشية من هربه، وتمكنوا من إخراجه بكفالة لعدم اقترافه أي جريمة قتل أو استخدامه العنف الجسدي. إن ما اقترفه كان أكثر روعة من هذا كله. لم يكـن لهـم خيار آخر سوى وضع منزلهم رهناً لدفع الكفالة. ثُمن المنزل بحوالـى خمسة عشر مليون دولار، وليلة خروجه من السجن، أخبر سارة أنـه يتوجب عليهم بيع المنزل. بإمكان الكفيل أن يحتفظ بعشرة ملايين من

ثمـنه كضمان إضافي، والملايين الخمسة الأخرى احتاج إليها لدفع أتعاب محاميه. أخبره هنري مسبقاً أن أتعابهم ربما تصل إلى ثلاثة ملايين دولار حتـى انتهاء المحاكمة. فالقضية معقدة. أخبر سارة أنه يتوجب عليهم بيع منـزل تاهو أيضاً. احتاجوا إلى بيع أكثر ما أمكن. أما الخبر الجيد الوحيد هـو أن منـزلهم فـي ديفاسيديرو كان ملكهم بكامله وخالياً من أي رسوم ضـريبية. ولكن منزل تاهو عليه رهن عقاري سيلتهم قسماً من ثمنه، وما تبقى منه سيستخدمونه لنفقات الدفاع عنه والنفقات المتعلقة بذلك.

"سـأبيع مجوهراتـي أيـضاً"، قالت، فاقدة لحيويتها. لم تبالِ لفقدان المجوهرات، ولكنها تألمت على خسارة المنزل.

"يمكنـنا استئجار شقة"، كان قد تخلى عن طائرته مسبقاً. لم يكن قد دفـع ثمـنها بالكامل، وخسر فيها نتيجة لذلك. أما شركته الاستثمارية فقد أغلقـت. لن يردهم أي دخل، بل الكثير من الأموال الواجب دفعها كنفقات للـدفاع عـنه. كانـت حـيلة الستين مليون دولار كفيلةً أن تسلبهم كل ما امـتلكوه. بالإضافة إلى عقوبة السجن التي ستصدر ضده أياً كانت مدتها، وإن تمت إدانته، سيكون هناك الكثير من الغرامات الصاعقة. وبعدها تأتي المحاكمـات التـي سـيرفعها مستثمروه والتي ستقضي عليه. تحولوا إلى معدومين بين ليلة وضحاها.

"سأحـصل علـى شقة لي"، قالت سارة بهدوء. كانت قد قررت ذلك اللـيلة الماضـية، عـندما كان في السجن. وقد كانت ماغي على حق. لم تعـرف مـا تفعـل سوى ذلك، ولكن أصبح واضحاً لسارة أنها لا ترغب بالعيش معه الآن. ربما يعودان للعيش معاً في ما بعد، ولكن الآن، أرادت أن تحصل على شقة لها وللطفلين، وستبحث عن عمل أيضاً.

"سـترحلين؟"، بـدا سـيث مذعـوراً. "كيف سيبدو هذا أمام مكتب التحقيقات؟". كان هذا كل ما يهتم لأمره الآن.

"سـنرحل كلانا كما هو واضح. وسيبدو الأمر أشبه باقترافك لجناية فظيعة، أنا مُنهكة، ونحتاج إلى الابتعاد عن بعضنا قليلاً"، وهذا أمر صحيح

www.mlazna.com-RAYAHEEN

تماماً. لم تكن لترفع دعوى للطلاق، كل ما أرادته هو الابتعاد. لم تكن قادرة على تحمل أن تكون جزءاً من عملية انحلال حياتهما، فقط لأنه اختار أن يكون محتالاً بدلاً من أن يكون نزيهاً. لقد كانت تدعو كثيراً منذ رؤيتها ماغي، وشعرت بالراحة حيال ما كانت تفعله. شعرت بأنها حزينة، ولكنها على حق، تماماً كما قالت ماغي أنها ستشعر، عرفت ذلك. كل خطوة في أوانها.

اتصلت سارة بسماسرة العقارات في اليوم التالي، وعرضت المنزل للبيع. اتصلت بالكفيل لتخبره بما سيفعلانه، كي لا يظن أنهما يقومان بأي عمل ماكر. وعلى كل حال كان صك ملكية البيع مع الكفيل، الذي قال لها إنه يمتلك حق الموافقة على البيع، ليضمن تحصيل ملايينه، وأي مبلغ إضافي يكون ملكهم. شكرها على الاتصال، ولم يخبرها أنه يشعر بالأسف عليها. اعتقد بأن زوجها وغد. حتى عندما التقى به في السجن، كان سيث مغروراً ومتباهياً بنفسه. لقد التقى كفيله برجال مثله من قبل. يديرهم غرورهم، وينتهون إلى تدمير عائلاتهم وزوجاتهم. تمنى لها الحظ الوفير في البيع.

بعد ذلك، أمضت أيامها تتصل بمعارف لها في المدينة وفي سيليكون فالي، تبحث عن عمل. أعدّت سيرتها الذاتية، وأغنتها بتفاصيل عن شهادتها في إدارة الأعمال من ستانفورد، وعملها في بورصة نيويورك في شركة مصرفية استثمارية. كانت مستعدة للقبول بأي شيء؛ تجارة، تحليل... أي شيء. لقد امتازت بحسن الإرادة للحصول على رخصة سمسارة في البورصة، أو للعمل في مصرف. تمتعت بالمصداقية والخبرة، وكل ما تحتاج إليه هو العمل. وفي هذه الأثناء، بدافع الفضول والاهتمام الحقيقيين، أخذ المشترون المحتملون يجوبون جميع أرجاء المنزل.

حصل سيث على شقة صغيرة في الطبقة العلوية في مبنى عصري في برودواي، مليء بالشقق الصغيرة الفاخرة، التي تزخر برجال انفصلوا مؤخراً عن زوجاتهم. أما سارة فحصلت على شقة صغيرة دافئة بطراز فيكتوري في شارع كيلي. يوجد فيها غرفتا نوم، واحدة لها، وأخرى

للطفلين. كما زودت بمساحة مخصصة لركن سيارة واحدة، وحديقة صغيرة. وبالنظر إلى أن الإيجار قد انخفض بعد الزلزال، حصلت عليها بسعر جيد، وستنتقل إليها في أوائل شهر حزيران.

ذهبت سارة لرؤية ماغي في بريسيديو لتخبرها بما قامت به. شعرت ماغي بالأسف عليها، وشعرت بالذهول لرؤيتها تتقدم إلى الأمام وتتخذ قرارات حذرة وحكيمة. اشترى سيث سيارة بورش بدلاً من الفراري التي فقدها، في نوع من الصفقات من دون دفع المال، وهذا أغاظ محاميه الذي أخبره أن وقت التواضع قد حان ولم يعد بإمكانه التباهي والرياء. لقد آذى الكثير من الناس بسبب عمليات الاحتيال تلك التي قام بها، ولن يفيده رياؤه أمام القاضي. اشترت سارة سيارة فولفو ستيشن مستعملة بدلاً من سيارتها المرسيدس المحطمة. كانت مجوهراتها في طريقها إلى لوس أنجلوس للبيع. لم تكن قد قالت أي شيء بعد لوالديها اللذين لن يكونا قادرين على تقديم أي مساعدة لها على أي حال، ولكنهما سيوفران الدعم المعنوي على الأقل. وحتى الآن، بفضل نوع من المعجزات، لم تظهر قضية سيث في الصحف بعد، ولا حتى قضية سولي، ولكنها علمت أن ذلك لن يدوم طويلاً. وعندها ستزداد الأمور سوءاً وتعقيداً.

أمضى إيفريت أيامه بعد الزلزال يعدّ الصور. سلّم الصور الأكثر وضوحاً وعلاقةً بالزلزال إلى مجلة سكوب، حيث أعدّوا ملفاً كاملاً عن زلزال سان فرانسيسكو. وكما هو متوقّع، وُضعت صورة ميلاني في السروال العسكري المموه على الغلاف. ضمّ الملف صورة واحدة فقط لماغي، وقد قدّموها على أنها أخت تطوعت للعمل في المشفى الميداني في سان فرانسيسكو بعد الزلزال.

باع إيفريت الصور الأخرى لصحيفة يو أس أيه توداي، أسوشييتد برس، كما باع صورة واحدة لنيويورك تايمز، والعديد منها لصحيفتي التايم ونيوزويك. سمحت له سكوب بالقيام بذلك، لكونها حظيت بأكثر بكثير مما يمكنها استخدامه، ولم ترغب بالإفراط في التحدث عن الزلزال. كانت أكثر

رغبة بالتحدث عن المشاهير، فقد خصصت ستّ صفحات لميلاني، وثلاث للباقين. كتب إيفريت المقالة بنفسه، وأكثرَ من مدح المدينة والمقيمين في بريسيديو. احتفظ بنسخة من المجلة أراد إرسالها لماغي. علاوة على ذلك، كان معه اثنتا عشرة صورة رائعة على نحو لا يصدق لها. بدت مشعةً في صورها وهي تعالج المصابين. في إحدى الصور تحمل طفلاً يبكي، وفي أخرى تساعد عجوزاً أصيب بجرح بالغ في رأسه... وبدت في العديد من الصور الأخرى تضحك بعينيها الزرقاوين اللامعتين وهي تتحدث إليه... وبدت نظرتها حزينة ومليئة بالخسارة، عندما انطلقوا في الحافلة، كادت تلك الصورة أن تُبكيه. علّق لها صوراً في جميع أرجاء الشقة. كان ينظر إليها في أثناء تناوله الإفطار في الصباح، وعندما كان يجلس إلى مكتبه في الليل، أو يتمدد على الأريكة ويحدق إليها لساعات. أراد أن ينسخ تلك الصور لها، وقام بذلك أخيراً. لم يكن واثقاً إلى أين يرسلها. اتصل بها عدة مرات على هاتفها الخلوي، ولم تجب. عاودت الاتصال به مرتين، ومن ثم فاتته البقية. دار بينهما ما يشبه المطاردة الهاتفية، كانا منشغلين، والنتيجة هي أنه لم يتحدث إليها منذ مغادرته. اشتاق إليها كثيراً، وأراد أن يريها كم كانت صورها جميلة، ويريها بعضاً من صور الآخرين.

كان في المنزل وحيداً ليلة السبت، عندما قرر أخيراً أن يذهب إلى سان فرانسيسكو لرؤيتها. لم يكن لديه أي مهمات للأيام القليلة التالية. وصباح يوم الأحد، نهض مع بزوغ الفجر، استقل سيارة أجرة متوجّهاً إلى المطار، وركب الطائرة إلى سان فرانسيسكو. لم يُعلمها بما سيفعله، وأمل أن يجدها في بريسيديو، في حال لم يتغير شيء منذ مغادرته قبل أسابيع.

حطت الطائرة عند الساعة العاشرة صباحاً في سان فرانسيسكو. أوقف سيارة أجرة عند الحاجز، وأعطى العنوان للسائق. حمل علبة الصور معه ليريها إياها. كانت الساعة الحادية عشرة تقريباً عند وصوله بريسيديو ولاحظ أن الطائرات العمودية لا تزال تحوم فوق رؤوس اللاجئين. وقف

يحدّق إلى المشفى الميداني، يأمل أن تكون في الداخل. أدرك تماماً أن ما فعله للتو عملٌ جنونيّ بعض الشيء. ولكنه أراد رؤيتها. اشتاق إليها بعد رحيله.

أخبرته المتطوعة في مكتب الاستقبال أن ماغي قد أخذت اليوم إجازة. كان يوم الأحد، وقالت المرأة التي عرفتها جيداً إنها ربما ذهبت إلى دار العبادة. شكرها وقرر أن يذهب إلى المبنى الذي يسكنه المتطوعون المتدينون والعديد من رجال الدين. سأل أختين ورجل دين كانوا يقفون عند الدرجة الأمامية، عن ماغي، وأخبرته إحدى الأختين أنها ستدخل وتبحث عنها. شعر إيفريت بأن قلبه قد انهار من مكانه في أثناء وقوفه ينتظرها، وبدا له أنها استغرقت وقتاً طويلاً. وفجأة، وقفت هناك، في ثوب الاستحمام، بعينيها الزرقاوين المضيئتين، وشعرها الأحمر المبلل. قالت إنها كانت تستحم. ارتسمت الابتسامة على وجهها لحظة رؤيته، وكاد يبكي من ارتياحه لرؤيتها. للحظة، خشي ألا يجدها، وها هي. دفعها في عناق دافئ، وكاد يوقع علبة الصور. خطا إلى الخلف لينظر إليها مبتسماً بابتهاج.

"ما الذي تفعله هنا؟"، سألته. تشكّلت صداقات عميقة بين الجميع في الأيام التي تلت الزلزال، فلم يلاحظ أحد أن هناك أمراً غريباً في الزيارة أو البهجة الواضحة التي بدت على وجهيهما حين التقيا. تذكرت إحدى الأخوات أنها شاهدته في المخيم، قبل أن يعود إلى لوس أنجلوس، وقالت ماغي إنها ستنضم إلى زملائها في المقر في ما بعد. كانوا في طريقهم إلى صالة الطعام لتناول الغداء بعد أن زاروا دار العبادة. بدا المكان أشبه بمخيم صيفي للبالغين لا نهاية له. شعر إيفريت بالدهشة وهو في طريقه إلى المخيم لمقدار التحسينات التي حدثت في المدينة بعد مضي أسبوعين فقط. أما مخيم اللاجئين في بريسيديو فلا يزال يقدّم المساعدات بنشاط وحيوية.

"هل أنت هنا لكتابة قصة؟"، سألته ماغي، ومن ثم تحدثا في آن واحد، لشدة الإثارة التي شعرا بها لرؤية بعضهما. "أنا متأسفة لأنني فوّت مكالماتك. ولكنني أضع هاتفي الخلوي خارج نطاق الخدمة وأنا في العمل".

"أعـرف... أنـا متأسـف... أنا مسرور جداً برؤيتك"، قال وعانقها ثانـيةً. "جئت إلى هنا لرؤيتك فقط. جلبت الكثير من الصور لأريك إياها، ولم أعرف إلى أين أرسلها، فقررت أن أحضرها بنفسي".

"دعنـي أرتدي ملابسي أولاً"، قالت هذا وهي تمرر يدها في شعرها القصير المبلل، وتبتسم بابتهاج.

عـادت بعد خمس دقائق، بسروالها الجينز، وحذائها الوردي، وكنزة مـن براندوم آند بيليز سيركس، مطبوع عليها صورة نمر. ضحك لرؤية تلك الكنزة غير المناسبة، والتي كانت قد جلبتها من طاولة التبرعات. إنها أخت فريدة من نوعها حتماً. كانت متلهفة لرؤية الصور. مشيا بضعة أقدام إلـى مقعـد، وجلسا لتلقي نظرة عليها. كانت يداها ترتجفان عندما فتحت العلـبة، ولحظـة شاهدتها، انهمرت الدموع من عينيها عدة مرات، وكذلك ضـحكت عـدة مـرات أيضاً، بينما كانا يتذكران تلك اللحظات والوجوه، والأوقات العصيبة. هناك صورٌ لامرأة كان المسعفون يخرجونها من تحت حطام منزلها، بعد أن توجب عليهم بتر ساقها لتحريرها، وصور لأطفالها، والكثيـر من الصور لميلاني، وأكثر منها لماغي. كانت معظم صوره لها، وتعجـبت وهي تنظر إلى كل واحدة منها... أوه، أذكر هذه!... أوه يا الله، أتذكـره؟... أوه، ذلك الفتى المسكين... تلك العجوز اللطيفة. وهناك صور للمدينة المدمرة، ليلة الحفل الخيري عندما بدأ المشهد بكامله. كانت الصور تأريخـاً للأوقـات المـروعة والتـي كانت بالغة التأثير أيضاً في كل من حـياتهما. "أوه، ايفـريت، إنها جميلة جداً"، قالت، وهي تنظر إليه بعينيها الـزرقاوين اللامعتين. "شكراً لإحضارها لي. فكرت فيك كثيراً، وأملت أن يكـون كل شيء بخير". كانت رسائله مطمئنة، ولكنها اشتاقت إلى التحدث إليه، بقدر ما اشتاق هو إلى التحدث إليها.

"اشتقت إليك، ماغي"، قال بصدق بعد انتهائهما من مشاهدة الصور. "ليس لدي أحد لأتحدث إليه عندما لا تكونين بجانبي، لا أحد حقاً". لم يدرك كم كانت حياته فارغة حتى التقى بها ثم تركها.

اعتـرفت له "أنا أيضاً اشتقت إليك، هل كنت تحضر اللقاءات؟ تلك التي أقمتها هنا، لا تزال مستمرةً بقوة".

"كـنت أذهـب إلى اثنين في الأسبوع. هل ترغبين بالخروج لتناول الغـداء؟". فتحت بعض محال الوجبات السريعة في شارع لومبارد. اقترح أن يـشتريا شيئاً يتناولانه ثم يمشيان إلى مارينا غرين. كان الطقس رائعاً. ومن هناك، بإمكانهما رؤية الخليج ومشاهدة القوارب. بمقدورهما فعل ذلك علـى شـاطئ بريـسيديو أيضاً، ولكنه اعتقد أنه من الجيد لها أن تخرج وتمـشي وتتمتع ببعض الهواء النقي، وتترك بريسيديو على سبيل التغيير. لقد كانت سجينة المشفى طوال الأسبوع.

"أحب ذلك". لم يكن بإمكانهما الابتعاد أكثر من ذلك من دون سيارة، ولكـن لومبارد كانت على مسافة يسهل المشي إليها. عادت لتأخذ سترتها، وتركت الصور التي أهداها إياها في غرفتها، وغادرا بعد بضع دقائق.

سـارا معاً بصمت مريح لبعض الوقت، ومن ثم تحدثا عما كانا يفعلانه. أخبـرته عـن أعمـال الإصلاح في المدينة، وعن عملها في المشفى. أما هو فـتحدث عـن المهمات التي أوكلت إليه. كما جلب لها نسخة من مجلة سكوب التـي عرضت فيها صور الزلزال، مع جميع صور ميلاني، وتحدثا عن هذه الفـتاة الطيبة. اشتريا الشطائر عند أول محل لبيع الوجبات السريعة، ثم توجها إلى الخليج. وأخيراً، جلسا على العشب عند مارينا غرين. لم تخبره ماغي شيئاً عن مشاكل سارة، بالنظر إلى حقيقة أنها وثقت بها. كانت قد تحدثت إلى سارة عدداً من المرات بحلول ذلك الوقت، ولم تكن الأمور على ما يرام. علمت أنه قـد تم اعتقال سيث، وأنه أُخرج بكفالة. وقالت بأنهما يبيعان المنزل. كان وقتاً عصيباً على سارة، والتي لا تستحق أياً مما يحدث لها.

"مـا الـذي سـتفعلينه عـندما تغادرين بريسيديو؟"، سألها إيفريت وهما يتناولان الطعام، ثم تمددا على العشب ينظران إلى بعضهما، كطفلين يستمتعان بفصل الصيف. بدت مختلفة جداً عن كونها أختاً في كنزتها المبهرجة وحذائها الوردي، وهي تتمدد على العشب تتحدث إليه. كان ينسى أنها كذلك أحياناً.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"لا أعتقد أنني سأغادر قبل مضي بعض الوقت، ربما ليس قبل مضي أشهر. يلزمهم وقتٌ طويلٌ ليتمكنوا من إيواء كل اللاجئين في منازل مجدداً". لقد دُمّرت أجزاء عدة من المدينة. ربما يطول الوقت لسنة كاملة لإعادة بناء ما تهدّم، وربما أكثر. "بعد ذلك، أعتقد أنني سأعود إلى تينديرلوين، وأقوم بالأعمال التي كنت أقوم بها في السابق". وهي تقول ذلك، أدركت فجأة كم أن حياتها رتيبة. لقد عملت لسنوات مع المشردين في الشوارع. ولكن ذلك دائماً ما منحها شعوراً جيداً. فجأة، أرادت المزيد، واستمتعت بالعمل في التمريض في المشفى ثانيةً.

"ألا تريدين أكثر من ذلك، ماغي؟ كحياة خاصة بك يوماً ما؟".

"هذه هي حياتي"، قالت بلطف، تبتسم له. "هذا ما أفعله".

"أعرف. أنا أيضاً. ألتقط الصور من أجل العيش، للمجلات والصحف. ومع ذلك كان الأمر غريباً منذ عودتي. هناك شيء هزني وأنا هنا. أشعر وكأن شيئاً ما مفقود في حياتي". وعندها وهو ينظر إليها وهما يتمددان هناك، تحدث بلطف. "ربما ما ينقصني هو أنت"، لم تعرف بما تجيبه. نظرت إليه للحظة بدت طويلة ثم أخفضت عينيها.

قالت همساً "احذر يا إيفريت، لا أعتقد أنه يتوجب علينا التمادي". كانت تفكر في ذلك هي أيضاً.

قال بعناد "لم لا، ماذا إن غيرت رأيك يوماً ما وتخلّيت عن كونك أختاً؟".

"وماذا إن لم أفعل؟ أحب كوني أختاً. هذا كل ما أردته منذ غادرت كلّية التمريض. هذا كل ما أردته وأنا طفلة. هذا هو حلمي، إيفريت. كيف يمكنني التخلي عنه؟".

"ماذا إن استبدلته بشيء آخر؟ يمكنك القيام بالعمل نفسه وأنت خارج المقر. يمكنك أن تكوني عاملة اجتماعية، أو ممرضة للمشردين". لقد فكّر في الأمر من كل النواحي.

"أفعل كل هذا، وأنا أخت. تعرف حقيقة مشاعري حيال ذلك". أشعرها بالخوف، وأرادت أن توقفه قبل أن يقولا المزيد، وشعرت بأنها لن

تستمكن من رؤيته مجدداً. لم ترغب بأن يحدث ذلك، وإن تمادى كثيراً، قد يصبح الأمر محتملاً. يتوجب عليها أن تعيش وفق نذورها. لا تزال أختاً، سواء أحب هو ذلك أم لا.

"أعتقد أنه سيتوجب عليّ الاستمرار في القدوم إليك، لأبثّ فيك الحماسة من وقت إلى آخر. هل هذا ينفع معك؟". حاول أن يتراجع وابتسم لها تحت أشعة الشمس المشرقة.

"أرغب بذلك، طالما أننا لا نقوم بشيء غبي"، ذكّرته بذلك وقد شعرت بالراحة لأنه لم يضغط عليها أكثر.

"حددي معنى كلمة غبي". كان يضغط عليها، وعلمت هي ذلك، ولكنها فتاة ناضجة، ويمكنها تدبر أمرها.

"سيكون من الغباء إن نسيت أنت أو أنا حقيقة أنني أخت. ولكننا لن نفعل"، قالت بثبات. "أليس ذلك صحيحاً، سيد أليسون؟"، قالت كإشارة إلى فيلم ديبورا كير وروبرت ميتشوم القديم وهي تضحك.

قال إيفريت "نعم، نعم، أعرف، في النهاية، أعود إلى المارينز، وتظلين أنت أختاً، تماماً مثل بطلة الفيلم. ألا تعرفين أي أفلام تترك فيها الأخت المقر؟".

قالت بتزمت "لا أذهب لمشاهدة تلك الأفلام؟ بل أشاهد فقط تلك التي تحافظ فيها الأخت على نذورها".

قال مازحاً "أكره تلك الأفلام، إنها مملة جداً".

"كلا، ليست كذلك. إنها أفلام نبيلة".

قال بلطف "أتمنى لو لم تكوني نبيلة إلى هذه الدرجة، ماغي، وصادقة جداً مع نذورك". لم يجرؤ على قول المزيد، ولم تجبه هي. ضغط عليها. فغيّرت الموضوع.

تمددا تحت أشعة الشمس لوقتٍ متأخرٍ من العصر، وتمكنا من رؤية أعمال البناء وإعادة الإعمار في المناطق المجاورة. عادا إلى بريسيديو، مع تغيّر الطقس، ودعته ليتناول شيئاً في صالة الطعام قبل أن يغادر. أخبرته

أن تـــوم قد ذهب إلى بيركلي ليقفل شقته. ولكن العديد من الوجوه المألوفة بقيت هناك.

تـــناولا الحساء، ومشى معها عائداً إلى مبناها بعد أن تناولا الطعام، وشكرته على الزيارة.

"سأتي لرؤيتك مجدداً". لقد التقط لها بعض الصور اليوم، وهي تتمدد في الشمس تتحدث إليه. كانت عيناها بلون السماء.

قالت له كما قالت له في السابق "اعتنِ بنفسك، سأدعو لك". أومأ وقبّل وجنتها. بدت رقيقة ولطيفة. تمتعت بحيوية الشباب الدائم، وبدت شابة على نحو مذهل، في ذلك القميص السخيف.

شـــاهدته وهو يبتعد مغادراً البوابة الرئيسية. كانت مشيته مألوفةً وبدأت تميـــزها، فـــي حذائـــه الجلدي الأسود. لوّح لها، ثم اتجه نحو لومبارد ليستقل سيارة أجرة إلى المطار، بعد ذلك صعدت إلى شقتها لتنظر إلى الصور مجدداً. كانـــت الصور جميلة. تمتع إيفريت بموهبة لا مثيل لها. وعلاوةً على كل هذا، تحلّى بشيء في شخصيته جذبها إليه. لم ترغب بأن يكون الأمر كذلك، ولكنها انجـــذبت إلـــيه بقوة، ليس فقط كصديق، بل كرجل. لم يحدث لها ذلك من قبل أبـــداً، طـــوال حياتها، منذ دخولها المقر. حرّك شيئاً فيها لم تعرف أنه موجود هناك، وربما حتى مجيء إيفريت، لم يكن موجوداً. إلا أنه أثار قلقها بشدة.

أقفلت علبة الصور، ووضعتها على السرير بجانبها. ومن ثم تمددت، وأغلقت عينيها. لم ترغب بأن يحدث هذا لها. لم تكن لتسمح لنفسها أن تقع في حبه. هذا مستحيل. وأخبرت نفسها أن هذا لن يحدث.

تمددت هناك تدعو لوقت طويل، قبل أن تعود الأخوات الأخريات إلى الغـــرفة التـــي يتشاركن فيها. لم تدعو بمثل تلك الحماسة من قبل إطلاقاً، وظلـــت تقـــول لنفسها مراراً وتكراراً: "أرجوك، يا الله، لا تدعني أقع في حـــبه". كل ما تمنته هو أن يستجيب الله لدعائها. علمت أنها لن تسمح لهذا بأن يحدث، وظلت تذكّر نفسها بأنها أخت.

الفصل الثالث عشر

وصـــل توم إلى باسادينا لزيارة عائلته بعد أسبوع من مغادرة ميلاني ســـان فرانسيـــسكو، واتـــصل بها حال وصوله. حزم أغراض غرفته في يومـــين، وضـــع كل شيء في سيارته، التي لم تكن قد أصيبت بأي أذى، وانطلق بها جنوباً. كان متلهّفاً ومتشوقاً لرؤية ميلاني.

أمـــضى أمـــسيته الأولى مع أفراد عائلته وأخته، والذين كانوا يشعرون بالقلـــق الـــشديد عليه منذ وقوع الزلزال. أرادوا أن يسمعوا كل التفاصيل عنه، وأمـــضى أمسيةً رائعةً معهم. وعد أخته باصطحابها قريباً إلى حفل غنائي، ثم اتجه إلى هوليوود على الفور بعد تناول إفطار اليوم التالي. أعلمهم عندما غادر أنـــه ربما لن يعود حتى وقتٍ متأخرٍ تلك الليلة. أمل على الأقل ألا يفعل. دعته ميلانـــي لقضاء اليوم معها، وكان يخطط لاصطحابها إلى العشاء بعد ذلك. بعد قـــضائه الـــوقت معها والاستمتاع بذلك في بريسيديو، اشتاق إليها كثيراً حالما رحلـــت، وأراد أن يمـــضي أكثر ما يمكنه من الوقت معها الآن، لا سيما بعد معـــرفته أنها ستنطلق بجولة غنائية ابتداءً من تموز. وسيتوجب عليه أن يبحث عـــن عمل في ذلك الوقت. فقد كان واضحاً أن العمل في سان فرانسيسكو لن يـــنجح. فـــي أعقاب الزلزال، سيكون هناك الكثير من التأخير والذي قد يدوم لوقت طويل، وقرر أن يبحث عن عملٍ في لوس أنجلوس.

كانت ميلاني بانتظاره حال وصوله. رأته وهو يقود سيارته، ولوّحت له بالدخول عبر البوابة. دخل بسيارته، وركضت للترحيب به مع ابتسامة عريـــضة. لاحظـــت بام وصوله عندما نظرت إلى الخارج، وابتسمت هي

www.mlazna.com-RAYAHEEN

أيضاً عندما رأتهما يقبلان بعضهما. ثم اختفيا داخل المنزل، كانت ميلاني تجول معه في أرجاء منزلها. في الأسفل، هناك صالة ألعاب فيها طاولة بلياردو، وتلفاز بشاشة عريضة مع كراسٍ مريحة لمشاهدة الأفلام، وبركة سباحة ضخمة. كانت ميلاني قد أخبرته أن يحضر ملابس السباحة معه. ولكن الشيء الوحيد الذي شغل باله هو رؤيتها. عانقها وقبّلها برقّة، وتوقف الزمن بالنسبة إليهما لحظتها.

قال بسرور "اشتقت إليكِ كثيراً، أصبح المخيم فظيعاً بعد رحيلك. ظللت أتسكع وأزعج ماغي. قالت بأنها تشتاق إليك".

"يتوجب عليّ الاتصال بها. أنا أيضاً اشتقت إليها... واشتقت إليك"، همست ميلاني، فقهقها مع نزول عمال التنظيف على السلم. رافقته إلى الأعلى لتريه غرفتها. برأيه، بدت أشبه بغرفة طفلة بديكورها الوردي والأبيض الذي أعدته لها والدتها. وفيها صورٌ لها مع الممثلين والممثلات والمطربين الآخرين، معظمهم من المشاهير. هناك صورة لها وهي تتسلم جائزة غرامي، وضعتها والدتها في إطار. وهناك صور لعازفيها ونجومها المفضلين. تبعها إلى الخارج، واتّجها إلى المطبخ، حيث تناولا الصودا ثم خرجا للجلوس بجانب البركة.

"كيف كانت جلسة التسجيل؟"، كان معجباً بما تفعله وبنجوميتها، من دون أن يصل إعجابه إلى حدّ المغالاة. أخذ يتعرف بها كإنسانة عادية، وأحب ذلك. شعر بالراحة لأنها لم تتغير، وبأنها ظلت الفتاة الرائعة نفسها التي التقاها ووقع في حبها في سان فرانسيسكو. وإن تغير أي شيء، فهو ازدياد حبهما لبعضهما الآن. كانت ترتدي سروالاً قصيراً، وقميصاً بلا كمين، وتنتعل صندلاً مختلفاً عن ذلك الذي انتعلته في المخيم، ولكن مظهرها الخارجي ظل نفسه. لم تكن كثيرة التبرّج على مثل النجمات الأخريات. كانت تتصرف على طبيعتها تماماً وهي تجلس بالقرب منه على الكرسي الطويل، ثم على حافة البركة تدلّي قدميها فيها. كان لا يزال يواجه صعوبة في تصديق أنها النجمة العالمية المشهورة التي عرفها. لم يعنِ له

ذلك شيئاً. وأحستّ ميلاني بذلك فيه، تماماً كما كان شعورها في سان فرانسيسكو. كان صادقاً بالكامل، وغير مبالٍ بشهرتها.

جلسا عند البركة، يتحدثان بهدوء. كانت تخبره عن جلسات التسجيل عندما وصلت والدتها بسيارتها إلى المدخل، ثم توقفت عند البركة لتشاهد ما تفعله ابنتها ومع من. لم تبدُ سعيدة برؤية توم على الإطلاق.

"ما الذي تفعله هنا؟"، سألت والدتها بفظاظة، بينما شعرت ميلاني بالإحراج، عندما نهض ليصافح يد والدتها. لم يبدُ أن جانيت معجبةٌ به.

شرح لها "لقد عدت من باسادينا بالأمس، وشعرت أنه يتوجب عليّ القدوم إلى هنا وإلقاء التحية". أومأت جانيت برأسها، ورمقت ميلاني بنظرة تأنيب. أملت ألا يمكث طويلاً. لم يكن فيه أي شيء يروق لجانيت كرفيق مناسب لابنتها. لم تهتم جانيت بدراسته، أو بكونه ابن عائلة لطيفة، وبأنه قد يحظى بعمل لائق حال استقراره في لوس أنجلوس، وبأنه شخصٌ لطيفٌ ومحبوبٌ، ويحب ابنتها. إن فتى باسادينا اللطيف ليس بالصفة التي تثير اهتمامها، وقد أوضحت ذلك تماماً من دون أن تقول إنها مستاءةٌ من زيارته. بعد دقيقتين من وصولها، دخلت جانيت المنزل، وأغلقت الباب بقوة. "لا أعتقد أنها سُرت كثيراً برؤيتي"، قال هذا وهو يشعر بالإحراج، وعندها اعتذرت ميلاني بالنيابة عن والدتها، على كل حال، كانت كثيراً ما تضطر إلى ذلك.

"كانت لتعجب بك لو كنت نجماً وغداً مدمناً على العقاقير، تتصدر مجلات الفضائح مرتين في الأسبوع على الأقل، وتفضلك أكثر إن تمكنت من الابتعاد عن السجن. وجذبت الصحافة بذلك". ضحكت على وصفها لوالدتها، والذي اعتقد توم أنه صحيح على نحو مؤلم.

قال مرتبكاً "لم أدخل السجن في حياتي أو أظهر في مجلات الفضائح، لا بد من أنني أبله حقيقي برأيها".

قالت ميلاني "أنا لا أراك كذلك". وهي جالسة بالقرب منه تنظر في عينيه. أحبّت ميلاني كل شيء فيه حتى الآن، خاصة حقيقة أنه ليس جزءاً

مـن أي هـراء في هوليوود. كرهت المشاكل التي واجهتها مع جيك، من إدمانه على الشراب، ودخوله المصح، والظهور في مجلات الفضائح معه، وتلـك المرة التي ضرب فيها رجلاً في المشرب. ظهر مصورو الفضائح خـلال لحظـة فـي السـاحة، واحتجزته الشرطة بينما أضواء كاميرات المصورين تومض في وجهها. والأسوأ من ذلك، كرهت ما فعله مع آشلي. لـم تـتحدث إليه منذ عودتهم، ولم تنوِ أن تفعل ذلك مجدداً. أما توم، فكان رجلاً خلوقاً، وطيباً، وحسن السلوك، ويهتم بها كثيراً. "أترغب بالسباحة؟". أومـأ موافقاً. لم يكن يبالي بما سيفعل، طالما أنه يفعل ذلك معها. كان فتىً عادياً يتمتع بصحة جيدة، يبلغ الثانية والعشرين من عمره. في الحقيقة، كان أكثر وسامة وذكاءً، وأفضل مظهراً من آخرين غيره. وكان مستقبله واعداً، شـعرت ميلاني بذلك. ليس المستقبل الذي تريده والدتها لها، ولكن ما تريد ميلانـي أن تتمتع به عندما تكبر، والآن إن أمكن. كان متواضعاً وصادقاً، تمامـاً كمـا كانت هي. لم يكن هناك شيء مزيف فيه. بل كان الأبعد عن مشهد الرجال الذي اعتادته في هوليوود.

رافقـته عـند نهايـة البركة، حيث الغرفة التي يمكنه أن يغير فيها ملابسه. خرج بعد دقيقة، يرتدي ملابس سباحة على طراز هاواي. كان قد ذهـب إلـى هـناك لركوب الأمواج في ذكرى الفصح مع الأصدقاء، في جزيـرة كـاوا. دخلـت ميلاني بعده، وخرجت مرتديةً ملابس سباحة من قطعتـين باللـون الوردي والتي كشفت جسدها الرائع. عملت منذ عودتها علـى ممارسـة الـتمارين الرياضية مع المدرب. فذلك جزءٌ من مهماتها اليومية. وكذلك كانت تمضي ساعتين يومياً في النادي الرياضي. كما أنها تـذهب إلى جلسات التدريب يومياً، استعداداً لحفلتها الغنائية في حزيران. سـيقام الحفل في هوليوود باول، وكانت جميع التذاكر مباعة مسبقاً بفضل القصة التي نشرتها سكوب عنها، وعن نجاتها من زلزال سان فرانسيسكو، بـيعت التذاكـر بـشكل أسـرع من قبل لقاء خمسة آلاف دولار للتذكرة. حجزت اثنتين له ولأخته، مع إذن بدخول الكواليس.

سبحا معاً، وقبّلا بعضهما في البركة، ثم تمددا على فراش كبير قابل للـنفخ جنـباً إلى جنب تحت أشعة الشمس. دهنت جسدها بكمية كبيرة من الواقـي مـن أشعة الشمس. لم تكن السمرة محبّذة بالنظر إلى أنها ستبدو داكـنة جـداً تحت إضاءة المسرح. فضلت والدتها أن تظل شاحبة. إلا أن الـتمدد مع توم تحت أشعة الشمس جميل جداً. تمددا بصمتٍ لبعض الوقت يمـسكان يـدي بعـضهما. ظل الأمر بريئاً ويعبر عن مجرد الود بينهما. شعرت براحة لا تصدق معه، تماماً كما كان حالها وهي معه في المخيم.

"سـيكون حفلاً رائعاً حقاً"، قالت عندما تحدثا. أخبرته عن المؤثرات الخاصة والأغاني التي ستغنيها. كان يعرف جميع أغانيها، وأخبرها مجدداً أن أخته ستثار إلى حد الجنون. قال إنه لم يخبرها لمن الحفل بعد، أو أنهما سيدخلان الكواليس لزيارتها بعد انتهاء العرض.

عندما تعبا من التمدد تحت أشعة الشمس، دخلا وتناولا الغداء. كانت جانـيت تجلس في المطبخ، تدخن، وتتحدث عبر الهاتف، وتنظر إلى مجلة تنشر الإشاعات. شعرت بالاستياء لعدم رؤية ميلاني على صفحاتها. وبغية عدم إزعاجها، أخذا شطائرهما إلى الخارج، وجلسا إلى طاولة تحت مظلة بالقرب من البركة. وبعد ذلك تمددا على أرجوحة شبكية معاً، وهمست لتوم بأنهـا كانـت تحـاول أن تعرف كيف يمكنها إنجاز عملٍ تطوعي، مشابه للعمل الذي قامت به في بريسيديو. أرادت أن تشغل حياتها بأكثر من مجرد الذهاب إلى التمرينات والغناء.

سألها في ما يشبه الهمس "هل لديك أي أفكار؟".

"لا شـيء قـد تـسمح لي والدتي بالقيام به"، ظهرا كمتآمرين يتحدثان بصوتٍ هامس، ثم قبّلها مجدداً. كلما رآها، شعر بجنون أكثر تجاهها. بدا غير مـصدّق لمقدار حظه الرائع، ليس لأنها مشهورة، بل لأنها مثال للفتاة الجميلة المتواضعة، ومن الممتع المكوث معها. "أخبرتني الأخت ماغي عن رجل دين يديـر بعـثة. يسافر إلى المكسيك بضعة أشهر كل عام. أرغب بالاتصال به، ولكنـني لا أعتقد أن بإمكاني القيام بذلك طوال حياتي. هناك الجولات الغنائية،

ومديرة أعمالي التي ابرمت عقوداً لحفلات حتى نهاية السنة، وستبدأ بإبرام عقد للسنة القادمة عما قريب". بدت خائبة الأمل وهي تقول ذلك. لقد سئمت من السفر كثيراً، وأرادت أن تمضي الوقت معه.

"هل ستغيبين طويلاً؟"، بدا قلقاً هو الآخر. لقد وجدا بعضهما للتو، وأراد قضاء الوقت معها. ستتعقد الأمور كثيراً بالنسبة إليه أيضاً، حالما يجد عملاً. سينشغل كلاهما.

"أسافر لحوالي أربعة أشهر في السنة، وأحياناً خمسة. وعدا ذلك، أسافر وأعود، مثلما فعلت في الحفل الخيري في سان فرانسيسكو. أغيب فقط لليلتين في حفلات كهذه".

"كنت أعتقد أنه ربما يمكنني الذهاب لرؤيتك في فيغاس، وربما يمكنني زيارة بعض المواقع المشهورة في جولتك. أين وجهتك؟". حاول التفكير في بعض الوسائل ليتمكّنا من رؤية بعضهما. لا يريد الانتظار إلى حين عودتها في أوائل أيلول. بدا وكأن مئات السنوات ستمر وهما بعيدان عن بعضهما. لقد أصبحا مقرّبين من بعضهما كثيراً بعد زلزال سان فرانسيسكو. ستغيب لعشرة أسابيع، وتلك هي الجولة العادية التي غالباً ما تقوم بها، ولكنها بدت طويلة الآن، لكل منهما. كما أرادت مديرة أعمالها أن تنطلق في جولة إلى اليابان السنة القادمة. بالنظر إلى أن أسطواناتها قد بيعت بسرعة هائلة في اليابان. لقد امتلكت المظهر والصوت اللذين يحبهما اليابانيون.

ضحكت عندما سألها عن أماكن جولتها، وبدأت تحصي المدن. ستسافر في جميع أرجاء الولايات. ولكنها على الأقل ستسافر في طائرة مستأجرة. لقد كانت الجولات مؤلمة كثيراً في السنوات التي كانوا يستخدمون فيها الحافلات. أحياناً يقودون هذه الحافلات على الطرقات طوال الليل. بل الحقيقة أن ذلك كان يحدث طوال الوقت. أصبحت حياتها وجولاتها أكثر تحضراً الآن. عندما أخبرته عن المواعيد، قال بأنه يأمل أن يتمكن من زيارتها مرة أو مرتين في أثناء جولتها. ويعتمد ذلك على السرعة التي يحصل فيها على العمل، وقد بدا ذلك رائعاً برأيها.

سبحا في البركة مجدداً، ثم أخذا يقفزان إلى أن باتا غير قادرين على فعل ذلك. كان جسده رائعاً وقادراً على السباحة بمهارة. قال بأنه كان عضواً في فريق السباحة في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، وقد لعب في فريق كرة القدم لبعض الوقت حتى آلمته ركبته. أراها ندبة صغيرة بسبب عملية جراحية بسيطة أُجريت له في ساقه. تحدثا عن سنواته في الجامعة، وعن طفولته قبلها، وعن خططه للعمل. أراد متابعة دراسته بعد ذلك، ولكنه ينوي العمل لبضع سنوات أولاً. كان توم قد خطط لكل شيء بعناية. يعرف طريقه، أفضل من أي شاب آخر في عمره.

اكتشفا أنهما يحبان التزلج، ولعب التنس، والرياضيات المائية، ومجموعة من ألعاب القوى، معظمها لم تمتلك ميلاني الوقت لممارستها. شرحت له وجوب حفاظها على شكلها وقوامها، ولكن ممارسة أنواع الرياضة التي تحبها ليست على جدول أعمالها إطلاقاً. كانت منشغلة كثيراً، ووالدتها لا تريدها أن تصاب بأي أذى يمنعها من إكمال جولاتها. جنت ثروة هائلةً من الجولات، بالرغم من أنها لم تتحدث عن ذلك إلى توم. لا يتوجب عليها ذلك. فالأموال التي تجنيها الآن كثيرة، كما استطاع أن يخمّن. كانت متحفظة جداً في التكلم عن ذلك، بالرغم من أن جانيت كثيراً ما أشارت إلى مقدار المال الوفير الذي تجنيه ابنتها. ولا يزال ذلك يحرج ميلاني، ومديرة أعمالها نبّهت جانيت لأن تظل متحفظة، وإلا ستعرّض ميلاني للخطر. هناك ما يكفي من إزعاج رجال الأمن الذين تقضي مهمتهم الحفاظ على سلامتها من المعجبين. إنه أمرٌ يتوجب على كل نجمٍ كبيرٍ في هوليوود أن يفكر فيه هذه الأيام، من دون استثناء. دائماً ما تقلل جانيت من هول المخاطر عندما تتحدث إلى ابنتها كي لا تخيفها، ولكنها غالباً ما تستخدم حارساً شخصياً هي نفسها. أشارت إلى أن المعجبين خطرون أحياناً. ولكن الأمر الذي تنساه هو أن هؤلاء المعجبين يهتمون بميلاني، وليس بها.

"هل تلقيت أي رسائل تهديد من قبل؟". سألها، بينما كانا يتمددان بجانب البركة ليجفّا. لم يعلم ما تتطلبه حماية شخصٍ في مكانتها. لقد كانت الحياة أكثر

www.mlazna.com-RAYAHEEN

بساطة في بريسيديو، ولكنها لم تدُم طويلاً. ولم يمتلك أي فكرة عن أن بعض الرجال في حاشيتها هم الحراس الشخصيون الذين يسافرون معها.

قالت بغموض "في بعض الأحيان، الأشخاص الوحيدون الذين يهددونني هم المخبولون. لا أعتقد أنهم فكروا حتى في القيام بشيء حيال ذلك. راسلني البعض منهم لسنوات".

"لتهديدك؟"، بدا مذعوراً.

"نعم"، ضحكت. فهذا أمر قد اعتادت عليه. إذ إنها تتلقى أحياناً رسائل مخيفة وغاضبة من معجبين في السجون. لم تكن ترد على هذه الرسائل أبداً. لذا فإن بعضهم يطاردونها عندما يخرجون من سجنهم. كانت حذرة بشدة كي لا تتجول في الأماكن العامة وحدها، وعندما تفعل ذلك، يرافقها حراسها ويعتنون بها بشدة. ومتى أمكن، تفضل عدم مرافقتهم في لوس أنجلوس عندما تخرج لإنجاز المهمات أو زيارة الأصدقاء، وقالت بأنها تفضل أن تقود السيارة وحدها.

"هل أشعرك أي من هذا بالذعر في حياتك؟"، سأل توم، بقلقٍ متزايدٍ. أراد حمايتها ولكنه لم يعلم كيف.

"ليس في العادة. نادراً ما كنت أشعر بالذعر يتملّكني، وهذا يعتمد على ما تقوله الشرطة عن المطاردين. أخذت نصيبي من ذلك، ولكن ليس أسوأ من أي شخص آخر هنا. كان الأمر يخيفني عندما كنت أصغر سناً، ولكنه لم يعد كذلك حقاً. المطاردون الوحيدون الذين أقلق بشأنهم الآن هم الصحافيون. يمكنهم التهام المرء حياً. سترى ذلك"، حذّرته، ولكنه لم يعرف كيف سيشمله ذلك. لا يزال ساذجاً في حياة مثل حياتها. هناك المساوئ حتماً، ولكن عند التمدد تحت أشعة الشمس برفقتها والتحدث إليها، بدا كل شيء بسيطاً جداً، حيث بدت كأي فتاة أخرى.

انطلقا في جولة بالسيارة في وقت متأخر من العصر. اصطحبها إلى الخارج لتناول البوظة، وأرته مدرستها قبل أن تتوقف عن الذهاب إليها. أخبرته أنها لا تزال ترغب بالالتحاق بالجامعة، ولكن ذلك كان بمثابة حلم

بالنسبة إليها، ولا يندرج في الاحتمالات التي قد تتحقق حتى. فهي تسافر كثيراً. كانت تقرأ كل شيء يقع بين يديها. توقفا عند المكتبة، ووجدا أنهما يحبان قراءة الموضوعات نفسها.

عادا إلى المنزل بعد ذلك، ثم اصطحبها لتناول العشاء في مطعم مكسيكي صغير تحبه، ليعودا لاحقا إلى منزلها ويشاهدا فيلماً في غرفة الألعاب في الأسفل على شاشة التلفاز العملاقة. كانت أشبه بشاشة السينما. ولدى عودة جانيت إلى المنزل، تفاجأت بأن توم كان لا يزال فيه. شعر توم بعدم الراحة نوعاً ما، عندما أحس باستيائها. لم تبذل أي جهد لإخفاء ذلك. كانت الساعة تقارب الحادية عشرة ليلاً عندما غادر. رافقته ميلاني إلى الخارج إلى سيارته عند المدخل، ووقفا ليقبلا بعضهما. قال بأنه أمضى معها يوماً رائعاً، وكذلك هي. كان الموعد الأول ممتعاً ومحترماً جداً. أخبرها أنه سيتصل بها في اليوم التالي، ولكنه اتصل بها حال مغادرته المدخل. رن هاتفها الخلوي في جيبها لحظة دخولها المنزل وهي تفكر فيه.

قال لها "اشتقت إليك". فقهقهت.

"أنا أيضاً. استمتعنا كثيراً اليوم. آمل أنك لم تملّ من المكوث هنا طوال الوقت". كان يصعب عليها الخروج أحياناً. فالناس يعرفونها في كل مكان. جرت الأمور بخير عندما خرجا لتناول المثلجات، ولكن الناس في المكتبة كانوا يحدقون إليها، وطلب منها ثلاثة أشخاص أن توقع لهم بينما كانا يدفعان ثمن الكتب. كرهت ذلك كلما خرجت في موعد. لطالما شعرت بأن ذلك تطفل يزعج الرجل الذي معها. تعجّب توم من ذلك.

طمأنها "أمضيت وقتاً رائعاً، سأتصل بك غداً. ربما يمكننا فعل شيء في عطلة نهاية الأسبوع هذه".

"أرغب بالذهاب إلى ديزني لاند"، اعترفت. "يجعلني أشعر بأنني عدت طفلة من جديد. ولكن المكان مزدحم جداً في هذا الوقت من السنة. إنه أفضل في الشتاء".

قـــال لهـــا مبتسماً "أنت طفلة، طفلة رائعة حقاً. تصبحين على خير، ميلاني".

"ليلة هنيئة، توم"، قالت، وأغلقت الهاتف تعلو وجهها ابتسامة تنم عن الـــسعادة. خرجت والدتها من غرفتها عندها وشاهدتها لحظة كانت ميلاني متجهة نحوها.

"مـــا الأمـــر اليوم؟"، سألت جانيت وهي لا تزال مستاءة. "مكث هنا طـــوال الـــيوم. إياك وبدء أي شيء معه، ميل. إنه ليس من عالمك". وهذا تحديداً ما أحبته ميلاني فيه. "إنه يستغلك وحسب".

"كـــلا، لـــيس كذلك، أمي"، قالت ميلاني بنبرة غاضبة في إشارة إلى اســـتيائها من وصف والدتها لتوم. لم يكن توم من هذا النوع من الرجال. "إنه إنسان طيب وعادي. لا يهتم لمن أكون".

"هذا ما تعتقدينه أنت"، قالت جانيت بسخرية. "وإن خرجت معه، فلن تظهري في الصحف مجدداً، وهذا ليس جيداً لمهنتك".

"لقد سئمت من سماع كل شيء عن مهنتي، أمي"، قالت ميلاني وهي تـــبدو حزينة. فهذا هو كل ما تتحدث عنه والدتها. راودت ميلاني الأحلام عنها أحياناً. "الحياة أكثر من ذلك".

"ليس إن أردت أن تكوني نجمة كبيرة".

"أنا نجمة كبيرة، أمي. ما زلت أحتاج إلى التمتع بالحياة. وتوم رجلٌ لطـــيفٌ حقـــاً. إنـــه ألطف بكثير من أي من رجال هوليوود الذين خرجت معهم".

"أنـــت لم تلتقي بالشخص المناسب وحسب"، قالت بثبات، غير متأثرة بأحاسيس ميلاني حيال توم.

"هل يوجد بينهم أحد مناسب أصلاً؟"، ردّت عليها ميلاني. "لم يبدُ أن بينهم من هو مناسب لي".

"وهـــل هو كذلك؟"، سألت جانيت والقلق بادٍ عليها. "إنك لا تعرفينه. بـــل هو مجرد شخص تعرفت به في ذلك المخيم الفظيع". لا تزال جانيت

تحلم به، ولم يكن أي من أحلامها ساراً. بل جميعها مضطربة إلى حدٍّ ما، لا ســـيما لحظـــة وقوع الزلزال. لم تشعر بالسعادة في حياتها إطلاقاً كما شعرت عند نومها على سريرها الخاص ثانيةً.

لـــم تقل ميلاني لها بأن المخيم ليس فظيعاً برأيها. بل الشيء الوحيد الفظـــيع، برأي ميلاني، هو إقامة صديقها المزعوم علاقة مع من يفترض أنهـــا أفضل صديقاتها. لقد تخلصت منهما الآن، من دون أي ندم من قبل ميلاني. أما والدتها فنادمة على فقدان صداقة آشلي. وهي لا تزال تتحدث إليها مرة كل يوم على الأقل، تعدها بأن تصلح الأمور بسرعة مع ميلاني، والتي لم تمتلك أي فكرة بأنهما تتحدثان باستمرار.

لـــم يكـــن لميلاني أي رغبة بالسماح لآشلي بالعودة إلى حياتها. ولا لجـــيك. وإن وصـــول تـــوم إلى عالمها بدا تعويضاً عن خسارتهما. تمنت لـــوالدتها لـــيلةً هنيـــئةً، ومشت ببطء إلى غرفتها، تفكّر في توم. لقد كان موعدهما الأول مثالياً حقاً.

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الفصل الرابع عشر

ذهب توم لرؤية ميلاني عدة مرات. ذهبا لتناول العشاء ومشاهدة الأفلام، وأحياناً قاما بالاسترخاء أمام البركة، بالرغم من معارضة والدتها الواضحة. نادراً ما تحدثت جانيت إلى توم، بالرغم من تصرفه باحترام فائق معها. أحضر أخته معه مرة للقاء ميلاني. أقام الثلاثة حفل شواء عند البركة، واستمتعوا بوقتهم. كانت أخته معجبة جداً بميلاني لمقدار بساطتها، وانفتاحها، ولطفها، وتفهمها. لم يكن هناك شيء في سلوكها يدل على أنها نجمة. بل الحقيقة أنها تصرفت كأي فتاة تسكن في الجوار. تحمست بشدة عندما دعتهما ميلاني إلى حفلتها في هوليوود بول في حزيران.

لم يُقِم توم وميلاني أي علاقة معاً. اتفق الاثنان على التروّي في تلك الأمور، وانتظار ما يحدث، ليتعرفا ببعضهما أكثر. فلا تزال متألمة من أفعال جيك، ولم يرغب توم بالإلحاح عليها. ظل يقول بأن أمامهما الكثير من الوقت لذلك. دائماً ما كانا يستمتعان بوقتهما معاً. أحضر معه جميع أفلامه وأشرطته المفضلة، وبعد مضي وقت قصير على لقائها بأخته نانسي، اصطحب ميلاني إلى باسادينا للعشاء. اعتقدت ميلاني أنه يحظى بوالدين رائعين... وصادقين، ولطيفين، وودودين. دارت بينها وبين والدي توم أحاديث ذكية، وكانا متقفين جداً، يبدوان متحابين، وعاملاها بفائق الاحترام، مراعيين من تكون. لم يثيرا أي جلبة بخصوص ذلك بل رحبا بها كأي صديقة أخرى من أصدقاء ولديهما، على نقيض جانيت، التي

استمرّت في التصرّف وكأن توم متطفل، أو أسوأ من ذلك. بذلت جانيت كل جهد لتظهر استياءها منه، وأخبر ميلاني أنه لا يمانع ذلك. أدرك أنها تعتبره تهديداً، وأنه ليس الرجل الذي يتوجب على ميلاني أن تخرج معه، خاصة إن أرادت والدتها جذب مجلات الفضائح والصحافة، وهذا ما كانت عليه حقاً. استمرت ميلاني في الاعتذار له عن تصرف والدتها، وبدأت تمضي المزيد من وقتها في باسادينا، عندما لا تكون في التدريب.

حضر التدريبات الغنائية معها مرتين، وأُعجب ببراعتها على نحو لا يصدق. لم يحظَ عملها بالنجاح صدفةً. كانت بارعةً في جميع التفاصيل التقنية، تقوم بترتيباتها الخاصة، تؤلف بعضاً من أغانيها، وتعمل بجدٍّ لا يمكن وصفه. دام التدريبان لحفل هوليوود بول، اللذان حضرهما توم حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، عندما شعرت ميلاني بأن الأمور جيدة. قال التقنيون الذين تحدث إليهم، وهو يتجول، بأنها دائماً ما تفعل ذلك. أحياناً تعمل حتى الرابعة أو الخامسة فجراً، ثم تأتي في التاسعة صباح اليوم التالي. كانت تحثهم على العمل بجد هائل، بل تقسو على نفسها أكثر. أدرك توم أنها تتمتع بصوت رائع.

يوم الحفل، أخبرته أن بإمكانه المجيء باكراً، وباستطاعته هو ونانسي أن يمكثا معها في غرفة ملابسها حتى بدء الحفل. سمع كلامها، وعندما وصلا هناك، كانت جانيت مع ميلاني، تجوب المكان، وتعطي التعليمات والتوجيهات. كانت تتناول الشراب وتتبرج. حيث يرغب بعض المصورين أحياناً بالتقاط صورٍ لها أيضاً. تجاهلت توم ونانسي لأقصى فترة ممكنة، ثم أسرعت لتحضر مصففة شعر ميلاني، التي كانت تدخن في الخارج مع بعض الرجال في الفرقة. عرفوا توم جميعاً مع حلول ذلك الوقت، واعتبروه فتى طيباً ولطيفاً.

غادرا الكواليس قبل نصف ساعة من بدء الحفل. فقد توجب على ميلاني أن تنهي التبرج وترتدي ملابسها. اعتقد توم أنها بدت هادئة على نحو مذهل، بالنظر إلى أنها على وشك أن تؤدي أمام ثمانين ألف شخص. هذا ما برعت في القيام به. ستقدم أربع أغنيات جميلة تختبرها هنا قبل

جولـتها. ستغادر قريباً. وعدها توم أن يزورها كلما أمكن، بالرغم من أنه سيبدأ في تموز عملاً كان متلهفاً له. كان العمل مع شركة بيتشتيل، ووعدوه بـبعض الـسفريات إلى الخارج. قال إن العمل سيشغله في غياب ميلاني، وأنـه أفـضل بكثير من العمل الذي كان ينتظره في سان فرانسيسكو قبل حدوث الزلزال. حصل على فرصة العمل هذه بسهولة، عن طريق بعض أصدقاء والده. وحظي بفرصة مهنية كبيرة. في الحقيقة، إن أعجبهم أداءه، فسيفكرون في أمر دفع تكاليف التحاقه بكلية الأعمال.

همـس تـوم وهو يغادر غرفة ملابسها "حظاً موفقاً، ميل، ستكونين رائعـة". كانت قد حجزت لهما مقعدين في الصف الأمامي. عندما غادر، ارتدت ثوب الساتان الأحمر الضيق، تفحصت تبرجها وشعرها، ثم انتعلت حـذاءً فـضياً ذا كعـبٍ عالٍ. توجب عليها تغيير ستة أثواب للسهرة، مع استراحة واحدة. ستعمل بجد كبير الليلة.

كانت قد همست له قبل أن يغادر "سأهدي إحدى أغنياتي الجديدة لك"، قبّلها، وقالت له "ستعرف أي واحدة منها. لقد كتبتها للتو. آمل أن تعجبك".

قال لها أحبك "فاتسعت عيناها. تلك هي المرة الأولى التي يقول فيها ذلـك لهـا، وكانـت أكثر إثارة بالنظر إلى أنهما لم يقيما علاقة بعد. بدت عـبارته غيـر منطقية في هذه المرحلة نوعاً ما، فهما لا يزالان يتعرفان ببعضهما ويستمتعان بوقتهما.

أجابـته "وأنا أيضاً أحبك". ثم خرج من غرفة ملابس ميلاني لحظة دخـول والـدتها مسرعةً، لتذكّرها أن أمامها أقل من عشرين دقيقة، ولكي تـتوقف عـن العـبث، وتجهّـز نفسها. كان هناك أربعة مصورين خلفها مباشرة، ينتظرون التقاط صورٍ لميلاني.

سـاعدتها والـدتها علـى إغلاق زمّام الثوب، فشكرتها ميلاني. ثم سـمحت بـام للمـصورين بالدخول. أُخذت صورتان لجانيت معها. بدت ميلانـي كالقزمة بجانبها. فقد كانت جانيت إمرأة ضخمة، وتتمتع بحضور كبير أينما حلت.

وفجـأة، جـاؤوا لمـناداة ميلاني. فالحفل على وشك البدء. ركضت باتجـاه خـشبة المسرح، تقفز برشاقة فوق الأسلاك والمعدات، ألقت تحية سـريعة علـى فـرقتها، ووقفت على مسافة بعيدة حيث لا يمكن لأحد أن يـراها، وأغلقـت عينـيها. أخـذت ثلاثة أنفاس طويلة بطيئة، ثم سمعت الإشـارة، ودخلـت ببطء إلى المسرح عبر الدخان. ومع تلاشي الدخان، كانت هناك. نظرت إلى الجمهور بأكثر ابتسامة مثيرة رآها توم في حياته، ورحبت بهم. لم يكن الحفل شبيهاً بأي من التدريبات، ولم تبدُ ميلاني الفتاة نفـسها التي اصطحبها إلى منزله لتناول العشاء في باسادينا. فعندما تعمل ميلانـي لجمهـورها وتغني من كل قلبها تكاد العوارض تهتز، كانت تبدو نجمةً في كل جزء منها. كانت الأضواء باهرةً جداً تعيقها عن رؤية توم أو أخـته بين الجمهور. ولكن في قلبها، شعرت بوجوده هناك، وغنت له تلك الليلة.

قالـت نانسي "واو!"، وهي تلمس ذراع أخيها، والتفت إليها مبتسماً. "إنها مذهلة!".

"إنهـا كذلك بالتأكيد"، قال بفخر. لم يتمكن من إبعاد عينيه عنها حتى الاسـتراحة، وأسـرع إلـى غرفة ملابسها لرؤيتها وإخبارها عن مقدار روعتها. شعر بالحماسة لتواجده هناك معها وأحب أداءها كثيراً. لم يتمكن من التوقف عن قول الكثير من الأشياء الرائعة عنها ولها. أدركت ميلاني أن هـذا يخـتلف كثيراً عن مواعدة شخص من الوسط الفني. لم يكن توم يـشعر بالغيرة منها إطلاقاً. قبّلا بعضهما بسرعة وعاد إلى مقعده. توجب علـيها تغييـر ملابـسها ثانيةً، وكان هذا زياً صعب التغيير. ساعدتها بام ووالـدتها علـى ارتداء ثوب ضيق جداً. وكان أضيق حتى من ذلك الذي ارتدته مسبقاً، بدت فيه رائعةً عندما عادت إلى المسرح للأداء الثاني.

كـررت سـبع أغنـيات تلك الليلة. ودائماً ما تفعل ذلك لتثير بهجة المعجبين. كما أحبوا الأغنية الجديدة التي كتبتها لتوم. تحمل عنوان *عندما وجـدتك*، وتتحدث عن أيامهما الأولى معه في سان فرانسيسكو، وعن أثر

www.mlazna.com-RAYAHEEN

الجسر، والشاطئ، والزلزال في قلبها. أصغى إليها بتمعّن، وبرزت الدموع في عيني أخته عندما أصغت إليها.

"هل هذا أنت؟"، همست. أومأ، وهزت رأسها بذهول. مهما كان مستقبل علاقتهما على مر الزمن، فقد انطلقت هذه العلاقة كما هو واضح مثل صاروخٍ ينطلق نحو الفضاء، ولم يظهر فيها أي دلائل على التباطؤ.

انضما إلى ميلاني بعد ذلك في غرفة ملابسها حال انتهائها. هذه المرة، كان هناك العديد من الأشخاص لتهنئتها، والتقاط الصور لها، بالإضافة إلى مساعدتها ووالدتها وأصدقائها، ومعجبين تمكنوا بطريقة ما من الدخول. اندفع توم ونانسي بين الحشود، وبعد ذلك، ذهبوا إلى سباغو لتناول العشاء، ولكنهم وصولوا متأخرين لاستغراقهم وقتاً طويلاً في الطريق. أعدّ ولفغانغ بوك وجبتهم بنفسه.

بعد العشاء، عاد توم ونانسي إلى باسادينا، وقبّل ميلاني قبل مغادرته. وعدها أن يأتي لرؤيتها في الصباح، بعدها تفرقوا جميعاً. كانت ليلةً طويلةً على الجميع. انتظرتها سيارة ليموزين بيضاء في الخارج. لم تكن متحفظة إطلاقاً، فهذه هي شخصيتها أمام العامة، تلك التي لم يرها من قبل إطلاقاً. ميلاني المنعزلة هي تلك التي أحبها، ولكن توجب عليه الاعتراف بأن هذه الشخصية ممتعة أيضاً.

اتصل بها لحظة وصولها المنزل، وأخبرها ثانيةً كم كانت رائعة. لقد جعلته معجباً متطرفاً لأقصى الحدود، خاصة بفضل تلك الأغنية التي كتبتها له. بدت برأيه تستحق جائزة غرامي أخرى.

"سآتي لزيارتك مع ساعات الصباح الأولى"، وعدها. حاولا أن يمضيا أطول وقت ممكن معاً، قبل مغادرتها إلى فيغاس في غضون أسبوع.

"يمكننا قراءة التعليقات معاً عندما تصل إلى هنا. أكره ذلك الجزء. دائماً ما يجدون شيئاً ينتقدونه".

"أرى أنهم لن يتمكنوا من ذلك هذه المرة".

"سيفعلون"، قالت كالمحترفة. "تعبيراً عن الغيرة". غالباً ما تتعلق الآراء السيئة بذلك أكثر من تعبيرها عن أداء سيئ، والنقد مؤلم في كل الأحوال، حتى ولو اعتادت عليه. دائماً ما يؤلمها. أحياناً تخبئ والدتها أو بام التعليقات عنها إن كانت وقحة جداً.

عند وصول توم في اليوم التالي، كانت الصحف منتشرة على طاولة المطبخ.

"جيدة حتى الآن"، همست ميلاني لتوم، بينما أخذت والدتها تسلمها واحدة تلو الأخرى. بدت مسرورة.

"أحبوا الأغنيات الجديدة"، علّقت والدتها، تنظر إلى توم بابتسامة متحفظة. حتى هي نفسها توجب عليها الاعتراف بأن تلك المهداة له كانت جيدة.

على العموم، كانت التعليقات جيدة. لاقى الحفلُ نجاحاً هائلاً، وهذا يبشّر بالخير لجولتها الغنائية، وحتى لعرض فيغاس، الذي كان أصغر حجماً وبيعت جميع تذاكره أيضاً، تماماً كحال حفل هوليوود بول.

"إذاً، ما الذي ستفعلانه اليوم؟"، سألت جانيت، تنظر إليهما وهي تبدو مسرورة، وكأنها هي من أدت الحفل. تلك هي المرة الأولى التي شملت بإرادتها توم في ما تقوله. اختلف رأيها بالكامل، بالرغم من أن ميلاني لم تعرف السبب. ربما لمجرد كونها في مزاج جيد، أو ربما لأنها اكتشفت أخيراً بأن توم لا يرغب بالتطفل على مهنة ميلاني. كان يشعر بالسرور لمشاهدة الحفلات، ويدعمها في كل شيء تفعله.

"أريد الاسترخاء وحسب"، قالت ميلاني. يتوجب عليها الذهاب إلى استديو التسجيل في اليوم التالي. وسيتدربون استعداداً لحفل فيغاس في اليوم التالي. "ما الذي ستفعلينه، أمي؟".

"سأذهب للتسوق في رودیو"، ابتسمت بابتهاج. لا شيء يجعلها أكثر سروراً من أداء ميلاني في حفل ضخم ومن ثم الفوز بتعليقات رائعة في اليوم التالي.

تركتهما وحدهما من دون نظرات تأنيب أو إغلاق الأبواب بقوة هذه المرة، وهذا ما أثار استغراب توم.

"أعتقد أن ترحيبها بدأ للتو"، قالت ميلاني بتنهد. "الآن على الأقل. لا بد من أنها عرفت أنك لا تشكل تهديداً".

"لست كذلك، ميل. أحب ما تفعلينه. لقد كانت رؤيتك رائعةً ليلة أمس. لم أصدق أنني جالس هناك، وعندما أديت تلك الأغنية، كدت أموت".

"أنا مسرورة لأنك أحببتها"، انحنت وقبّلته. بدت متعبة، ولكنها مسرورة. لقد بلغت العشرين من عمرها، وبدت أجمل بكثير في رأيه.

"أتمنى لو بمقدوري أن أستريح يوماً ما، من كل هذا. المرء يكبر بعد فترة"، اعترفت. قالت له ذلك من قبل، في الأسابيع القليلة الماضية. إن الوقت الذي أمضته في العمل في المشفى الميداني بعد الزلزال كان بمثابة راحة مرغوب بها.

"ربما يوماً ما"، حاول تشجيعها، ولكنها هزت رأسها بالنفي.

"لن تسمح أمي ومديرة أعمالي لذلك بأن يحدث. إن طعم النجاح حلو جداً بالنسبة إليهما. ترغبان بالتمتع به حتى أموت"، بدت حزينة وهي تقول ذلك، فعانقها توم وقبّلها. أثرت فيه النظرة في عينيها كثيراً، تماماً كما فعلت أغنيتها. إنها امرأة رائعة، وعلم أنه الرجل المحظوظ. لقد منحه القدر فرصةً لا تصدق. إن لقاءها في سان فرانسيسكو، كان أفضل ما حصل له في حياته.

• • •

عندما كانت جانيت تقرأ التعليقات عن حفل ميلاني في هوليوود ذلك الصباح، كان كل من سارة وسيث يقرأان التعليقات عن نفسيهما. وصل الخبر أخيراً إلى صحف سان فرانسيسكو، ولم يعرف أيّ منهما سبب تأخره كل ذلك الوقت. كان قد اعتُقل قبل أسابيع، وبطريقة ما، لم يعلق أحد على الأمر. إلا أنه انفجر في النهاية مثل ألعاب الرابع من تموز النارية، بل حتى وصل الخبر إلى وكالة أسوشييتد برس. راود سارة شعورٌ بأن

المراسلين الذين غطوا اعتقال سولي السابق ومحاكمته اللاحقة نبهوا صحف سان فرانسيسكو بأن هناك شريكاً في الجريمة في جهة الغرب. وحتى ذلك الحين، أخذت قصة سيث تتسلّ عبر الركام، حتى بلغت الصفحات الأولى الآن. نشرت الكرونيكل تفاصيل فظيعة، مع صورة لسيث وسارة في حفل سمولست أنجليز الخيري. كتبوا أشياء مروعة. حصلوا على المعلومات بكاملها، مع جميع التفاصيل المتوافرة، واسم شركته، والظروف التي أدت إلى اعتقاله. نُشر بأن منزلهما معروضٌ للبيع، وذكروا بأنهما يمتلكان منزلاً في تاهو وطائرة. جعلوا الأمر يبدو وكأن كل شيء امتلكاه اشتراه سيث بمكاسب مشبوهة. بدا وكأنه أكبر محتالٍ ولصٍ في المدينة. أذلّته تلك التعليقات على نحو كبير، وعذبتها كثيراً هي أيضاً. لم يكن لديها أي شك في أن والديها قد قرأا الأخبار في بيرمودا، حالما عرضتها وكالة أسوشييتد برس. أدركت أنه يتوجب عليها الاتصال بهما الآن. وإن كانت محظوظة، يمكنها أن تشرح لهما الأمر بنفسها. أما من جانب سيث، فالأمر أبسط. فقد كان والداه أكبر سناً عندما أنجباه وقد توفيا. أما والداها فلا يزالان يتمتعان بالنشاط وسيصابان بصدمة، خاصةً وأنهما يحبان سيث، وأعجبا به منذ البداية.

"إنها ليست بالقصة اللطيفة، أليس كذلك؟"، قال سيث، ينظر إليها. كانا قد فقدا الكثير من الوزن. بدا هزيلاً، وبدت مُستنزفة.

قالت بصدق "ليس هناك الكثير مما يمكنهم قوله لتجميل الأمر".

كانت تلك هي الأيام الأخيرة من حياتهما معاً. اتفقا على أن يظلا في المنزل في ديفيسياديرو، من أجل الطفلين، حتى يتم بيعه، قبل أن ينتقل كل منهما إلى شقته الخاصة. كانا يتوقعان وصول العديد من العروضات هذا الأسبوع. لن يدوم الحال لوقت طويل. عرفت سارة أن رؤية منزلها وهو يباع سيجعلها حزينة. ولكنها كانت أكثر غضباً على زواجها وزوجها مما كانت عليه حيال المنزل الذي امتلكاه لبضع سنوات فقط. عُرض منزل تاهو للبيع أيضاً، بكل محتوياته، حتى أدوات المطبخ، وأجهزة التلفاز

www.mlazna.com-RAYAHEEN

والبياضـــات. كان من السهل بيعه بتلك الطريقة لشخص يريد منزلاً للتزلج ولا يـــريد معانـــاة في تصميمه أو تأثيثه. أما منزل المدينة فسيباع فارغاً. ســـتُعرض الـــتحف فـــي مزادٍ في كريستي، بالإضافة إلى جميع اللوحات العصرية. وبعدها ستباع مجوهراتها في لوس أنجلوس.

أمـــا ســـارة فـــلا تزال تبحث عن عمل، ولم تجد شيئاً بعد. ولكنها ســـتحتفظ ببارمانـــي لـــرعاية الطفلين، لأنها علمت أنها حالما تجد عملاً، ســـتحتاج إلى شخص للعناية بهما. كرهت فكرة ترك طفليها في الحضانة، بالرغم من أنها علمت بأن آخرين يفعلون هذا. تمنّت حقاً أن تكمل ما كانت تفعله حتى الآن، أن تبقى في المنزل معهما، كما ظلت تفعل طوال السنوات الـــثلاث الماضـــية. ولكن ذلك انتهى. بإنفاق سيث لكل فلسٍ يملكانه على المحامـــين، وربمـــا علـــى الغـــرامات، سيتوجب عليها العمل، ليس فقط للمـــساهمة فـــي ذلك، ولكن ربما لإعالة طفليها ونفسها في مرحلة ما، من دون تلقـــي أي مساعدة من سيث. إن صُرِفَ كل ما يملكانه على المحاكم والقضايا ومصاريف الدفاع، ثم دخل سيث السجن، فمن الذي سيساعدهم؟ يتوجب عليها الاعتماد على نفسها.

بعـــد احتيال سيث الذي أثار ذهولها وصدمها، لم تعد تثق بأحد سوى نفسها. لم تعد قادرة على الاعتماد عليه. وعلمت أنها لن تتمكن من الوثوق به مجدداً. قرأ ذلك في عينيها بسهولة كلما كانت نظراتهما تلتقي. لم يمتلك أي فكرة عن كيفية تعويضها عما فعله، أو إن كان سيقدر على ذلك أصلاً. شـــكّ في ذلك، وفقاً لكل ما قالته. لم تسامحه، وبدأ يشك في أنها لن تفعل أبـــداً. ولم يكن واثقاً من أنه يلومها. شعر بالذنب كثيراً لأن الأمر أثر فيها أيضاً. لقد تدمرت حياتهما.

شعر بالصدمة عندما قرأ المقالة في الصحيفة. قضت عليه الصحيفة بالكامـــل هو وسولي معه، وجعلتاهما أشبه بمجرمين متآمرين. لم تذكر أي تعاطـــف أو كلمـــة لطـــيفة. بل مجرد كونهما رجلين سيئين أنشأا شركات اســـتثمارية كاذبـــة، وأســـاءا استخدام الدعم المالي، وخدعا الناس لسلبهم

أمـــوالهم. مـــا الذي يمكن أن يقال سوى ذلك؟ تلك هي التهم، وكما توجب على سيث الاعتراف لسارة ولمحاميه، تلك التهم الموجهة ضدهما صحيحة بالكامل.

نـــادراً ما تحدثا طوال عطلة نهاية الأسبوع. لم تهنه سارة أو توبّخه. لا جـــدوى من القيام بذلك. لم تقل له شيئاً. كانت متألمة بشدة. لقد دمر كل جـــزءٍ من الثقة والولاء اللذين كانت تكنّهما له، ورمى بثقتها خارجاً بإثباته أنـــه لا يـــستحقها. عرّض مستقبل طفليه للخطر، وأثّر في مستقبلها كثيراً. جعل أسوأ كوابيسها تتحقق، في الخير والشر.

"لا تنظـــري إلـــيّ هكذا، سارة"، قال لها أخيراً وهو ينظر من فوق الـــصحيفة. كـــان هـــناك مقالـــة أكبر وأكثر بشاعةً في إصدار يوم الأحد لنيويورك تايمز، والتي تناولت سيث أيضاً. تماماً على النحو الذي عظّم فيه شـــأن ســـيث وســـارة فـــي مجتمعهما، كان عارهما مشابهاً لتلك المكانة الاجتماعـــية التـــي كانـــا عليها قبل فعلة سيث المشؤومة. بالرغم من عدم اقتـــرافها لأي شيءٍ، بالنظر إلى أنها لم تكن تعلم شيئاً عن النشاطات غير المشروعة قبل الزلزال، شعرت سارة أنها ملطخة بالعار نفسه. ظل هاتفهما يـــرن مـــن دون إجابة لأيام، وتركت جميع مكالماتها للمجيب الآلي. ليس هـــناك شـــيء تريد قوله لأحد، أو سماعه من أحد. إن التعاطف سيتسبب بجـــرحها، ولم ترغب بسماع الضحكات المثيرة للغثيان والناجمة عن التشفي. كانـــت مـــتأكدة مـــن أن هناك الكثير منها. أما الشخصان الوحيدان اللذان تحـــدثت إليهما في ذلك اليوم فهما والداها. كانا محطّمين ومصدومين، ولم يتمكنا من فهم ما حدث لسيث على نحو أفضل مما تمكنت هي. في النهاية، تعلقت المشكلة بكاملها بانعدام الأمانة والإفراط بالجشع من قبل سيث.

"ألا يمكنك حتى محاولة التظاهر؟"، قال سيث مُعارضاً. "أنت بارعة حتماً في معرفة كيفية تعقيد الأمور وزيادتها سوءاً".

"أعـــتقد أنك تهتم بذلك على نحو كافٍ، سيث". بعد أن نظفت الطاولة من أطباق الإفطار، وجدها تبكي أمام الحوض.

"سارة، لا..."، عكست عيناه مزيجاً من الغضب والألم.

"ما الذي تريده مني؟"، التفتت لتنظر إليه متألمة. "سيث، أنا خائفة... مـــا الذي سيحدث لنا؟ أحبك. لا أريدك أن تدخل السجن. لا أريد أن يحدث أي من هذا... أريدك أن ترجع بالزمن إلى الوراء وألا تفعل ما فعلته... لا يمكـــنك... لا أهتم بالمال. لا أريد أن أفقدك... أحبك... وأنت تخليت عن كامـــل حياتنا. ما الذي يفترض بي فعله الآن؟". لم يتحمل الألم في عينيها، وبـــدلاً من عناقها، والذي كان كل ما أرادته، مشى بعيداً. شعر بألم وذعر كبيـــرين، ولم يمتلك أي شيء يقدمه لها. أحبها هو أيضاً، ولكنه كان خائفاً جداً من نفسه الآن وعاجزاً عن تقديم أي مساعدة لها وللطفلين. شعر وكأنه يغرق وحده. وكذلك شعرت هي.

عجزت سارة عن التفكير في أن أمراً مروعاً مماثلاً لهذا قد حدث في حـــياتها، إلا عندما كانت رضيعتها على وشك الموت، ولكن وحدة حديثي الولادة أنقذتها حينها. أما الآن فلا وسيلة لإنقاذ سيث. كانت جريمته كبيرة جداً ومثيرة للصدمة. حتى عملاء مكتب التحقيقات كانوا مستائين منه نوعاً ما، خاصة عند رؤيتهم طفليه. لم تفقد سارة أحداً في ظروف عصيبة كهذه. كـــان جداها قد توفيا قبل ولادتها. وقف الأشخاص الذين أحبتهم في حياتها بإخلاص إلى جانبها. كانت طفولتها سعيدة، وكان والداها مواطنين متّزنين. أمـــا أصـــدقاؤها فكانـــوا لطيفين معها. ولطالما كان سيث رائعاً. وطفلاها مميـــزان ويتمتعان بصحة جيدة. هذا أسوأ أمرٍ حدث لها طوال حياتها. لم تفقـــد أيـــاً مـــن أصدقائها في حادث سيارة أو بمرض السرطان. أمضت السنوات الخمس والثلاثين من حياتها بسلام، والآن، سقطت القنبلة النووية علـــيها. والـــشخص الـــذي رماها هو الرجل الذي أحبته، زوجها. شعرت بذهـــول مـــؤلم من جراء ذلك، لم تعرف حتى ما تقوله في معظم الوقت، خاصة له. لم تعرف من أين تبدأ لتحسين الأمر، ولا عرف هو. الحقيقة أنه لـــم يكـــن هـــناك ما يمكن القيام به. بذل محاموه أفضل ما يمكن، في ظل الظروف الفظيعة التي وضع سيث نفسه فيها. وفي النهاية، سيتوجب عليه

أن يتلقـــى عقابـــه، مهما كان مؤلماً. وكذلك هي، حتى بالرغم من أنها لم تقتـــرف شـــيئاً. إنه المعنى من عبارة *في السراء والضراء*. ستنحدر إلى الأسفل معه.

اتـــصلت سارة بماغي عبر هاتفها الخلوي ليلة الأحد، وتحدثتا لبضع دقائـــق. كانـــت ماغي قد قرأت المقالات في الصحف في قاعة بريسيديو، وانفطـــر قلبها حزناً على سارة، وحتى على سيث. سيدفعان ثمناً كبيراً لقاء آثامـــه. وشعرت بالأسف على الطفلين. قالت لسارة أن تدعو، وستفعل هي الأمر نفسه.

"ربما يتساهلون معه"، قالت ماغي مفعمة بالأمل.

"تبعاً لما قاله محامي سيث، تتراوح فترة سجنه بين السنتين والخمس ســـنوات. وفي أسوأ الأحوال، يمكن أن يسجن لثلاثين سنة"، أخبرتها ذلك من قبل.

"لا تقولي هذا. تحلي بالثقة وتابعي حياتك. أحياناً يكون هذا أفضل ما يمكـــن فعلـــه"، أقفلت سارة الهاتف عندها، ومشت بهدوء متجاوزةً مكتب زوجهـــا، وصعدت إلى الأعلى، فقد حان موعد استحمام طفليها. كان سيث يلعـــب معهمـــا، فاستلمت منه ذلك. كانا يتناوبان في القيام بكل شيء الآن، ونـــادراً مـــا مكـــثا في الغرفة نفسها في الوقت نفسه. حتى الاقتراب من بعـــضهما أصبح مؤلماً. لم تتمكن سارة من منع نفسها عن التساؤل ما إن كانت ستشعر بأنها أفضل أو أسوأ عندما يرحلون.

اتصل إيفريت بماغي تلك الليلة لمناقشة ما قرأه عن سيث في صحف لـــوس أنجلـــوس. كانت القصة قد انتشرت في أرجاء البلد. شعر بالصدمة لهـــول الخبـــر، خاصة بالنظر إلى اعتقاده أن سيث وسارة كانا الزوجين المثاليـــين. ذكّـــره ذلـــك، كما عرف منذ سنوات، بأنه لا يمكن للمرء أبداً استـــشعار الـــشر الكامن في قلوب الناس. كحال كل من قرأ الخبر، شعر بالأسف على سارة والطفلين، وليس على سيث أبداً. سيتلقى ما يستحقه، إن كانت التهم صحيحة، وبدا أنها مثالية إلى درجة اعتقد أنها حقيقية حتماً.

"يـا له من موقف صعب عليها. تعرفت بها في الحفل الخيري. إنها امرأة لطيفة. ولكن بدا أنه لا بأس به هو أيضاً. من كان يعرف!". كان قد شـاهدها لفتـرة وجيزة في المشفى الميداني أيضاً، ولكنه لم يتحدث إليها لوقت طويل. بدت غاضبة في ذلك الوقت، وعرف السبب الآن. "إن تمكنت من رؤيتها في مكان ما، أخبريها عن أسفي"، عبرّ عن صدق مشاعره، ولم تعتـرف ماغـي لـه إن كانت ستفعل أم لا. أخلصت لسارة وللعلاقة التي تربطهما، وحفظت جميع أسرارها، حتى سر رؤيتها لها.

عدا ذلك، قال إيفريت إنه بخير، وكذلك ماغي. كانت مسرورة لسماع صـوته، ولكـن كمـا هو الحال دائماً، شعرت بالاضطراب عندما أقفلت الـسماعة. إن مجـرد سـماع صوته يؤثر في قلبها. دعت بعد تحدثهما، وذهبت لتمشي على الشاطئ لوقت طويل عند الغسق. بدأت تتساءل ما إن كـان يـتوجب عليها التوقف عن الرد عليه أو الاتصال به. ولكنها قالت لنفـسها إنها تمتلك القوة للتعامل مع الأمر. إنه مجرد رجل على أي حال. أما هي فأخت.

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الفصل الخامس عشر

لاقـى حفـل ميلاني الغنائي في لاس فيغاس نجاحاً هائلاً. سافر توم لـرؤيتها، وأدت أغنـيةً ثانيةً كتبتها له. امتاز عرض فيغاس بالمزيد من المؤثـرات الخاصـة، وأثار المزيد من الإعجاب، بالرغم من أن جمهوره وعائداتـه كانـا أقل على نحو واضح من جمهور وعائدات الحفل السابق. أثـارت ميلاني مشاعر الجميع في لاس فيغاس. جلست على حافة المسرح عـند تكـرارها مقاطع الأغنيات، وتمكن توم من مد يده إليها ولمسها من مقعده في الصف الأول. احتشد المعجبون حولها، بينما حاول رجال الأمن إبقاءهم بعيداً. أما الأغنية الختامية فانطلقت مع تلألؤ الأضواء بينما اعتلت ميلاني منصة تتحرك نحو الأعلى، تغني لهم من أعماق قلبها. كان ذلك من أكثـر العـروض التي شاهدها توم إثارةً في حياته، بالرغم من أنه غضب عـندما علـم بأنهـا آذت كاحلها عند اعتلائها المنصة، ولا يزال ينتظرها عرضان آخران في اليومين التاليين.

أدت خلالهمـا بالرغم من كل الظروف، منتعلة حذاء فضياً عالي الكعـب وكاحلهـا مـتورّم. أخذها توم إلى غرفة الطوارئ بعد انتهاء العـرض الثانـي. غادر هو وميلاني من دون قول أي شيء لوالدتها. أعطـوها حقـنة كورتيزون لتتمكن من الأداء مجدداً في اليوم التالي. كانـت عـروض الأيام الثلاثة في فيغاس صغيرة. وحفل الافتتاح كان الأكبر، وعندما حان موعد مغادرة توم مع انتهاء عطلة نهاية الأسبوع، تركها تستخدم العكاز.

"اعتني بنفسك، ميلاني. أنت ترهقين نفسك بالعمل"، بدا قلقاً. أمضيا عطلة نهاية أسبوعٍ رائعةً معاً، ولكنها كانت منشغلة بالتدريبات أو العروض معظم الوقت. تمكنا من الذهاب إلى الكازينو في الليلة الأولى. وكان جناح ميلاني فاخراً. مكث في جناحها في غرفة النوم الثانية، واحترسا منعاً للانغماس في أي علاقة في الليلتين الأوليين. أما في الليلة الأخيرة، فقد استسلما لمشاعرهما. لقد انتظرا ما يكفي، وبدا أن العلاقة صحيحة الآن. شعرت بأنها أكثر قرباً منه الآن عندما غادر. "ستلحقين الأذى بكاحلك إن لم تهوّني على نفسك".

"سأذهب لأخذ حقنة كورتيزون أخرى غداً". كانت معتادةً على الإصابات على خشبة المسرح، وقد حدث معها هذا من قبل. لم تلغ أي عرض من قبل إطلاقاً. إنها محترفة.

"ميلاني، أريدك أن تعتني بنفسك"، قال توم هذا وهو يشعر بالقلق عليها حقاً. "لا يمكنك أن تأخذي حقن الكورتيزون بشكل اعتباطي. لست لاعبة في فريق كرة قدم". عرف أن كاحلها يؤلمها ولا يزال متورماً بالرغم من أخذها حقنة في اليوم السابق، مكّنتها فقط من الإساءة لنفسها والأداء مجدداً منتعلةً الكعب العالي. "ارتاحي الليلة"، علم أنها ستغادر إلى فينكس في الصباح، لتأدية عرض آخر.

"شكراً لك"، قالت وهي تبتسم له. "لم يقلق أحدٌ عليّ هكذا من قبل. دائماً يتوقعون أن أعتلي المسرح وأغني، سواء أكنت على قيد الحياة أو ميتة. عرفت بأن المنصة عالية وأنا أصعد عليها. انحلّ الحبل عندما صعدت. وهكذا سقطت". علم كلاهما أنه لو انحلّ مسبقاً، كانت لتقع عن علوٍّ مرتفعٍ جداً، وربما كان ذلك ليتسبب بمقتلها. "أعتقد أنك رأيت الجانب الآخر من عالم الفن الآن". وقفت بالقرب منه وهما ينتظران طائرته. رافقته إلى المطار في سيارة الليموزين البيضاء التي قدّمها الفندق لها طوال فترة مكوثها. إن الميزات الإضافية في فيغاس رائعة. لن يكون الأمر مريحاً هكذا حال انطلاقهم في جولتهم. ستمضي عشرة أسابيع ولن تعود

إلى لوس أنجلوس حتى أوائل أيلول. وعدها توم بالمجيء للقائها بعد بضعة أسابيع. تلهف كلاهما لذلك.

"احرصي على زيارة الطبيب مجدداً قبل مغادرتك"، أعلنوا عن رحلته عندها، وتوجب عليه الذهاب. سحبها بين ذراعيه وقبّلها، منتبهاً إلى العكاز الذي تستند إليه، وكانت أنفاسها منقطعة عندما حررها. "أحبك، ميلي"، قال بلطف. "لا تنسي ذلك وأنت في طريقك إلى كل حفلة".

"لن أفعل. أنا أيضاً أحبك". لقد مضى على علاقتهما أكثر من شهر الآن. ليست بالفترة الطويلة، وبدأت بالتطوّر سريعاً منذ مجيئهما إلى فيغاس. إلا أنهما شهدا الكثير معاً في سان فرانسيسكو مما جعل علاقتهما تأخذ منحى جاداً. إنه ألطف رجل عرفته في حياتها. "أراك قريباً".

"حتماً!"، قبّلها مرة أخيرة، وكان آخر شخص يصعد إلى الطائرة. عادت بعدها على عكازها، وتقدمت ببطء نحو الليموزين أمام الحاجز. آلمها كاحلها بشدة، أكثر مما أرادت الاعتراف به لتوم.

عند عودتها إلى جناحها في الفندق، وضعت كيس ثلج على كاحلها، ولكنه لم يكن مجدياً إلى حدٍّ كبير، وتناولت بعض الأقراص المهدّئة للألم والمخففة للورم. وجدتها والدتها ممدّدة على الأريكة في غرفة المعيشة عند منتصف الليل، واعترفت ميلاني لها بأن كاحلها يؤلمها حقاً.

نبهتها والدتها "يتوجب علينا الذهاب إلى فينكس غداً، جميع التذاكر قد بيعت هناك أيضاً. سنذهب لأخذ حقنة أخرى غداً صباحاً. لا يمكنك أن تفوّتي العرض، ميل".

"ربما يمكنني الأداء وأنا جالسة"، قالت ميلاني وهي تلمس كاحلها فأجفلت.

"سيبدو ثوبك قبيحاً إن جلست"، علّقت والدتها. لم تكن ميلاني قد فوّتت أي أداء في السابق، ولم ترغب بأن تبدأ ذلك الآن. فإشاعات ذلك النوع من الأمور تنتشر كالنار في الهشيم، ويمكنها أن تدمر سمعتها كنجمة. ولكن والدتها تمكنت من رؤية أنها تأذت بالفعل. لطالما تحملت

ميلاني جميع الإصابات، ولم تكن تتذمر أبداً، ولكن هذه الإصابة بدت أكثر خطورة.

اتصل بها توم قبل أن تذهب للنوم تلك الليلة، وكذبت وأخبرته بأن كاحلها قد تحسن، كي لا تشعره بالقلق. قال بأنه مشتاقٌ إليها. وضعت صورته بالقرب من سريرها قبل أن تغط في النوم.

كان كاحلها أكثر تورماً في الصباح، ورافقتها بام إلى المشفى. عرفها رئيس أطباء غرفة الإسعاف على الفور، ورافقها إلى أحد المقاعد. قال بأن مظهر كاحلها ليس بالجيد وأراد إجراء صورة أشعة أخرى. عندما جاءت مباشرة بعد إصابتها، قال الأطباء أول ما رأوها بأنه مجرد التواء مؤلم. لم يقتنع رئيس غرفة الإسعاف بذلك، وكان على حق. حال تفحصه صورة الأشعة، أراها كسراً بسيطاً فيه. قال إنه يتوجب عليها وضع جبيرة للأسابيع الأربعة القادمة، وأن تحاول عدم الضغط عليها لأقصى ما يمكن.

"أوه، صحيح"، ضحكت، ثم تأوهت. كان كاحلها يؤلمها كل مرة تتحرك فيها. سيرافق الأداء ألم مبرح هذه الليلة، إن أمكنها الحضور أصلاً. "لديّ عرض في فينكس عند الساعة الثامنة"، شرحت له. "ويتوجب عليّ الذهاب إليه. لم يدفع الناس ثمن التذاكر ليشاهدوني أعرج على المسرح في الجبيرة"، قالت، وكادت تبكي وهي تحرك كاحلها.

"ماذا عن انتعال حذاءٍ عالي الساق؟"، اقترح طبيب الإسعاف. كان قد عالج في السابق غيرها من المؤدين، سقط البعض منهم عن خشبة المسرح أو أصيب بأسوأ من ذلك. "يمكنك خلعه وأنت تؤدين. ولكن لا تفكري إطلاقاً في انتعال حذاء بكعبٍ عالٍ". كان يعرف هذا النوع من المشاهير جيداً، وبدت تشعر بالذنب لحظة قوله ذلك.

قالت له "ستبدو أزيائي مروّعة إن انتعلت حذاء عالي الساق".

"ستبدين أسوأ في الكرسي المتحرك لو ازداد كاحلك تورماً. إن انتعال حذاءٍ عالي الساق أمر محتم. انتعلي حذاءً من دون كعب. ويتوجب عليك

استخدام العكاز"، أعلمها. ليس أمامها أي خيار آخر. ألمها كاحلها كثيراً، ولم تكن تتحمل الضغط عليه بأي وزن إطلاقاً.

"حسناً، سأجرب الحذاء عالي الساق"، سلّمت بالأمر. غطى الحذاء كاحلها، وكان مصنوعاً من مادة بلاستيكية سوداء لامعة، مع رباط لشدّ ساقها به. حالما وقفت فيه، أشعرها براحة كبيرة. عرجت خارج غرفة الإسعاف منتعلةً الحذاء، ومستندةً إلى العكاز، بينما دفعت بام الحساب.

"يبدو ظريفاً"، قالت جانيت مازحةً، بينما تساعد ميلاني على ركوب الليموزين. كان هناك ما يكفي من الوقت لتحميل الحقائب، ولقاء الآخرين، ثم التوجه إلى المطار لرحلتهم إلى فينكس. علمت ميلاني أن الأمر سيزداد جنوناً بدءاً من الآن. لقد بدأت جولتهم الغنائية، وستجوب أرجاء الولايات خلال الأسابيع العشرة القادمة.

رفعت ساقها على وسادة في طائرتهم المستأجرة. لعب أعضاء الفرقة النرد والورق، وانضمت جانيت إليهم. نظرت إلى ابنتها بضع مرات وحاولت أن تشعرها بالراحة أكثر. في النهاية، تناولت ميلاني بضع أقراص مسكنة للألم، وغطت في النوم. أيقظتها بام حال وصولهم فينكس وحملها أحد رجال الفرقة نزولاً على السلم. بدت شاحبة قليلاً، وتشعر بالنعاس.

"هل أنت بخير؟"، سألتها جانيت لدى ركوبهما سيارة ليموزين أخرى، بلون أبيض أيضاً. سيكون هناك أجنحة في الفنادق وسيارات ليموزين بانتظارهم في كل مدينة يقصدونها.

"أنا بخير، أمي"، طمأنتها ميلاني، وعند وصولهم الفندق، طلبت بام الغداء للجميع، في حين اتصلت ميلاني بتوم. "ها قد وصلنا"، قالت، تحاول أن يبدو صوتها أكثر حيوية عما كانت عليه في الحقيقة. لا تزال متأثرة بالأقراص المسكنة، ولكن الحذاء ذا الساق العالي ساعدها في أثناء المشي. إلا أنها كانت عاجزة عن التحرك بسهولة من دون عكاز.

سألها بقلق "كيف كاحلك؟".

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"لا يزال موجوداً. وضعوا لي نوعاً من الجبيرة المتحركة في فيغاس قبل أن نغادر. أبدو شبيهة بدارث فادير وفرانكشتاين. ولكنه يساعدني حقاً. بإمكاني أن أخلعه وأنا على المسرح".

"هل تشعرين بألم؟"، سألها توم بصوت قلق.

"سأكون بخير". ليس أمامها خيار آخر. فعلت ما اقترحه الطبيب وانتعلت حذاءً منبسط الكعب تلك الليلة. كانوا قد أزالوا المنصات المرتفعة عن خشبة المسرح فقد خشيت من السقوط وإيذاء نفسها من جديد. كثيراً ما قالت بأنها تشعر وكأنها في فرقة واليندا الطائرة عندما كانت تعتلي هذه المنصات، وقالت إنه يجب عليهم تزويد المسرح بشباك لتكون سقطات الفنانين أقلّ ضرراً. فقد سقطت مرتين عن المنصات، ولكن هذه هي المرة الأولى التي تصاب بكسر في كاحلها. شعرت بألم كبير، ولكن كان من الممكن أن تكون الحالة أسوأ.

عرجت وهي تعتلي المنصة مستندةً إلى العكاز تلك الليلة، ثم وضعته أرضاً. أعطوها كرسياً طويلاً لتجلس عليه، ومزحت مع الحشد قائلةً بأنها لوت كاحلها في أثناء إقامة علاقة، واعتقدوا أن الأمر مضحك. لكن جمهورها نسي كل شيء عن الأمر حال بدئها بالغناء. أدت وهي جالسة في معظم الأوقات تلك الليلة، ولكن لم يبدُ أن أحداً يمانع ذلك. ارتدت سروالاً مثيراً، وجاربين بقماش شبكي، وصديرية بلون أحمر لامع. وانتعلت حذاءً منبسط الكعب، بدت مثيرة. كررت الأغنيات بوتيرة أقل من المعتاد تلك الليلة. كانت تتلهف للعودة إلى غرفتها وتناول قرص مسكن آخر. اتجهت إلى الفراش مباشرة بعد انتهاء الحفل، حتى قبل أن تتصل بتوم لتخبره كيف جرى العرض. أخبرها أنه ذاهب إلى لوس أنجلوس لتناول العشاء مع أخته، ولم يتصل بها هو الآخر. ولكن في الأحوال العادية، كانا يتحدثان عبر هاتفيهما الخلويين طوال الوقت.

مكثوا في فينكس مدة يومين، ومن هناك، سافروا إلى دالاس وفورت وورث. قدموا عرضين في كل مدينة، وواحداً في أوستن، وآخر في

أستروردوم في هيوستن. انتعلت الحذاء عالي الساق بالتزام عندما لم تكن على المسرح، وشعرت بأن كاحلها قد تحسن. تمكنوا أخيراً من الاستراحة ليومين في أوكلاهوما، وكان ذلك بمثابة المتنفس للجميع. سيسافرون إلى جميع الولايات، وستعمل بجد. إن الأداء بكاحل مصاب مجرد إضافة إلى التحديات التي يتوجب عليها مواجهتها في أثناء قيامها بجولاتها الغنائية. فقد أصيب أحد مساعدي الفرقة من قبل وكسر ذراعه، وأصيب مهندس الصوت في ظهره في أثناء حمله معدات ثقيلة من جراء انزلاقه بسبب حمله الثقيل. ولكن مهما حدث، عرفوا جميعاً بأنه يتوجب عليهم الاستمرار. تصبح الحياة صعبةً حال انطلاقهم في رحلاتهم. يقضون ساعات مُنهكة، ويقومون بتدريبات صعبة، وتكون غرف الفنادق كئيبة أحياناً. كلما أمكن، يحجزون أجنحة في فنادق. يتمتعون بسيارات الليموزين التي تنتظرهم في كل مطار، ولكن ليس هناك أماكن ليذهبوا إليها، إلا الطريق بين قاعات الحفلات والفندق. أدوا في العديد من المدن على المدرجات. الحدث بكامله جزء من حياتهم، يشقون طريقهم من مدينة إلى مدينة. بعد مضي فترة من الزمن، بدت جميع الأماكن التي يقصدونها متشابهة بالنسبة إليهم، ولا يذكرون أين ذهبوا.

"يا الله، أريد أن أستريح من هذا كله"، قالت ميلاني لوالدتها في ليلة حارة في كانساس. لقد كان العرض جيداً، ولكنها آذت كاحلها عندما قفزت عن المسرح، وكان يؤلمها أكثر من السابق. "أنا متعبة، أمي"، اعترفت، فرمتها والدتها بنظرة غاضبة.

"إن أردت أن تبيعي تسجيلاتك بالملايين، يتوجب عليك الانطلاق بالجولات"، قالت والدتها بصورة عملية. عرفت الكثير من أمور العمل، وأدركت ميلاني أنها على حق.

"أعرف، أمي"، لم تجادلها ميلاني، ولكنها بدت منهكة عندما عادت إلى الفندق. تلهفت لأخذ حمام ساخن ثم الاسترخاء في السرير. لقد كانت محقةً في ما تقول. شعرت بالحاجة إلى بعض الاستراحة. سيحظون جميعاً

بإجـازة لمـدة أسبوع عند وصولهم شيكاغو. خطط توم للسفر إلى هناك للقائها. وانتظرته هي بفارغ الصبر.

"تبدو متعبة"، علّقت بام لجانيت. "ليس من الممتع الأداء بكاحل كهذا"، جهّزوا لها كرسياً على المسرح في كل مدينة، ولكنه اتضح بأن كاحلها لا يـشفى، وبأنهـا تـشعر بألم كبير. عندما لا تكون في الأداء، تعرج على عكازهـا منـتعلة حذاءها عالي الساق. كان يشعرها ببعض الراحة، ولكن لـيس بمـا يكفـي. ولا يزال الكاحل متورماً على حاله. لم يتحسن على الإطـلاق. كـان الأمـر ليزداد سوءاً بالفعل لولا وجود الطائرة الخاصة. يمكـنها الآن علـى الأقـل الاستلقاء في أثناء الرحلة. فالسفر في رحلات تجارية مع جميع معداتهم شاق جداً، وسيصيبهم بالجنون جميعاً. إن تفحص الأمـتعة والمعـدات سيتطلب منهم ساعات قبل الصعود إلى الطائرة. أما الآن، فبإمكانهم تحميل أمتعتهم والانطلاق على الفور.

حـال لقاء توم بها في شيكاغو، تفاجأ لمقدار تعبها وشحوبها، وكانت منهكة بكل ما في الكلمة من معنى.

كـان ينتظـرها في الفندق عند وصولهم من المطار، ودار فيها بين ذراعـيه، حتى مع حذائها الثقيل، ثم وضعها برفق على الكرسي. ابتسمت بابتهاج ومرح. دخل جناحها قبل نصف ساعة من وصولها. كانوا ينزلون في فندقٍ فاخرٍ، وحظوا بجناحٍ عملاقٍ. إلا أن ميلاني سئمت خدمة الغرف، والتواقـيع، والأداء ليلة بعد ليلة مهما كان الألم الذي تشعر به. صُدم توم عندما رأى أن كاحلها لا يزال متورماً ويؤلمها.

مـن المفتـرض أن يقـيموا الحفل الغنائي يوم الثلاثاء. والليلة هي السبت. سيغادر توم صباح الاثنين، ليعود إلى عمله في لوس أنجلوس. كان قـد بدأ بالعمل بعد رحيلها، وقال بأنه أحبه. بدت الرحلات التي وعدوه بها رائعـة. كـان يعمـل برفقة مهندس مدني، وبالرغم من أن جميع أعمال الـشركة التـي انضم توم إليها مربحة، كان هناك العديد من المشاريع في الـبلدان النامية حيث يقدمون خدماتهم مجاناً للحكومات، وهذا أمر يتناسب

تمامـاً واهـتمامات توم. كانت فخورةً ومعجبةً بصفاته الإنسانية، وشعرت بالسرور لأنه وجد عملاً يحبه. كان توم قلقاً حيال إيجاد وظيفة عندما عاد إلـى باسـادينا. حتى إنه لم يكن يمانع العمل في لوس أنجلوس بالرغم من المـسافة الطويلة التي ستضطرّه إلى استخدام المواصلات على نحو متعب. بعـد زلزال سان فرانسيسكو، كان مسروراً بالعودة. وكان إيجاد مثل هذا العمل فرصةً مثاليةً له.

اصـطحبها تـوم لتناول العشاء تلك الليلة، وتناولت قطعة هامبرغر عملاقة مشبعةً بالدهون، مع حلقات البصل المقلية. وبعدها عادا إلى الفندق وتحـدثا عـن الكثير من الأمور. أخبرته عن جميع المدن التي ذهبوا إليها وعـن العديد من الحوادث على الطريق. إن العيش في حالة من التجوال المستمر يشبه حالة أطفال يذهبون إلى المخيم، أو جنودِ شبابٍ يُرحّلون إلى الخارج.

كـان هـناك إحـساس مستمر بعدم الاستقرار بسبب كثرة الترحال والتنقلات... وبالرغم من أن لذلك شعوراً ممتعاً أحياناً، لا سيما لما يوفّره من أجواء عذبة ومغامرات، إلا أنه منهك بعض شيء. ولتغيير رتابة السفر الكثيـر، لعـب أعضاء الفرقة ومساعدوهم ببالونات المياه ورموا بعضها خـارج نوافذ الفندق، بغية إصابة المارين في الشارع. رآهم المدير أخيراً، صعد إليهم، ووبخهم. كانوا أشبه بأطفال، لا شيء يفعلونه أفضل من اللعب بالبالونات. إن مساعدي الفرقة وأعضاءها كثيراً ما يسببون المشاكل وقت الاستراحة، وفي معظم الأوقات، يذهبون إلى المشارب والنوادي، يتسكعون ويـثملون. استمتع توم بالتحدث إليهم واعتقد أنهم مرحون جداً. ولكن أكثر مـا أثـار اهتمامه هو المكوث مع ميلاني. لقد بدأ يشتاق إليها أكثر فأكثر عندما لا يكونان معاً. وقالت ميلاني مرةً لبام إنها واقعة في حب توم وحبها لـه يزداد يوماً بعد يوم. إنه ألطف صديق عرفته في حياتها، وقالت بأنها محظـوظة حقاً لوجوده معها. ذكّرتها بام أنها واحدة من أشهر نجوم العالم الآن، وهو محظوظ أيضاً. وفضلاً عن ذلك، هي إنسانة لطيفة. عرفتها بام

www.mlazna.com-RAYAHEEN

منذ كانت في السادسة عشرة، ووجدتها واحدة من ألطف الأشخاص الذين قابلتهم في حياتها، على نقيض والدتها، والتي كانت صعبة المراس حقاً. اعتقدت بام أن توم وميلاني يشكلان زوجين رائعين.

فهما متشابهان في المزاج، والطيبة، والودية، ويتمتعان بالذكاء، ولم يبدُ أنه يغار من نجوميتها أو عملها، وهذا أمر نادر حقاً. علمت بام أن أمثالهما قليلون على الكوكب، وبفضل ميلاني، كانت تستمتع في عملها كثيراً.

أمضى توم وميلاني وقتاً رائعاً في شيكاغو. ذهبا لمشاهدة الأفلام، والمتاحف والمطاعم، وللتسوق، وأمضيا أوقاتاً حميمةً. عندما كانت تخرج، كانت تستخدم العكاز وتنتعل الحذاء عالي الساق. أرادها توم أن تفعل ذلك. أمضيا عطلة نهاية أسبوع رائعة، وشعرت ميلاني بالامتنان لأنه تمكن من السفر للقائها كما يفعل دائماً. كان يستخدم رحلاته المجانية جميعها للحضور لرؤيتها. إن التلهف لرؤيته، واكتشاف المدن معاً ساعدا ميلاني على تحمّل الجولة على نحو أفضل. سيتجهون إلى الساحل الشرقي بعد ذلك، وصولاً إلى فيرمونت ومين. سيقيمون حفلات في بروفيدانس ومارثاز فاينارد. قال توم بأنه سيحاول أن يأتي مجدداً إلى ميامي ونيويورك.

انقضت عطلة نهاية الأسبوع سريعاً، وكرهت أن تراه يغادر من جديد. كان الطقس دافئاً وكئيباً عندما خرجت تودعه بينما أوقف سيارة الأجرة. ساعدها الحذاء على ذلك، وكان ألمها أقل مع حلول وقت مغادرة توم. وضعت الحذاء بجانب سريرها تلك الليلة، وشعرت وكأنها تخلع ساقاً خشبيةً. مزح معها توم لذلك، وضربته به مرة. حتى كادت توقعه.

"هيه، مهلاً. أحسني التصرف!"، وبخها، ثم خبأه أسفل السرير. كانا يشبهان الأطفال أحياناً ودائماً ما يحظيان بالكثير من المرح. أضفى كل منهما المرح على حياة الآخر، وبدا أنهما يقعان في الحب أكثر فأكثر. بالنسبة إلى توم وميلاني، كان هذا صيف الاكتشاف والمتعة.

في سان فرانسيسكو، قبل سيث وسارة بأول عرض على منزلهما. كان عرضاً جيداً. سيأتي أناس إلى المدينة من نيويورك وأرادوه بسرعة

كبيرة. دفعوا أعلى من السعر المطلوب تقريباً، وأرادوا إنهاء عملية البيع بسرعة. كرهت سارة أن تشاهد منزلها معروضاً للبيع، وشعرت بأنها تحرم منه، ولكنها وسيث شعرا بالراحة أيضاً لانتهاء عملية البيع بسلام. أرسلت سارة جميع الأشياء التي يرغبان ببيعها إلى كريستي. أرسلت أثاث غرفة النوم الكبيرة، وبعض الأغراض من غرفة المعيشة، وملابس الطفلين وبعضاً من أغراضهما إلى شقتها الجديدة في شارع كلي. عليهما التشارك في غرفة واحدة الآن، بدلاً من امتلاك غرفة لكل منهما، وبهذا لا يحتاجان إلى الكثير. ذهبت جميع الملفات والأوراق في مكتب سيث إلى فندق هارت بريك في برودواي. تشاركا بأغراض المطبخ. أرسلت أريكة وكرسيان إلى سيث. والباقي ذهب إلى المستودع. أما الأعمال الفنية فسيتم إرسالها جميعاً إلى مزادٍ في نيويورك. حزنت كثيراً لرؤية كيف انهار منزلهما بسرعة، على غرار حياتهما. في غضون أيام، أصبح المنزل فارغاً وبغيضاً. إنّ رؤية ذلك كله يحدث ذكّرها بزواجهما المتضعضع. أثار ذهولها انهياره في تلك الفترة الوجيزة. ملأتها الكآبة وهي تتجول في أرجاء المنزل للمرة الأخيرة. وجدت سيث يقف في مكتبه، يبدو مكتئباً مثلها تماماً. كانت قد نزلت للتو من غرفتي الطفلين، لتتأكد من أن كل شيء في الشاحنة. وأخذت بارماني الطفلين إلى منزلها تلك الليلة، لتتمكن سارة من التجهيز لكل شيء في شقة شارع كلي.

"أكره مغادرته"، قالت سارة، وهي تنظر إليه. أومأ، ثم نظر إليها بعينين مليئتين بالندم الشديد.

"أنا متأسف، سارة... لم أعتقد أبداً أن هذا سيحدث لنا". لاحظت بأنه للمرة الأولى قال: *لنا* بدلاً من *لي* فقط.

"ربما حصل ذلك لسبب ما". لم تعرف ماذا تقول سوى ذلك، ولم يقل شيئاً هو أيضاً. ذهبت وعانقته، تمنحه بعض الراحة. وقف هناك لوقت طويل، وذراعاه إلى جانبيه، ومن ثم وضع ذارعيه حولها. "تعال لرؤية الطفلين متى شئت"، قالت بسماحة نفس. لم تذهب بعد لرؤية المحامي من

أجل معاملات الطلاق. لا يزال هناك متسع من الوقت لذلك، كما سيتوجب عليها حضور المحاكمة معه على أي حال. قال هنري جاكوبس بأنه لن يعلن عن حضورها ولكنه عامل إيجابي هام في الدفاع عن زوجها. كما استخدما محاميين آخرين للدفاع عنه. سيعملان مع هاري كفريق. يحتاج سيث إلى مطلق المساعدة التي تتوفر له. فالأمور ليست لُصالحه.

"هل ستكونين بخير؟"، سألها سيث مع نظرة من القلق العميق. للمرة الأولى منذ وقت طويل، تخلى عن نرجسيته وفكّر في شخص آخر، غير نفسه. اعتقدت سارة بأنها المرة الأولى، وكانت تعني لها الكثير. مرا بالكثير من الصعاب معاً منذ اعتقال سيث.

"سأكون بخير"، قالت سارة وهما يقفان في غرفة الطعام للمرة الأخيرة.

"اتصلي بي إن احتجت، في أي ساعة، وأي وقت"، قال سيث وهو يبدو حزيناً، ومن ثم خرج الاثنان. هذه هي نهاية حياتهما معاً، وانهيار منزلهما. وضع سيث حداً للحياة التي عرفاها. وعندما نظرت إلى المنزل الذي أحبته، وقفت سارة هناك وبكت. كانت تبكي على زواجهما وعلى أحلامهما الضائعة، وليس على المنزل. كاد حزنها يمزق قلب سيث. "سأمر لآخذ الطفلين غداً"، قال بصوت أجش. التفتت سارة وأومأت، ثم دخلت سيارتها، وانطلقت بها إلى شارع كلي. تلك بداية حياتها الجديدة الآن، ومن خلال مرآتها الأمامية، رأت سيث في سيارته البورش الفضية الجديدة التي لم يدفع ثمنها بعد، ينطلق بعيداً. غمر قلبها الحزن وهي تراقبه. وكأن الرجل الذي أحبته وتزوجته، وأنجبت منه طفلين، قد مات للتو.

الفصل السادس عشر

كانت شقة سارة الجديدة في شارع كلي ضمن منزل فيكتوري تم تجديده وطلاؤه مؤخراً. يتألف المنزل من طابقين، ولم تكن شقتها أنيقة أو جميلة، ولكن سارة علمت بأنها ستصبح أجمل عندما تضع أغراضها. عملت أولاً على تجهيز غرفة الطفلين. أرادتهما أن يشعرا وكأنهما في منزلهما غداً عندما يعودان. أخرجت أغراضهما المفضلة وألعابهما بمحبة وبطء، تخشى من أن يكون أي شيء قد كُسر في العلب، إلا أن ذلك لم يحدث. حتى الآن، بدا كل شيء بخير. أمضت الساعات في إفراغ الكتب والألعاب من العلب، وساعتين في ترتيب البياضات والأسرّة. كانا قد تخلصا من الكثير من الأشياء، لدرجة أصبحت فيها حياتهما فارغةً فجأة. لا يزال من الصعب تصديق ما حدث، وبفضل احتيال سيث الذي يعجز أحد عن تصديقه، تغير كل شيء في حياته وحياة زوجته وطفليه. استمرت المقالات المُذلة في الظهور على صفحات الصحف المحلية والوطنية. وسواء أكانت مُذلة أم لا، كل ما احتاجت إليه هو العمل. اتصلت ببعض المعارف، وأرادت أن تبذل أقصى جهد ممكن في الأيام القليلة التالية.

بينما كانت تقلّب بعض الأوراق من الحفل الخيري، راودتها فكرة. ستكون أقل من مستواها بكثير، ولكن في هذه المرحلة، هي ممتنة للحصول على أي عمل يتوافر لها. اتصلت برئيس وحدة الأطفال حديثي الولادة في المشفى بعد ظهر يوم الأربعاء، عندما كان طفلاها نائمين. كما أنها خفضت ساعات عمل بارماني لأقصى ما يمكن،

www.mlazna.com-RAYAHEEN

وحالما تجد العمل، ستزيدها مجدداً. وتفهمت تلك المرأة النيبالية اللطيفة الوضع. انفطر قلبها حزناً على سارة والطفلين، وأرادت القيام بأي شيء للمساعدة. وبحلول ذلك الوقت، كانت قد قرأت جميع المقالات أيضاً.

أعطى رئيس وحدة الأطفال حديثي الولادة لسارة الاسم الذي طلبته، ووعدها أن يوصي بها. وبهدف منحه الوقت للقيام بذلك، انتظرت حتى الصباح التالي، إلى حين تسلّمها رسالة منه بأنه أجرى الاتصال. كان اسم المرأة هو كارين جونسون. وهي رئيسة قسم التطوير في المشفى، والمسؤولة عن جمع التبرعات، وعن أي استثمارات يقيمها المشفى. لم يكن ذلك مثل سوق أسهم نيويورك، ولكن سارة اعتقدت أنه عمل ممتع، إن كان هناك مكان شاغر في القسم لها. عندما اتصلت سارة بها، أعطتها موعداً يوم الجمعة بعد الظهر. كانت ودودة ومرحّبة جداً، وشكرت سارة على المساهمة الكبيرة التي جلبها الحفل الخيري لوحدة الأطفال حديثي الولادة. فقد جمعوا ما يتجاوز المليوني دولار. كان أقل مما أملت، ولكنه أعلى من المبلغ الذي حصلوا عليه في السنة السابقة.

جاءت بارماني بعد ظهر يوم الجمعة، وأخذت الطفلين إلى الحديقة بينما ذهبت سارة إلى موعدها في المشفى. شعرت بالتوتر. إنها المرة الأولى منذ عشر سنوات تذهب فيها لإجراء مقابلة عمل. كانت آخر مقابلة لها في سوق الأسهم، قبل التحاقها بكلية الأعمال، عندما التقت بسيث. عدّلت سارة سيرتها الذاتية، وذكرت فيها الحفلات الخيرية التي نظمتها للمشفى. ولكنها علمت أيضاً أنه يصعب عليها الآن الحصول على عمل، بالنظر إلى أنها لم تعمل منذ أن أنهت دراستها. فمنذ ذلك الحين، تزوجت بسيث، وظلت تعتني بطفليها. وبهذا أصبحت خارج سوق العمل.

كانت كارين جونسون امرأة طويلة، ورشيقة، ولطيفة، وكانت لهجتها تنم على أنها من لويزيانا، وكانت لبقة ومهتمة خلال اللقاء. تحدثت سارة بصدق عن الصعوبات التي واجهتها، وعن محاكمة سيث، وحقيقة أنهما

منفصلان حالياً، وبأنها تحتاج إلى الوظيفة للأسباب الواضحة. ولكن الأهم من ذلك، امتلكت القدرات التي احتاجوا إليها.

كانت أكثر من مجرد قادرة على إدارة استثماراتهم، وفجأة أحست بالذعر، خشيت أن يعتقدوا أنها ربما تكون غير نزيهة مثل زوجها. رأت كارين نظرة القلق والذل في عينيها، وعرفت سببها على نحو صحيح. أسرعت تطمئنها، وتعاطفت معها لما واجهت من مشاكل.

قالت سارة بصدق "ظروفنا صعبة جداً، وقعت المصيبة علينا كصدمة مروعة... لم أمتلك أي فكرة عما كان يحدث، حتى اليوم الذي تلا الزلزال". لم ترغب بمناقشة تفاصيل القضية معها، وهي على أي حال منتشرة في جميع الصحف. لم يعد سراً أن سيث سيحاكم بتهمة الاحتيال، وخرج من السجن حالياً بكفالة. علم جميع سكان البلد ما اقترفه، بمجرد قراءتهم الصحف أو سماعهم نشرات الأخبار.

شرحت كاثرين بأن هناك مساعدةً لها في القسم وانتقلت مؤخراً إلى لوس أنجلوس. كان هناك بالفعل مكان شاغر للعمل في قسم التطوير، ولكنها أسرعت في القول بأن المشفى لا يدفع أجوراً مرتفعة. ذكرت لسارة الرقم، وبدا جيداً بالنسبة إليها. رقم متواضع، ولكنه جدير بأن يعتمد عليه. حددت ساعات العمل من التاسعة صباحاً وحتى الثالثة بعد الظهر. وبهذا يمكنها أن تصل المنزل حال استيقاظ طفليها من غفوتهما، وتمضي فترتي بعد الظهر والمساء معهما، بالإضافة إلى عطل نهاية الأسبوع. وبناءً على طلب من كارين، تركت سارة ثلاث نسخ من سيرتها الذاتية. وعدتها كارين أن تتصل بها الأسبوع القادم، وشكرت سارة بدفء لاهتمامها بالعمل.

شعرت سارة بالحماسة عندما غادرت المشفى. أحبت كارين، وفرصة العمل. كان المشفى يعني الكثير لها، إذ إنها تهتم كثيراً بنوع العمل والاستثمار الذي وصفته كارين. كما أحبت فكرة جمع التبرعات أيضاً. كل ما يمكنها أن تأمله الآن هو الحصول على العمل. كما أن موقعه بدا مناسباً لها. فالمشفى لا يبعد كثيراً عن منزلها الجديد، وستتمكن من الوصول إلى

مقر عملها سيراً على قدميها. كما أن دوام العمل سيمنحها وقتاً تمضيه مع طفلـيها. أما المشكلة الوحيدة فهي كانت بالراتب الذي لم يكن كما تتمنى، ولكن لا بأس به. ثم راودتها فكرة وهي في طريقها إلى المنزل.

اتجهـت إلـى بريسيديو لزيارة الأخت ماغي في المشفى الميداني. أخبـرتها عـن اللقاء الذي أجرته مع مسؤولة المشفى. تحمست ماغي لذلك.

"عمـلٌ رائعٌ، سارة!". أعجبت بشجاعتها في مواجهة كل ما مر بها. أخبرتها سارة أنهما باعا المنزل، وانفصلا، كما انتقلت إلى شقة في شارع كلـي مـع طفلـيها. لم تمر سوى بضعة أيام منذ تحدثتا آخر مرة. إلا أن الأمور تتغير بسرعة.

"آمـل أن أحـصل علـى العمـل. إنني بحاجة إلى المال حقاً". قبل شـهرين، لم تكن مضطرة أبداً لقول هذه الكلمات. لم تكن في قاموسها أو قاموس سيث. كم تتغير الأمور بسرعة! "أحب ذلك المشفى. لقد أنقذت حياة مولـي فـيه. لهذا السبب نظمت الحفل الخيري لجمع التبرعات لصالحه". تذكرت ماغي حديث سارة قبل وقوع الزلزال، وأداء ميلاني.

"كـيف حالك أنت وسيث؟"، سألتها ماغي حال دخولهما صالة الطعام لاحتـساء فـنجان من القهوة. كانت الأمور أكثر هدوءاً في بريسيديو هذه الأيـام. فقـد تمكن عدد من المقيمين من العودة إلى منازلهم، إلى مناطق استعادت الكهرباء والمياه مجدداً.

قالت سارة بصدق "ليست أمورنا جيدة، فنحن نادراً ما نتحدث سوية. إنه يعيش في شقة في برودواي، ومنذ انتقالنا إلى شقتنا الجديدة، لم تتوقف مولي عن سؤالي عن مكان والدها".

"وماذا تجيبينها؟"، سألت ماغي برقة، وهما تجلسان لاحتساء القهوة. اسـتمتعت بالحـديث مع سارة. إنها امرأة طيبة، وسرّت ماغي بصحبتها بالـرغم مـن أنهما لا تعرفان بعضهما جيداً. إلا أن سارة فتحت قلبها لها ووثقت بماغي بالكامل.

"أقول لها الحقيقة، بأفضل شكل ممكن. حقيقة أن والدها لم يعد يعيش معـنا. لا بأس في ذلك بالنسبة إلى الطفلين. سيأتي لاصطحابهما في عطلة نهايـة الأسـبوع هـذه. وستمضي مولي الليلة عنده. أما أوليفر فلا يزال صـغيراً جداً على ذلك"، تنهدت عندها. "وعدت سيث أن أحضر المحاكمة معه".

"ومتى موعدها؟".

"تحـدد مـوعدها في آذار". لا يزال هناك وقت طويل، تسعة أشهر. إنها مدة طويلة وهي لكانت تكفي للحمل بطفل وإنجابه لو كانت تريد ذلك، ولكـن ذلك انتهى الآن. لم تتمكن من تخيل أن يعود زواجهما إلى ما كان عليه مجدداً. ليس الآن على كل الأحوال. شعرت بخيانته الكبيرة.

"لا بـد مـن أن ذلك يُشعركما بالتوتر"، علّقت ماغي، تبدو متعاطفة. لطالمـا كانت لطيفة معها. "وما حال المسامحة عندك، بالمناسبة؟ أعلم أنها ليست بالأمر اليسير، لا سيما في هذه الظروف".

قالـت سارة بهدوء "هذا صحيح، لأكون صادقة معك، لا أعتقد أنني أتقـبل الأمر جيداً. أشعر بغضب شديد أحياناً، وبألم. كيف أمكنه فعل هذا؟ كانـت حياتنا رائعة. أحبه، ولكن لا أفهم كيف أمكنه فعل شيء كهذا. ليس لديه مقدار ذرة من حسّ الأمانة".

"لا بـد من أن أمراً ما قد حدث. إنه خطأ كبير ويبدو أنه سيدفع ثمناً باهظـاً لقـاء ذلك. ربما هذا عقاب كاف. وخسارتك أنت والطفلين ستكون الضربة القاضية"، أومأت سارة. تكمن مشكلتها في أنها ستدفع الثمن أيضاً. خسرت زوجها وفقد طفلاها والدهما. والأسوأ من ذلك كله، فقدت احترامها لـه ولم تعد متيقنة إن كان بإمكانها الوثوق به مجدداً. علم سيث ذلك، ولم يجرؤ على النظر في عينيها قبل مغادرته. عبّرت نظراتها عن كل شيء.

"لا أريد أن أقسو عليه. ولكن الأمر فظيع. دمّر حياتنا بشكل كامل"، أومأت ماغي وهي تفكّر في الأمر. من الصعب فهم ذلك حتماً. إنه الجشع ربما، والحاجة إلى التمتع بأكثر مما يستحقه. إنه عيب في الشخصية ظهر

فجأة، وتحول إلى سيل عارم جرف معه كل شيء. ولكن سارة بدت بحالة جيدة، وأفضل مما توقعت ماغي. أرادت أن تخبرها شيئاً عن نفسها وعن مشاكلها الخاصة، ولكنها لم تعرف من أين تبدأ. نظرت بعينيها الزرقاوين الكبيرتين إلى عيني سارة، التي شاهدت شيئاً يثير القلق بشدة في هاتين العينين. "هل أنت بخير؟"، سألتها سارة، فأومأت ماغي.

"نوعاً ما. أنا أيضاً، أواجه تحديات الحياة في بعض الأحيان"، ابتسمت. "حتى الأخوات يواجهن أفكاراً غريبةً ويقمن بأعمال مجنونة. أنسى أحياناً أن في داخلنا ضعفاً بشرياً كالجميع. وعندما أظن أن جميع الأمور استقرت، أشعر بالضياع ولا أعرف ما الذي أفعله. يذكّرني ذلك بفشلي وإنسانيتي ويجعلني أشعر بالذل"، قالت بإيجاز، ثم ضحكت. "أنا آسفة. لا أعرف عما أتحدث". لقد كانت مضطربة مؤخراً، تشعر بالكثير من القلق، ولم ترغب بأن تحمّل سارة أعباء مشاكلها. لديها ما يكفي منها. ولا سبيل للخلاص مما يُقلق ماغي. يتوجب عليها فقط أن تخرج إيفريت من عقلها. أقسمت على فعل ذلك.

عادتا إلى المشفى الميداني. ودّعتها سارة، ووعدتها أن تأتي لرؤيتها قريباً.

"أعلميني إن حصلت على الوظيفة!"، صاحت لها عندما مشت سارة بعيداً. تساءلت سارة ما إن كانت ستحصل عليها. إنها مؤهلة حتماً، ولكن حظها أصبح عاثراً مؤخراً. إنها تحتاج إلى العمل. لم يجب أحدٌ على سيرتها الذاتية التي أرسلتها إلى عدة مؤسسات، ولكنها تمنت أن تقبل في المشفى.

عادت سارة بسيارتها إلى منزل شارع كلي، وشعرت بالسرور عند رؤيتها أن بارماني والطفلين قد عادوا إلى المنزل. صاحت مولي فرحاً وركضت إليها، وحبا أوليفر على الأرض مبتسماً لوالدته. رفعته إلى الأعلى، وأجلسته على حضنها، بينما حضنتها مولي، وعندها أدركت سارة من جديد أنه مهما حدث، ستظل مستمتعةً بأعظم نعمة في حياتها. وبينما

كانت تحضّر الغداء، فكّرت كم كان لطيفاً رؤية ماغي عصر ذلك اليوم. تساءلت ما قد تكون مشكلتها. ومهما كانت، أملت ألا تكون كبيرة. إنها مثال للمرأة اللطيفة، والشخصية الرائعة التي لم تتخيل سارة أنها عاجزة عن حل أي مشكلة. لقد ساعدت سارة حتماً في مشكلتها. أحياناً يتطلب الأمر آذاناً صاغيةً وقلباً طيباً، إلا أن الأخت ماغي قدّمت أكثر من ذلك بكثير. بثت فيها الحكمة والمحبة والسعادة أيضاً.

كان كاحل ميلاني لا يزال يؤلمها عند عودتها إلى لوس أنجلوس أوائل شهر أيلول. ظل يؤلمها طوال فترة جولتها. ذهبت لرؤية الطبيب في نيو أورلينز، ثم زارت طبيباً آخر برفقة توم عندما زارت نيويورك. أخبرها كل من الطبيبين بأن شفاءها سيستغرق وقتاً. وهي في هذه السن، يكون الشفاء سهلاً، ولكن الصعود والنزول على خشبات المسارح، والتجول لشهرين في أرجاء البلد، والوقوف في أثناء عرض الحفلات لليلة أو ليلتين كانت أموراً شاقةً عليها. أخيراً، عندما عادت إلى لوس أنجلوس زارت طبيبها، وقال بأنها لم تشفَ كما يجب. أخبرها أنها تقسو على نفسها بالعمل. وهذا ليس بالأمر الجديد. وصفت له جولتها، وما كانت تفعله. ذُعر لسماع ذلك. كانت لا تزال تنتعل الحذاء الأسود عالي الساق، بالنظر إلى أن كاحلها لم يشفَ تماماً، وكان يمنحها بعض الراحة والحماية من المزيد من الإصابة. فالوقت الوحيد الذي لم يكن كاحلها يؤلمها فيه هو عند انتعاله أو في أثناء النوم. دائماً ما كان يؤلمها كاحلها على المنصة، وحتى مع الأحذية الخفيفة منبسطة الكعب.

شعر توم بالقلق عندما اتصلت به وهي في طريقها إلى المنزل. "ماذا قال؟".

"قال بأنني بحاجة إلى الراحة، أو ربما يتوجب عليّ التقاعد"، مزحت ميلاني. أعجبت باهتمامه. لدى مقارنته مع جيك، يتضح أن جيك كان نموذجاً للرجل الوغد. أراد توم الاطمئنان على كل شيء، حتى ما قاله الطبيب عندما أجرى صورة أشعة أخرى. قالت "في الحقيقة يقول لا يزال

www.mlazna.com-RAYAHEEN

هناك جزء صغير من السكر لم يلتحم، وإن لم أخفف من العمل، سأضطر إلى إجراء عملية جراحية لوضع براغٍ كي يسرّع عملية الالتحام. أعتقد أنني سأختار تخفيف العمل. ليس هناك الكثير لأفعله الآن"، ضحك توم.

"ومنذ متى ليس أمامك الكثير لفعله؟". كانت قد أنهت كل الأعمال عندما وصلت المنزل في اليوم السابق. دائماً ما تكون ميلاني منشغلة. وشعر توم بالقلق عليها كثيراً.

سألتها والدتها عن كاحلها عندما وصلت المنزل. أعلمتها ميلاني بأن الطبيب قال إنه ليس بالأمر الفظيع. إلا إن ذهبت في جولة مجدداً، عندها ربما اضطُر إلى إجراء عملية جراحية.

قالت والدتها "بدأ حال كاحلك يسوء، كلما أنظر إليك، أراك تعرجين فقدمك لا تزال متورمة. هل أخبرت الطبيب عن ذلك؟ حتى إنك عاجزة عن انتعال كعبٍ عالٍ".

بدت ميلاني مرتبكة. "نسيت".

"النسيان أمر فظيع بالنظر إلى أنك بلغت العشرين من العمر"، أضافت جانيت. لم يتوجب على ميلاني أن تتصرف كبالغة بالكامل. في بعض الأحيان، إنها مجرد طفلة. وهذا جزء من سحرها. بالإضافة إلى وجود حشدٍ من الأشخاص للاعتناء بها. ولكن من نواحٍ أخرى، كانت ميلاني تتصرف وكأنها أكبر بكثير من عمرها وقد أصبحت بالغة منذ وقت طويل بسبب العمل الشاق وكثرة الالتزام في مهنتها. إنها امرأة بالغة في عالمها، وطفلة ساحرة في آن واحد. كانت والدتها لتفضل أن تظل طفلة صغيرة. فذلك يمنحها القوة، ولكن بالرغم من جهود جانيت، كانت ميلاني تكبر، وستصبح امرأة مستقلة بذاتها.

حاولت ميلاني الاعتناء بكاحلها. ذهبت إلى جلسات العلاج الفيزيائي، ومارست التمرينات، وكانت تضع قدمها في الماء ليلاً. شعرت بأنها تتحسن الآن، ولكنها خشيت من انتعال أي حذاءٍ عالي الكعب، وإن وقفت في التدريبات لوقت طويل، كان ألم الكاحل يعاودها. إنه الثمن الذي يتوجب

عليها دفعه لقاء العمل الذي تقوم به، وكان ثمناً باهظاً. إن المال والشهرة ومتع عالمها لم تأتِ بسهولة. ظلت طوال الصيف تعمل وهي تشعر بالألم، تعتلي المسرح ليلاً، وتسافر باستمرار، ويتوجب عليها أن تبدو وكأن كل شيء رائع، أو أنها بخير على الأقل، حتى عندما لا تكون كذلك. ظلت تفكر في حالها في إحدى الليالي وهي ممددة على سريرها، وكاحلها يؤلمها، وفي الصباح، أجرت اتصالاً هاتفياً. امتلكت الاسم والرقم في محفظتها منذ مغادرتها بريسيديو في أيار. عقدت موعداً لعصر اليوم التالي، وذهبت للقائه وحدها، ولم تخبر أحداً.

كان الرجل الذي ذهبت لرؤيته قصيراً وممتلئ الجسد مع رأس أصلع وعينين من ألطف ما رأته في حياتها، باستثناء عيني ماغي. تحدثا لوقتٍ طويلٍ، طويلٍ جداً. وعندما قادت ميلاني سيارتها عائدة إلى المنزل في هوليوود، كانت تبكي. تلك كانت دموع الحب، والمرح، والراحة. كانت بحاجة إلى بعض الإجابات الآن، وجميع اقتراحاته كانت رائعة. كما دفعتها الأسئلة التي طرحها عليها عن حياتها إلى التفكير بصورة أعمق. اتخذت قراراً واحداً ذلك اليوم. لم تعلم ما إن كانت ستقدر على تنفيذه، ولكنها وعدته ووعدت نفسها أن تحاول.

"هناك مشكلة، أليس كذلك، ميل؟"، سألها توم عندما جاء لاصطحابها إلى العشاء تلك الليلة. ذهبا إلى مطعم يقدّم السوشي الذي يحبانه. كان هادئاً وجميلاً، وكان الطعام لذيذاً. امتاز بأجواء يابانية هادئة، وعندما نظرت إلى توم ابتسمت.

"لا، لا مشكلة إطلاقاً، على ما أظن". أخبرته عن الموعد الذي ذهبت إليه ذلك اليوم مع الأب كالاغان. قالت بأن ماغي أعطتها اسمه عندما عبّرت لها عن رغبتها بالقيام بعمل تطوعي. يدير دارين للأيتام في لوس أنجلوس، وبعثة إنسانية في المكسيك، ويمكث في لوس أنجلوس لبعض الوقت فقط. شعرت بأنها محظوظة عندما اتصلت به. بالنظر إلى أنه سيغادر في اليوم التالي.

أخبـرت توم عن العمل الذي يقوم به، معظمه مع الأطفال المهجورين، والفتـيات الـشابات اللواتي ينقذهن من بيوت الهوى، والصبية الذين كانوا يتاجـرون بالعقاقيـر منذ السابعة أو الثامنة من عمرهم. يوفر لهم السكن ويطعمهـم، ويـشعرهم بالحـب، ويغيّر حياتهم. بالإضافة إلى وجود ملجأ للنـساء اللواتـي تعرضن للعنف، ويساعد الآن على بناء مشفى للمصابين بالإيـدز. كـان يعمـل مع أشخاص مثله في لوس أنجلوس، إلا أن عشقه الحقيقـي هـو الخدمات التي يقدمها في المكسيك. ظل ينجز تلك الأعمال لأكثر من ثلاثين سنة. سألته ميلاني ما الذي يمكنها فعله للمساعدة. أرادت الـتطوع للعمـل في لوس أنجلوس، وفكّرت في أنه ربما سيطلب منها أن تحرر له شيكاً للمساعدة في بعثته في المكسيك أيضاً. وبدلاً من ذلك، ابتسم لها، ودعاها للمجيء وزيارته هناك، وأخبرها أن ذلك سيفيدها كثيراً. ربما يمـنحها إجابات كانت تبحث عنها، ويساعدها على حل بعض الأمور التي تـواجهها فـي حياتها. شعرت بالامتنان له، أخبرته عن نجاحها، وشهرتها وأموالها وأصدقائها ومعجبيها الرائعين، وأمها التي تقوم بكل شيء بالنيابة عنها، سواء أرغبت به أو لا، وصديقها، والإنسان الطيب الذي تحبه حقاً.

"ولمـاذا لا أشـعر بالسعادة؟"، سألت رجل الدين، والدموع تنهمر على وجنتـيها. "أكـره ما أفعله أحياناً. أشعر بأن الجميع يملكونني، باستثناء نفسي، ويـتوجب علـي أن أفعل كل شيء يريدونه، من أجلهم... وهذا الكاحل اللعين ظل يؤلمني لثلاثة أشهر. عملت بجهد طوال الصيف ولم أرح كاحلي، بل إنني عاجـزة عن جعله يتحسن الآن. أمي غاضبة منّي لعدم تمكّني من انتعال كعب عـالٍ على المنصة وتقول بأنني أبدو فظيعة". اختلط الأمر بأكمله في رأسها. تبعثـرت أفكارهـا في كل مكان. تمكنت من تحديدها نوعاً ما، ولكنها عجزت عن فهمها، أو إيجاد أي حلول لمشاكلها. أعطاها بضعة مناديل، فمسحت أنفها.

"ما الذي تريدين القيام به، ميلاني؟"، سألها الأب كالاغان بلطف. "لا تبالـي بما يريده الآخرون. سواء والدتك أو مديرة أعمالك أو صديقك. ما الذي تريدينه أنت؟".

قبل أن تتمكن من كبت الكلمات، خرجت من فمها من دون أن تقوى على التحكم بها. "أريد أن أكون ممرضة عندما أكبر".

"أردت أن أكـون رجل إطفاء، وانتهى بي الأمر وأنا رجل دين بدلاً من ذلـك. أحـياناً نسلك طرقات مختلفةً عن تلك التي نتوقع المضي فيها". أخبرها بأنه درس الهندسة المعمارية ثم التحق بالمقر، وقد كان للهندسة فائدة كبيرة في المباني التي عمل على تشييدها في قرى المكسيك حيث يعمل الآن. لم يخبرها أنـه يحمـل شهادة دكتوراه في علم النفس العيادي والتي كان لها فائدة كبيرة، حتى في تعامله معها. "لديك مهنة رائعة، ميلاني. أنت في نعمة كبيرة. لديك موهـبة مميـزة، وأشـعر بأنك تستمتعين بعملك، ولو في بعض الأوقات، عـندما لا تضطرين إلى الأداء مع كاحل مكسور، وحين لا يستغلك أحد". بظروفها الخاصة، لم تختلف حياتها كثيراً عن حياة الفتيات اللواتي أنقذهن من بيوت الهوى في المكسيك. لقد استغلها الكثير من الأشخاص. أما وجه الاخـتلاف فـيكمن في أنها تتلقى أجراً عالياً لقاء أدائها ونجوميتها. ولكنه أحس أن الجميع، بمن فيهم والدتها، يدفعونها إلى الامتثال لإرادتهم إلى أن يجف نبعها. بدأت ميلاني تفقد حيويتها بعد جولتها الغنائية الأخيرة، وكل ما تـريده الآن هو الهرب والاختباء. أرادت مساعدة الآخرين، ومعاودة القيام بمـا كانت تفعله في بريسيديو بعد الزلزال. لقد كان وقت اليقظة المفاجئة والتحول بالنسبة إليها، ثم توجب عليها العودة إلى الحياة الحقيقية.

"ماذا لو تمكنت من القيام بالأمرين معاً؟ العمل الذي تحبينه، عندما لا يكـون شـاقاً، ربمـا حتى وفقاً لشروطك. ربما أنت بحاجة إلى الحد من سـيطرة الآخرين عليك. فكّري في الأمر لبعض الوقت. وخصصي بعض الـوقت في حياتك لمساعدة الآخرين، أشخاص يحتاجون إليك حقاً، كأولئك الناجين من الزلزال الذين ساعدتهم مع الأخت ماغي. ربما يجعلك التوازن فـي الحـياة أكثر تفهماً لها. لديك الكثير مما يمكنك منحه للناس، ميلاني. وستدهشين مما يقدمونه لك بدورهم". في الوقت الراهن ما من شخص يقدّم لها شيئاً سوى توم. إنهم يستنزفونها.

"تقصد كالعمل معك هنا في لوس أنجلوس، أو في بعثتك إلى المكسيك؟"، لم تتخيل أنها قادرة على إيجاد الوقت لذلك. دائماً ما تضع والدتها المخططات، واللقاءات، والتدريبات، وجلسات التسجيل، والحفلات الغنائية، والمناسبات الاجتماعية. لم يكن وقتها أو حياتها ملكها من قبل إطلاقاً.

"هذا ممكن. إن كان هذا ما تريدينه أنت. لا تفعلي ذلك لإسعادي. فأنت تجلبين السعادة للكثيرين من الأشخاص بموسيقاك. أريدك أن تفكّري في ما يجعلك سعيدة. حان دورك، ميلاني. كل ما عليك فعله هو الوقوف في الصف، والتقدم خطوة إلى الأمام، ومن ثم اتخاذ قراراتك. إنها تنتظرك. لا يمكن لأحد أن يتخذها بالنيابة عنك. لا يتوجب عليك أن تسلكي الطريق الذي يريده الجميع. قومي بخياراتك بنفسك، وامرحي بهدف الاسترخاء والتغيير. ليست الحياة أكثر مرحاً مما تسمحين لها أن تكون. ولا يتوجب على أحد أن يسلبك ذلك الحق، ميلاني. حان دورك الآن"، ابتسم لها، وبينما تصغي إليه، عرفت طريقها.

قالت همساً "أريد الذهاب إلى المكسيك معك". عرفت أنه ليس أمامها أي مواعيد كبيرة للأسابيع الثلاثة القادمة. بضعة لقاءات فقط، وجلسة تصوير لمجلة أزياء. ستعمل على تسجيل أسطوانتها في أيلول وتشرين الأول، ومن المقرر أن تغني في حفل خيري بعد ذلك. ولكنها مجرد أمور ثانوية يمكن تغيير مواعيدها أو إلغائها. وفجأة، عرفت أنه يتوجب عليها الهرب، وربما يشفى كاحلها أيضاً لو توقفت عن العمل لبعض الوقت، بدلاً من محاولة المشي في كعب عالٍ لترضي والدتها. فجأة، أصبح الأمر واضحاً. وعرفت طريقها. أرادت أن تسلكه على الفور بينما كان الأب كالاغان يتحدث. لم تفعل في حياتها أبداً ما كانت تريده. فعلت ما ترغب به والدتها، وما توقعه الجميع منها. لطالما كانت الفتاة الصغيرة المثالية، وسئمت من ذلك الآن. لقد بلغت العشرين من عمرها، وأرادت أن تغير ذلك الآن وتقوم بأمرٍ يعني لها الكثير. راودها شعور أن ذلك هو ما تريد

القيام به. سألته ميلاني "هل يمكنني المكوث في إحدى بعثاتك لبعض الوقت؟". فأومأ.

"يمكنك المكوث في دار الفتيات المراهقات اللواتي نعتني بهن. معظمهن كن بنات هوى أو مدمنات على العقاقير. لن تعرفي ذلك عندما تنظرين إليهن، لقد تغيرن الآن. ولكن مكوثك معهن سيعني لهن الكثير، ولك أيضاً".

"كيف أتواصل معك في حال مكثت هناك؟"، سألت هذا وهي تلتقط أنفاسها. ستقتلها والدتها إن فعلت ذلك. ولكن، من يعلم، ربما تحاول أن تحول الأمر إلى فرصة صحفية ذهبية. دائماً تفعل ذلك.

قال لها "هاتفي الخلوي يعمل هناك، وسأعطيك بعض الأرقام إن لم يناسبك أن تأتي الآن، ربما يكون من الأسهل تأجيل الأمر لبضعة أشهر، مثلاً في الربيع القادم. سأمكث هناك حتى ذكرى الميلاد، فتعالي متى أردت، وامكثي بقدر ما تشائين. متى جئت، ميلاني، سيكون هناك سرير لك".

"أنا قادمة"، قالت بنظرة من التصميم، تدرك أنه يتوجب عليها تغيير الكثير من الأمور. لا يمكنها أن تُسعد والدتها إلى الأبد. تحتاج إلى اتخاذ بعض القرارات لنفسها. سئمت من العيش في أحلام والدتها، أو أن تكون هي حلمها. احتاجت إلى حلم خاص بها. وهذا هو المكان المناسب لتبدأ منه.

كانت غارقة في التفكير العميق عند مغادرتها. عانقها الأب كالاغان. "اعتني بنفسك، ميلاني. آمل أن أراك هنا. إن لم تتمكني، سأتصل بك عند عودتي. سنظل على اتصال".

"سأفعل"، وعدته، وأخذت تفكر في الأمر وهي في طريق عودتها إلى المنزل. عرفت ما الذي تريد القيام به، لكنها لم تعرف بعد كيف تنجزه حتى ولو لبضعة أيام. ولكنها أرادت أن تبتعد لأطول فترة ممكنة. ربما لبضعة أشهر.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

أخبـرت توم عن الأمر بكامله في أثناء تناولهما السوشي. بدا معجباً بذلك ومذهولاً، ولكنه فجأة، أصبح قلقاً.

"لـن تلتحقـي بالمقر، أليس كذلك؟"، رأت الخوف في عينيه، فهزت رأسها نافيةً وضحكت، عندها شعر بالراحة.

"لا، لن أفعل. لست جيدة بما يكفي للقيام بذلك. وفضلاً عن ذلك كله، سأشتاق إليك كثيراً"، مدت يدها إلى الطاولة وأمسكت بيده. "أريد القيام بهذا لبعض الوقت فقط، أساعد بعض الناس، أريح رأسي، أهرب من الضغوط التـي تفرضـها علـيّ التزاماتي. لا أعلم إن كانوا سيتركونني أفعل ذلك، بالإضـافة إلى أن والدتي ستثور غضباً. أشعر بالحاجة إلى الهرب، واكتشاف الأمور الهامة في حياتي، غير عملي وأنت. يقول الأب كالاغان إنني لست مضطرة إلى التخلي عن مهنتي من أجل مساعدة الآخرين، قال إنني أبعث فـي قلـوب الناس المرح والأمل بسبب موسيقاي. ولكنني أريد حقاً القيام بشيء أكثر أصالةً لبعض الوقت، كما فعلت في بريسيديو".

"إنها فكرة عظيمة"، دعمها توم. منذ عودتها من الجولة، بدت ميلاني مـستنزفة، وعلـم بأن كاحلها لا يزال يؤلمها كثيراً. لم يفاجئه ذلك بعدما أنهكـت نفـسها في العمل لثلاثة أشهر، والرقص على المسارح، ثم تناول الأقراص المسكنة في الليل، وحقن الكورتيزون مثلما يفعل لاعبو كرة القدم الـذين يحاولـون خـداع أجسادهم، والاعتقاد بأنهم غير مصابين ويمكنهم إكمـال اللعب. شهد توم الكثير من الضغوطات التي تعيشها، والالتزامات الواقعة على كاهلها كثمن لشهرتها. بدت مرهقةً جداً، واعتقد أن ذهابها إلى المكسيك لبعض الوقت هو بالفعل ما تحتاج إليه، لشخصيتها وجسدها أيضاً. أما رأي والدتها حيال ذلك فمختلف تماماً. بدأ يعرف جانيت جيداً، ومقدار تحكمها بكل شيء في حياة ميلاني. أصبحت تحتمل وجوده الآن، بل جعلته يحـس بـبعض المحـبة أحياناً، ولكن جانيت لا تترك الكثير من الحرية لابنتها. أرادت أن تكون ميلاني كالدمية المتحركة، تتحكم بجميع خيوطها. وأي شـيء يتعارض مع ذلك يجب التخلص منه على الفور. احترس توم

كـي لا يعارضها، أو يتحدى نفوذها المسيطر على حياة ميلاني. لم يصدق أن ذلـك سـيدوم إلى الأبد. ولكنه عرف أيضاً أنه في حال تحدّت ميلاني سـلطة والدتها، ستصاب جانيت بالجنون. لم ترغب بأن تُسلم تلك السلطة لأحـد، حتى لميلاني نفسها على الأقل. وكانت ميلاني هي الأخرى تدرك ذلك.

"أعتقد أنني سأمهد للأمر أولاً، وأخبرها به تدريجياً. وبذلك لا تتمكن مـن إيقافـي. يتوجب عليّ معرفة ما إن كانت مديرة أعمالي قادرة على تأجيل بعض الأمور، وكذلك الوكيلة من دون السماح لوالدتي بمعرفة ذلك. تريدنـي أن أقوم بكل شيء، طالما أنه يصل إلى الصحافة الوطنية ويضع صورتي على غلاف أي شيء كان. تقصد بذلك الخير لي، ولكنها لا تدرك أن ذلك مبالغ فيه أحياناً. لا يمكنني التذمر، فذلك يحقق النجاح لمهنتي فعلاً. خططـت للأمـر بكامله في رأسها منذ كنت طفلة صغيرة. أنا لا أريد كل ذلك بمقدار ما تريده والدتي. أريد أن أنتقي وأختار، وليس أن أدفن حياتي بكل هذا الهراء الذي تجعلني أعمل فيه. وهناك الكثير منه!". ابتسمت لتوم. علـم أن ميلاني تقول الحقيقة. لقد شاهد ذلك عن قرب منذ شهر أيار. إن مجـرد ملاحقـة ما تقوم به أتعبه. بالرغم من أنه يمتلك الكثير من الطاقة مثلها. ولكنه لم يكسر كاحله في أثناء الأداء في فيغاس. لكل عمل ضريبته أيـضاً، بل لكل شيءٍ ضريبة. كانت ميلاني تشعر بالإنهاك، والآن فجأة، عادت إليها الحياة مجدداً بعد لقائها برجل الدين.

"هل ستأتي لزيارتي في المكسيك؟"، سألت توم مفعمة بالأمل، وابتسم لها وهو يومئ.

"بالطـبع سأفعل. أنا فخور بك جداً، ميلي. أعتقد أنك ستحبين الأمر، إن تمكـنت مـن التغلب على المصاعب"، علم كلاهما أن والدتها ستكون خـصماً يُخشى منه، فهي تشعر بالتهديد الكبير من أي إشارة استقلالية من ابنـتها. سيكون هذا أمراً صعباً على ميلاني. إنّها المرة الأولى التي تتخذ فـيها قـراراً حقيقياً بنفسها. وهذا قرار كبير جداً، خاصة لكونه لا يتعلق

بمهنتها إطلاقاً. بل ربما يصيب جانيت بالذعر. لم ترغب بأن تتصرف ميلاني عن أهدافها، أو الأهم من ذلك، عن أهداف والدتها. لا يفترض بميلاني أن تمتلك أحلاماً خاصة بها، فقط أحلام والدتها. سيتغير هذا. وسيرعب التغيير والدتها إلى أقصى الحدود.

تحدثا عن الأمر في طريق العودة إلى المنزل. كانت جانيت في الخارج عند وصولهما، فذهبا خلسةً إلى غرفة نوم ميلاني وأقفلا الباب. وشاهدا الأفلام على التلفاز. لم تكن والدتها تمانع أن يمضي الليلة عندها أحياناً، لكنها لا ترغب إطلاقاً بأن ينتقل أحد للسكن معهما، سواء معها أو مع ابنتها. طالما أن الشاب لا يغتر بنفسه كثيراً، أو يمارس أي سلطة على ميلاني، كانت جانيت مستعدة لتحمل وجوده. أما توم فكان ذكياً بما يكفي ليظل متحفظاً، ولا يدخل في مواجهة معها.

في النهاية، قرر العودة إلى منزله عند الثانية بعد منتصف الليل، ليتمكن من الذهاب إلى العمل باكراً في اليوم التالي. كانت ميلاني نائمة عندما غادر، ولكن قبل أن تغفو، أخبرها أنه سيذهب. ابتسمت، وهي تشعر بالنعاس، ثم قبلته. استيقظت باكراً صباح اليوم التالي، وبدأت تجري بعض الاتصالات للتقدم في مشروعها. جعلت وكيلتها ومديرة أعمالها تقسمان على السرية، وقالت كلتاهما بأنهما ستعملان على بذل كل ما يمكن لتأجيل بعض الالتزامات المترتبة عليها، والتي كانت معظمها أو جميعها من تنظيم والدتها. نبهتاها بأن والدتها ستعلم بالأمر بعد فترة وجيزة جداً، بطريقة أو بأخرى. قالت ميلاني بأنها ستتكلم معها عن الأمر، ولكن بعد أن تلغي جميع التزاماتها، كي لا تمتلك جانيت أي فرصة للقيام بأي شيء. أخبرتها مديرة أعمالها بأن مكوثها في المكسيك سيكون فرصة إعلامية كبرى، إن رغبت بالكشف قليلاً عن الرحلة.

"لا!"، قالت ميلاني بإصرار. "هذه هي الفكرة بكاملها. أريد الهرب من هذا الهراء بكامله. أريد بعض الوقت لأكتشف من أنا وما الذي أريد فعله".

"أوه، يا الله، ليس تلك الرحلات. أنت لا تفكرين في التقاعد، أليس كذلك؟"، سألتها مديرة أعمالها. ستقتلهما جانيت إن حدث ذلك. كانت امرأة طيبة القلب، ولكنها تريد أن يكون عملها أكبر شيءٍ في الدنيا. كانت تحب ميلاني، ولكنها تعيش نيابة عنها. اعتقدت مديرة أعمالها بأن محاولة ميلاني قطع الحبل السري أمرٌ جيد. يتوجب أن يحدث ذلك عاجلاً أو آجلاً، فهذا هو العمل الصحيح. وعلمت أن ذلك سيحدث. إلا أن المشكلة مع جانيت، فهي لا تعرف ذلك بل تعمل على إبقاء هذا الحبل طوال العمر مربوطاً بها وبحياتها. لن يلمسه أحد. وميلاني وحدها تمتلك الحق بذلك. "كم سيطول غيابك؟".

"ربما حتى عطلة الميلاد. أعلم أننا نقيم حفلاً في حديقة ماديسون سكوير عشية رأس السنة. لا أريد إلغاءه".

قالت بارتياح "هذا أمر جيد ربما كان إلغاؤه سيستلزم الكثير من الجهد. وإلى أن يحين موعد ذلك الحفل، سأعمل على إلغاء كل الأمور الثانوية".

بعد يومين، أنهت مديرة الأعمال والوكيلة كل ما قالتا إنهما ستعملان عليه. تحررت ميلاني وتخلصت من كل شيء حتى بعد أسبوعين من مناسبة الشكر. أعيد تحديد موعد للبعض، وتم إلغاء مواعيد أخرى حتى يحين وقتها لاحقاً، في تواريخ أخرى. لم يكن أيٌ منها بالأمر الهام. إن هذا هو التوقيت المثالي لإنجاز كل شيء. جميع الأحداث التي ستفوتها هي فرص إعلامية تأتي من الحفلات الغنائية أو الحفلات الخيرية التي دُعيت إليها. ومن المستحيل معرفة ما سيحدث فيها. كانت جانيت ترغب بأن تؤدي ميلاني فيها جميعاً. ولطالما أحبت ميلاني المشاركة فيها أيضاً... حتى الآن.

كما توقعت، دخلت جانيت غرفة ميلاني بعد يومين من إلغاء جميع الالتزامات. لم يقل أحدٌ أي شيءٍ لها بعد، وقالت ميلاني لتوم بأنها ستخبر والدتها تلك الليلة. كانت تخطط للمغادرة يوم الاثنين القادم، وعملت على

إتمـام جميع الحجوزات مسبقاً. أرادت قضاء عطلة نهاية الأسبوع مع توم قبل رحيلها. كان يدعمها. وقد خطط أن يأتي لزيارتها كلما أمكنه. شعر بالإعجاب حيال ما تفعله وأراد أن يتطوع هو أيضاً. كان لديه حافزٌ قويٌ لمساعدة الآخرين، كما تفعل هي، وأراد أن يوازن بين المهنة الجادة والعادات الإنسانية التي يعتقد بها بشدة.

لم تكن ثلاثة أشهر بعيداً عنها بالمدة الطويلة، ولكنه قال إنه سيشتاق إليها. إن ما بينهما بات رابطاً متيناً، لذا، يمكنه أن يتحمل البعد جراء التزاماتهما الشخصية. كانت علاقتهما تتطور بسرعة هائلة، وتتحول إلى علاقة جدية يوماً بعد يوم. كانا لطيفين، وعطوفين، وفائقي الذكاء، ويدعمان بعضهما. كانا في العديد من الجوانب متشابهين كثيراً يلهمان بعضهما في العديد من المسائل الهامة. ازداد عالمهما روعة لا سيما وأنهما معاً. كان توم يفكر حتى في أخذ أسبوع أو أسبوعين إجازة، والتطوع في واحدة من البعثات المكسيكية معها، إن سمحوا له ببعض الوقت. أحب العمل مع الأطفال، وعندما كان في المدرسة الثانوية كان وصياً على صبي في واتس، وآخر في شرق لوس أنجلوس، ولا يزال على اتصال معهما. أثار ذلك اهتمامه. عندما كان صغيراً، حلم بالالتحاق بمنظمة أميركا التطوعية، ولكنه سلك في ما بعد طريقاً آخر. إلا أنه الآن يحسدها على ما ستفعله في المكسيك، وتمنى لو يتمكن من قضاء ثلاثة أشهر هناك هو الآخر.

"هذا غريب"، دمدمت جانيت لها، تنظر إلى حزمة من الأوراق بين يديها. "لقد وصلني فاكس للتو يقول بأن لقاءك مع تين فوغ قد ألغي. كيف أمكنهم اقتراف مثل هذا العمل؟"، هزت يديها، ونظرت إلى ابنتها منزعجة. "كما وصلتني رسالة إلكترونية هذا الصباح من مسؤولي الحفل الخيري لسرطان القولون، يقولون بأنهم يأملون أن تتمكني من الأداء في حفل السنة القادمة. من المفترض أن يتم هذا بعد أسبوعين. يبدو وكأنهم تخلوا عنك من أجل شخص آخر. قالوا بأن شارون أوزبورن ستحييه لهم. ربما

يعتقدون أنك لا زلت صغيرة جداً. على أي حال، من الأفضل أن تذهبي إلى الحفل وتسرقي الأضواء منها، يا فتاة. تعرفين ما الذي يعنيه هذا؟ يعني أنهم بدأوا ينسونك مع أنه لم يمضِ شهران على جولتك الأخيرة. حان الوقت ليظهر وجهك في الصحف مجدداً"، ابتسمت لميلاني الممدّدة على سريرها تشاهد التلفاز. كانت ميلاني تفكر في ما يتوجب عليها حزمه لرحلتها إلى المكسيك. ليس الكثير. كما وضعت ستة كتب على سريرها عن المكسيك، والتي لم تلحظها والدتها. رفعت رأسها لتنظر إلى والدتها، وتساءلت إن كان هذا هو الوقت المناسب لتخبرها. لن يكون الأمر سهلاً، عرفت ذلك، مهما كان وقته. لقد خرجت الأمور عن سيطرتها الآن.

تحدثت ميلاني في الوقت الذي كانت فيه والدتها على وشك مغادرة الغرفة آه... أمي، في الحقيقة أنا من ألغى هذه الارتباطات وبضعة غيرها... أنا متعبة نوعاً ما... وأعتقد أنني سأسافر لبضعة أسابيع". فكرت ما إن توجب عليها إخبارها على الفور عن المدة التي ستغيبها، أو تدعها تعرف مع مضي الوقت. لم تكن تعرف هي ذلك بعد. ولكن يتوجب عليها أن تقول شيئاً، بالنظر إلى أنها على وشك المغادرة. توقفت جانيت في طريقها والتفتت لتنظر إلى ميلاني الممتددة على سرير الساتان الوردي.

"ما كل هذا، ميل؟ ما الذي تعنينه، ستسافرين لبضعة أسابيع؟"، نظرت إليها وكأن ميلاني قالت أمراً مشؤوماً.

"حسناً، تعلمين... كاحلي... لقد كان يؤلمني حقاً... اعتقدت فقط... تعرفين... ربما يكون من الجيد السفر".

"ألغيت مواعيدك من دون استشارتي؟". علمت ميلاني بأن الأمور خرجت عن السيطرة بسرعة. أوشك الهلاك أن يقع.

"أردت التحدث إليك عن ذلك، أمي، ولكنني لم أرغب بإثارة قلقك. قال الطبيب إنه يتوجب عليّ ألا أدوس على قدمي".

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"هل هذه فكرة توم؟". كانت والدتها تحدّق إليها بغضب الآن، تحاول أن تكتشف من أين جاء ذلك النفوذ الشرير الذي جعل ميلاني تلغي التزامين من دون استشارتها. شمت رائحة تدخل كبير في الأمر.

"لا، أمي. ليست كذلك. إنه أمر أرغب بالقيام به وحسب. تعبت بعد الجولة. لا أرغب بالأداء في الحفل الخيري، وبإمكاني إجراء لقاء مع تين فوغ في أي وقت أريده. يطلبون ذلك طوال الوقت".

بينما كانت والدتها تتقدم نحو السرير والشرر يتطاير من عينيها قالت "ليست هذه هي المشكلة ميلاني، أنت في العادة لا تلغين أي من التزامات من تلقاء نفسك. تتحدثين إليّ، وأنا أفعل ذلك. لا يمكنك الاختفاء عن وجه الأرض فقط لأنك متعبة. يتوجب عليك إظهار وجهك دائماً".

"إن وجهي على ملايين الأقراص المدمجة، أمي. لن ينساني أحد إن غبت لأسابيع، أو ألغيت حفلاً خيرياً لسرطان القولون. أنا بحاجة إلى بعض الوقت لنفسي".

"ما هذا الهراء الذي تتحدثين عنه؟ لا بد من أنها أفعال توم. أرى هذا الفتى يتسلل إلى هنا. ربما يريدك لنفسه بالكامل. إنه يغار منك. لا يفهم، ولا حتى أنت، ما الذي تتطلبه المهنة المتميزة والمحافظة عليها في القمة. لا يمكنك الاسترخاء وحسب، العبث ومشاهدة التلفاز، أو إغراق أنفك في مجموعة من الكتب. تحتاجين إلى الظهور، ميل. ولا أعلم إلى أين تفكرين في السفر لبضعة أسابيع، ولكن يتوجب عليك إلغاء تلك الفكرة الآن. عندما أظن أنك بحاجة إلى السفر، أخبرك... أنت بخير. والآن تحركي وتوقفي عن الشعور بالحزن على نفسك بسبب ألم في الكاحل. إنه مجرد كسر بسيط، بحق الله. وقد مضى عليه أربعة أشهر الآن. انهضي وتحركي، ميل. سأتصل بتين فوغ وأحدد موعداً للمقابلة مجدداً. سأترك الحفل الخيري، لأنني لا أريد إغضاب شارون. ولكن لا تجرؤي أبداً على إلغاء أي التزام آخر ثانية! هل تسمعينني؟"، ارتجفت من شدة الغضب، وميلاني من الذعر. شعرت بالغثيان لمجرد الإصغاء لوالدتها. تظن جانيت أنها

تمتلكها. أياً كانت نواياها، طيبة أو سيئة، علمت ميلاني أن سيطرة والدتها الدائمة ستفسد حياتها، في حال استمرت في الانصياع لها.

قالت ميلاني بهدوء "اسمعي أمي أنا آسفة لما تشعرين به. ولكن هذا أمر أريد القيام به لنفسي"، أطلقت الرصاصة عندها ووصلت إلى نهايتها البعيدة. "أنا ذاهبة إلى المكسيك حتى انتهاء مناسبة الشكر. سأغادر يوم الاثنين". كادت تُجفل وهي تقول ذلك، ولكنها تماسكت كي لا تفعل. إن هذا أسوأ ما حصل في حياتها، وباستثناء بعض المشكلات الكبيرة، متى حاولت ميلاني إصدار قراراتها الخاصة أو الاستقرار بنفسها.

"أنت ماذا؟ هل أنت مخبولة؟ لديك ملايين الحجوزات من الآن حتى ذلك الحين. لن تذهبي إلى أي مكان، ميلاني، حتى أقول لك أن تفعلي. لا تجرؤي أن تخبريني ما الذي ستفعلينه. دعينا لا ننسى من الذي أوصلك إلى القمة". أجاب صوتها الهادر، وكان أمراً قبيحاً ما قالته، وشعرت ميلاني به كصفعة على خدها. تلك كانت المرة الأولى التي تجابه فيها والدتها على هذا النحو. ولم يكن جميلاً أبداً. أرادت ميلاني أن تندس تحت أغطية سريرها وتبكي، ولكنها لم تفعل... تماسكت. علمت أنه يتوجب عليها ذلك. وما ستفعله ليس بالأمر المشين. رفضت أن تسمح لوالدتها أن تشعرها بالذنب لأنها ترغب باستراحة لبعض الوقت.

قالت بصدق "ألغيت كل الحجوزات الأخرى، أمي".

"من فعل هذا؟".

"أنا فعلت". لم ترغب بأن توقع وكيلتها ومديرة أعمالها بالمشاكل، لذا تحملت اللوم بنفسها. أخبرتهما أن تفعلا هذا، وهو كل ما يهم. "أريد بعض الوقت بعيداً، أمي. أنا متأسفة إن أغضبتك، ولكنه أمر هام بالنسبة إليّ".

"من سيذهب معك؟"؛ لا تزال تبحث عن المُتهم، الشخص الذي سرق السُلطة منها. ولكن في الحقيقة، الوقت هو وحده من فعل. لقد كبرت ميلاني أخيراً وأرادت بعض السيطرة على حياتها الخاصة على الأقل. حدث هذا على مر وقت طويل. وربما حب توم هو الذي ساعدها.

"لا أحد. أنا ذاهبة لوحدي، أمي. سأعمل في بعثة إنسانية تعتني بالأطفال. إنه شيء أريد فعله. أعدك أن أعمل بجدٍ عندما أعود. دعيني أقوم بهذا من دون أن تصابي بالجنون".

"أنا لست مصابة بالجنون. بل أنتِ"، صاحت جانيت عليها. لم ترفع ميلاني صوتها إطلاقاً، احتراماً لوالدتها. "يمكننا تحويل الأمر إلى فرصة صحفية إن أردت القيام بذلك لبضعة أيام"، قالت مفعمة بالأمل، "ولكن لا يمكنك الهرب إلى المكسيك لثلاثة أشهر. بحق الله، ميلاني، ما الذي كنت تفكرين فيه؟"، ومن ثم فكرت في شيء آخر. "هل الأخت الصغيرة تلك في سان فرانسيسكو هي السبب وراء هذا؟ بدت مثل شيء صغير ينسل بالنسبة إليّ. احذري هؤلاء الأشخاص، ميلاني. ستجعلك تنضمين إلى المقر بعد ذلك. ويمكنك أن تخبريها بذلك إن كان هذا ما يدور في عقلها، فإنه سيتم على جثتي!". ابتسمت ميلاني من فكرة ذكرها لماغي، مهما كان الحديث عنها وقحاً.

"لا، ذهبت لرؤية رجل دين هنا". لم تخبرها أن العلاقة كانت عن طريق ماغي. "يدير هذه البعثة إلى المكسيك. أريد الذهاب إلى هناك، وأن أحظى ببعض الراحة، ومن ثم أعود وأعمل وفق ما تريدينه. أعدك".

"تجعلين الأمر يبدو وكأنني أسيء إليك"، قالت والدتها، انفجرت بالبكاء في أثناء جلوسها على حافة سرير ابنتها فلفّت ميلاني ذراعيها حولها.

"أحبك، أمي. أقدّر كل شيء فعلته لمهنتي. أريد أكثر من ذلك في حياتي الآن".

قالت جانيت وهي ترتجف وتتنهد "إنه الزلزال، أنتِ مصابة بتوتر ما بعد الصدمة. يا الله، ستشكل هذه قصة رائعة في مجلة بيبول، أليس كذلك؟". ضحكت ميلاني وهي تنظر إليها. لقد كانت والدتها كاريكاتورية. إنها طيبة القلب، ولكن كل ما تفكر فيه هو الشهرة لميلاني، وكيف تجعل مهنتها أفضل حتى مما هي عليه، وهذا أمر يصعب القيام به. لقد فعلت كل شيء خططت له، ولكن والدتها لن تسمح لها بأن تتحرر، وتحظى بحياتها

الخاصة. هذا هو جوهر المشكلة. أرادت أن تعيش حياة ميلاني، ليس حياتها هي.

"يتوجب عليك أن تذهبي أنت أيضاً، أمي. إلى منتجع أو شيء كهذا. أو إلى لندن مع بعض الأصدقاء أو باريس. لا يمكنك التفكير فيّ فقط طوال الوقت. ليس هذا صحياً لك أو لأي منا".

انتحبت جانيت وقالت "إنني أحبك، إنكِ لا تعرفين كم تخليت عن أمور من أجلك... كان بإمكاني أن أحصل على مهنة خاصة بي، منحتك إياها... كل ما أفعله هو ما أعتقد أنه الأفضل لك". كان ذلك خطاباً سيمتد لساعتين، وقد سمعته ميلاني من قبل كثيراً، وحاولت أن تُحبطه هذه المرة.

"أعرف، أمي. أنا أيضاً أحبك. دعيني فقط أقوم بهذا. سأطيعك بعد ذلك، أعدك. ولكن يتوجب عليك أن تدعيني أكتشف بعض الأمور بنفسي، وأصنع قراراتي بنفسي. لم أعد طفلة. أنا في العشرين".

"أنت طفلة"، قالت جانيت بغضب، وكأنها مهددة بالموت.

"أنا بالغة"، قالت ميلاني بإصرار.

أمضت جانيت الأيام القليلة التالية تبكي، وتتذمر، وتشتكي. وكان الحزن والغضب مسيطرين عليها. تمكنت من الإحساس بأول إشارات السلطة تنسل من بين يديها، وكانت مذعورة بالكامل. حتى إنها حاولت جعل توم يتحدث إلى ميلاني لتغير رأيها، الذي قال بلباقة إنه يعتقد أن ذلك سيفيدها وهو أمر نبيل تفعله، وبذلك أثار غضب جانيت أكثر من السابق. شهد المنزل بكامله أياماً عصيبة، وتلهفت ميلاني لحلول يوم الاثنين لتغادر. بعد قضاء عطلة نهاية الأسبوع معه في منزلها، أمضت الليلة الأخيرة في شقة توم، بغية الهرب من والدتها، وعادت إلى المنزل في الثالثة بعد منتصف الليل، لتنام قبل أن تغادر إلى المطار في الساعة العاشرة صباح اليوم التالي. أخذ توم إذناً في الصباح ليقلها. لم ترغب بالمغادرة في سيارة الليموزين البيضاء الكبيرة وتجذب الانتباه إليها، وهذا أمر كانت والدتها لتصر على القيام به، لو تمكنت. وعلى الأرجح

ستتـصل بالصحافة وتسرب القصة، وعلى أي حال، ربما لا يزال ذلك متاحاً لها.

أمـا مـشهد مغادرتهـا المنزل بحضور والدتها فكان جزءاً من مسلـسل اجتماعـي رديء، تشبثت بها والدتها وبكت، وهي تقول إنها ربما ستكون ميتة في الوقت الذي تعود فيه ميلاني، لكونها أصيبت بألم فـي الـصدر مـنذ أخبرتها ميلاني أنها ستغادر. أخبرتها ميلاني أنها ستكون بخير، وعدتها أن تتصل بها كثيراً، تركت بعض أرقام الهواتف، وركضت إلى سيارة توم، مع حقيبة ظهرها وحقيبة الأغراض. كان هذا كـل مـا سـتأخذه معها. بدت وكأنها هاربة من سجن وهي تنزلق في السيارة بجانبه.

"انطلـق!"، صاحت له. "انطلق! انطلق! انطلق! قبل أن تركض إلى الشارع وترمي بنفسها إلى داخل السيارة". انطلق، وكان كلاهما يضحكان عـند وصـولهما إلى أول إشارة ضوئية. بدا وكأنهما في سيارة مطاردة، وكانـا كذلك فعلاً. شعرت ميلاني بالإثارة لفكرة مغادرتها وما ستفعله عند وصولها إلى المكسيك.

قـبّلها تـوم عـندما تـركها في المطار، ووعدته أن تتصل به حال وصـولها. كـان يخطط لزيارتها بعد أسبوعين أو ثلاثة. ولكن خلال هذا الوقت، علمت ميلاني أن أمامها الكثير من المغامرات الجديدة. إن الإجازة لثلاثة أشهر في المكسيك هي تماماً ما تريده.

أخذت مقعدها في الطائرة، قبل إغلاق الأبواب، وقررت الاتصال بـوالدتها. إنهـا ذاهـبة للقيام بما تريده، وعلمت أنه أمرٌ صعبٌ على جانيت. علمت ميلاني أنها تشعر بخسارة كبيرة. إن فقدان السيطرة على ميلاني من أي نوع كان، أمرٌ مروّعٌ حلّ بها، وشعرت ميلاني بالأسف عليها.

أجابت جانيت على المكالمة في المنزل بصوت فيه الكثير من الكآبة. ثمّ أشرقت بصورة ملحوظة عندما سمعت صوت ابنتها.

"هـل غيّرت رأيك؟"، سألت هذا وهي تبدو مفعمة بالأمل، وابتسمت ميلاني.

"لا. أنـا على متن الطائرة. أردت فقط إرسال قبلة لك. سأتصل بك مـن المكـسيك حالمـا أستطيع ذلك". وبعد ذلك أعلنوا عن وجوب إغلاق الهواتـف الخلـوية، وقالت لوالدتها إنه يتوجب عليها إنهاء المكالمة. كان صوت والدتها يرتجف لكثرة البكاء في تلك اللحظة.

"لا أزال غيـر قـادرة علـى فهم سبب قيامك بهذا"، بدا مثل عقوبة ورفض لها. أرادت أكثر من ذلك لميلاني. إنها فرصة لتقدم بعض الأمور الخيرية للعالم.

"أحـتاج إلـى ذلك، أمي. سأعود قريباً. اعتني بنفسك. أحبك، أمي"، قالـت ميلاني عندما ذكرتها مساعدة الرحلة أن تغلق هاتفها. "يتوجب عليّ الذهاب".

"أحـبك، ميل"، قالت والدتها بسرعة، مع قبلة أخيرة، أغلقت ميلاني هاتفها. كانت مسرورة لأنها اتصلت بها. لم تقم ميلاني بالرحلة لكي تسبب الألـم لوالدتها، بل قامت بها لأنها أمر تحتاج إلى القيام به. إنها بحاجة إلى اكتشاف من هي، وإن كان بمقدورها البقاء وحدها.

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

الفصل السابع عشر

اتـصلت ميلاني بماغي بعد وصولها المكسيك. أحبت المكان وقالت بأنه جميل، والأطفال رائعون، والأب كالاغان مذهل. قالت بأنها لم تشعر بمثل هذه السعادة في حياتها من قبل، وشكرت ماغي لاقتراحها أن تتصل به.

فـي المقلـب الآخر اتصلت سارة بماغي، وأخبرتها أنها حصلت على الوظـيفة فـي المـشفى، وكانـت مسرورة ومنشغلة. لا يزال أمامها الكثير لمواجهـته، لتتكـيف مـع حـياتها الجديدة، ولكن بدا أنها بخير، كما ساعدها الانـشغال كثيـراً. عـرفت ماغي، كما عرفت سارة أيضاً، بأنها تمر بأوقات عـصيبة، لا سيما عندما يخضع سيث للمحاكمة. بعد ذلك، يتوجب عليها اتخاذ قـرارها النهائي في بعض الأمور. وعدت سيث ومحاميه بأن تقف بجانبه في أثـناء المحكمـة. ولكن سارة كانت تفكر في ما إن كانت تريد الطلاق أو لا، فبدت الإجابة تتعلق بقدرتها على مسامحته أو لا. إنها لا تملك الإجابة عن هذا الـسؤال بعـد، وتحـدثت عنه إلى ماغي كثيراً. أخبرتها ماغي أن تستمر في الـدعاء وسـتأتي الإجابة وحدها. ولكن لا وجود لأي حلّ حتى الآن. كل ما يمكن لسارة التفكير فيه هو العمل الفظيع الذي اقترفه سيث عندما خان الجميع، وخان نفسه، وخرق القانون. بدا ذنباً لا يمكن غفرانه برأي سارة.

أمـا ماغي فلا تزال تعمل في المشفى الميداني في بريسيديو. مضى علـى وجـودها هناك أربعة أشهر، وينوي أفراد مكتب خدمات الطوارئ إغلاق المخيم في تشرين الأول، أي في الشهر المقبل. لا يزال هناك بعض المقيمـين فـي صالات السكن والهنغارات، والبعض في الثكنات القديمة،

ولكـن ليس كما في السابق. عاد معظم الأشخاص إلى منازلهم بحلول ذلك الوقت، أو قاموا ببعض الترتيبات الأخرى. وكانت ماغي تخطط للعودة إلى شـقتها في تينديرلوين في وقت لاحق من ذلك الشهر. أدركت أنها ستشاق إلـى الـرفقة التي حظيت بها مع الأشخاص الذين التقت بهم هنا. بصورة غـريبة، أحـست بأنهـا أمضت وقتاً جيداً هنا. وبدت شقتها ذات الغرفة الواحدة في تينديرلوين موحشةً بشدة في رأيها. قالت لنفسها إن ذلك سيوفر لهـا المزيد من الوقت للدعاء، ولكن بالرغم من ذلك، ستشتاق إلى المخيم. ففيه حظيت ببعض الأصدقاء الجدد الرائعين.

اتـصل إيفريت بها في نهاية شهر أيلول، قبل بضعة أيام من عودتها إلى منزلها. قال إنه قادم إلى سان فرانسيسكو لكتابة قصة عن شون بين، وقال بأنه يـرغب باصطحاب ماغي للعشاء. ترددت، ثم قالت إنه لا يمكنها القيام بذلك، تـتلمّس بـيأس الأعذار، ولكنها لم تجد واحداً يمكن تصديقه، وبعد أن شعرت بالغـباء لتفكيرها في ذلك، قبلت الدعوة. دعت لذلك تلك الليلة، طالبةً ألا تختلط عليها الأمور، وأن تشعر بالامتنان لمجرد الصداقة، ولا شيء سوى ذلك.

ولكـن لحظـة رؤية إيفريت، شعرت ماغي بقلبها يخفق بقوة. مشى نحـوها عبـر الممـر خـارج المشفى، حيث كانت تنتظره، وكان لساقيه النحيلتـين الطويلتـين وحذاء رعاة البقر أثرٌ جعله يبدو أشبه براعي البقر أكثـر مـن قـبل. ابتسم بابتهاج حالما رآها، ورغماً عنها، أضاء وجهها بابتـسامة. شعرا بالسعادة لرؤية بعضهما. وضع ذراعيه حولها في عناق كبير، ثم تراجع خطوة إلى الخلف لينظر إليها، يتشربها بكامل أحاسيسه.

"تـبدين رائعة، ماغي"، قال بسرور. جاء إليها مباشرة من المطار. كان موعد المقابلة في اليوم التالي. وبهذا تكون الليلة لهما وحدهما.

اصـطحبها إلـى مطعـم فرنسي صغير في بونيون سكوير لتناول العـشاء. عادت المدينة إلى طبيعتها الآن. تم تنظيف الحطام، وكانت هناك عملـيات بناء في كل مكان. بعد خمسة أشهر تقريباً على وقوع الزلزال، أصـبح من الممكن السكن في كل الشوارع تقريباً، باستثناء تلك المتضررة

جـداً، فبعض الشوارع والأحياء لم تكن مزودة بأي وسائل حماية وتوجب هدمها بالكامل.

قالـت ماغي بحزن "سأنتقل إلى شقتي الأسبوع القادم، سأفتقد العيش مع الأخـوات الأخريات هنا في الحقيقة. ربما كنت لأشعر بالسعادة أكثر لو كنت أعـيش فـي المقر بدلاً من العيش في شقتي"، علّقت عندما بدأا بتناول العشاء. طلبت هي السمك، وكان إيفريت يتناول شريحة لحم ضخمة في أثناء تحدثهما. وكمـا يحـدث دائمـاً، كانـت المحادثة حيوية ومتدفقة. تحدثا حول عشرات الموضـوعات، ومـن ثم ذكر إيفريت محاكمة سيث سلون القادمة. إن مجرد الـسماع عن الأمر أو القراءة عنه أصاب ماغي بالحزن، خاصة على سارة. إنهـا خـسارة عقيمة لرجل طيب وأربعة أشخاص. لقد تصرف بغباءٍ شديدٍ، وآذى الكثيرين بذلك. سألته باهتمام "هل ستعمل على تغطية المحاكمة؟".

"أرغـب بـذلك. لا أعلـم مقدار اهتمام سكوب بالأمر، ولكنها قصة مثيرة. هل التقيت بسارة ثانيةً؟ كيف حالها؟".

"إنها بخير"، قالت ماغي، لم تكن لتفشي أياً من أسرارها. "تتحدث بين الحـين والآخر. إنها تعمل في المشفى الآن، في جمع التبرعات والتطوير. لـن يكـون هذا سهلاً عليها أيضاً. لقد ألحق الأذى بالكثير من الأشخاص معه".

"ذلـك النوع من الرجال الذين غالباً ما يفعلون ذلك"، قال إيفريت من دون الكثير من التعاطف. أما سارة فهي من ينبغي الشعور بالأسف عليها، وعلى طفلي سيث اللذين لن يعرفاه في الحقيقة إن أمضى السنوات العشرين أو الثلاثـين القادمـة في السجن. إن التفكير في الأمر ذكّره بابنه مجدداً. لـسبب مـا، كـان دائماً يفكر في تشاد عندما يكون برفقة ماغي، وكأنهما مرتبطان بعلاقة خفية نوعاً ما. "هل ستنفصل سارة عنه؟".

"لا أعلـم"، قالـت ماغي بغموض. لم تكن سارة تعلم هي الأخرى، ولكـن ماغـي ترى أنه لا يتوجب عليها مناقشة ذلك مع إيفريت، وبعدها تحولت المحادثة إلى موضوعات أخرى.

جلـسا إلـى الطاولـة في المطعم الفرنسي لوقت طويل. كان دافئاً ومريحاً وظلا وحيدين يتحدثان عندما ابتعد النادل عنهما.

"سـمعت إشاعة تقول بأن ميلاني في المكسيك"، علّق إيفريت، وابتسمت ماغي. "هل لك أي علاقة بالأمر؟"؛ شمّ رائحة علاقة لها بالأمر، فضحكت.

"بطـريقة غير مباشرة. هناك رجل دين رائع يدير بعثة هناك. رأيت أنهمـا يـشكلان ثنائياً رائعاً. أظن أنها ستمكث هناك حتى ذكرى الميلاد، بالـرغم مـن أنها لم تخبر أحداً بشكل رسمي عن مكانها. إنها ترغب فقط بتمضية بضعة أشهر كإنسانة عادية. إنها فتاةٌ لطيفةٌ جداً".

"أراهـن أن والـدتها أصـيبت بالجنون عندما غادرت. فالعمل في المكـسيك غيـر محدد في المضمار المعروف لنجوميتها، أو ضمن خطط والـدتها لهـا. لا تقولـي إنها برفقتها أيضاً:". ضحك على هذه الصورة، وهزت ماغي رأسها بالنفي وهي تضحك.

"كـلا، ليـست هناك. أعتقد أن هذا هو الغرض من الرحلة بكاملها. تحـتاج ميلاني إلى تجربة لنفسها. إن الابتعاد عن والدتها سيفيدها كثيراً. وسيفيد والدتها أيضاً. من الصعب على المرء أن يقطع هذه الروابط أحياناً. يواجه البعض مشاكل أسوأ في قيامهم بذلك".

"وهناك رجال مثلي لا يملكون أي روابط"، قالها بندم، بينما كانت تراقبه.

"هـل فعلـت أي شيء بخصوص إيجاد ابنك؟"، حثّته برقة، لكنها لم تدفعـه كثيـراً. لم تكن لتفعل ذلك إطلاقاً. فدائماً ما تجد أن اللمسة الخفيفة أكثر فعالية، وكذلك هو أيضاً.

"لا، ولكنني سأفعل يوماً ما. أعتقد أن السبب هو الوقت، أو شيء من هذا القبيل. سأنجز ذلك عندما أكون جاهزاً".

دفع الحساب، ومشيا حتى يونيون سكوير. لم يكن هناك أي إشارات خلّفها الزلزال هناك. بدت المدينة جميلةً ونظيفةً. حظيا بطقس رائع ودافئ في شهر أيلول، أما الآن بدأ هواء الخريف المعتدل يداعب الوجوه. أقحمت ماغـي يـدها فـي ذراعه تشعر بالارتياح، وهما يمشيان جنباً إلى جنب،

www.mlazna.com-RAYAHEEN

ويكمـلان حديـثهما عن موضوعات مختلفة. لا يريدان أن يمشيا الطريق بكامله إلى بريسيديو، ولكنهما فعلا ذلك في النهاية. منحهما ذلك المزيد من الـوقت معاً، وكان الطريق الذي سارا عليه مستوياً بكامله، وهذا أمرٌ نادرٌ في سان فرانسيسكو.

أوصـلها إلـى المبنى الذي تعيش فيه، كانت الساعة الحادية عشرة مـساءً، وهو وقت متأخر بما يكفي كي لا يتواجد أحدٌ في الخارج. أمضيا وقـتاً طويلاً على العشاء، ولطالما بدا أنهما ينسجمان معاً وكأنهما نصفان لجسد واحد، يكملان بعضهما، في تفكيرهما وآرائهما.

"شـكراً لهـذا الـوقت الرائع"، قالت، تشعر بالغباء لأنها حاولت تجنبه. جعلـتها المرة الأخيرة التي أمضتها برفقة إيفريت تشعر بالاضطراب. أحست بأنها منجذبة بقوة نحوه، أما الآن فكل ما تشعر به هو الدفء والعاطفة العميقة. إنه إنسانٌ مثاليٌ، ينظر إليها بكامل الحب والإعجاب اللذين يكنهما لها.

"مـن اللطـيف رؤيـتك، ماغي. شكراً لقبولك الدعوة على العشاء. سأتـصل بـك قبل مغادرتي غداً، أو سأمرّ إن استطعت، ولكنني أعتقد أن اللقـاء قـد يطول، ولذلك سأكون مسرعاً لألحق بالطائرة الأخيرة. وإن لم يطل، سأمر لتناول فنجان من القهوة"، أومأت، ترفع رأسها لتنظر إليه. كل شـيء فيه كان مثالياً. وجهه، عيناه، روحه العميقة وآثار المعاناة القديمة، وقـد ترافقت تماماً مع بريق الشفاء من الإدمان في عينيه. وصل إيفريت إلـى حافـة الموت ثم عاد، ولكن ذلك جعله من هو عليه الآن. وبينما هي تنظر إليه، رأته بلطف يخفض رأسه نحوها. أرادت أن تقبل وجنتيه، ولكن قـبل أن تعلم ما الذي يحدث. شعرت بالدُوار عندما توقفا أخيراً. لم يقبّلها هو فقط، بل قبّلته هي بدورها، وحدّقت إليه بعد ذلك بنظرة من الخوف. حدث الذي لم يكن من الممكن تصوره. بالرغم من أنها دعت كثيراً لكي لا يحدث.

"أوه، يـا الله... إيفـريت!... لا!..."، تـراجعت خطوة إلى الوراء، فأمسك بذراعها وسحبها نحوه بلطف، وأمسك رأسها الذي أحنته من الحزن والخجل بين يديه.

"ماغـي، لا... لـم أقصد أن أفعل ذلك... لا أعلم ماذا حدث... كان الأمـر أشبه بقوة خفية لم أتمكن من مقاومتها تجذبني إليك. أعلم أنه ليس مـن المفتـرض حدوث ذلك، وأريد إعلامك فقط أنني لم أخطط للأمر... ولكـن يـتوجب عليّ أن أكون صادقاً معك. هذه هي حقيقة مشاعري منذ اللحظة التي التقيت بها فيك. أحبك، ماغي... لا أعلم إن كان هذا يشكل أي اخـتلاف بالنسبة إليك... ولكنني أفعل... سأفعل أي شيء تريدينه. لا أريد أن أجـرحك. أحبك كثيراً ولا أرغب بفعل هذا"، نظرت إليه من دون أي كلمـة، وشاهدت الحب في عينيه، والصفاء، والواقعية، والصدق. عكست عيناه كل ما في عينيها.

"لا يمكنـنا رؤية بعضنا مجدداً، قالت وهي تبدو محطمة الفؤاد. "لا أعلم ما الذي حدث". ثم أرادت أن تصدق معه كما هو صادقٌ معها. يمتلك الحـق بمعـرفة ذلـك. "أحبك أيضاً"، همست له، "لا يمكنني فعل هذا... إيفريت، لا تتصل بي مجدداً". حطم قلبها قول هذا، وأومأ هو. كان مستعداً ليقدم نفسه إليها.

"أنا متأسف".

"وكذلك أنا"، قالت بحزن، والتفتت بعيداً ومضت في طريقها بصمت إلى المبنى حيث تقيم.

وقـف يـشاهدها وهـي تغلق الباب، وشعر بأن قلبه قد ذهب معها. وضع يديه في جيبيه، التفت، ومشى عائداً إلى فندقه في نوب هيلز.

فـي سريرها، تحت جنح الظلام، نظرت ماغي وكأن عالمها قد بلغ نهايـته. شـعرت بأنها متعبة جداً ومصدومة كثيراً إلى درجة عجزت فيها عن الدعاء للمرة الأولى. كل ما تمكنت من فعله هو التمدد هناك، تفكر في اللحظة التي قبّلا فيها بعضهما.

الفصل الثامن عشر

أمضت ميلاني في المكسيك وقتاً أروع مما كانت تأمل. كان الأطفال الذين عملت معهم مُحبين ومحبوبين، وشاكرين لأصغر الأشياء التي يقدمها الناس لهم. عملت ميلاني مع فتيات تتراوح أعمارهن بين الحادية عشرة والخامسة عشرة، جميعهن قمن بأعمال غير أخلاقية سابقاً، والكثيرات منهن كن مدمنات على العقاقير من قبل، وعلمت أن ثلاثاً منهن مصابات بالإيدز.

إن هذا هو وقت النضج والتفكير العميق بالنسبة إليها. جاء توم لرؤيتها مرتين، وأمضى عطلتي نهاية أسبوع طويلتين معها، وشعر بالإعجاب لما تفعله. أخبرته أنها مشتاقة إلى العمل، وتتوق إلى الغناء والأداء، إلا أن هناك بعض الأمور التي ترغب بتغييرها. والأهم من هذا كله، أرادت أن تبدأ باتخاذ قراراتها بنفسها. اتفقا كلاهما على أنه قد حان الوقت لذلك، بالرغم من أنها واثقة من أن والدتها ستواجه صعوبة في تقبل الأمر. ولكن يتوجب عليها من الآن أن تحظى بحياتها الخاصة هي الأخرى أيضاً. قالت ميلاني أن جانيت بدت منشغلة من دونها حتى. ذهبت إلى نيويورك لرؤية بعض الأصدقاء، وإلى لندن أيضاً، كما أمضت مناسبة الشكر مع الأصدقاء في لوس أنجلوس. أما ميلاني فأمضت مناسبة الشكر في المكسيك، وأرادت أن تعود وتتطوع هناك مجدداً في السنة القادمة. حظيت رحلتها بالنجاح من كل النواحي.

مكثت أسبوعاً إضافياً وحطت في المطار قبل أسبوع من ذكرى الميلاد. زُيّن المطار بزينة الميلاد، وعلمت أن محال رودیو درایف ستكون

كذلك أيضاً. جاء توم لاصطحابها، وبدت مُسمرة وسعيدة. في الأشهر الثلاثة الماضية، تحولت من طفلة إلى امرأة. إن الوقت الذي أمضته في المكسيك كان بمثابة رحلة تحولٍ بارزة. لم تكن والدتها بانتظارها في المطار ولكنها أقامت لها حفل استقبال في المنزل، مع جميع الأشخاص الهامين بالنسبة إلى ميلاني. لفّت ذراعيها حول والدتها وبكت الاثنتان تشعران بالسرور لرؤية بعضهما. عرفت بذلك أن والدتها غفرت لها سفرها، وبطريقة ما تمكنت من فهمها وتقبل ما فعلته، بالرغم من أنها خلال الحفل، أخبرت ميلاني عن جميع الحجوزات التي تنتظرها. بدأت ميلاني تعارض ذلك، ثم ضحكتا معاً، تعرفان ما الذي حدث. لا يمكن للعادات القديمة أن تموت بسهولة.

"حسناً، أمي. سأقبل بذلك هذه المرة. لمرة واحدة فقط. في المرة التالية، اسأليني أولاً".

"أعدك"، قالت والدتها، بدت مرتبكة نوعاً ما. سيكون هذا تعديلاً هائلاً بالنسبة إلى كلتيهما. يتوجب على ميلاني أن تتحمل بعض المسؤوليات في حياتها الآن. ويتوجب على والدتها أن تمنحها إياها. إنه ليس بالعمل السهل على أي منهما، ولكنهما ستحاولان. كان للبعد أثرٌ في إجراء التحول.

أمضى توم يوم ذكرى الميلاد عندهما، وقدّم لميلاني خاتم خطبة. وهو على شكل حلقة ضيقة من الماس كانت أخته قد ساعدته على اختياره لها. أحبته ميلاني، ووضعه توم في إصبع يدها اليمنى.

"أحبك، ميل"، قال بلطف، لحظة خروج جانيت في منزر ذكرى الميلاد المزين بالأحمر والأخضر، مع صينية من أكواب الشراب. جاء العديد من الأصدقاء. كان مزاجها رائعاً، وبدا أنها أكثر انشغالاً عما كانت عليه طوال حياتها. منذ عودتها، أمضت ميلاني أسبوعها في التدريبات الغنائية لحفل حديقة ماديسون سكوير عشية ذكرى الميلاد. كانت عودةً رائعةً لها، وبدايةً متميزةً نوعاً ما. سيرافقها توم إلى نيويورك قبل يومين من بدء الحفل. وكان كاحلها قد شُفي تماماً. فقد ظلت تتنعل الصندل طوال الأشهر الثلاثة الماضية.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"أنـا أحبك أيضاً"، همست لتوم. كان يضع حول معصمه ساعةً من كارتيـيه أهدتـه إياها ميلاني... أحبها. ولكن الأهم من ذلك كله أنه أحبها هي. لقد شهدا سنةً مذهلةً معاً، بدءاً من زلزال سان فرانسيسكو حتى حلول عطلة الميلاد.

أوصـلت سـارة الطفلـين إلى سيث يوم ذكرى الميلاد. كان قد عرض عليها زيارتهم، ولكنها لم ترغب بمجيئه. كانت تشعر بالاستياء عندما يأتي إلى منزلها. لم تقرر ما ستفعله بعد. تحدثت إلى ماغي عن الأمـر عدة مرات. وذكّرتها ماغي بأن المسامحة فضيلة إنسانية هامة، ولكـن مهمـا فعلت، لم تبد قادرةً على الوصول إليها. إلا أنها لا تزال تعـتقد بعـبارة *في السراء والضراء*، ولكنها لم تعد تعلم ما هي حقيقة مـشاعرها تجاهـه. لم تتمكن من فهم ما حدث. لقد شعرت بأنها فقدت جميع الأحاسيس.

احـتفلت بذكـرى المـيلاد مع الطفلين في الليلة السابقة، عشية هذه الذكرى، وفي ذلك الصباح بحثوا في الجوارب، وفتحوا هدايا سانتا كلوز. أحب أوليفر فتح الهدايا وحسب، أما مولي فأحبت كل شيء قدّمه سانتا لها. تفحـصوا كل شيء، ووجدوا أن سانتا قد شرب معظم الحليب وتناول كل البسكويت. أما رودولف فقد التهم كل الجزر، وفُقدت اثنتان منها.

ألـم سارة أن تحتفل كالمعتاد مع الطفلين من دون سيث، ولكنه قال بأنـه يـتفهم ذلك. كان يزور الطبيب النفسي ويخضع لجلسات علاج من نـوبات القلق التي تصيبه. شعرت سارة بالسوء لذلك أيضاً. أحست وكأنه يـتوجب علـيها أن تظل معه، وإلى جانبه، وتساعده على استعادة الراحة والطمأنينة. ولكنه أصبح غريباً بالنسبة إليها الآن، حتى لو أحبته في السابق ولا تزال تحبه. كان ذلك شعوراً غريباً ومؤلماً.

ابتـسم عـندما رآهـا تقـف خارج منزله مع الطفلين، وطلب منها الدخول، ولكنها رفضت. قالت بأنها ذاهبة للقاء بعض الأصدقاء، ولكنها في الحقـيقة سـتتناول الشاي في سانت فرانسيس مع ماغي. دعتها إلى هناك

بالنظـر إلى أنه ليس بالمكان البعيد عن مكان إقامة ماغي، بالرغم من أنه عالم آخر مختلف جداً عن عالمها في جوهره.

"كيف حالك؟"، سألها سيث، بينما دخل أوليفر بخطى مضطربة. بات قادراً على المشي الآن. أما مولي فأسرعت في الدخول لرؤية ما ينتظرها تحـت شـجرته. أحـضر لها دراجة ثلاثية العجلات وردية اللون، ودمية كبيـرة، وحزمة من الهدايا الأخرى. كانت الأموال التي تصله مساويةً لما تحـصل علـيه سـارة إلا أن سيث دائماً ما ينفق أموالاً أكثر منها. كانت تحاول الاقتصاد في إنفاق راتبها والأموال التي يرسلها كنفقة للطفلين. كان والداها يساعدانها أيضاً، وطلبا منها الحضور إلى بيرمودا لتمضية العطل، ولكـنها لم ترغب بالذهاب. أرادت المكوث هنا، لتبقي الطفلين على مقربة مـن والـدهما. فكـل ما يتوقعانه هي وسيث أن تكون هذه ذكرى الميلاد الأخيـرة لـه خارج السجن حتى وقت طويل، ولم ترغب بأن تحرمه من طفليه، أو تبعدهما عنه.

"أنـا بخيـر"، أجابت سارة، وابتسمت ابتسامة متسامحة، ولكن كان هـناك الكثير من الحواجز بينهما. ظهر في عينيه وعينيها الكثير من خيبة الأمـل والحزن، وهول خيانته التي وقعت عليها كالصاعقة. كانت لا تزال عاجـزةً عن استيعاب ما حصل، أو عن سبب حصوله. فأكّد لها مجدداً أنه يمـتلك خصالاً لم تعرفها إطلاقاً، كتلك التي تشارك فيها مع أشخاص مثل سـولي، ولم يشاركها إياها أبداً. هذا هو الجزء المخيف. كان غريباً يعيش فـي المنـزل معها دائماً. وقد فات الأوان على التعرف به الآن، وهي لا تـرغب بذلك أصلاً. لقد دمّر هذا الغريب حياتها. إلا أنها تعيد بناءها من جديـد وبهـدوء وحـدها. طلب رجلان مواعدتها مؤخراً، ولكنها لا تزال متـزوجة، إلى حين تقرر غير ذلك، ولم تتّخذ ذلك القرار بعد. أجّلته حتى انتهاء المحاكمة، غير أن قرار القيام بذلك لمع في رأسها كالوميض. كانت لا تـزال تـضع خاتم زواجها، وكذلك سيث. الآن، على الأقل، لا يزالان زوجة وزوجاً، حتى ولو كانا يقيمان في مكانين منفصلين.

سـلّمها هدية ذكرى الميلاد قبل أن تغادر، وجلبت معها هديته أيضاً. اشـترت لـه سترة من الكشمير وبضع كنزات صوفية، أما هو فجلب لها سترة صغيرة وجميلة من الفرو. أحبتها كثيراً، وبدت رائعة في لونها البني الداكن. ارتدتها حالما فتحتها، ثم قبّلته.

"شكراً لك، سيث، لم يتوجب عليك فعل ذلك".

قال بحزن "بل يتوجب عليّ، تستحقين أكثر من ذلك بكثير". في الأيام السابقة، كان سيقدم لها قطعة كبيرة من المجوهرات من تيفاني أو كارتييه، ولكـن هـذه ليست بالسنة الملائمة لذلك، ولن تعود تلك الأيام إطلاقاً. لقد بـيعت كل مجوهراتها. تم بيعها في المزاد قبل شهر، وأموالها مجمدة مع بقـية ممـتلكاتهما، بالنظر إلى أن المصاريف القانونية التي يدفعانها كانت تفوق توقعهما. فشعر بالسوء حيال ذلك.

تـركت الطفلـين معه، حيث سيمضيان الليلة عنده. اشترى سريراً محمـولاً لأوليفر، وستنام مولي على السرير بجانبه، بالنظر إلى أنه امتلك غرفة نوم واحدة في شقته الصغيرة.

قبّلـته سـارة قبل أن ترحل، وشعرت بالألم وهي تنطلق بعيداً. إن الأعباء التي يتشاركان فيها الآن ثقيلة جداً وقد تعبت من حملها. ولكن ليس أمامها أي خيارٍ آخر.

ذهب إيفريت إلى اجتماع المتعافين من الإدمان صباح ذكرى الميلاد. تطوع ليكون المتحدث الضيف، ويشاركهم قصته. كان اجتماعاً كبيراً أحب الذهاب إليه. تواجد فيه العديد من الشباب، البعض كانوا يرتدون ثياباً رثة، كمـا حضر الاجتماع زمرة قليلة من أثرياء هوليوود، وبعض المشردين. أحب ذلك المزيج، فهو حقيقي تماماً. أحس بأن بعضاً من الاجتماعات التي ذهـب إليها في هوليوود وبيفرلي هيلز كانت منمقة كثيراً ومُلمعة بإفراط. كان يفضل الاجتماعات الأكثر تواضعاً. ودائماً ما كان هذا الاجتماع كذلك.

شارك في القسم العادي من الاجتماع أيضاً. عرّف باسمه وبأنه كان مدمـناً علـى الكحـول في السابق، وبعدها رحب به ما يقارب الخمسين

شخـصاً المتواجدين في الغرفة، قالوا: "أهلاً إيفريت!"، في آنٍ واحد. دائماً مـا كـان ذلك يمنحه شعوراً دافئاً ويجعله يشعر بأنه في منزله حتى بعد حوالى السنتين. لم يكن يتدرب على خطاباته إطلاقاً أو حتى يحفظها. يقول ما يخطر في باله وحسب، أو ما يثير قلقه في ذلك الوقت. ذكر ماغي هذه المرة، قال بأنه يحبها وبأنها أخت. قال بأنها تحبه هي أيضاً، ولكنها ظلت مخلـصة لـنذورها، وطلبت منه ألا يتصل بها مجدداً، ولهذا لن يفعل. لقد أحس بخسارة هائلة في الأشهر الثلاثة الماضية، ولكنه احترم طلبها. وحال مغادرته الاجتماع عندما استقل سيارته للعودة إلى المنزل، فكّر في ما قاله. بأنـه أحبها كما لم يحب أي امرأة من قبل، سواء أكانت أختاً أو غير ذلك. وهـذا يستحق شيئاً، تساءل فجأة إن كان ما فعله صحيحاً، أو هل يتوجب عليه النضال من أجلها. لم يخطر ذلك في باله مسبقاً. كان في طريقه إلى منـزله، عندما سلك منعطفاً حاداً واتجه إلى المطار. كانت حركة السير خفيفةً فـي عطلـة الميلاد. إنها الساعة الحادية عشرة صباحاً، وعلم أن بإمكانه اللحـاق بطائرة الساعة الواحدة بعد الظهر المتجهة إلى سان فرانسيسكو، وبهذا يصل المدينة عند الثالثة بعد الظهر. ولا شيء سيوقفه بعد ذلك.

دفع ثمن تذكرة السفر، صعد على متن الطائرة، وجلس يحدق خارج الـنافذة إلى الغيوم والريف والأبراج. ليس هناك من يقضي عطلة الميلاد معـه، وفـي حال رفضت استقباله، لن يخسر الكثير. بعض الوقت فقط، وتذكرة الذهاب والإياب. يستحق الأمر المجازفة. اشتاق إليها على نحو لا يمكـن تحمله في الأشهر الثلاثة الأخيرة، وإلى آرائها الحكيمة، وتعليقاتها اللامعـة، ونـصائحها الـرقيقة، وإلى سماع صوتها، وإلى اللون الأزرق اللامـع فـي عينيها. شعر بالتلهف لرؤيتها الآن. إنها أفضل هدية ذكرى مـيلاد علـى الإطلاق، الهدية الوحيدة التي سيتلقاها. لم يجلب معه لها أي شيء سوى الحب.

حطت الطائرة في تمام الساعة الثانية إلا عشر دقائق، وصل بسيارة الأجـرة التي أوقفها عند الحاجز إلى المدينة عند الثالثة إلا عشرين دقيقة.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

ذهب إلى شقتها في تيندرلوين، يشعر وكأنه فتى في المدرسة يزور صديقته، وبدأت المخاوف تراوده حيال ما سيحدث إن لم تسمح له بالدخول. امتلكت نظام اتصال خارج المبنى، وربما تخبره من خلاله أن يرحل، ولكن بالرغم من ذلك يتوجب عليه المحاولة. لن يتمكن من إخراجها من حياته بسهولة. فالحب أمرٌ نادرٌ وبالغ الأهمية ولن يتمكن من التخلي عنه هكذا. كما أنه لم يشعر بالحب تجاه أحد من قبل مثلما شعر تجاهها إطلاقاً. يعتبرها مميّزة، وهذا ما يصفها به الآخرون أيضاً.

دفع أجرة السائق حال وصوله المبنى، ومشى بخطى قلقة إلى الدرجات الأمامية. كانت محطمة ومكسرة بصورة سيئة. جلس رجلان ثملان على الحافة، يتشاركان زجاجةً واحدةً. وكانت ستّ بنات هوى يتجولن في الشارع، يبحثن عن الرفقة. هذا هو العمل المعتاد هنا، سواء في عطلة الميلاد أو في أي وقت آخر.

رن الجرس، ولم يجبه أحد. فكّر في الاتصال بها عبر هاتفها الخلوي، ولكنه لم يرغب بتحذيرها. جلس على الدرجة العلوية بسرواله الجينز وكنزته السميكة. أشعره الجو بالقشعريرة، ولكن الشمس كانت مشرقةً والنهار جميل. مهما تطلب الأمر، سينتظرها. علم أنها ستأتي في النهاية. ربما كانت تعمل في تقديم غداء أو عشاء الميلاد للفقراء في صالة طعام في مكان ما.

ظل الرجلان جالسين على الدرجات الأمامية يمرران الزجاجة لبعضهما، ثم رفع أحدهما رأسه ودعاه لمشاركتهما الشراب. كانت زجاجتهما من أرخص الأنواع التي تمكّنا من شرائها، وهي من أصغر حجم. كانا قذرين على نحو مفرط، وابتسما له فظهر أنهما بلا أسنان.

"أتشرب؟"، عرض عليه أحدهما، بصوتٍ غير مفهوم. كان الآخر أكثر ترنحاً، وبدا وكأنه نصف نائم.

"هل فكرتما مسبقاً في الذهاب إلى اجتماعات المتعافين من الإدمان على الشراب؟"، سألهما إيفريت بلطف، رافضاً الدعوة، بينما نظر إليه

مضيفه باشمئزاز والتفت بعيداً. لكز رفيقه، يشير إلى إيفريت، ومن دون النطق بأي كلمة، نهض الاثنان وابتعدا إلى عتبة أخرى، حيث جلسا وأكملا شربهما بينما ظل إيفريت ينظر إليهما. "من أجل الله، عودي إلى هنا!"، دعا ذلك بينه وبين نفسه، وهو لا يزال ينتظر ماغي. بدا أن انتظار المرأة التي يحبها كان الطريقة المثالية لتمضية ذكرى الميلاد.

أمضت ماغي وسارة وقتاً رائعاً في احتساء الشاي في فندق سانت فرانسيس. قدموا الشاي الإنكليزي الفاخر مع الكعك المدور والفطائر وتشكيلة من الشطائر. تدفقت محادثتهما وهما ترتشفان الإيرل غراي. لاحظت ماغي أن سارة حزينة، ولكنها لم تضغط عليها لتتحدث عما يحزنها. فضلاً عن أن ماغي نفسها كانت تشعر بالكآبة. اشتاقت إلى التكلم مع إيفريت، وإلى ضحكهما وحديثهما معاً، ولكن بعد ما جرى بينهما في المرة الأخيرة، علمت أنها لن تتمكن من رؤيته أو التحدث إليه مجدداً. فهي لا تمتلك القوة لمقاومته إن رأته. ذهبت للاعتراف بذلك، وعملت على تقوية إرادتها بعد تلك الحادثة. ولكنها اشتاقت إليه بالرغم من كل شيء. لقد أصبح صديقاً غالياً على قلبها.

تحدثت سارة عن رؤيتها لسيث، وكم تشتاق إليه، وعن الأيام الرائعة التي أمضياها معاً في السابق. لم تتخيل إطلاقاً أن كل ذلك سينتهي. فلم يكن ذلك ليخطر في بالها.

قالت بأنها تحب عملها والأشخاص الذين تلتقي بهم. ولكنها لا تزال متحفظة جداً من الناحية الاجتماعية. لا تزال تشعر بالإحراج الشديد فيمنعها ذلك من الخروج برفقة أصدقائها. علمت أن المدينة تثرثر بأحاديث عنهما، وسيزداد الأمر سوءاً بعد المحاكمة في شهر آذار. كانت هناك نقاشات طويلة حول محاولة تأخير الجلسات، أو الضغط لتسريع المحاكمة. قرر سيث أخيراً أنه يريد إنهاء الأمر بسرعة. وبدا أنه يصاب بالتوتر حيال ذلك يومياً. وشعرت هي أيضاً بالقلق لذلك.

تدفقت المحادثة بسرور عندما تطرقتا إلى موضوعات مختلفة، عن اصطحاب سارة لمولي إلى مسرحية **كسارة البندق**، وعن عمل ماغي في

اجتماع ضمّ أشخاصاً من مناطق وبلدان عديدة ليلة ذكرى الميلاد في الليلة السابقة. بدا لقاؤهما مثالاً عن اجتماع حميم ودافئ بين صديقتين. إن صداقتهما هبة لكلٍّ منهما في هذه السنة، هدية لم تكن متوقعة بعد زلزال سان فرانسيسكو.

غادرتا سانت فرانسيس عند الخامسة عصراً. أوصلت سارة ماغي إلى شارع شقتها، واتجهت نحو الجزء الأعلى من المدينة. كانت تفكر في الذهاب إلى السينما وحدها، ودّعت ماغي، ولكنها قالت بأنها متعبة وتريد الذهاب إلى المنزل. كما أن الفيلم الذي أرادت سارة مشاهدته بدا كئيباً جداً برأيها. لوحت ماغي عندما انطلقت سارة بعيداً، ثم مشت ببطء إلى شارعها.

كانت ماغي على وشك أن تصعد الدرجات الأمامية، عندما رفعت رأسها ورأته. توقفت ولم تتحرك، ابتسم لها. مضت ساعتان عليه وهو يجلس، بدأ يشعر بالبرد. لم يبالِ لذلك حتى ولو تجمد إلى درجة الموت، لن يتحرك قبل أن تعود إلى المنزل. وفجأة، ها هي هنا.

وقفت تنظر إليه، عاجزةً عن تصديق ما تراه، وببطء نزل الدرجات إلى مكان وقوفها.

"أهلاً، ماغي"، قال بلطف. "ذكرى ميلاد سعيدة".

"ما الذي تفعله هنا؟"، سألته، وهي تحدق إليه. لم تمتلك أي فكرة عما تقوله.

"كنت في اجتماعٍ هذا الصباح... وتحدثت عنك... وبعد ذلك جئت لأتمنى لك ميلاداً سعيداً بنفسي"، أومأت. بدا أمراً مقنعاً برأيها. تمكنت من تخيّل أنه قادرٌ على القيام بمثل هذا الأمر. لم يقدم لها أحدٌ شيئاً كهذا. أرادت أن تمد يدها وتتلمسه لتتأكد من أنه حقيقي، ولكنها لم تجرؤ على ذلك.

"شكراً لك"، قالت بلطف، ودقات قلبها تتسارع. "هل ترغب بالذهاب إلى أي مكان لتناول فنجان من القهوة؟ منزلي في حالة فوضوية". ولم

تعتقد أنه من الملائم اصطحابه إلى الأعلى. إن أهم قطعة من أثاث شقتها ذات الغرفة الواحدة هي السرير. ولم يكن مرتباً حتى.

ضحك كإجابة عن سؤالها. "أرغب بذلك. إنني أشعر بالبرد الشديد بسبب الجلوس على درجات شقتك منذ الساعة الثالثة بعد الظهر". نظّف سرواله الجينز، واتجها إلى أحد المقاهي في الجهة المقابلة من الشارع. كان مكاناً كئيباً، إلا أنه قريبٌ، مضاءٌ بصورة جيدة، والطعام فيه جيد نوعاً ما. كانت ماغي تتوقف هناك في بعض الأحيان في أثناء عودتها إلى المنزل. كان مذاق اللحم هناك شهياً، وكذلك البيض المخفوق. ودائماً تعامل جميع المتواجدين فيه بلطفٍ معها لكونها أختاً.

لم ينطق أي منهما بكلمة إلى حين جلوسهما هناك وطلب القهوة. طلب إيفريت معها شطيرة ديك حبش، ولكن ماغي قالت بأنها متخمة بعد لقاء الشاي الرائع الذي أمضته مع سارة في سانت فرانسيس.

تحدث هو أولاً: "إذاً، كيف حالك؟".

"بخير"، شعرت بأن لسانها معقود للمرة الأولى في حياتها، ومن ثم هدأت قليلاً، وعادت تتصرّف على طبيعتها تقريباً. "هذا أجمل شيء يفعله أحدٌ من أجلي. يسافر إلى هنا ليتمنى لي ميلاداً مجيداً. شكراً لك، إيفريت"، قالت برزانة.

"اشتقت إليك، كثيراً. لهذا السبب أنا هنا اليوم. أحسست فجأة أنه من الغباء ألا نتحدث. أعتقد أنه يتوجب عليّ الاعتذار عما حدث في المرة الأخيرة، غير أنني لا أشعر بالأسف لقيامنا بذلك. إنه أفضل ما حدث لي". دائماً ما كان صادقاً معها.

"أنا أيضاً"، خرجت الكلمات من فمها من دون تكلّف، ولكن ذلك كان شعورها. "لا أزال عاجزةً عن فهم ما حدث". بدت نادمة.

"ألا تعرفين؟ أنا أعرف. أعتقد أننا نحب بعضنا. أو على الأقل أنا أحبك. ويراودني شعور أنك تحبينني أيضاً. آمل ذلك على الأقل". لم يرغب بأن تعاني بسبب مشاعرها تجاهه، ولكنه لم يتمكن من إيقاف نفسه

عن الأمل بأنهما واقعان في حب بعضهما، وأن ذلك لا يحدث له وحسب. "لا أعلم ما الذي بإمكاننا فعله حيال ذلك، إن كان هناك شيء يمكننا القيام به أصلاً. تلك قصة مختلفة. ولكن أريدك أن تعرفي كيف أشعر".

قالت بحزن "أنا أيضاً أحبك". إنه أكبر ذنب تقترفه في حياتها ويخالف أنظمة دار العبادة، وأكبر تحدٍّ يواجه نذورها، ولكنه حقيقي. فكّرت في أنه يمتلك الحق لمعرفة ذلك.

"حسناً، هذا خبر جيد"، قال، يتناول قضمةً من شطيرته. وبعد أن ابتلعها، ابتسم وهو يشعر بالراحة لما سمعه.

صححت له "لا، ليس بالجيد، لا يمكنني التخلي عن نذوري. هذه هي حياتي". ولكن، بطريقة ما، أصبحت حياته هو أيضاً. "لا أعلم ما الذي يتوجب عليّ فعله".

"ماذا إن استمتعنا بالأمر الآن، بينما تفكرين أنت فيه؟ ربما هناك طريقة صحيحة تمكّنك من الانتقال إلى حياة مختلفة". ابتسمت لما قاله.

"لا يمنحونك هذا النوع عندما تغادر المقر. أعرف أشخاصاً فعلوا ذلك، أخي غادرها، ولكنني لم أتخيل إطلاقاً أنني سأفعل ذلك بنفسي".

"ربما لن تفعلي"، قال بلطف. "ربما نبقى على هذا الحال. ولكننا على الأقل، نعلم بأننا واقعان في الحب. لم آتِ إلى هنا لأطلب منك الهرب معي، بالرغم من أنني أحب ذلك كثيراً إن قبلت بذلك. لم لا تفكرين في الأمر من دون تعذيب نفسك؟ امنحي ذلك بعض الوقت، واعرفي حقيقة مشاعرك". أحبت المنطق الذي تحدّث به وإدراكه لمشاعرها.

"أنا خائفة"، قالت بصدق.

"أنا أيضاً"، قال، يمسك يدها بين يديه. "إنه أمر مخيف. لست واثقاً من أنني أحببت أحداً طوال حياتي. كنت ثملاً جداً وعاجزاً عن الاهتمام بأي شخص لثلاثين سنة، بما فيهم أنا نفسي. الآن، استيقظت، ووجدتك". أحبت ما قاله.

قالت بهدوء "لم أشعر بالحب تجاه أحدٍ إطلاقاً، إلى حين مجيئك أنت. لم أعتقد ولو بعد ملايين السنوات أن ذلك سيحدث لي".

"ربما قدّر الله أنه قد حان الوقت لذلك".

"سأشعر بأنني يتيمة إن غادرت دار العبادة".

"ربما أتبنّاك عندها. هذا احتمال. هل بإمكان المرء تبني الأخوات؟"، ضحكت على ما قاله. "أنا سعيد جداً لرؤيتك، ماغي".

بدأت تشعر بالاطمئنان عندها، وتحدثا كما يفعلان دائماً. أخبرته ما كانت تفعل، وأخبرها قصصاً قد عمل على تغطيتها. تحدثا عن محاكمة سيث القادمة. قال بأنه تحدث إلى محرّريه مطولاً، وربما يغطي القصة لسكوب. قال إنه إن فعل، سيمكث في سان فرانسيسكو لعدة أسابيع، بدءاً من آذار، وقت بدء المحاكمة. أحبت فكرة وجوده هنا، وحقيقة أنه لا يضغط عليها. بحلول الوقت الذي غادرا فيه المقهى، شعرا بالراحة لرؤية بعضهما مجدداً. أمسك بيدها وهما يقطعان الشارع. كانت الساعة تقارب الثامنة مساءً عندها وحان الوقت له للحاق بطائرة العودة إلى لوس أنجلوس.

لم تدعه للصعود، ولكنهما وقفا هناك لدقيقة بدت طويلة. "إنها أفضل هدية ذكرى ميلاد تلقيتها في حياتي"، ابتسمت له.

"أنا أيضاً"، قبّلها برفقٍ على جبينها. لم يرغب بإخافتها، كما أن الناس في حيها يعلمون أنها أخت. لم يرغب بتشويه سمعتها. ولم تكن جاهزة لذلك على أي حال. احتاجت إلى التفكير. "سأتصل بك، وأرى كيف تجري الأمور". ثم التقط نَفَسه، وشعر وكأنه طفلٌ عندما تحدث. "هل ستفكرين في الأمر، ماغي؟ أعرف بأنه قرارٌ كبيرٌ بالنسبة إليك. لن يصادفك ما هو أكبر منه حتى. ولكنني أحبك، وأنا هنا من أجلك، وإن كنت مجنونة بما يكفي للموافقة، فيشرفني الزواج بك. لتعلمي فقط أن ما أعرضه عليك أمرٌ فائقُ الاحترام".

"لم أكن لأتوقع أي شيءٍ أقل من ذلك منك، إيفريت"، قالت بتزمت، ثم ابتسمت. "عند ذكر الأمر، لم يعرض عليّ أحدٌ الزواج من قبل". شعرت بالدوار وهي تنظر إليه، وقفت على رؤوس أصابعها، وقبّلته على جبينه.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"هل يمكن لمدمن سابق وأخت أن يكونا سعيدين معاً؟ أن يتفقا دائماً".

ضـــحك وهو يقول ذلك، وفجأة، من دون سابق إنذار، أدرك أنها لا تزال شابة بما يكفي ليرزقا بالأطفال، وربما حتى العديد منهم، إن تزوّجا قريباً. أحب تلك الفكرة، لكنه لم يذكرها لها. لديها ما يكفي في عقلها الآن.

"شكراً لك، إيفريت"، قالت، وهي تفتح قفل الباب الأمامي، وهو يشير إلى سيارة أجرة تمر أمامهما بالتوقف. "سأفكر في الأمر. أعدك".

"خذي وقتك. لست في عجلة. لا أحد يضغط عليك".

"دعنا ننتظر ما يقدره الله لنا"، قالت وهي تبتسم له.

"حسناً. أعتمد عليك في تلاوة الأدعية لحصول ذلك. في هذه الأثناء، سأبدأ أنا في إضاءة الشموع". أحب القيام بذلك عندما كان صغيراً.

لـــوّحت لـــه وبعدها اختفت داخل مبناها، فركض إلى سيارة الأجرة المنتظـــرة. نظر إلى المبنى عندما انطلقت السيارة، يفكر في أن هذا ربما أفـــضل يـــوم في حياته. امتلك الحب، بل الأفضل من ذلك، امتلك الأمل. والأفضل من كل هذا، امتلك ماغي... تقريباً. وبتأكيدٍ محتمٍ، امتلكته هي.

الفصل التاسع عشر

بعـــد يوم من انقضاء ذكرى الميلاد، وبعد أن زخر بالطاقة من رؤية ماغـــي، جلـــس إيفـــريت إلى جهاز كمبيوتره، ولج شبكة الإنترنيت، وبدأ بالـــبحث. علم بوجود مواقع لإجراء بحثٍ معينٍ. أدخل بعض المعلومات، وظهـــرت ورقـــة البـــيانات على الشاشة. أجاب بعنايةٍ عن جميع الأسئلة، بالرغم من أنه لم يمتلك الكثير من المعلومات. أدخل الاسم وتاريخ الميلاد ومكان الولادة واسم الأبوين وآخر عنوان معروف. كان هذا كل ما بإمكانه إدخاله. لا يعلم العنوان الحالي أو رقم الخدمات الاجتماعية أو أي معلومة أخـــرى. أبقـــى الـــبحث محدوداً بمونتانا. وفي حال لم يظهر شيء هناك، بإمكانه إكمال البحث في الولايات الأخرى. جلس هادئاً إلى شاشة كمبيوتره بانتظار النتيجة. لم ينتظر كثيراً حتى ظهر الاسم والعنوان على شاشته. لقد كان الأمر بكامله بسيطاً وسريعاً جداً. بعد سبع وعشرين سنة، ها هو هنا. تـــشارليز لـــويس كارســـون، تشاد. مع عنوان لمنزله في بيوت مونتانا. استغرقت فكرة البحث عنه سبعاً وعشرين سنة، إلا أنه أصبح جاهزاً الآن. وظهر رقم الهاتف وعنوان البريد الإلكتروني أيضاً.

فكّـــر في أن يبعث له برسالة إلكترونية ثم قرر ألا يفعل. دوّن جميع الأرقـــام على ورقة، جلس يفكر في الأمر لبعض الوقت، تجول في أرجاء شـــقته، ومـــن ثم أخذ نَفَساً عميقاً، اتصل بشبكة الخطوط الجوية، وأجرى حجـــزاً. كـــان هـــناك رحلة في الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم. قرر إيفـــريت أن يصعد على متنها. بإمكانه الاتصال به عندما يصل إلى هناك،

أو ربما يمر ويرى كيف حال منزله. كان تشاد في الثلاثين من عمره، ولم يشاهد إيفريت حتى ولو صورة له طوال تلك السنوات. فقد الاتصال مع زوجته السابقة بالكامل بعد أن توقف عن إرسال شيكات الإعالة لها مع بلوغ تشاد الثامنة عشرة من عمره، والاتصال الوحيد بينهما قبل ذلك كان عن طريق تلك الشيكات التي كان يرسلها كل شهر، وتوقيعها بعد ذلك عندما تقرّ بتسلّم المبلغ. توقفا عن تبادل الرسائل منذ كان تشاد في الرابعة، ولم يحصل على أي صورة له منذ ذلك الحين، ولم يطلب واحدة إطلاقاً.

لم يكن إيفريت يعرف أي شيء عنه الآن، أهو متزوج أو عازب، دخل الجامعة أو لا، ماذا يعمل ليكسب رزقه. راودته فكرة أخرى عندها، وطبع بعض الأسئلة عن سوزان، ولكنه لم يعثر على شيء. ربما تكون قد انتقلت إلى ولاية أخرى، أو تزوجت من جديد. هناك العديد من الأسباب التي تمنع ظهورها على الشاشة. وفي الحقيقة، كل ما أراد فعله هو رؤية تشاد. حتى إنه لم يكن واثقاً من أن تشاد يرغب باللقاء به. أراد إيفريت أن يلقي نظرة ويقرر حالما يجده هناك. لقد كان هذا قراراً صعباً عليه، وعلم أن لماغي وشفائه من الإدمان يدّ في ذلك. قبل أن يدخل هذان العاملان حياته، لم يكن ليجرؤ على فعل ذلك. يتوجب عليه مواجهة إخفاقاته الشخصية في هذه الحالة، قدرته على الاتصال بولده، وحتى تجربة أن يكون والداً. كان في الثامنة عشرة من عمره حين ولد تشاد، كان هو نفسه لا يزال فتىً صغيراً. إن تشاد أكبر منه الآن حين رزق به. كان إيفريت في الواحدة والعشرين من عمره آخر مرة رآه فيها، وانطلق بعد ذلك ليصبح مصوراً يجوب العالم، كالجندي يبحث عن المغامرة. ولكن مهما حاول أن يجمّل الأمر أو يضيف عليه لمسة عاطفية، في جميع الأحوال والأهداف ومن وجهة نظر تشاد، تخلى إيفريت عنه واختفى. كان إيفريت يشعر بالخزي لقيامه بذلك، ومن المرجح كثيراً أن تشاد يشعر بالكراهية تجاهه. يمتلك حتماً الحق للشعور بذلك. استعد إيفريت أخيراً لمواجهته الآن بعد مضي كل تلك السنوات. منحته ماغي الدفع الذي يحتاج إليه.

كان هادئاً وكئيباً في طريقه إلى المطار، اشترى فنجاناً من القهوة وحمله إلى الطائرة معه، ثم جلس يحدق خارج النافذة وهو يحتسيه. إن هذه الرحلة تختلف كثيراً عن تلك التي انطلق فيها في اليوم السابق عندما ذهب إلى سان فرانسيسكو لرؤية ماغي. حتى ولو كانت غاضبة، أو ترغب بتجنبه، امتلكا نوعاً من العلاقة، معظمها أو بكاملها كانت سارّة. لم يكن بينه وبين تشاد أي شيء، باستثناء إخفاقٍ مطلقٍ من قبل إيفريت بصفته والداً. لم يكن هناك أي شيء يقتبس منه أو يعتمد عليه. لم يكن هناك أي اتصال أو علاقة بينهما لسبع وعشرين سنة. وسوى الحمض النووي، هما غريبان عن بعضهما تماماً.

حطت الطائرة، وطلب إيفريت من سائق السيارة أن يمرّ بالعنوان الذي أخذه من شبكة الإنترنيت. كان منزلاً صغيراً ونظيفاً، مبنياً في منطقة سكنية في المدينة. لم يكن شارعاً فاخراً، ولكنه لم يكن فقيراً أيضاً. بدا عادياً ومتواضعاً وباعثاً على السرور. أما العشب في الخارج فكان على مساحة صغيرة ومرتباً بعناية.

بعد مشاهدته، طلب إيفريت من السائق أن يأخذه إلى أقرب فندق. كان هناك نُزل رامادا الصغير، ولا شيء مميّز فيه. طلب أصغر وأرخص غرفة، اشترى الصودا، واتجه إلى غرفته. جلس هناك لوقت طويل، ينظر إلى الهاتف، يرغب بالاتصال بالرقم، ولكن الخوف الشديد تملكه، وأخيراً حشد كل طاقته لإجراء الاتصال. شعر بأنه يرغب بالذهاب إلى أي اجتماع للمتعافين. علم أن بإمكانه الذهاب في ما بعد، ولكنه يرغب أولاً بالاتصال بتشاد. يمكنه التحدث عن الأمر في الاجتماع لاحقاً، وحتماً سيفعل.

أجيب على الهاتف عند الرنة الثانية. كان الصوت لامرأة، وللحظة، تساءل إيفريت إن كان الرقم غير صحيح. وفي حال كان كذلك، سيزداد الأمر تعقيداً. إن تشارليز كارسون اسمٌ مألوف، ومن الممكن أن يتواجد العديد من الأشخاص بهذا الاسم في دليل الهاتف.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"هـل السيد كارسون موجود؟"، سأل إيفريت بصوتٍ مؤدبٍ ولطيف. تمكـن إيفريت من سماع صوته يرتجف، ولكن المرأة لم تعرف صوته بما يكفي لتميز ذلك.

"أنـا متأسـفة، هـو في الخارج. يجب أن يعود في غضون نصف ساعة". أعطته المعلومات بسهولة. "هل أنقل له رسالة؟".

"أنا... لا... آه... سأتصل ثانيةً"، قال إيفريت، ثم أقفل السماعة قبل أن تـتمكن من طرح أي سؤال. تساءل إيفريت عمن تكون الفتاة. زوجته؟ أخته؟ صديقته؟

تمدد على السرير عندها، شغّل التلفاز، وغط في النوم. كانت الساعة الثامـنة عـندما استيقظ، وحدّق إلى الهاتف مجدداً. تقلّب على السرير، ثم اتصل بالرقم. أجاب صوتٌ قويٌ واضحٌ لرجلٍ هذه المرة.

"هل السيد تشارليز كارسون موجود، من فضلك؟"، سأل إيفريت ذلك الـصوت من الجهة المقابلة، وانتظر عاجزاً عن التنفس. راوده شعور أنه هـو، وجعلـته الفكـرة يشعر بالدوار. إن الأمر أصعب بكثير مما توقع. وحالما يعرّف بنفسه، بعدها ما الذي سيحدث؟ ربما لا يرغب تشاد برؤيته. ولماذا يفعل؟

"معـك تـشاد كارسـون"، قال الصوت. "من معي؟". شك في الأمر بعـض الشيء. إن استخدامه لاسمه الكامل يشير إلى أن المتصل شخصٌ غريبٌ.

"أنـا... آه... إممم... أعتقد أن هذا يبدو جنونياً، ولا أعلم من أين أبدأ". تحدث عندها. "اسمي إيفريت كارسون. أنا والدك". ساد صمتٌ مطلقٌ في الجهة الأخرى، بينما كان الرجل الذي سمع الإجابة يحاول اكتشاف ما الـذي سـمعه للتو. تمكن إيفريت بسهولة من تخيل الأشياء التي سيقولها تشاد، "ابتعد من هنا"، كانت تلك العبارة الأجمل. "لست واثقاً مما أقوله لك، تشاد. أعتقد أن لفظة متأسف هي أول ما يجدر بي قوله، بالرغم من أنها لا تغطـي السنوات السبع والعشرين الماضية. لست واثقاً من أن أي شيءٍ قد

يفعل ذلك. وإن لم تكن ترغب بالتحدث إليّ، فلا بأس في ذلك. لا تدين لي بأي شيء، ليس حتى التكلم معي". استمر الصمت بينما تساءل إيفريت عما إن كـان يتوجب عليه الاستمرار في الكلام، أو إقفال السماعة بتحفظ. قرر أن ينتظـر لـبعض الثواني، قبل الاستسلام تماماً. استغرق سبعاً وعشرين سـنة ليـصل بابنه ويبدأ لمّ الشمل من جديد. لم يمتلك تشاد أي فكرة عما يحدث وشعر بصدمة دفعته ليظل صامتاً.

"أيـن أنت؟"، هذا كل ما قاله، بينما تساءل إيفريت عما يفكر فيه. لقد كان أمراً مخيفاً بالكامل.

"أنـا هنا في نزل رامادا". لا يزال إيفريت يلفظها كما يلفظها السكان المحلـيون، بالـرغم مـن أنه سكن في أماكن أخرى. لا يزال يمتلك لكنة مونتانا الخفيفة.

"أنت كذلك؟"؛ شعر تشاد بالذهول مجدداً. "ما الذي تفعله هنا؟".

"لدي ابن هنا"، قال إيفريت ببساطة. "لم أره منذ وقتٍ طويل. لا أعلم إن كـنت تـريد رؤيتي، تشاد. ولن ألومك إن لم ترغب بذلك. لقد كنت أفكر في القـيام بذلك منذ وقت طويل. ولكنني سأفعل كل ما تريده. جئت لرؤيتك، ولكن الأمـر يعود إليك إن كنت لا تريد ذلك. إنني أتفهم الأمر إن لم ترغب برؤيتي. لا تدين لي بأي شيء. أنا الذي أدين لك باعتذارٍ عن السنوات السبع والعشرين الماضـية". سـاد الصمت في الجهة الثانية مجدداً، بينما كان الصبي الذي لم يعرفه يعمل على استيعاب ما قاله. "جئت لإصلاح ما أفسدته".

"هـل أنـت منتـسبٌ لاجتماعات المتعافين من الإدمان؟"، سأل تشاد بتحفظ، مميزاً تلك الكلمات المعروفة.

"نعم، أنا كذلك. منذ عشرين شهراً. إنه أفضل شيء فعلته في حياتي. لهذا السبب أنا هنا".

"أنا أيضاً"، قال تشاد بتردد. وعندها راودته فكرة. "هل تريد الذهاب إلى اجتماع؟".

"نعم، أريد ذلك"، أخذ إيفريت نَفَساً عميقاً.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"هناك اجتماع في التاسعة"، عرض تشاد. "أين تنزل؟".

"تُنزل رامادا".

"سأمر لاصطحابك. أقود سيارة فورد سوداء بيك آب. سأطلق بوق السيارة مرتين. سأكون هناك في غضون عشر دقائق". بالرغم من كل شيء، أراد رؤية والده، تماماً بمقدار ما أراد والده رؤيته.

ألقى إيفريت بعض الماء البارد على وجهه، مشط شعره، ونظر في المرآة. رأى رجلاً في الثامنة والأربعين من عمره، شهد الكثير من المصاعب في حياته، وهجر طفلاً في الثالثة بينما كان هو نفسه في الواحدة والعشرين من عمره. أمرٌ لم يكن يشعره بالفخر. لا يزال هناك العديد من الأمور التي تأسره، وهذا أحدها. لم يؤذِ الكثير من الأشخاص في حياته، ولكن الوحيد الذي آذاه هو ابنه. ليس هناك وسيلة ليتمكن من تعويض ذلك، وليس بإمكانه أن يعيد له السنوات التي أمضاها بلا والد، ولكنه الآن هنا على الأقل.

كان يقف خارج النزل في سروال الجينز وسترة سميكة عندما وصل تشاد. رأى إيفريت صبياً طويلاً وسيماً، بشعرٍ أشقر وعينين زرقاوين، قوي البنية، ويمشي بأسلوب مونتانا عندما خرج من شاحنته واقترب منه. تقدم إلى حيث وقف إيفريت، نظر إليه طويلاً وبإمعان، ومد يده ليسلم على والده. نظر الرجلان إلى عيني بعضهما، وتوجب على إيفريت مقاومة الدموع. لم يرغب بإحراج الرجل الذي كان غريباً بالكامل عنه ولكنه بدا رجلاً طيباً، الابن الذي يشعر أي والد بالفخر في معرفته ومحبته. تصافحا، وأومأ تشاد شاكراً. كان بطبيعته رجلاً قليل الكلام.

"شكراً لمجيئك لاصطحابي"، قال إيفريت وهو يركب الشاحنة، ويشاهد صورة لصبيين وطفلة صغيرة. "هؤلاء أطفالك؟"، نظر إليهم إيفريت باستغراب. لم يخطر في باله أبداً أن يكون لتشاد أي أطفال. ابتسم تشاد وأومأ.

"وهناك آخر على الطريق. إنهم أطفال رائعون".

"كم أعمارهم؟".

"جيمي في السابعة، بيلي في الخامسة، وأماندا في الثالثة. اعتقدت أننا اكتفينا، ولكن بعدها حصلنا على مفاجأة قبل ستة أشهر. فتاة أخرى".

"إنها أسرة كبيرة نوعاً ما"، ابتسم إيفريت وضحك. "أوه يا الله، استعدت ابني منذ خمس دقائق، وأنا جدٌّ الآن، لثلاثة أحفاد ورابع على الطريق. هذا يناسبني جداً، على ما أعتقد. بدأت في ذلك مبكراً"، علّق إيفريت، فابتسم تشاد هذه المرة.

"وكذلك أنت".

"أبكر مما هو مخطط له"، تردد للحظة، يخشى من السؤال، ثم قرر أن يطرحه. "كيف هي والدتك؟".

"إنها بخير. تزوجت ثانيةً، ولكنها لم ترزق بأي أطفال. لا تزال هنا"، أومأ إيفريت. كان يفكر في أمر رؤيتها مجدداً. ترك زواج المراهق القصير بينهما طعماً مراً لديه وربما لديها أيضاً. تشاركا بثلاث سنوات بائسة، أبعدته عنها في النهاية. كانا أسوأ زوجين على الإطلاق، يعيشان كابوساً منذ البداية. هددت أن تطلق النار عليه مرةً ببندقية والدها. وبعد شهر، هرب إيفريت. اعتقد أنه إن لم يفعل، سيقتلها أو يقتل نفسه. شهدا ثلاث سنوات من الصراع المستمر. ثم بدأ بتناول الشراب بكثرة بعد ذلك، واستمر على هذا الحال لست وعشرين سنة.

"ماذا تعمل؟"، سأل إيفريت تشاد باهتمام. كان شاباً وسيماً على نحو مذهل، أكثر مما كان هو نفسه في عمر تشاد. امتلك تشاد وجهاً بارز المعالم وكان رجلاً قوي البنية. حتى إنه كان أطول من إيفريت ويمتلك جسداً أقوى من جسد والده بكثير، وكأنه كان يعمل في الريف، أو ينبغي أن يفعل ذلك فجسده ملائم جداً.

"أنا مساعد كبير العمال في مزرعة تي بار7. إنها تبعد عشرين ميلاً عن هنا. هناك أحصنة وماشية"، بدا كراعي البقر المثالي.

"هل التحقت بالجامعة؟".

"في معهد فقط، لمدة سنتين في الليل. أرادت والدتي أن ألتحق بكلّية الحقوق". ابتسم. "ليس هذا اهتمامي. لا بأس بالجامعة، ولكنني أكثر سعادة بكثير على متن الحصان مما أكون عليه في المكتب، بالرغم من أنه يتوجب عليّ تحمل مقدارٍ هائلٍ من العمل المكتبي الآن. لا أحبه كثيراً. أما ديبي، زوجتي، فهي مدرّسة للصف الرابع. إنها فارسة رائعة. كما أنها تشارك في سباق الرودیو في الصيف". إنه وزوجته مثالان عن رعاة البقر، ولم يعرف إيفريت سبب إحساسه بذلك، ولكنه علم أن زواجهما رائع. بدا بأنه رجلٌ يعمل على تحقيق ذلك. "هل تزوجت ثانيةً؟"، نظر تشاد إليه شاعراً بالفضول.

"لا، كنت أخضع للعلاج"، قال، بينما ضحكا. "كنت أجوب العالم طوال هذه السنوات وتوقفت قبل اثني عشر شهراً، عندما دخلت المصح، وعملت على معالجة نفسي من الإدمان، الأمر الذي طال انتظاره. كنت منشغلاً جداً وتائهاً جداً طوال هذا الوقت ولم تكن ترغب بي أي امرأة لائقة. أنا مصور صحفي"، أضاف، فابتسم تشاد.

"أعلم. كانت والدتي تريني بعض صورك أحياناً. دائماً ما تفعل ذلك. إنك تصوّر أشياء رائعة، معظمها عن الحروب. لا بد من أنك ذهبت إلى أماكن مثيرة للاهتمام".

"نعم، فعلت"، أدرك أنه يبدو وكأنه من مونتانا هو نفسه الآن، عند تحدثه إلى هذا الفتى، بجمله القصيرة وكلماته المختصرة القليلة. كل شيء هنا كان مقتصداً، تماماً مثل هذه الأرض القاسية. تمتعت بطبيعة جميلة على نحو لا يصدق، وأعتقد أنه لمن المثير للاهتمام أن ابنه ظل في الوطن، على نقيض والده، الذي ابتعد إلى أقصى ما يمكن عن جذوره. لم يكن أيٌّ من أفراد عائلته هنا، القلة الذين عرفهم ماتوا جميعاً. لم يكن ليعود إلى هنا ثانيةً على الإطلاق، سوى الآن، من أجل ابنه.

وصلا دار العبادة الصغيرة، حيث مكان الاجتماع، وبينما هو ينزل خلف تشاد على السلم إلى القبو، أدرك كم هو محظوظ للعثور عليه،

ومحظوظ لأن تشاد كان مستعداً لرؤيته. كان من المحتمل أن يختلف الأمر تماماً. شكر ماغي بصمتٍ في أثناء دخوله الغرفة. بفضل لطفها وإقناعها المستمر له، جاء إلى هنا، وشعر بالحماسة الآن لأنه فعل. وكانت قد سألته عن ابنه ليلة لقائهما.

تفاجأ إيفريت عند رؤيته ثلاثين شخصاً في الغرفة، معظمهم من الرجال وقلة منهم من النساء. جلس وتشاد بجانب بعضهما على كرسيين قابلين للطي. كان الاجتماع قد بدأ للتو بصيغته المألوفة. تحدث إيفريت عندما طلبوا من القادمين الجدد أو الزوار الجدد أن يقدموا أنفسهم. عرّف باسمه، وبأنه كان مدمناً على الشراب، وهو يعمل على علاج ذلك منذ عشرين شهراً. قال جميع من في الغرفة "أهلاً، إيفريت!"، ثم أكملوا.

شارك في الحديث تلك الليلة، وكذلك فعل تشاد. تحدث إيفريت أولاً، ووجد نفسه يتحدث عن الشراب، عن زواجه غير السعيد، ومغادرته مونتانا، وهجره لابنه. قال بأنه الحدث الوحيد الذي يندم عليه كثيراً في حياته، وبأنه هنا لإصلاح الماضي، إن تمكن من ذلك، وبأنه يشعر بالامتنان لتواجده معهم. جلس تشاد يحدق إلى الأسفل إلى قدميه بينما تحدث والده. كان ينتعل حذاءً بالياً لرعاة البقر، لا يختلف كثيراً عن حذاء والده. كان إيفريت ينتعل حذاءه الجلدي المفضل. أما حذاء تشاد فكان لراعي بقر يعمل في مزرعة، كان ملطخاً بالطين، بلون بني داكن، وبالياً نوعاً ما. انتعل جميع الرجال في الغرفة أحذيةً لرعاة البقر وحتى بعض من النساء أيضاً. وكان الرجال يضعون القبعات على أرجلهم.

قال تشاد بأنه أقلع عن الشرب قبل ثماني سنوات، منذ تزوج، وتلك كانت معلومة مثيرة لاهتمام والده. قال بأنه تشاجر مؤخراً مع كبير العمال، ويرغب بأن يستقيل من العمل ولكن لا يمكنه ذلك، وبأن المولود القادم في الربيع سيكون عبئاً إضافياً عليه. قال بأنه يخاف أحياناً من جميع المسؤوليات الواقعة على كاهله. وثم قال بأنه يحب أطفاله بالرغم من ذلك،

www.mlazna.com-RAYAHEEN

وزوجته أيضاً، وعلى الأرجح أن الأمور ستكون بخير. ولكنه اعترف بأن المولـود الجديـد سيثبته في عمله أكثر، وبأنه يشعر بالاستياء من ذلك في بعض الأحيان. ثم نظر إلى والده، وقال إنه من الغريب لقاء والد لم يعرفه إطلاقاً، ولكنه يشعر بالسرور لعودته، حتى ولو فات وقتٌ طويلٌ على ذلك.

انـضم الرجلان إلى الحشد بعد ذلك، بعد أن أمسك أفراد المجموعة أيـدي بعـضهم وتلـوا الـدعاء للشعور بالسكون. وحال انتهاء رسميات الاجتماع وشكلياته، رحب الجميع بإيفريت، وتحدثوا إلى تشاد. كان الجميع يعـرفون بعضهم. لم يكونوا غرباء في الاجتماع، باستثناء إيفريت. جلبت النـساء القهـوة والبـسكويت، وكانت واحدة منهن سكرتيرة اللقاء. أحب إيفـريت المـشاركات وقال بأنه اجتماع رائع. قدّم تشاد والده إلى وصيه، راعـي بقر عجوز بشعر رمادي ولحية وعينين ضاحكتين، وإلى اثنين هو وصـي علـيهما، كانا في عمره تقريباً. قال تشاد بأنه أمضى سبع سنوات تقريباً وهو وصيٌ في اجتماعات المتعافين من الإدمان.

"لقد مرّ عليك وقت طويل للشفاء"، علّق إيفريت عندما غادرا. "شكراً لسماحك لي بالمجيء الليلة. احتجت إلى اجتماع".

"كم عدد المرات التي تذهب فيها إلى الاجتماعات؟"، سأل تشاد. أحب مشاركة والده. كانت صريحة وصادقة وبدت مخلصة.

"عـندما أكون في لوس أنجلوس، أذهب مرتين في الأسبوع. ومرة، وأنا مسافر. ماذا عنك؟".

"ثلاث مرات في الأسبوع".

"إنـك تتحمل عبئاً ثقيلاً مع ثلاثة أطفال". كنّ له الكثير من الاحترام. كـان قـد افترض بطريقة ما بأن تشاد يعيش في صورة معلقة طوال تلك السنوات، بأنه سيظل طفلاً إلى الأبد، وبدلاً من ذلك، كان رجلاً مع زوجة وعائلـة خاصة به. أدرك إيفريت أن تشاد في بعض المجالات، أنجز في حياته أكثر مما أنجز والده بكثير. "ماذا عن كبير العمال؟".

"إنه وغد"، قال تشاد، منزعجاً من ذكره. "إنه يزعجني طوال الوقت. إنـه قديم الطراز، ويدير المزرعة على النحو الذي كان يفعله قبل أربعين سنة. سيتقاعد السنة القادمة".

"أتعتقد أنك ستحصل على العمل؟"، سأله إيفريت بقلق الوالد، فضحك تشاد والتفت لينظر إلى والده وهما يقودان نحو النُزل.

"لقـد عدت قبل ساعة، وتشعر بالقلق الآن حيال عملي؟ شكراً، أبي. نعـم، مـن الأفضل أن أحصل على ذلك العمل وإلا سأغضب كثيراً. لقد مـضى عليّ عشر سنوات وأنا أعمل هناك، إنه عملٌ جيدٌ". ابتسم إيفريت بابـتهاج عـندما نـاداه أبـي. منحه ذلك شعوراً جيداً وشرفاً علم أنه لا يستحقهما. "كم ستمكث هنا؟".

"الأمر يعود لك"، قال إيفريت بصدق. "ما رأيك؟".

"لـمَ لا تأتـي لتناول العشاء معنا غداً؟ لن يكون فاخراً. أنا المسؤول عن الطهي. ديبي مريضة نوعاً ما. دائماً ما تكون كذلك وهي حامل، حتى حلول موعد ولادتها".

"لا بد من أنها مذهلة لقيامها بذلك كثيراً. وكذلك أنت. ليس من السهل إعالة جميع هؤلاء الأطفال".

"يستحقون ذلك. انتظر حتى تلتقي بهم. في الحقيقة" غمز تشاد، وهو ينظـر إليه، "بيلي يشبهك كثيرا". أما تشاد فلم يكن كذلك، بدا أشبه بوالدته، لاحظ إيفريت ذلك. لقد كانوا مجموعة سويدية قوية جاؤوا إلى مونتانا قبل جيلـين مـن ميدويست، ومن السويد قبل ذلك. "سآتي لاصطحابك غداً في الخامـسة والنـصف عـصراً عندما أعود من العمل. يمكنك أن تتعرف بالأطفـال بينما أعد الطعام. وسيتوجب عليك أن تسامح ديبي. فإنها تشعر بالتعب الشديد"، أومأ إيفريت وشكره. كان تشاد مُرحباً على نحو لا يصدق، أكثـر بكثيـر ممـا يـستحق إيفريت. ولكنه كان ممتناً لأنه بعد كل تلك السنوات، كان تشاد مستعداً ليكشف عن حياته أمامه. لقد كان إيفريت قطعةً مفقودةً من حياته لوقت طويل.

لوح الرجلان لبعضهما بينما انطلق تشاد بعيداً، وأسرع إيفريت عائداً إلى غرفته. كان البردُ شديداً في الخارج، وعلق بعض الجليد على الأرض. جلس على سريره مبتسماً واتصل بماغي. أجابت عند الرنة الأولى.

"شكراً لمجيئك البارحة"، قالت ماغي بدفء. "كان ذلك لطيفاً"، تابعت كلامها برقة.

"نعم، كان كذلك. لدي شيء أخبرك إياه. ربما يفاجئك"، شعرت بالتوتر من الاستماع إليه، تتساءل إن كان سيضغط عليها أكثر مما فعل يوم أمس. "أنا جدّ".

"ماذا؟"، ضحكت. اعتقدت أنه يمزح. "منذ الأمس؟ كان هذا سريعاً".

"كما يبدو ليس بالسريع جداً. أعمارهم في السابعة والخامسة والثالثة. صبيان وفتاة. وأخرى على الطريق"، كان يبتسم بابتهاج وهو يقول ذلك. أحب فجأة فكرة أنه يمتلك عائلة حتى ولو جعلته فكرة الأحفاد يشعر بأنه كبير في السن. ولكن لا مشكلة عنده.

"انتظر لحظة. أنا مرتبكة. هل فاتني أي شيء؟ أين أنت على أي حال؟".

"أنا في مونتانا"، قال مفتخراً، والفضل بكامله يعود إليها. إنها هدية أخرى تمنحه إياها، واحدة بين الكثير من الهدايا.

"مونتانا؟".

"نعم، سيدتي. سافرت إلى هنا اليوم. إنه فتى رائع. ليس طفلاً، إنه رجل. إنه مساعد كبير العمال في مزرعة هنا، ولديه ثلاثة أطفال وواحد آخر على الطريق. لم ألتقِ بهم بعد، ولكنني سأتناول العشاء في منزله غداً. حتى إنه يُعد الطعام بنفسه".

"أوه، إيفريت"، قالت، تشعر بالإثارة مثله تماماً. "أنا مسرورة جداً. كيف جرى الأمر مع تشاد؟ هل هو بخير حيال هذه الأمور... حيالك...".

"إنه رجلٌ نبيل. لا أعرف كيف كانت طفولته، أو كيف يشعر تجاهها. ولكنه بدا مسروراً لرؤيتي. ربما كنا مستعدين لذلك. إنه منتسبٌ إلى

اجتماعات المتعافين من الإدمان أيضاً، ومضى عليه ثماني سنوات في ذلك. ذهبنا إلى اجتماع هناك الليلة. إنه رجلٌ قويّ حقاً. إنه أكثر نضجاً بكثير عما كنت عليه وأنا في مثل عمره، أو ربما حتى الآن".

"أنت بخير. أنا مسرورة جداً لقيامك بذلك. لطالما أملت أن تفعل".

"لم أكن لأقوم بذلك من دونك. شكراً لك، ماغي". بفضل لطفها وحثها المتواصل، أعادته إلى ابنه وإلى عائلة جديدة بكاملها.

"بل كنت لتفعل. أشعر بالسرور لاتصالك وإخباري. كم ستمكث؟".

"بضعة أيام. لا يمكنني المكوث طويلاً. يتوجب عليّ أن أعود إلى نيويورك عشية رأس السنة، لتغطية حفل تقيمه ميلاني هناك. ولكنني أمضي وقتاً رائعاً هنا. أتمنى لو تتمكنين من المجيء إلى نيويورك معي. أعلم أنك ستستمتعين برؤية إحدى حفلاتها. إنها بارعةٌ جداً على المسرح".

"ربما أحضر إحداها، يوماً ما. أحب ذلك".

"ستقيم حفلاً في لوس أنجلوس في أيار. سأدعوك إليه". ومع حظٍّ من أي نوع، ربما تكون قد توصلت إلى قرار بحلول ذلك الوقت بشأن ترك المقر. إن ذلك كل ما يتمناه الآن، ولكنه لم يذكره. لقد كان قراراً كبيراً، وعلم بأنها تحتاج إلى الوقت للتفكير. وعدها ألا يضغط عليها. اتصل فقط ليخبرها عن تشاد والأطفال، وشكرها لإيصاله إلى هنا، بطريقتها الهادئة المعتادة.

"تمتع مع الأطفال غداً، إيفريت. اتصل بي وأخبرني كيف جرت الأمور".

"أعدك. ليلة هنيئة، ماغي... وشكراً لك...".

"لا تشكرني إيفريت"، ابتسمت. "اشكر الله".

شكره قبل أن يغط في النوم تلك الليلة.

في اليوم التالي، ذهب إيفريت للتسوق لشراء بعض الألعاب للأطفال. اشترى زجاجة عطرٍ لديبي، وقالب حلوى بطعم الشوكولا كبيراً كتحلية.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

كـــان يحملها في أكياس التسوق عندما جاء تشاد لاصطحابه، وساعده على وضـــعها فـــي صندوق السيارة. أخبر والده أنهم سيتناولون أجنحة دجاج مـــشوية تلك الليلة مع المعكرونة والجبن. كان هو وأطفاله يضعون لائحة الطعام هذه الأيام.

كـــان الـــرجلان مسرورين لرؤية بعضهما، ورافقه تشاد إلى المنزل الـــصغير الأنيق الذي رآه إيفريت مسبقاً عندما مرّ أمامه لمعرفة أين يعيش ابـــنه. كان مريحاً ودافئاً في الداخل، بالرغم من وجود الألعاب في غرفة المعيـــشة، وتمدد الأطفال على الأثاث، والتلفاز الذي شغّله الأطفال، والفتاة الشقراء الجميلة والتي بدت شاحبة تتمدد على ظهرها على الأريكة.

"لا بد من أنك ديبي"، تحدث إليها أولاً، فنهضت وصافحته.

"أنـــا هي. كان تشاد مسروراً حقاً برؤيتك ليلة أمس. لقد تحدثنا عنك كثيـــراً على مر السنوات". جعلت الأمر يبدو وكأن تعليقات الماضي كانت جـــيدة، بالـــرغم من أنه في الواقع لم يتخيل أنها ستكون كذلك. سيكون أي ذكر له باعثاً على الغضب والحزن، بالنسبة إلى تشاد على أي حال.

التفت إيفريت إلى أحفاده عندها، مذهولاً لمقدار جمالهم. كانوا فائقي الجمال مثل والديهم تماماً، ولم يبدُ أنهم يتشاجرون مع بعضهم. بدت حفيدته رائعة الجمال وهادئة، وكان الصبيان قويين مثل رعاة بقر صغار وكبيري الحجم بالنسبة إلى عمريهما. بدوا مثل أسرة مثالية في ولاية مونتانا. وبينما أعـــد تشاد العشاء، وتمددت ديبي على الأريكة مجدداً، بجسدها الحامل كما هـــو واضـــح، لعب إيفريت مع الأطفال. أحبوا الألعاب التي جلبها لهم. ثم عـــرض أمام الصبيين ألعاب خفة بورق اللعب، جلست أماندا على حضنه، وعـــندما جهز العشاء، ساعد تشاد على إطعام الأطفال. لم تتمكن ديبي من الجلـــوس إلى المائدة، فرائحة الطعام تشعرها بالغثيان، ولكنها شاركت في المحادثة من الأريكة. استمتع إيفريت بوقته كثيراً، وكره أن يغادر عندما حان وقت إعادته إلى الفندق. شكر إيفريت تشاد كثيراً على تلك الأمسية الرائعة.

عند وصولهما النُزل، التفت تشاد ليطرح عليه سؤالاً: "لا أعلم ما هو شعورك... هل تريد رؤية أمي؟ لا بأس إن لم ترغب بذلك. رأيت فقط أن أسأل".

"هل تعرف بأنني هنا؟"، سأل إيفريت متوتراً.

"أخبرتها هذا الصباح".

"هل تريد رؤيتي؟"، لم يتمكن إيفريت من تخيل أنها تريد ذلك بعد كل هذه السنوات. لم تكن ذكرياتها أفضل من ذكرياته، بل ربما أسوأ.

"لـــم تكـــن واثقة. أعتقد أنها تشعر بالفضول. ربما سيكون أمراً جيداً لكلـــيكما، كنوع من إنهاء العلاقة. قالت بأنها دائماً ما اعتقدت أنها ستراك مجـــدداً وبأنك ستعود. أعتقد أنها ظلت غاضبةً لوقت طويل لأنك لم تفعل. ولكـــنها تجاوزت الأمر منذ وقت طويل جداً. لا تتحدث عنك كثيراً. قالت بـــأن بإمكانهـــا رؤيتك صباح الغد. ستأتي إلى هنا لزيارة طبيب الأسنان. تعيش على بُعد ثلاثين ميلاً من هنا، بعد المزرعة".

"ربمـــا تكون فكرة جيدة"، قال إيفريت، مفكّراً. "ربما تساعد كلينا علـــى دفن الماضي القديم". لم يفكر فيها كثيراً، ولكن الآن، بعد رؤيته لتشاد، لم تبدُ رؤيتها أمراً سيئاً، لبضع دقائق على أي حال، أو لأقصى ما يمكنهما تحمله. "لماذا لا تسألها عن رأيها؟ سأكون في النُزل طوال الـــيوم. لا شيء أمامي لفعله". كان قد دعا تشاد وعائلته لتناول العشاء فـــي الخـــارج فـــي اليوم التالي. قال تشاد بأنهم جميعاً يحبون الطعام الصيني وبأن هناك مطعماً جيداً هنا. ثم سيغادر في اليوم التالي، لقضاء ليلة واحدة في لوس أنجلوس، وبعدها ينطلق إلى نيويورك لحضور حفل ميلاني وتصويره.

"سأخبرها أن تمر إن رغبت بذلك".

"كمـــا تـــريد"، قـــال إيفريت، يحاول أن يبدو طبيعياً، ولكنه لا يزال متوتـــراً من فكرة رؤية سوزان مجدداً. بعد مغادرتها، بإمكانه الذهاب إلى الاجـــتماع، تمامـــاً كما فعل ذلك اليوم، في فترة ما بعد الظهر، قبل رؤيته

لتشاد والأطفال. كان ملتزماً باجتماعاته، أينما ذهب. كان هناك العديد منها في لوس أنجلوس وهذا يمكنّه من الاختيار، ولكنها قليلة هنا.

قال تشاد بأنه سيوصل الرسالة ويأتي لاصطحاب والده لتناول العشاء خارجاً في الليلة التالية. ونقل إيفريت في المساء الأخبار لماغي. أخبرها عن الوقت الرائع الذي أمضاه، وعن جمال الأطفال، وحسن أدبهم. ولسبب ما، لم يخبرها عن احتمال رؤيته لزوجته السابقة في اليوم التالي. لم يكن قد استوعب الفكرة هو نفسه بعد، وكان قلقاً حيالها. حتى ماغي كانت أكثر حماسةً عما كانت عليه في اليوم السابق.

ظهرت سوزان في النُزل عند الساعة العاشرة صباح اليوم التالي، لحظة انتهاء إيفريت من تناول الفطائر الدانماركية والقهوة. طرقت باب غرفته، وعندما فتحه، وقفا هناك يحدقان إلى بعضهما لوقت طويل. كان هناك كرسيان في الغرفة، فدعاها للدخول. بدت وكأنها مختلفة ومتشابهة في آن واحد. كانت امرأة طويلة، ازداد وزنها، ولكن وجهها لا يزال هو نفسه. تفحصته عيناها ونظرت إليه بكامله. كانت رؤيتها أشبه بتفحص قطعة من تاريخه هو، بمكان وشخص يذكرهما، ولكنه لم يعد يشعر بأي شيء تجاهها. لم يتمكن من تذكر حُبها، وتساءل إن كان قد أحبّها أصلاً. كان كلاهما صغيرين ومضطربين، وغاضبين من الموقف الذي وُضعا فيه. جلسا على كرسيي الغرفة، ينظران إلى بعضهما، يناضلان بحثاً عن الكلمات. راوده الشعور نفسه عندها، بعدم اشتراكه معها بأي شيء، تلك هي الحقيقة التي فشل أيام شبابه ونزوته في ملاحظتها عندما بدأا بالمواعدة، ثم عندما حملت منه. ثم تذكر كيف كان شعوره بأنه عالق، وبأنه يائس، وبأن المستقبل الذي يتطلع إليه مليء بالكآبة عندما أصر والدها على زواجهما، ووافق إيفريت على ما بدا أنها عقوبة بالموت. طالت السنوات أمامه مثل طريق طويل موحش، وكلما فكّر فيها، كان يشعر بالكآبة. شعر بأنه عاجزٌ عن التنفس مجدداً لمجرد تذكره ذلك، وتذكر على نحو مثالي جميع الأسباب التي دفعته إلى الهرب والبدء بتناول

الشراب بكثرة عندها. إن قضاء الحياة بكاملها معها بدا مثل انتحار برأيه. كان واثقاً من أنها إنسانة طيبة، ولكنها لم تكن أبداً المرأة المناسبة له. توجب عليه التصارع مع عقله لإعادته إلى الحاضر، ولجزء من الثانية أراد أن يشرب، ثم تذكر أين هو، وبأنه حرّ. لم تعد قادرةً على الإيقاع به. أوقعت به الظروف أكثر مما فعلت هي. كان كلاهما ضحيتين لقدرهما، ولم يرغب إيفريت بمشاركة قدره معها. لم يتمكن إطلاقاً من التكيف مع فكرة المكوث معها إلى الأبد، حتى ولو لمصلحة ابنه.

"إن تشاد طفلٌ رائعٌ"، مدحها، وأومأت، مع ابتسامة كئيبة صغيرة. لم تبدُ كإنسانة سعيدة، أو حتى بائسة. خلت من جميع المشاعر. "وكذلك أطفاله. لا بد من أنك فخورة به. لقد قمت بعملٍ رائعٍ، سوزان. لا فضل لي. أنا متأسف على كل تلك السنوات". حانت الفرصة ليقدم اعتذاره لها أيضاً، مهما كان الوقت الذي أمضاه معها بائساً. أدرك على نحو أكثر دقةً الآن كم كان زوجاً وأباً وغداً. كان مجرد طفلٍ هو نفسه.

"لا بأس"، قالت بغموض، بينما لاحظ أنها تبدو أكبر من عمرها. لم تكن حياتها في مونتانا سهلة، ولم تكن كذلك حياته في أثناء السفر. ولكنها كانت أكثر متعةً من حياتها. اختلفت كثيراً عن ماغي، التي امتلأت حيويةً. هناك شيء في سوزان جعله يشعر بأنها ميتة في الداخل، حتى الآن. كان يصعب عليه تذكر أنها كانت جميلة وشابة. "لطالما كان تشاد فتىً مطيعاً. اعتقدت أنه يتوجب عليه البقاء في الجامعة، ولكنه فضل الاهتمام بالأحصنة على القيام بأي شيء آخر"، رفعت كتفيها باستهجان. "أعتقد أنه سعيد حيث هو". عندما نظر إليها إيفريت، رأى الحب في عينيها. أحبت ابنهما. كان شاكراً لذلك.

"يبدو كذلك". جرى نقاش الأب والأم بينهما وبدا أنه لا يناسبهما. ربما تكون المرة الأولى والأخيرة التي يتحدثان فيها عن ذلك. تمنى لها السعادة، بالرغم من أنها لم تبدُ إنسانة مبتهجة أو اجتماعية. كان وجهها كئيباً وخالياً من المشاعر. غير أن هذا اللقاء لم يكن سهلاً عليها هي أيضاً.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

بـدت مطمئـنةً وهـي تنظر إلى إيفريت، وكأن لقاءهما قد أظهر لها شيئاً تـرتاح له هي أيضاً. لقد كانا مختلفين تماماً، وكانا ليمضيا حياةً بائسةً لو بقيا معاً. ومع انتهاء الزيارة، علم كلاهما بأن الأمور حدثت كما ينبغي.

مكـثت لوقتٍ قصيرٍ فقط، واعتذر لها ثانيةً. ثم غادرت إلى موعدها عـند طبـيب الأسنان، وذهب هو للمشي، ثم اتجه إلى اجتماع المتعافين. تحـدث عـن رؤيـتها وكيف ذكّره ذلك بالبؤس والتعاسة والعجز، وبكل المـشاعر الـسلبية التي كان يشعر بها في أثناء زواجهما. شعر وكأنه قد أغلـق الباب أخيراً على ماضيه. كان بحاجة إلى ذلك للمغادرة بسلام. فقد كـان من شأن المكوث معها طوال حياته أن يقتله، ولكنه كان شاكراً الآن لامتلاكه تشاد والأحفاد. وفي النهاية، تشاركا معاً في أمرٍ جيدٍ. حدث ذلك كلـه لسبب، وتمكن الآن من معرفة ما هو. لم يكن يعرف بأنه بعد مضي ثلاثـين سنة سيبدو الأمر منطقياً، وستصبح عائلة تشاد هي العائلةَ الوحيدةَ التي يمتلكها. لقد جلبت الخير إلى حياته في الحقيقة، وكان شاكراً لها على ذلك.

امـتاز العشاء في المطعم الصيني تلك الليلة بالكثير من المرح. ظل يـتحدث إلـى تشاد بينما ثرثر الأطفال وقهقهوا ورموا الطعام في أرجاء المكـان. حـضرت ديبـي وحاولت تحمّل رائحة الطعام قدر استطاعتها. توجب عليها الخروج لاستنشاق الهواء النظيف مرة واحدة. وعندما أوصل تشاد والده إلى النُزل بعد ذلك، عانقه عناقاً طويلاً، كما فعل جميع الأطفال وديبي. ثم قال تشاد: "شكراً لرؤيتك والدتي. أعتقد أن ذلك عنى لها الكثير. لـم تشعر في الحقيقة أنك ودعتها. دائماً ما اعتقدت أنك ستعود". تمكن من معرفة سبب عدم قيامه بذلك، ولكنه لم يخبر ابنه. إن سوزان والدته، وعلى أي حال، هي من مكثت للعناية به ومنحته الحب. ربما تكون مملةً بالنسبة إلى إيفريت، ولكنها أنجزت عملاً عظيماً مع ابنها، واحترمها لذلك.

"أعـتقد أنـنا اسـتفدنا جميعاً من اللقاء مجدداً"، قال إيفريت بصدق، وليذكّره ذلك اللقاء أيضاً بحقائق الماضي.

"قالـت بأنكمـا قضيتما وقتاً رائعاً"، بتعريفها، وليس بتعريفه. ولكنه أجـدى نفعـه، وتمكن من رؤية أنه أمرٌ بالغ الأهمية لتشاد، وهذا ما جعل الأمر بكامله جديراً بالاهتمام.

وعـد بالعـودة ورؤيتهم مجدداً، والبقاء على اتصال. ترك لهم رقم هاتفه الخلوي وأخبرهم أنه يسافر كثيراً في مهماته.

لـوّح الجميع له وهم منطلقون عائدين إلى المنزل. لقد لاقت الزيارة نجاحـاً هائلاً، اتصل بماغي مجدداً تلك الليلة وأخبرها عن الأمر بكامله. شـعر بالحزن العميق لمغادرته مونتانا في اليوم التالي. تمت مهمته. عثر على ابنه. كان رجلاً رائعاً مع زوجةٍ لطيفةٍ وأسرةٍ عظيمةٍ. وحتى زوجته الـسابقة لم تكن وحشاً، إنها ليست المرأة التي أرادها أو تمكن من العيش معهـا. جلـبت الرحلة إلى مونتانا الكثير من النِعَم لإيفريت. والمرأة التي جعلت كل ذلك ممكناً هي ماغي. إنها المصدر للكثير من الخير في حياته.

شـاهد إيفريت مونتانا نقطة صغيرة في الأسفل بعد انطلاق الطائرة. وبينما حامت الطائرة فوق المنطقة قبل التوجه غرباً، مرّت فوق ما علم أنه مكـان المزرعة، حيث يعمل تشاد. نظر بابتسامة هادئة، يعلم أن لديه ابناً وأحفـاداً، ولـن يفقـدهم مجدداً على الإطلاق. والآن بعد أن تغلّب على ماضيه، وإخفاقاته، بإمكانه العودة لرؤية تشاد وعائلته مرةً بعد مرة. تطلع إلى القيام بذلك، وربما يصطحب ماغي معه. أراد رؤية المولود الجديد في الربيع. إن تلك الزيارة التي كان يخشاها لوقتٍ طويلٍ هي الجزء الذي فقده لسنوات، ربما طوال حياته. وجد هذا الجزء الآن. وامتلك أعظم نعمتين في حياته وهما ماغي وتشاد.

الفصل العشرون

عمـــل إيفريت على تغطية حفل ميلاني في نيويورك عشية رأس السنة. كانت حديقة ماديسون سكوير تغصّ بالمعجبين، وكانت هي في شكلها الرائع. كان كاحلها قد شُفي، وبدت مطمئنة، وسعيدة وقوية. وقف إيفـــريت خلـــف الكواليس مع توم لبضع دقائق، والتقط صورة له مع ميلانـــي. كانـــت جانيت هناك كالمعتاد، تصدر الأوامر للجميع، ولكنها بدت أكثر اعتدالاً نوعاً ما حيال ذلك، وأقل بُغضاً. بدا كل شيء رائعاً في عالمهم.

اتـــصل بماغـــي عـــشية رأس السنة، عند منتصف الليل. كانت في المنـــزل، تـــشاهد الـــتلفاز. كان ذلك بعد انتهاء الحفل، حيث ظل مستيقظاً ليتصل بها. قالت بأنها كانت تفكر فيه، وبدا صوتها مضطرباً.

"هل أنت بخير؟"، سألها، قلقاً. لطالما خشي من احتمال أن تغلق الباب فـــي وجهـــه، لـــو بدا ذلك برأيها الشيء الصحيح لتفعله. تفهّم إخلاصها لـــنذورها، ومـــثّل ذلك تحدياً هائلاً لها، بل حتى تهديداً، ولكل ما تعتقد به أيضاً.

"يـــدور الكثيـــر فـــي عقلـــي"، اعترفت. أمامها الكثير من القرارات لتـــتخذها، حياة كاملة تقيّمها، تقرر مستقبلها، ومستقبله. "أتلو الدعاء كثيراً وباستمرار هذه الأيام".

"لا تقـــسي علـــى نفسك كثيراً بتلاوة الأدعية. ربما إن تركت الأمر لبعض الوقت، ستأتي الإجابات".

"آمـــل ذلـــك"، قالت متنهدةً. "كل سنة وأنت بخير، إيفريت. آمل أن تكون سنة عظيمة لك".

قـــال "أحبك ماغي". وشعر بالوحدة فجأة. اشتاق إليها، ولم يكن لديه أي فكـــرة كيف تجري الأمور. ذكّر نفسه بذلك، إننا نعيش كل يوم بيومه، وقال ذلك لها أيضاً.

"أنا أيضاً أحبك، إيفريت. شكراً لاتصالك بي. ألقِ التحية على ميلاني نيابة عني، إن رأيتها مجدداً. أخبرها أنني اشتقت إليها".

"سأفعل. تصبحين على خير، ماغي. كل سنة وأنت بخير... آمل أن تكون سنة رائعة لنا معاً، إن أمكن ذلك".

"سنتوكّل على الله"، ستترك الأمر لله. ذلك كل ما بإمكانها فعله.

وبينما كان يطفئ أضواء غرفة الفندق، امتلأت أفكاره بماغي، وكذلك قلـــبه. كان قد وعدها ألا يضغط عليها، حتى ولو شعر بالخوف أحياناً. تلا دعاء ليشعر بالسكون بينه وبين نفسه تلك الليلة قبل أن يخلد إلى النوم. كل مـــا يمكنه فعله الآن هو الانتظار والأمل بأن كل شيء سيجري على نحو جـــيد، لكـــل مـــنهما. كان يفكر فيها عندما غط في النوم، يتساءل ما الذي ينتظره.

لم يرَ ماغي مجدداً للشهرين والنصف التاليين، بالرغم من أنه كثيراً مـــا تحـــدث إليها. قالت بأنها تحتاج إلى الوقت للتفكير، وإلى مسافة بينهما كـــذلك. ولكن في منتصف آذار، وصل إلى سان فرانسيسكو، أرسلته مجلة سكوب، ليغطي محاكمة سيث. علمت ماغي أنه قادم، وبأنه منشغل. تناولت العـــشاء معه في الليلة السابقة لبدء المحاكمة. كانت تلك هي المرة الأولى التي يراها فيها بعد ما يقارب الثلاثة أشهر، وبدت رائعة. أخبرها أن ديبي، زوجـــة نشاد، قد أنجبت طفلة أسمتها جايد في الليلة الفائتة. شعرت بالفرح الكبير لذلك.

تناولا عشاءً هادئاً، واصطحبها إلى المنزل. تحدثا عن سارة وسيث. قالـــت ماغـــي بأنها قلقة عليها. سيكون وقتاً صعباً على كليهما. كانت قد

www.mlazna.com-RAYAHEEN

تـوقعت هـي وإيفريت أن يتجنب المحاكمة، ويقوم محاموه بالتفاوض مع الادعـاء الفيدرالي لتجريمه بتهمة أخف من تلك التي سيحاكم عليها في ما لو خضع للمحاكمة، ولكن من الواضح أنهم لم يفعلوا. ولهذا سيتوجب عليه أن يمـثل أمـام هيـئة المحلفين. كان يصعب تصديق أن النتيجة ستكون لصالحه. تلت ماغي الدعاء لتأتي النتيجة المرجوة طوال الوقت.

لـم يـأتِ أي منهما على ذكر وضعهما أو القرار الذي كانت ماغي تحاول اتخاذه. افترض إيفريت أنها عندما تتوصل إلى أي نتيجة، ستخبره. وحتـى الآن، لم تفعل، كما هو واضح. ظلا يتحدثان عن المحاكمة طوال الوقت.

كانت سارة في شقتها في شارع كلي تلك الليلة، واتصلت بسيث قبل أن تذهب إلى النوم.

"أردت فقط إعلامك بأنني أحبك، وأريد أن يعود الأمر بالخير عليك. لا أريـدك أن تظن بأنني مجنونة. أنا لست كذلك. أنا خائفة وحسب، على كلينا".

"وكذلك أنا"، اعترف. كان طبيبه يعطيه أدوية مسكنّة، وأدوية للضغط اسـتعداداً للمحاكمة. لم يعرف كيف سيتمكن من اجتيازها، ولكنه علم أنه يتوجب عليه ذلك، وكان شاكراً جداً لاتصالها. "شكراً، سارة".

"أراك في الصباح. تصبح على خير، سيث".

"أحبك، سارة"، قال حزيناً.

"أعلـم"، قالت هذا وهي تبدو حزينة مثله تماماً، ثم انهت المكالمة. لم تكن قد وصلت بعد إلى مستوى الغفران أو المسامحة الذي تحدثت عنه إلى ماغي. ولكنها شعرت بالأسف عليه. أظهرت تعاطفها تجاهه، وذلك هو كل ما بإمكانها فعله الآن. وأكثر من ذلك يتجاوز قدرتها.

عـندما نهـض إيفريت صباح اليوم التالي، وضع كاميرته في حقيبة كتفه. ليس بإمكانه إخراجها في قاعة المحكمة، ولكن بإمكانه التقاط صور للحـركة بكاملها في الخارج، وللأشخاص الذين يدخلون ويخرجون. التقط

صورةً لسارة وهي تدخل قاعة المحكمة برزانة بالقرب من زوجها. كانت تـرتدي لباساً رسمياً رمادياً داكناً وبدت شاحبة. وبدا سيث أسوأ على نحو هائـل، وذلك لم يكن بالمستغرب. لم تتمكن سارة من رؤية إيفريت. ولكن فـي وقت لاحق من ذلك الصباح، شاهد إيفريت وصول ماغي. جلست في مقعد في قاعة المحكمة لتشاهد محاضر الجلسات من مقعد بعيد في الخلف. أرادت أن تحضر من أجل سارة، إن كان ذلك سيقدم لها أي مساعدة.

بعـد ذلك، خرجت وتحدثت إلى إيفريت لبضع دقائق. كان منشغلاً، وتوجب على ماغي الالتقاء بعامل اجتماعي لإدخال رجلٍ متشردٍ تعرفه إلى الملجـأ. كـان لهـا ولإيفـريت حياة زاخرة بالأعمال وكانا يستمتعان بما يفعلانـه. تـناولت العـشاء معه مجدداً تلك الليلة، بعد أن أنهى عمله في المحاكمة. كانوا يعملون على اختيار أعضاء هيئة المحلفين، واعتقد كلاهما أن المحاكمـة ستـستغرق وقـتاً طـويلاً. نبّه القاضي أعضاء اللجنة بأن المحاكمـة ربمـا تستمر لشهر، مع الكثير من التفاصيل المالية والحسابات للتدقـيق، والكثير من المراجعات لإجرائها عن الموضوع المعالج. أخبرها إيفريت تلك الليلة بأن سيث بدا متجهماً طوال فترة ما بعد الظهر، ونادراً ما كان يتحدث إلى سارة، ولكنها حضرت إلى جانبه معبرةً عن إخلاصها له.

استغرق اختيار أعضاء هيئة المحلفين أسبوعين، وبدا ذلك بطيئاً على نحـو مؤلم لكلٍ من سارة وسيث، إلا أن الاختيار تمّ في النهاية. كانوا اثني عـشر عضواً وبديلين. ثماني نساء وستة رجال. وأخيراً، بدأت المحاكمة. قـدّم محامـي الـدفاع والادعاء حججهما الافتتاحية. جعل وصف الادعاء لـسلوك سيث غير الأخلاقي وغير الشرعي سارة تجفل وهي تصغي إليه. جلـس سيث متحجر الوجه، بينما راقبت هيئة المحلفين الإجراءات. استفاد مـن المسكنّات التي كان يتناولها. ولكن سارة لم تتناول أياً منها. لم تتمكن مـن تخـيل أن فريق الدفاع يستطيع التغلب على هذه الحجج، حيث عمل الادعـاء يـوماً بعد يوم، على تقديم المزيد من الأدلة والشهود والخبراء، جميعهم يدينون سيث.

مـع حلـول الأسبوع الثالث للمحاكمة، بدا سيث مُنهكاً، وشعرت سـارة وكأنهـا عاجزةٌ عن الزحف حتى عند عودتها إلى المنزل إلى طفلـيها تلـك اللـيلة. كانت قد أخذت إجازة من عملها لتحضر معه، وأخبـرتها كـارين جونـسون في المشفى ألا تقلق حيال ذلك. شعرت بالأسـف الـشديد على سارة، وكذلك ماغي. كانت تتصل بسارة يومياً للاطمئـنان على حالها. تماسكت سارة بالرغم من ضغوطات المحاكمة التي لا تصدق.

كثيراً ما كان إيفريت يتناول العشاء مع ماغي خلال أسابيع المحاكمة المـنهكة. كان شهر نيسان قد حل عند معاودة فتحهما موضوعهما مجدداً. قالـت ماغـي بأنها لا ترغب بالتحدث عن الأمر الآن، فهي لا تزال تتلو الـدعاء لأنها لا تعرف ماذا تفعل، وبدلاً من ذلك، أخذا يناقشان إجراءات المحاكمـة، وهـو أمر يبعث على الكآبة دائماً ولكنهما مهووسان به. عمل الادعـاء علـى توريط سيث أكثر يوماً بعد يوم، وقال إيفريت بأن اختياره للمحاكمـة يعتبر انتحاراً. أخذ الدفاع يبذل أفضل ما في وسعه، ولكن حجة الادعـاء الفيدرالـي كانت تدينه بشدة بحيث لم يبقَ لهم سوى القليل الذي بإمكـانهم فعله للتصدّي لوابل الأدلة الموجهة ضده. ومع مضي الأسابيع، كلمـا حـضرت إلى المحكمة لدعمها، رأت ماغي أن سارة تزداد نحولاً وشـحوباً. لـيس هناك وسيلة للخروج من هذه المصيبة، بل فقط تخطّيها، ولكـنها كانـت بـصدق اختباراً لهما ولزواجهما. تدمرت مصداقية سيث وسمعته بالكامل. كان أمراً مثيراً لاستياء كل من يهتم بأمرهما – ولا سيما بأمر سارة – أن يرى إلى أين سيوصلهما هذا. أخذ يتضح للجميع بأنه كان يـتوجب علـى سـيث طلب تجريم نفسه بعقوبة أو تهمة أخف، بدلاً من المـضي في المحاكمة. لم يبد ممكناً أنه سيحصل على البراءة بالنظر إلى التهم التي وجهت ضده والشهادة والأدلة الداعمة. كانت سارة بريئة من كل هـذا، خُـدعت تمامـاً كما خُدع مستثمروه، ولكن في النهاية، ستدفع ثمناً باهظاً، وربما أكثر. شعرت ماغي بالأسف الشديد على حالها.

حـضر والدا سارة الأسبوع الأول من المحاكمة، ولكن والدها يعاني مـن مـرضٍ فـي القلب. ولم ترغب والدتها بإنهاكه، أو مواجهة ضغوط الجلـسات، فعادا إلى منزلهما بينما لا تزال القضية تزداد سوءاً ضد سيث، ولا يزال أمامهما أسابيع قبل أن تنتهي.

بـذل الدفاع جهداً هائلاً لإنقاذ سيث. كان هنري جاكوبس بارعاً في عملـه، ومتمكـناً من موهبته كمحامي. ولكن مشكلته هي أن سيث منحه فرصة ضئيلة للمناورة، وكانت القضية مبنية بأغلبها على التمويه والتستر، ولكنها انكشفت. كانوا على وشك إنهاء الدفاع في اليوم التالي، عندما تناول إيفـريت وماغي العشاء في مقهى في الشارع المقابل لشقتها، وهو المكان الـذي التقيا فيه كثيراً في نهاية كل يوم. كان إيفريت يكتب مقالات يومية عـن المحاكمـة لمجلة سكوب. وكانت ماغي تؤدي نشاطاتها المعتادة، في حين تمضي أي وقت فراغ تحظى به في قاعة المحكمة. منحها ذلك فرصة للاطـلاع علـى الجلـسات، وقـضاء بعض الدقائق مع إيفريت في أثناء الاسـتراحات والمُـداولات، وعـناق سارة كلما أمكن لرفع معنوياتها مع استمرار الكابوس.

"مـا الذي سيحدث لها عندما يذهب؟"، سأل إيفريت ماغي. كان قلقاً على سارة هو أيضاً. بدأت تبدو محطمة وشاحبة جداً، ولكنها لم تفوّت أي يـوم مـن دون الحضور إلى جانب زوجها. وبدت في ظاهرها، متسامحة ومتـزنة. حاولت أن تبث فيه الثقة والقوة، وقد علمت ماغي جيداً بأنها لا تـشعر بهمـا حتماً. تحدثت إليها عبر الهاتف في بعض الأحيان في وقت متأخـر فـي الليل. وفي الكثير من الأحيان، كانت سارة تبكي مضطربة بالكامـل مما تعانيه من ضغوط التي لا ترحم. "لا أعتقد أن هناك أملاً بأن ينجو". بعد ما سمعه في الأسابيع الماضية، لم يكن هناك شك في ذلك برأي إيفريت. ولم يتمكن من تخيل أن هيئة المحلفين سترى الأمر مختلفاً عنه.

"لا أعلـم. سيتوجب عليها أن تتدبر أمورها بطريقة ما. ليس أمامها خيار آخر. والداها وبالرغم من دعمهما المطلق لها، إلا أنهما يعيشان بعيداً

www.mlazna.com-RAYAHEEN

عنها. يتوجب عليها الاعتماد على نفسها نوعاً ما. لا أعتقد أن لديهما الكثير من الأصدقاء المقربين، ومعظمهم هجروهما في خضم هذا. أعتقد أن سارة فخورة بنفسها كثيراً وتشعر بالإحراج الشديد أيضاً ولهذا تعجز عن طلب المساعدة من أحد. إنها قوية جداً، ولكن في حال دخل السجن، ستصبح وحيدة. لا أعلم إن كان زواجهما سيستمر إن دخل السجن. وذلك قرار يتوجب عليها أن تتخذه".

"أشعر بالفخر الكبير بها لاستمرارها حتى الآن. أعتقد أنني لو كنت مكانها لتخلصت من هذا الوغد يوم إدانته. يستحق ذلك. لقد حطّم حياتها معه. لا أحد يمتلك الحق بفعل ذلك بإنسان آخر، بسبب الجشع والكذب. إن سألتني عن رأيي، فهو مجرد وغد".

"تحبه"، قالت ماغي ببساطة، "وتحاول أن تكون عادلة".

"إنها أكثر من مجرد عادلة. حطم هذا الرجل حياتها، وضحى بها وبمستقبل طفليها لمصلحته الخاصة، وما زالت تجلس هناك، تتحمل كل شيء. إن ذلك أكثر بكثير مما يستحقه. هل تعتقدين أنها ستظل معه، ماغي، في حال سُجن؟"؛ لم يشاهد في حياته إخلاصاً كإخلاص سارة إطلاقاً، وعلم أنه لن يكون هو نفسه قادراً على تحمل ذلك. أعجب بها كثيراً، وشعر بالأسف الشديد عليها. وكان واثقاً من أن قاعة المحكمة بكاملها تشعر بذلك.

"لا أعلم"، قالت ماغي بصدق. "لا أعتقد أن سارة تعلم هي أيضاً. تريد فعل الصواب. ولكنها في السادسة والثلاثين من عمرها. تمتلك الحق بحياة أفضل من هذه، إن دخل السجن. في حال تطلقا، يمكنها أن تبدأ من جديد. وإن لم يفعلا ذلك، سيتوجب عليها قضاء الكثير من السنوات وهي تزوره في السجن، تنتظره، بينما تمر الحياة وتتجاوزها. لا أريد أن أنصحها، لا يمكنني ذلك. ولديّ مشاعر مختلطة حيال ذلك. أخبرتها بذلك. مهما حدث، تحتاج إلى أن تسامح، ولكن ذلك لا يعني أنه يتوجب عليها تقديم حياتها إلى الأبد له، لأنه اقترف الخطأ".

"إن الأمر مرير وقاسٍ جداً بحيث يعجز المرء عن المسامحة فيه"، قال بكآبة، فأومأت ماغي موافقة.

"نعم، هو كذلك. لست واثقة من أنني أستطيع القيام بذلك. ربما لا"، قالت بصدق. "أرغب بالظن بأنني سأكون أكثر نضجاً من ذلك، ولكنني لست واثقة من أنني كذلك. سارة وحدها يمكنها أن تقرر ما الذي تريده. ولست واثقةً من أنها تعرف. ليس أمامها الكثير من الخيارات. بل يمكنها حتى أن تظل معه ولا تسامحه أبداً أو تسامحه وتهجره. الفضيلة تعبّر عن نفسها بأساليب غريبة أحياناً. آمل فقط أن تعثر على الإجابة المناسبة لها".

"أعلم ما ستكون إجابتي"، قال إيفريت بتجهم. "قتل ذلك الوغد. ولكن أعتقد أن هذا لن يساعد سارة أيضاً. لا أحسدها على جلوسها هناك يوماً بعد يوم، لتسمع كم كان وغداً ومحتالاً. ومع ذلك، لا تزال تخرج من قاعة المحكمة إلى جانبه كل يوم وتقبّله قبلة الوداع قبل أن تعود إلى طفليهما". وفي أثناء انتظارهما التحلية، قرر إيفريت أن يناقش موضوعاً أكثر حساسية معها مجدداً. في اليوم الذي تلا ذكرى الميلاد، قررت ماغي أن تفكر في وضعهما. لقد مضى على ذلك أربعة أشهر تقريباً، ومثل سارة، لم تتخذ أي قرار بعد، وتجنبت مناقشة الأمر معه. لقد بدأ الترقب يقتله. علم أنها تحبه، ولكنها لا تريد مغادرة المقر أيضاً. إنه قرارٌ صعب بالنسبة إليها أيضاً. ومثل سارة، كانت تبحث عن الإجابات وعن الفضيلة، والتي ستسمح لها في النهاية باكتشاف الشيء المناسب للقيام به. في حالة سارة، جميع القرارات مرهقة، وفي بعض النواحي، قرارات ماغي كذلك أيضاً. يتوجب عليها إما أن تترك المقر من أجل إيفريت، لتشاركه حياته، أو تتخلى عن ذلك الأمل وتظل مخلصةً لنذورها لبقية حياتها. في الحالتين، ستخسر شيئاً تحبه وتريده، وفي الحالتين، تفوز بشيء بالمقابل. ولكن يتوجب عليها أن تقايض بشيء بدلاً من الآخر، لا يمكنها امتلاك الشيئين معاً. بحث إيفريت في عينيها وهو يحاول أن يفتح بلطف الموضوع مجدداً. كان قد وعدها ألا يضغط عليها ويمنحها كل الوقت الذي تحتاج إليه، ولكن هناك أوقات يريد

فقط أن يقترب منها ويعانقها، ويتوسل إليها أن تهرب معه. علم أنها لن تفعل. إن اقتربت منه واختارت الحياة معه، فستكون شديدة الدقة، ستختارها بعد الكثير من التفكير، ولن تكون حياةً متهوّرة، والأهم من ذلك، أنها ستكون صادقة ونزيهة.

"ما الذي تفكرين فيه هذه الأيام؟"، سألها بحذر، بينما حدّقت إلى فنجان القهوة، ثم إليه. رأى الصراع في عينيها، ثم شعر بالذعر فجأة من أن تكون قد اتخذت قراراً ليس لصالحه.

"لا أعلم، إيفريت"، قالت متنهدة. "أحبك. أعلم ذلك. لا أعلم فقط أي طريق قد قُدّر لي الآن، ما هو الاتجاه الذي أسلكه. أريد أن أكون واثقة من أنني أختار الطريق الصحيح، لكلينا". لقد أولت الأمر كل عناية وتفكير طوال الأشهر الأربع الماضية، وقبلها حتى، منذ القبلة الأولى.

"تعلمين ما هو رأيي"، قال مع ابتسامة صغيرة متوترة. "أعتقد أن الله يحبك مهما فعلت، وكذلك أنا. ولكنني واثقٌ من رغبتي بمشاركة حياتي معك، ماغي". بل حتى من رغبته بإنجاب الأطفال منها، بالرغم من أنه لم يقل لها ذلك إطلاقاً. يكفيها قرار واحد كبير الآن. وإن كان مناسباً، يمكنهما مناقشة الأمور الأخرى في ما بعد. أما الآن، فيتوجب عليها أن تعالج قراراً أكبر بكثير. "ربما يتوجب عليكِ أن تتحدثي إلى أخيك. لقد مرّ في هذه المحنة. كيف كان شعوره؟".

"لم يكن ملتزماً بشدة في السابق على الإطلاق. ولحظة التقائه بزوجته، ترك المقر بسرعة. لا أعتقد أنه شعر بالحيرة لذلك حتى. قال بأن هذا ما قُدّر له. أتمنى لو كنت واثقة مثله. ربما يكون الأمر مجرد نوع من الإغواء المفرط لاختباري. أدرك أنها لا تزال قلقة، ولم يتمكن من التوقف عن التساؤل ما إن كانت ستصل إلى أي قرار في حياتها أو إن كانت ستستسلم في النهاية.

"يمكنك أن تعملي مع الفقراء في الشوارع، تماماً كما تفعلين الآن. بإمكانك أن تعملي كممرضة، أو كعاملة اجتماعية، أو الاثنين معاً. يمكنك

أن تفعلي أي شيء تريدينه، ماغي. لست بحاجة إلى التخلي عن ذلك"، قال لها ذلك من قبل. لا تتعلق مشكلتها بعملها، بل تتعلق بنذورها. علم كلاهما أن تلك هي مشكلتها. الأمر الذي لم يعرفه هو أنه قد مضى عليها وهي تتحدث إلى رجل الدين في المقر ثلاثة أشهر الآن، وإلى المشرفة، والطبيب النفسي المتخصص في المشاكل الخاصة بالمجتمعات الدينية. أخذت تبذل كل ما في وسعها لجعل قرارها حكيماً، لم تكن تتصارع فيه وحدها. سيشعر بالتشجيع لو علم، ولكنها لم ترغب بمنحه أملاً زائفاً، في حال عجزت عن اتخاذ قرار لصالحه.

"هل يمكنك أن تمنحني المزيد من الوقت؟"، سألت، تبدو متألمة. كانت قد وضعت لنفسها مدة نهائية حتى شهر حزيران لاتخاذ قرارها، ولكنها لم تخبره بذلك أيضاً، للأسباب نفسها.

"بالطبع، يمكنني ذلك"، قال بمنطقية، ومشى معها عائداً إلى حيث تسكن في الجهة المقابلة من الشارع. كان قد صعد مسبقاً إلى الأعلى لرؤية شقتها وذُعر لمقدار صغرها وفراغها وكآبتها. أصرت على أنها لا تبالي لذلك، بل إنها أجمل وأكبر حجماً من أي حجرة تعيش فيها أي أخت في أي مقر. كانت تأخذ التقشف على محمل من الجدية، تماماً كحال جميع نذورها الأخرى. لم يخبرها بأنه لن يستطيع العيش في شقتها ليوم واحد لو كان مكانها. كانت الشقة مجردة من أي ديكور، باستثناء سريرها وخزانة ذات أدراج وكرسي وحيد مكسور كانت قد وجدته في الشارع.

ذهب إلى الاجتماع بعد أن أوصلها، ثم عاد إلى غرفة فندقه ليكتب تقريره عن محاكمة ذلك اليوم. نالت المقالات التي يرسلها الاستحسان في مجلة سكوب. كانت كتاباته بارعة، كما حصل على بعض الصور الرائعة خارج قاعة المحكمة.

استغرق الدفاع ما يقارب يوماً كاملاً للتوصل إلى نتيجة حول هذه القضية. جلس سيث عابساً، قلقاً، بينما أغمضت سارة عينيها عدة مرات، تصغي بتركيز كامل، في حين جلست ماغي في نهاية قاعة المحكمة تتلو

www.mlazna.com-RAYAHEEN

الدعاء. قدّم هنري جاكوبس وفريقه من المحامين قضية جيدة، ودافعوا عن سيث بأفضل ما يمكن. ونظراً للظروف، قاموا بعملٍ رائعٍ. إلا أن ظروفهم لم تكن بالجيدة.

قدّم القاضي تعليماته لهيئة المحلفين في اليوم التالي، شكر الشهود على حضورهم، والمحامين على عملهم المتميز، نيابةً عن المُدّعى عليه وعن الحكومة، ثم عُزلت هيئة المحلفين لتقوم بمهمتها. وسوى ذلك، انفضّت المحكمة بانتظار قرار هيئة المحلفين. غادرت سارة وسيث ليمضيا بعض الوقت مع المحامين ثم ينتظرا الحكم النهائي. علم الجميع أن ذلك يمكن أن يستغرق أياماً. خرج إيفريت مع ماغي عندها. كانت قد توقفت للحظة لتتحدث إلى سارة، والتي أصرت على أنها بخير ولكنها لم تبدُ كذلك، خرجا إلى الشارع، تحدثت إليه لبضع دقائق، ثم غادرت إلى موعدها. كانت ستلتقي مع رجل الدين مجدداً، ولكنها لم تذكر ذلك لإيفريت. قبّلته على وجنته قبل مغادرتها وعاد هو مع الآخرين، بينما كانت هيئة المحلفين تتشاور.

جلست سارة بجانب سيث على كرسيين في آخر القاعة. تنشّقا بعض الهواء النظيف لبضع دقائق، ولكن لا شيء بدا أنه يساعدهما. شعرت سارة وكأنها تنتظر إلقاء قنبلة أخرى عليهما. علم كلاهما أنها على وشك الوقوع. ويبقى السؤال الوحيد ما هو مقدار قوتها ومقدار الدمار الذي سيلحق بهما حال وقوع هذه القنبلة؟

"أنا متأسف، سارة"، قال سيث برقة. "أنا متأسف لأنني وضعتك في هذا الموقف. لم أعتقد إطلاقاً بأن أياً من هذا سيحدث". من اللطيف لو فكر في الأمر مسبقاً عوضاً عن تفكيره فيه الآن، ولكن سارة لم تقل له ذلك. "هل تكرهينني؟"، بحث في عينيها، وهزت رأسها بالنفي، تبكي، كما كانت تفعل على الدوام الآن. لقد بانت جميع مشاعرها. شعرت وكأنه لم يبقَ أمامها أي موارد عاطفية. استخدمتها جميعها للوقوف إلى جانبه.

"لا أكرهك. أحبك. أتمنى فقط لو أن هذا لم يحدث إطلاقاً".

"وكذلك أنا. أتمنى لو فاوضت مع المدعي العام بدلاً من المرور في كل هذا الهراء. فكّرت فقط في احتمال فوزنا". خشيت بأنه يعيش في وهم حيال ذلك كما كان حاله عندما اقترف الجريمة مع سولي. في النهاية، تخلى الرجلان عن بعضهما في أثناء التحقيق إلى درجة أن معلوماتهما المتعلقة ببعضهما لم تفدهما سوى في التأكيد على ذنبيهما أكثر من السابق بدلاً من إنقاذ أي منهما مما اقترفه أو في تخفيف العقوبة. لم يقبل الادعاء الفيدرالي في كل من كاليفورنيا ونيويورك عقد أي صفقة مع أي منهما. أعطوا سيث الفرصة للاعتراف بجريمته مسبقاً، ثم ألغوا ذلك في ما بعد. حذره هنري أن المضي في المحاكمة قد يزيد ربما من فترة عقوبته، ولكن بصفته مغامراً في أعماقه، أكثر مما أدرك أي شخص، قرر سيث المجازفة، والآن، خشي من النتيجة، بينما انتظرا هيئة المحلفين لتقدم قرارها. حالما يفعلون، فسيصدر القاضي الحكم بعد شهر.

"سيتوجب علينا فقط الانتظار ورؤية ما سيصلون إليه"، قالت سارة بهدوء. أصبح مصيرهما معلّقاً بقرار هيئة المحلفين.

"ماذا عنك؟"، قال سيث قلقاً. لم يرغب بأن تهجره الآن. احتاج إليها بشدة، مهما كلفها ذلك. "هل وصلت إلى أي قرار بخصوصنا؟"، هزت رأسها بالنفي ولم تجبه. يواجهان ما يكفي من الفوضى الآن وهما يغنى عن إضافة مشكلة الطلاق إلى ذلك. أرادت انتظار قرار هيئة المحلفين، ولم يضغط سيث عليها. كان يخشى كثيراً من النتيجة إن فعل. علم أن سارة تعيش أوقاتاً عصيبة بما فيه الكفاية. أثقلتها المحاكمة بالكثير، ولكنها صمدت وأخلصت حتى النهاية، تماماً كما وعدت. إنها امرأة صادقة بكلمتها، بل أكثر مما يمكن لأحد أن يصفها. أما إيفريت فقد أشار إليه على أنه وغد أمام ماغي. ووصفه آخرون بأسوأ من ذلك، ولكن ليس أمام سارة. إنها بطلة القصة، والضحية.

انتظروا ستة أيام حتى تنتهي هيئة المحلفين من المشاورات. كانت الأدلة معقدة، والانتظار مؤلماً لكل من سارة وسيث. ليلة بعد ليلة، كانا

يعودان إلى شقتيهما المنفصلتين. سألها سيث إن كانت ترغب بالمجيء إلى المنزل معه في إحدى الليالي، شعر بالذعر الشديد وخشي أن يمكث وحده، ولكن مولي كانت مريضة، والحقيقة أنها لم ترغب بقضاء الليلة مع سيث. إن ذلك صعب جداً عليها. كانت تحاول حماية نفسها قليلاً، بالرغم من أنها شعرت بالحزن عندما رفضت. علمت مقدار ألمه، ولكنها هي الأخرى كانت تتألم. عاد إلى شقته وتناول الشراب بدلاً من ذلك. اتصل بها عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل، مشوش التفكير، يخبرها أنه يحبها. وكان يعاني من آثار الشراب بصورة واضحة في اليوم التالي. عادت هيئة المحلفين في النهاية إلى قاعة المحكمة، في وقت متأخر من فترة بعد الظهر. وبدأ الجميع يتحركون إلى أمكنتهم بسرعة، مع انعقاد المحكمة مجدداً.

كان القاضي رزيناً وهو يسألهم إن وصلوا إلى حكم في قضية الولايات المتحدة ضد سيث سلون، ووقف المتحدث باسم الهيئة، يبدو رزيناً وجاداً على نحو مماثل للقاضي. كان يمتلك محلاً لبيع الفطائر، وقد درس سنة في الكلية، وكان ملتزماً ولديه ستة أطفال. كان محترماً لواجباته بشدة، ويحضر قاعة المحكمة كل يوم ببذلة وربطة عنق.

"فعلنا، حضرة القاضي"، قال رئيس الهيئة. كان هناك خمس تهم جنائية ضد سيث. وضع القاضي لائحة سريعة بها، وفي كل قضية أجاب رئيس الهيئة عن سؤال: كيف وجدت هيئة المحلفين سيث؟. كبت جميع من في قاعة المحكمة أنفاسهم طوال سماع الإجابات. وجدوه مذنباً في كل التهم.

ساد صمتٌ في أثناء اجتهاد الحضور لاستيعاب الأمر، ثم انفجرت الأحاديث والأصوات، وعندها طرق القاضي بمطرقته بقوة، وأمرهم بالانضباط، شكر هيئة المحلفين، ثم أذن لهم بالانصراف. استغرقت المحاكمة خمسة أسابيع، واحتاجت مداولات الهيئة أسبوعاً آخر. وعندما استوعبت سارة ما حدث للتو، التفتت إلى سيث. كان يجلس على كرسيه ويبكي. رفع رأسه يائساً. إن الأمل الوحيد بالاستئناف، وفقاً لما قال هنري

جاكوبس، هو في حال تم العثور على أي أدلة جديدة أو وقوع بعض الأخطاء في محاضر جلسات المحاكمة. وليمنع أي تطورات لاحقة غير متوقعة، قال لسيث بأنه لا يمتلك أي أسس للاستئناف. انتهى الأمر. إنه مُذنب. وسيكون مصيره بعد شهر بين يدي القاضي لتحديد العقوبة. ولكنه سيدخل السجن. بدت سارة مُدمّرة مثله تماماً. علمت أن هذا سيحدث، بذلت كل ما في وسعها لتحضير نفسها، ولم تكن متفاجئة. لكنها محطمة القلب وحزينة وحسب، على نفسها، وعلى طفليها اللذين سيكبران مع والد في السجن عرفاه لفترة قصيرة.

"أنا متأسفة"، همست له، ثم ساعدهما المحامون على الخروج من قاعة المحكمة.

انطلق إيفريت مسرعاً، ليلتقط الصور التي علم أنه يتوجب عليه إرسالها إلى سكوب. كره أن يتطفل على سارة في مثل هذا الوقت. ولكن ليس أمامه خيار آخر سوى الإسراع إليهما خارج قاعة المحكمة، مع حشد من المصورين وكاميرات الأخبار. هذا هو عمله. كان سيث يصرخ وهو يشق طريقه بين الحشد، وبدت سارة وكأنها على وشك أن تصاب بالإغماء وهي تتبعه إلى السيارة التي تنتظرهما. كان هناك سائق وسيارة تنتظرهما خارج قاعة المحكمة. رحلا في غضون دقائق، بينما تبعثر الحشد في كل مكان.

رأى إيفريت ماغي على درجات قاعة المحكمة. لم تتمكن من الاقتراب من سارة لتقول أي شيء لها. لوحت لها، ثم رأته فنزلت للقائه. كان وجهها شاحباً، وبدت قلقة، بالرغم من أن الحُكم لم يكن بالمفاجئ. ومن المحتمل أن يكون أسوأ. لم يكن هناك علم بالمدة التي سيحكمها القاضي له بالسجن، ولكن من المرجح أنها مدة طويلة. لا سيما بالنظر إلى أنه لم يعترف بذنبه، بل اندفع في محاكمة أمام هيئة المحلفين، كانت السبب بضياع المزيد من أموال دافعي الضرائب، على أمل أن يكون المحامون باهظو الأجرة الذين استخدمهم سيقومون بعمل بطولي لإخراجه من الورطة. لم ينفع ذلك، بل تسبّب بنزعة لعدم التساهل معه. لقد دفع بالأمر

www.mlazna.com-RAYAHEEN

إلى الذروة، وهناك احتمالٌ قويٌ أن يكون حكم القاضي قاسياً. بدا متحفظاً بشأن سلسلة العقوبات التي ستصدر على جرائم سيث. خشيت ماغي أن يختار الأسوأ بينها.

"أشعر بالأسف الشديد عليها"، قالت ماغي لإيفريت في طريقهما إلى سيارته المستأجرة في المرأب. كانت على حساب مجلة سكوب. انتهى عمله في سان فرانسيسكو. وسيعود إليها يوم إصدار الحكم، وربما يحصل على بضع لقطات لسيث في أثناء مرافقته إلى السجن الفيدرالي. بعد ثلاثين يوماً، سينتهي كل شيء بالنسبة إلى سيث. وحتى ذلك الحين، خرج بكفالة. وحالما يتم استعادة المال من الكفيل، سيتم تحويله مباشرة إلى صندوق نفقات الدفاع عنه في المحاكمات المدنية التي رُفعت ضده من قبل المستثمرين الذين احتال عليهم. إن إدانته هي الدليل الذي يحتاجون إليه لتبرير الدعاوى التي رفعوها ضدّه، والفوز بها أيضاً. وبعد ذلك، لن يبقى شيءٌ لسارة وللطفلين. أدركت سارة ذلك تماماً، وعلم بذلك إيفريت وماغي. لن تحصل على شيء، تماماً مثل مستثمريه. بإمكانهم رفع دعوى ضده، يمكن للحكومة أن تعاقبه، وكل ما يمكن لسارة فعله هو جمع أشلاء حياتها وحياة طفليها. بدا أمراً ظالماً بشدة برأي ماغي، ولكن ذلك هو حال بعض الأمور في الحياة. كرهت أن ترى أموراً كهذه تحدث للأشخاص الطيبين، وبدت كئيبة بشدة وهي تدخل سيارة إيفريت.

"أعلم، ماغي"، قال بلطف. "لم أحب ذلك أنا أيضاً. ولكن من المستحيل أن ينجو بفعلته". لقد كانت قصة قبيحة مع نهاية حزينة. ليست النهاية السعيدة التي أملت سارة أن تعيشها مع سيث، ولم يرغب أي شخص يعرفها بأن يحدث لها ذلك.

"إنني أكره أن يحدث هذا لسارة وحسب".

"وكذلك أنا"، قال إيفريت وهو يُشغل محرك السيارة. لم يكن شارع تيندير لوين بعيداً عن قاعة المحكمة، فبعد بضع دقائق، توقف أمام المبنى حيث تسكن.

"هل ستسافر الليلة؟"، سألته ماغي بحزن.

"أعتقد ذلك. يريدونني في المكتب صباح الغد. أحتاج إلى تفحص الصور وتنسيق القصة. هل ترغبين بتناول شيء قبل أن أذهب؟"، كره أن يتركها، ولكن مضى عليه في سان فرانسيسكو أكثر من شهر، وتريد منه سكوب أن يعود.

"لا أعتقد أن بإمكاني تناول الطعام"، قالت بصدق. ثم التفتت إليه مع ابتسامة كئيبة. "سأشتاق إليك، إيفريت". لقد اعتادت كثيراً على وجوده، ورؤيته كل يوم، في قاعة المحكمة وفي المساء. كانا يتناولان العشاء معاً كل ليلة تقريباً. إن مغادرته ستترك فجوة مروّعة في حياتها. أدركت أيضاً بأن ذلك سيمنحها فرصة لمعرفة كيف تشعر حياله. تنتظرها قرارات هامة لتتخذها، تماماً مثل سارة. لم يكن هناك أي شيء تتطلع سارة إليه إن مكثت مع سيث، باستثناء خروجه من السجن بعد وقت طويل. لم يصدر الحكم بحقه بعد، ولم يبدأ بالتالي بتنفيذ عقوبته. وستكون مدة عقوبتها بطول عقوبته تماماً. بدا الأمر مريعاً برأي ماغي. بالنسبة إليها، هناك محاسن لأي شيء تقرره، بالرغم من وجود الخسائر أيضاً. في كل حالة، هناك خسائر وأرباح تتداخل مع بعضها. من المستحيل التمييز بينها، وهذا ما جعل القرار صعباً جداً على ماغي.

"سأفتقدك أيضاً، ماغي"، قال إيفريت وهو يبتسم لها. "سأراك عندما آتي يوم إصدار الحكم، أو يمكنني المجيء لقضاء يوم هنا، إن رغبت بذلك. الأمر يعود إليك. كل ما يتوجب عليك فعله هو الاتصال بي".

"شكراً لك"، قالت ماغي بهدوء، وهي تنظر إليه، ثم انحنى وقبّلها. شعرت بأن قلبها يتمزق وهو يفعل ذلك. تشبثت به لدقيقة، تتساءل كيف يمكنها أن تتخلى عنه يوماً ما، ولكنها تعرف أنه ربما يتوجب عليها ذلك. غادرت السيارة من دون أن تقول أي كلمة أخرى. علم أنها تحبه، تماماً كما علمت بأنه يحبها. لا شيء يقولانه لبعضهما أكثر من ذلك الآن.

الفصل الواحد والعشرون

دخلت سارة شقة شارع برودواي مع سيث لتطمئن على أنه بخير. بدا أنه يشعر بالدوار والغضب وكأنه على وشك أن يبكي مجدداً. لم يرغب بالذهاب إلى شقتها ورؤية الطفلين. علم أنهما سيكونان عنه صورة بشعة، بالرغم من أنهما لا يعلمان شيئاً عن المحاكمة. اتضح لهما أن حدثاً مروعاً أصاب كلاً من والديهما. في الحقيقة، أصابهما قبل أشهر، لحظة احتياله على المستثمرين واعتقاده أنه لن يتم الإيقاع به إطلاقاً. علم أنه لن يمضي وقت طويل قبل أن يدخل سولي السجن في نيويورك. والآن، ينتظر هو الحدث نفسه.

تناول سيث قرصاً مسكناً حال دخوله، وصبّ لنفسه كأساً من الشراب. ارتشف جرعة كبيرة، ونظر إلى سارة. لم يحتمل رؤية الألم في عينيها.

"أنا متأسف، حبيبتي"، قال هذا ولم يعانقها، أو يواسيها. كان يفكر في نفسه. واتضح أنه دائماً ما يفعل ذلك.

"وكذلك أنا، سيث. هل ستكون بخير الليلة؟ هل تريدني أن أبقى هنا؟". لم ترغب بذلك، ولكنها ستفعل من أجله، لا سيما بعد الطريقة التي رأته يشرب فيها ويتناول الأقراص. من المرجح أن يقتل نفسه لكثرة ما تناول من شراب ومسكّنات. احتاج إلى وجود أحد معه بعد ما سمعه اليوم في المحكمة، وإن توجب أن تبقى معه، فستفعل على مضض. فبالرغم من كل شيء، هو زوجها ووالد طفليها، بالرغم من أنه لم يستوعب ما الذي

سببه لها كونها زوجته. هو من سيدخل السجن، من وجهة نظره، وليست زوجته. إلا أنها سجينةٌ الآن، بفضله، دخلت السجن لحظة انهيار حياتهما ليلة وقوع الزلزال في أيار، قبل أحد عشر شهراً.

"سأكون بخير. سأشرب حتى الضياع. ربما أظل على هذا الحال طوال الشهر المقبل، حتى يدخلني ذلك الوغد السجن لمئات السنين، بعد ثلاثين يوماً من الآن". ليس هذا خطأ القاضي، بل خطأ سيث. كان ذلك المفهوم واضحاً لسارة، ولكنه غامض له. "لم لا تعودين إلى شقتك، سارة؟ سأكون بخير". لم يبدُ كلامه مقنعاً، وشعرت بالقلق. يتعلق كل شيء به دائماً. غير أنه محقٌ بمفهوم أنه هو من سيدخل السجن وليست هي. يمتلك الحق للشعور بالغضب، حتى ولو كان هو من فعل ذلك بنفسه. لا تزال قادرةً على الهروب مما حصل. أما هو، فيعجز عن ذلك. وبعد شهر من الآن، ستنتهي الحياة التي عرفها حتى ذلك الحين. أما حياتها فقد انتهت مسبقاً. لم يتكلم عن الطلاق تلك الليلة معها. لم يكن ليحتمل سماع ذلك منها، ولم تتمكن هي من لفظ الكلمات أمامه. لم تتخذ قرارها بعد.

أخيراً، ذكر الموضوع بعد أسبوع، عندما أوصل الطفلين إليها، بعد انتهاء زيارتهما له. خرج معهما لبضع ساعات فقط. لم يكن يستطيع تحمل أكثر من ذلك الآن. كان يشعر بتوتر شديد، وبدا مضطرباً جداً. أما هي فبدت نحيلةً على نحو مخيف. بدت ملابسها وكأنها معلقة عليها، وقد ازدادت ملامحها حدةً. ظلت كارين جونسون في المشفى تخبرها بأنها بحاجة إلى إجراء بعض الفحوصات. ولكن سارة علمت بأنه لا غموض في ما يحدث لها. لقد تحطّمت حياتهما، وسيدخل زوجها السجن لوقت طويل. خسرا كل شيء، وسيفقدان كل ما تبقى قريباً. ليس هناك أحد تعتمد عليه الآن سوى نفسها. وبهذا فإن معرفة سبب المشكلة أمر بسيط جداً.

عندما أوصل سيث الطفلين، نظر إليها، والسؤال في عينيه. "هل يتوجب علينا أن نتحدث عن مصير زواجنا؟ أعتقد أنني راغب بمعرفة ذلك قبل دخولي السجن. وفي حال سنبقى معاً، ربما يتوجب علينا أن نمضي

www.mlazna.com-RAYAHEEN

هـذه الأسـابيع الأخيرة معاً. ربما يلزمنا وقت طويل قبل أن نحظى بهذه الفرصة مجدداً"، علم أنها تريد طفلاً آخر، ولكنها لم تكن قادرةً على التفكير فـي ذلـك الآن. كانت قد تخلت عن تلك الفكرة لحظة معرفتها بنشاطاته الإجرامية. إن آخر شيء ترغب به الآن هو الحمل، بالرغم من أنها أرادت طفـلاً آخر، ولكن ليس منه، وليس الآن. كان هذا بمثابة إشارة إلى أمور كثيرة. وإن اقتراحه للعيش معاً خلال الأسابيع الثلاثة القادمة، أثار غضبها كثيـراً. لم تكن قادرةً على تخيل نفسها معه مجدداً، تقيم علاقة معه، تتعلق بـه أكثـر، ثم يتركها لدخول السجن. لم تتمكن من القيام بذلك. يجب أن ينتهي الأمر، وإنه محق، ربما الآن أفضل من أي وقت لاحق.

"لا يمكني القيام بذلك، سيث"، قالت بصوت متألم، بعد صعود الطفلين إلى الأعلى مع بارماني للاستحمام. لم ترغب بأن يسمعا ما تقوله لوالدهما. لـم تـرغب بأن يذكرا ذلك يوماً ما. سيعلمان ما حدث عندما يكبران بما يكفـي، ولكن حتماً ليس الآن، وليس في ما بعد بطريقة قبيحة. "لا يمكنني ذلـك وحسب... لا يمكنني العودة. أريد ذلك أكثر من أي شيء آخر. آمل لـو كنا قادرين على العودة بالزمن إلى الوراء، ولكن لا أعتقد أن بإمكاننا ذلك. لا أزال أحبك، وربما سأظل أحبك، ولكن لا أعتقد أن بإمكاني الوثوق بك مجدداً على الإطلاق". كان الأمر مؤلماً، ولكنه صادق على نحو موجع. وقف مسمّراً في مكانه، ينظر إليها، يتمنى لو اختلفت كلماتها. سيحتاج إليها لا سيما عندما يدخل السجن.

"أتفهم ذلك"، أومأ، ثم فكّر في شيء ما. "هل سيكون الأمر مختلفاً لو تمـت تبرئتـي من التهمة؟"، هزت رأسها بالنفي. لن تستطيع العودة إليه. ظلت تفكّر في الأمر لأشهر، واتخذت قرارها خلال أيام المحاكمة الأخيرة، قـبل إصـدار هيـئة المحلفين حكمها. لم تمتلك الجرأة لتقول له، أو حتى تعترف به أمام نفسها. إلا أنها لا تملك أي خيارٍ آخر الآن. ينبغي أن تُقال الحقـيقة، ليعرف كلّ منهما مكانته. "أعتقد أنه وفقاً لهذه الظروف، كان من اللطـف منك أنك وقفت إلى جانبي في المحاكمة". طلب محاموه منها ذلك،

بغـية الظهـور بمظهر جيد، ولكنها كانت لتقوم بذلك على أي حال، بدافع حـبها لـه. "سأتصل وأبدأ إجراءات الطلاق"، قال، وهو منهك، وأومأت، والدموع متقلة في عينيها. إنها أسوأ لحظات حياتها، لا يشبهها سوى لحظة خـوفها علـى مولي لحظة كانت على وشك أن تموت، والصباح الذي تلا الزلـزال، عـندما أخبرها عن الجرم الذي اقترفه. ومنذ ذلك الحين، أخذ منزلهما بالانهيار، وأصبح مستوياً مع الأرض الآن.

"أنا متأسفة، سيث"، لم يتلفظ بأي كلمة، التفت، ثم غادر شقتها. انتهى الأمر.

اتـصلت سارة بماغي وأخبرتها بما حصل بعد بضعة أيام، وعبرت لها ماغي عن أسفها لحدوث ذلك.

"أعلـم كـم كـان القرار صعباً عليك"، قالت بصوت متعاطف. "هل سامحته، سارة؟".

ساد صمتٌ طويلٌ بينما كانت سارة تبحث في قلبها عن الإجابة لتقول الصدق لها: "لا، لم أفعل".

"أمل أن تفعلي ذلك يوماً ما. لا يعني ذلك أن تعودي إليه".

"أعلم". فهمت ذلك الآن.

"سـيحرر ذلـك كليكما من الأثقال. لست بحاجة إلى أن تحمليها إلى الأبد، إنها أشبه بكتلة إسمنتية على قلبك".

"سأفعل مهما حدث"، قالت سارة بحزن.

• • •

بدا تحديد العقوبة بمثابة هبوطٍ مفاجئٍ بعد أن صدر الحكم. كان سيث قـد تخلى عن شقته ويمكث في ريتز – كارلتون. شرح ما يحدث لطفليه، وبأنـه سـيبتعد لـبعض الوقت. بكت مولي، ولكنه وعدها أن تتمكن من زيارتـه، وبـدا أن ذلك قد طمأنها. كانت في الرابعة من عمرها فقط، ولم تفهم حقيقة الأمر. وكيف ستتمكن من ذلك؟ إن الفكرة بكاملها تصعب على البالغين حتى. أنهى الإجراءات مع الكفيل ليعيد المال إلى المصرف، حيث

سيبقى هذا المال إلى حين تنفيذ المحاكمات والدعاوى المستقبلية التي سيرفعها مستثمروه، وجزءٌ صغيرٌ منه سيذهب إلى سارة لمساعدتها على إعالة نفسها والطفلين، ولكن ذلك لن يدوم طويلاً. في النهاية، سيتوجب عليها أن تعتمد على عملها، أو والديها للقيام بما يمكنهما، ولن يكون كثيراً. كانا متقاعدين ويعيشان على دخلٍ ثابت. ربما تضطر إلى العيش معهما لبعض الوقت، إن نفد المال منها، ولم يكفِ راتبها. شعر سيث بالأسف، ولكنه عاجزٌ عن تقديم ما هو أفضل. باع سيارته البورش الجديدة وأعطاها المال بنوع من الغرور. إن كل فلسٍ جديرٌ بأن يساعد الآن، كما وضع بعض الأشياء في المخزن وقال بأنه سيفكر في ما يفعله بها في ما بعد. وعدت سارة أن تفعل له كل ما لا يستطيع محاموه القيام به. وفي أسبوع محاكمته، بدأ إجراءات الطلاق. سينتهي زواجهما بعد ستة أشهر. بكت سارة عندما تلقت الإنذار، ولكنها لم تتمكن من تخيل أن زواجهما سيستمر الآن. لم تشعر بأن هناك خياراً آخر.

كان القاضي قد حقق في أحوال سيث المالية، وفرض عليه غرامة بمليوني دولار، وهي كفيلة أن تدمره بالكامل، بعد أن يبيع كل شيء بقي معه. بالإضافة إلى عقوبة سجن لخمس عشرة سنة، ثلاث سنوات لكل من التهم الخمسة التي أُدين بها. كان حكماً شاقاً، ولكنه أفضل من السجن لثلاثين سنة. تصلبت عضلات فك سيث وهو يستمع إلى الحكم، إلا أنه جهز نفسه لأسوأ خبر هذه المرة. أما في أثناء انتظاره حكم المحلفين، فكان يأمل حدوث عمل بطولي لتبرئته. لم يكن هناك عمل بطولي لتحديد العقوبة. وأدرك، وهو يسمعها، بأن سارة كانت محقة عند طلبها للطلاق. في حال أمضى عقوبته كاملةً، فسيكون في الثالثة والخمسين من العمر عندما يخرج، وسارة في الواحدة والخمسين. يبلغان الآن الثامنة والثلاثين والسادسة والثلاثين. وتلك فترة طويلة يعجز أي شخص عن انتظار أي أحد خلالها. ربما يخرج من السجن بعد اثنتي عشرة سنة، إن حالفه الحظ. وإن حدث ذلك، سيكون قد مرّ وقتٌ طويلٌ. ستكون في الثامنة والأربعين

عندها، وتلك فترةٌ طويلةٌ لتعيش من دون زوج إلى جانبها. وستكون مولي في التاسعة عشرة من عمرها عندما يخرج، وأوليفر في السابعة عشرة. فقد أوضحت له تلك الفكرة أن سارة محقة.

أُخرج من قاعة المحكمة مكبلاً بالأصفاد، بينما انفجرت سارة بالبكاء. سيتم نقله إلى السجن الفيدرالي في الأيام القليلة القادمة. طالب محاموه بسجنه في أقل السجون تشدداً، وهذا أمر أخذوه في الاعتبار، ووعدته سارة بزيارته حال وصوله إلى هناك، بغض النظر عن أنها ستكون مطلقة عندها. لم تمتلك أي نية في هجره، ولكنها لم تعد قادرة على أن تظل زوجته بعد الآن.

التفت ينظر إليها للمرة الأخيرة وهم يقودونه بعيداً، وتماماً قبل أن يضعوا له الأصفاد، قذف لها خاتم زواجهما. نسي أن ينزعه ذلك الصباح، ويتركه مع الساعة الذهبية التي وضعها في حقيبته وطلب أن يتم إيصالها إلى منزلها. أخبرها أن تتبرع بالملابس وتخبئ الساعة لأوليفر. كان المشهد بكامله مروعاً، وقفت هناك تحمل خاتم الزواج، تنشج بالبكاء. أخرجها إيفريت من قاعة المحكمة مع ماغي، ورافقاها إلى المنزل، ووضعاها في سريرها.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

الفصل الثاني والعشرون

انطلقت ماغي في رحلتها إلى لوس أنجلوس في عطلة نهاية الأسبوع موعد ذكرى وقوع الزلزال لحضور حفل ميلاني القادم. حاولت إقناع سارة بالذهاب معها، ولكنها لم ترغب بذلك. ستصطحب الطفلين لزيارة سيث في السجن. كانت تلك هي المرة الأولى التي سيذهبون فيها لرؤيته منذ مغادرته، وأدركت أنها ستكون صدمةً وتغييراً على الجميع.

استفسر إيفريت من ماغي عدة مرات عن أحوال سارة، وقالت بأنها بخير من الناحية التقنية. تؤدي مهماتها، تذهب إلى العمل، تعتني بطفليها، ولكنها كئيبة بشدة على نحو يمكن فهمه. سيستغرق الأمر وقتاً، وربما حتى الكثير من الوقت، لتشفى مما أصيبت به. وقعت قنبلة هيروشيما عليها وعلى زواجها. وطلاقها يجري كما هو مخطط له.

قدم إيفريت لاصطحاب ماغي من المطار، وأخذها إلى فندق صغير حيث ستمكث. كان لديها موعد مع الأب كالاغان بعد ظهر ذلك اليوم وقالت بأنها لم تره منذ عقود. وينبغي عليها حضور الحفل في اليوم التالي. أوصلها إيفريت وتركها لكتابة مقالة أوكل بإعدادها. لقد كانت تغطيته للمحاكمة مؤثرة جداً إلى درجة حصل فيها لتوه على عرض للعمل في صحيفة التايم، وأرادته أسوشييتد برس ليعود للعمل معها مجدداً. مضى على شفائه سنتان الآن، وشعر بأنه أصبح صلباً كالصخرة. أهدى ماغي رقاقة الصحوة لتحتفظ بها مع البطاقة الأولى التي أعطاها إياها في السابق، عسى أنهما تجلبان الحظ. اهتمت بهما وحملتهما معها طوال الوقت.

تناولا العشاء مع ميلاني وتوم وجانيت تلك الليلة. قالت ميلاني وتوم بأنهما احتفلا للتو بالذكرى السنوية الأولى للقائهما معاً، وبدت جانيت أكثر ارتياحاً مما توقعته ماغي. التقت برجل وتحظى بالكثير من المرح معه. يهتم بالمجال الفني، ويشتركان بالكثير معاً. وبدت أنها تكيفت مع اتخاذ ميلاني لقراراتها الشخصية، بالرغم من أن إيفريت لم يعتقد أن ذلك سيتحقق إطلاقاً. ستبلغ ميلاني الواحدة والعشرين من العمر، وتمكنت من الاعتماد على نفسها منذ السنة الماضية.

ستذهب في جولة غنائية قصيرة ذلك الصيف، لأربعة أسابيع بدلاً من تسعة أو عشرة، إلى البلدان الكبرى فقط. أخذ توم إجازةً مدة أسبوعين للذهاب معها. كما أن ميلاني شاركت مع الأب كالاغان للعودة إلى المكسيك في أيلول، بالرغم من أنها خططت للمكوث لشهر واحد فقط هذه المرة. لم ترغب بالابتعاد عن توم لفترة طويلة جداً. كان الثنائي يبتسمان بابتهاج، يشعران بالسعادة، والتقط إيفريت عدداً من الصور لهما على العشاء، وواحدة لميلاني ووالدتها، وأخرى لميلاني مع ماغي. يعود لماغي سبب تغيير حياتها ومساعدتها على النضوج وتحقيق ما تريده، بالرغم من أنها قالت ذلك بعيداً عن مسمع والدتها. حلّ يوم الذكرى الأولى لزلزال سان فرانسيسكو وانتهى منذ أوائل أيار. كان حدثاً تذكّره الجميع بذعرٍ وشغف. لقد جلب معه أشياء جيدة للجميع، ولكن الصدمة التي شهدوها لا يمكن نسيانها أيضاً. ذكرت ماغي بأن حفل سمولست أنجلز أقيم هذه السنة مجدداً، ولكن سارة لم تترأسه أو تحضره. كانت منشغلة جداً في إجراءات سيث القانونية، وأملت سارة أن تديره مجدداً السنة القادمة. فقد اتفقوا جميعاً على أنها كانت أمسية جميلة حتى لحظة وقوع الزلزال.

بقي إيفريت وماغي لوقت أطول من المعتاد على العشاء في منزل ميلاني. بعثت فيهما الأمسية الراحة والمتعة، ولعب توم وإيفريت البلياردو. قال توم لإيفريت بأنه وميلاني يفكران في العيش معاً. إن عيشها مع والدتها حتى هذا الحين بدا أمراً غريباً، بالرغم من أن جانيت أصبحت أكثر

تساهلاً معها. شربت كثيراً تلك الليلة، وبالرغم من حقيقة امتلاكها لصديق حميم الآن، أحس إيفريت بأنها كانت لتغازله لولا تواجد ماغي. تمكن بسهولة من معرفة سبب رغبة توم وميلاني بالعيش في مكان خاص بهما. لقد حان الوقت لجانيت أن تكبر وتدخل عالماً خاصاً بها، من دون أن تختبئ خلف ميلاني وشهرتها. لقد حان وقت النضج للجميع.

تحدث إيفريت إلى ماغي بارتياح في طريق عودتهما إلى فندقها، وكما الحال دائماً، أحب التواجد معها. وإلى حين وصولهما الفندق الذي تمكث فيه ماغي، كانت تتثاءب وهي شبه نائمة. قبّلها بلطف ومشى معها إلى الباب وذراعه حولها.

"كيف كان لقاؤك مع الأب كالاغان، بالمناسبة؟"، كان قد نسي أن يسألها، وأحب أن يظل مطّلعاً على جميع نشاطاتها كل يوم. "آمل أنك لن تذهبي إلى المكسيك أنت أيضاً"، مزح معها، فهزت رأسها بالنفي، تتثاءب مجدداً.

"لا. سألتحق بالعمل معه هنا"، قالت وهي تشعر بالنعاس، وتعانق إيفريت قبل دخولها.

"هنا؟ في لوس أنجلوس؟"، ارتبك. "هل تقصدين سان فرانسيسكو؟".

"لا، أقصد هنا. يحتاج إلى شخص ما ليدير عمله هنا بينما يكون في المكسيك، لأربعة أو ستة أشهر كل عام. وبعد ذلك، أبحث عن عمل آخر، أو ربما أبقى في العمل، إن برعت في عملي".

"انتظري لحظة"، حدق إيفريت إليها. "اشرحي لي. ستعملين في لوس أنجلوس من أربعة إلى ستة أشهر في العام؟ ما الذي سيقولونه في دار العبادة، أو هل أخبرتهم بذلك؟". علم أنهم متساهلون نوعاً ما بالسماح لها بعمل ميداني في أي مكان تختاره.

"هممم... فعلت..."، قالت، تضع ذراعيها حول خصره. لا يزال إيفريت مرتبكاً.

"وهم موافقون على السماح لك بالعمل هنا؟". كان يبتسم. أحب تلك الفكرة، ولاحظ أنها أحبتها هي أيضاً. "هذا مذهل. لم أعتقد أنهم بهذا اللطف، للسماح لك بالذهاب إلى مدينة أخرى على هذا النحو".

"لم يعد لهم أي رأي في ذلك"، قالت بهدوء، وهو ينظر إلى عينيها.

"ما الذي تقولينه، ماغي؟".

أخذت نَفَساً عميقاً وعانقته بإحكام. لقد كان أصعب شيء تفعله طوال حياتها. لم تتحدث إلى أحد من خارج دار العبادة بخصوصه، ليس حتى معه. إنه خيارٌ يتوجب عليها أن تتخذه بنفسها، من دون أي ضغط منه. "حُررت من نذوري قبل يومين. لم أرغب بأن أقول لك أي شيء حتى أصل إلى هنا".

"ماغي!... ماغي؟... لم تعودي أختاً؟". حدق إليها غير قادرٍ على التصديق، وهزت رأسها بحزن، تحارب دموعها.

"لا، لست كذلك. لا أعلم ما أكون الآن. أواجه أزمة في الهوية. اتصلت بالأب كالاغان بخصوص العمل، لأتمكن من المجيء إلى هنا والعمل، إن أردتني أن أفعل. وإلا، لا أعلم ما سأفعله"، ضحكت والدموع في عينيها عندها.

"أوه ماغي، أحبك... أو يا الله، أنت حرة!"، أومأت، وقبّلها. لم يعد هناك حاجة ليشعرا بالذنب بعد الآن. سيتمكنان من التعبير عن كل شيء يشعران به تجاه بعضهما. يمكنهما الزواج وإنجاب الأطفال. يمكن أن تكون زوجته إن أرادا، أو لا إن فضلا ذلك. جميع الخيارات مفتوحة أمامهما الآن. "شكراً لك، ماغي"، قال وهو مشوّش الأفكار. "شكراً لك من كل قلبي. لم أعتقد أنك ستتمكنين من القيام بهذا، ولم أرغب بأن أضغط عليك، ولكنني كنت قلقاً جداً حيال ذلك منذ أشهر".

"أعلم... أنا أيضاً. أردت القيام بالأمر الصحيح. إنه عملٌ صعبٌ أقوم به".

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"أعلم ذلك"، قال، وقبّلها مجدداً. لا يزال غير راغب بالإلحاح عليها. علم أنها ستواجه تعديلات هائلة لأنها لم تعد أختاً. لقد التحقت بالمقر الديني مدة إحدى وعشرين سنة، لنصف عمرها تقريباً. إلا أنه عجز عن إيقاف نفسه عن التفكير في المستقبل. وأفضل جزء فيه هو مستقبلهما معاً. "متى يمكنك الانتقال؟".

"متى أردت. إن عقد شقتي شهري".

"غداً"، قال. كان متلهفاً للعودة إلى المنزل والاتصال بوصيه. اقترح عليه وصيه أن يبحث عن كودا، وهي مجموعة الخطوات الاثنتي عشرة للأشخاص ذوي التعلق العاطفي، بالنظر إلى تعلقه بامرأة غير مسموح له بها. ليس هناك امرأة يصعب الحصول عليها كالأخت؟ والآن، أصبح بإمكانها العيش معه. "سأساعدك على الانتقال الأسبوع القادم، إن أردت"، ضحكت.

"ربما لا تملأ أغراضي الحقيبتين، فضلاً عن ذلك، أين سأعيش؟". لم تقم بأي من الإجراءات بعد، الأمر بكامله جديدٌ عليها. مضى عليها خارج المقر أسبوعان، وتمكنت فقط من الحصول على عمل بعد ظهر هذا اليوم. لم تمتلك الوقت بعد لتفكر في أمر الشقة.

"هل أنت مستعدة للعيش معي؟"، سألها بفضول، وهو لا يزال واقفاً خارج غرفتها في الفندق. لقد تحولت هذه الليلة إلى أفضل ليالي حياته، وحتماً حياتها. ولكنها هزت رأسها كإجابة عن سؤاله. هناك بعض الأمور التي لم تكن مستعدةً للقيام بها.

"ليس إن لم نكن زوجين"، قالت بهدوء. لم ترغب بالضغط عليه. ولكنها لم ترغب بالعيش مع رجل بطريقة غير شرعية. ذلك يناقض كل ما تعتقد به، وأمرّ بالغ العصرية عليها. لقد خرجت إلى العالم للتو، رسمياً، منذ يومين، وليست مستعدةً على الإطلاق للعيش على نحو آثم معه مهما جلب لها ذلك من سعادة.

"يمكن ترتيب ذلك"، قال، مبتسماً. "كنت أنتظر تحررك وحسب. واو، ماغي، هل تتزوجينني؟"، أراد القيام بالأمر بطريقة أكثر لباقة،

ولكنه لم يحتمل الانتظار. انتظرا ما يكفي من الوقت لتتخذ قرارها وتتحرر.

أومأت، تبتسم بابتهاج، وقالت الكلمة التي أراد سماعها منذ وقت طويل. "نعم". حملها بين ذراعيه، قبّلها، ثم أنزلها. تحدثا لبضع دقائق أخرى، ثم دخلت غرفتها تبتسم، وغادر بعد أن وعدها بالاتصال بها لحظة استيقاظه، أو ربما عند وصوله المنزل. حياتهما بكاملها ستبدأ الآن. لم يعتقد أنها ستتمكن من فعل ذلك إطلاقاً. من المثير فعلاً التفكير في أن الزلزال هو من أوصلهما إلى هذا الحال. إنها حقاً امرأة جريئة. علم أنه سيشعر بالامتنان إلى الأبد لأنه حظي بماغي.

كان حفل اليوم التالي مذهلاً. قامت ميلاني بعمل لا يصدق. لم تكن ماغي قد شاهدتها مسبقاً في حفل غنائي كبير، فقط في ذلك الحفل الخيري، الذي كان أصغر بكثير. أخبرها إيفريت عن حفلات ماغي الغنائية، وامتلكت جميع اسطواناتها. أرسلتها ميلاني إليها بعد الزلزال، ولكنها لم تكن مستعدة بعد للتجربة التي لا تصدق في رؤيتها على المسرح وسماع غنائها في مكان كبير كهذا. ذُهلت بذلك، لقد كان أداءً رائعاً على نحو خاص. جلست ماغي في الصف الأمامي مع توم، بينما قام إيفريت بعمله لمجلة سكوب. كان قد قرر قبول العمل في مجلة التايم، ولكن لا يزال يتوجب عليه أن يعطي سكوب إشعاراً بذلك. لقد تغير كل شيء في حياته فجأة، وإلى الأفضل كما هو واضح.

تناولت ماغي وإيفريت العشاء مع توم وميلاني بعد الأداء، وألح إيفريت على ماغي أن تطلعهما على الخبر الجديد. شعرت ماغي بالخجل حيال ذلك في البداية ثم أخبرتهما أنها وإيفريت سيتزوجان. لم يحددا تاريخاً لذلك بعد، ولكنهما أمضيا فترة ما بعد الظهر بكاملها وهما يخططان للأمر. لم تتمكن ماغي من تخيل نفسها في حفل زفاف كبير، أو حتى صغير. اقترحت أن يزوجهما الأب كالاغان على نحو هادئ، حال انتقالها إلى لوس أنجلوس. ولأنها كانت أختاً في السابق، لم تشعر أنه من الصحيح إثارة

الكثير من الجلبة حيال الأمر. وقالت بأنها كبيرة في السن لا يناسبها ارتداء ثوب أبيض، وشعرت بأنها تزوّجت يوم تلت نذورها. أما الأمر الهام الآن هو أنهما سيتزوجان. أما كيفية ومكان إقامة ذلك، فبدوا أمرين أقل أهمية في رأيها. كان الزفاف هو الرمز الجوهري في علاقتها مع إيفريت. قالت إن كل ما تحتاج إليه هو زوجها، ورجل الدين ورضا الله.

شعر توم وميلاني بالإثارة لهذا الخبر، بالرغم من أن ميلاني بدت مذهولة بالكامل.

"لم تعودي أختاً بعد الآن؟"، اتسعت عيناها، وللحظة اعتقدت أنهما يمزحان، ثم أدركت أنهما ليسا كذلك. "واو! ما الذي حدث؟". لم تشك إطلاقاً في أن هناك شيئاً بينهما، ولكنها تمكنت من رؤية ذلك الآن. تمكنت أيضاً من رؤية مقدار سعادتهما، ومقدار شعور إيفريت بالفخر، وماغي بالطمأنينة. لقد وصلت إلى ما تحدثت عنه دائماً، مع اتخاذ هذا القرار الصعب، بدا أن كل ما يفعلانه صحيحاً حتماً. إنه فصل جديد في حياتهما. بينما أخذ الفصل القديم ينتهي ببطء. نظرت إلى إيفريت، بينما كان توم يسكب الشراب له ولميلاني ولماغي. ابتسم إيفريت لها ابتسامةً أضاءت عالم ماغي، كما لم يتمكن أي شيء أو أي شخص من القيام بذلك مسبقاً.

"مرحى لزلزال سان فرانسيسكو!"، قال توم، وهو يرفع كأسه ليشرب نخب الزوجين السعيدين. جمعه الزلزال بميلاني، وكذلك فعل لآخرين. البعض منهم كسبوا، والبعض خسروا. خسر البعض حياتهم. وآخرون هاجروا بعيداً. لقد زلزل حياتهم بكاملها لتتغير إلى الأبد.

الفصل الثالث والعشرون

احتاجت ماغي إلى أسبوعين لإنهاء التزاماتها في سان فرانسيسكو. وبحلول ذلك الوقت، كان إيفريت قد قدّم إشعاراً إلى سكوب، وسيبدأ عمله في المكتب الرئيسي للتايم في لوس أنجلوس. خطط ليستريح لأسبوعين بين هذين العملين ليقضيهما مع ماغي. ووافق الأب كالاغان على تزويجهما يوم وصولها، واتصلت ماغي بأفراد عائلتها مسبقاً لإخبارهم. شعر أخوها الذي كان رجل دين بالسعادة لها، وتمنى لها الخير على وجه الخصوص.

اشترت بذلة حريرية بيضاء بسيطة للمناسبة، مع حذاء عالٍ من الساتان العاجي. اختلف كثيراً عن زيها القديم، وبدا بدايةً لحياةٍ جديدةٍ لكليهما.

كان إيفريت يخطط لاصطحابها إلى لا جولا لقضاء شهر العسل، إلى فندق صغير يعرفه جيداً، وبإمكانهما أن يتمشيا على الشاطئ لأوقات طويلة. ستبدأ العمل مع الأب كالاغان في تموز، وتستطيع بذلك التدرب معه لستة أسابيع قبل أن يغادر إلى المكسيك في أواسط آب. سيغادر أبكر من المعتاد هذه المرة لمعرفته أن مهمته في لوس أنجلوس بين أيدٍ أمينة. كانت ماغي متلهفة للبدء بعملها. أصبح كل شيء في حياتها ممتعاً الآن. الزفاف، والانتقال، والعمل الجديد، وحياة جديدة في جميع جوانبها. شعرت وكأنها صدمة لها عندما أدركت أنها ستستخدم اسمها الشخصي الآن. ماري مجدلين هو الاسم الذي اختارته عند دخولها المقر. كان اسمها ماري مارغريت قبل ذلك. قال إيفريت إنه سيناديها ماغي إلى الأبد. هكذا يفكر

www.mlazna.com-RAYAHEEN

فـيها، هكذا يعرفها، وهكذا اسمها بالنسبة إليه الآن. اتفق كلاهما على أنه يناسـبها، وقـررت أيـضاً أن تحتفظ بالكنية. إن كنيتها الجديدة الآن هي كارسـون. السيدة إيفريت كارسون. نطقته وهي تحزم حقائبها وتنظر إلى شقتها الصغيرة للمرة الأخيرة. ناسبتها طوال سنوات حياتها في تينديرلوين. ولكن تلك الأيام انتهت الآن.

سلمت المفاتيح إلى مالك الشقة، تمنت له الخير، وودعت من تعرفهم مـن المتـسكعين فـي الممرات. لوّح أحد جيرانها لها وهي تدخل سيارة الأجـرة. لـم تخبـر أحداً أنها ستغادر، أو عن سبب مغادرتها، ولكن بدا وكأنهم عرفوا بأنها لن تعود. دعت لهم وهي تغادر.

وصلت إلى لوس أنجلوس في الوقت المحدد، والتقى بها إيفريت في المطـار. للحظـة، كان قلبه يخفق بشدة. يخشى لو غيرت رأيها؟ ومن ثم رأى ماغـي، امـرأة صغيرة في سروال الجينز الأزرق، بشعرها الأحمر اللامـع، تنتعل حذاءً رياضياً وردي اللون وترتدي كنزة بيضاء، تتقدم إليه مع ابتسامة لا يمكن مقاومتها. هذه هي المرأة التي انتظرها العمر بكامله. لقـد كان محظوظاً عندما وجدها، وبدت وكأنها قد شعرت بأنها محظوظة مـثله وهـي ترمـي نفـسها بين ذراعيه. حمل حقيبتها وانطلقا. غداً يوم زفافهما.

• • •

أُرسـل سـيث إلى سجن أقل تشدّداً في شمالي كاليفورنيا، وقيل إن ظـروف المعيـشة هناك جيدة. كان هناك مخيم أحراج مُلحق به، وعمل الـسجناء هـناك كحراس للغابة، يشرفون على سلامة المنطقة، ويخمدون نيـران الغابـات إن اشـتعلت. كان سيث يأمل أن يلتحق بمخيم الأحراج سريعاً.

في هذه الأثناء، أُدخل زنزانة منفردة، بعد أن استخدم محاموه بعض النفوذ. شعر بالراحة هناك، ولا وجود لأي خطر. كما أن جميع المجرمين المـتواجدين هـناك كانـوا من الطبقة الراقية. في الحقيقة، كان أغلبهم قد

اقتـرفوا جـرائم مشابهة لجريمته، ولكن بمبالغ أصغر بكثير. وإن عقدنا المقارنة، يعتبر هو البطل بينهم. سُمح بزيارات خاصة للمتزوجين، وتمكنوا مـن تلقي الطرود، وانتشرت صحيفة وول ستريت بكثرة بين معظم السجناء. أُطلـق على هذا السجن تسمية النادي الريفي بين السجون الفيدرالية، ولكن بالرغم من كل شيء يظل سجناً. اشتاق إلى حريته وإلى زوجته وطفليه. لم يشعر بالأسف على ما فعل، بل شعر بالحزن لأنهم تمكنوا من الإيقاع به.

جاءت سارة لزيارته مع الطفلين في أول سجن وضع فيه، في دبلن، جـنوب شـرقي أوكلانـد، بينما كانت إجراءات الطلاق مستمرة. لم يكن مريحاً، بل مخيفاً، وشعر الجميع بالصدمة. أما زيارته في هذا السجن الآن فكانت أشبه بزيارة إلى المشفى أو إلى فندقٍ رديءٍ في الغابة. كانت هناك بلدة صغيرة ملحقة بالسجن حيث بإمكان سارة والطفلين المكوث فيها. كما تمكنت سارة من الحصول على زيارات زوجية خاصة معه، بالنظر إلى أن طلاقهمـا لم يتم بعد، ولكن برأيها، انتهى زواجهما مسبقاً، وندم على ذلك أيـضاً، تمامـاً مثل ندمه على الألم الذي سببه لها. رأى ذلك واضحاً في عينـيها منذ آخر مرة رآها فيها ذلك الصيف. لم يكن مكاناً يسهل الوصول إليه، وكانوا بعيدين عنه كثيراً. بالنظر إلى أن سارة والطفلين كانوا يمكثون في بيرمودا مع والديها منذ شهر حزيران .

شـعر بالتوتـر وهـو ينتظرهم صباح يوم حار في شهر آب. كوى سـرواله الكاكي وقميصه، ولمّع حذاءه البني الجلدي. فمن بين كل الأشياء التي افتقدها، كان حذاؤه البريطاني الذي صنع خصيصاً له.

عـندما حان وقت الزيارة، مشى إلى منطقة عشبية أمام المخيم. كان أطفـال الـسجناء يلعبون هناك، بينما يتحدث الأزواج والزوجات، يقبلون بعـضهم، ويمسكون بأيدي بعضهم. وعندها، وهو يراقب الطريق بتمعنٍ، شـاهد سـيارتهم. أوقفتها سارة، وأخرجت سلة النزهات من الخلف. كان يسُمح للزوار بجلب الطعام معهم. كان أوليفر يمشي وحده بجانبها، يتمسك بتنورتها بنظرة فضولية على وجهه، بينما أخذت مولي تركض إلى جانبها

ودميتها تحت ذراعها. للحظة، شعر بدموع في عينيه، ومن ثم رأى سارة. لـوحت لـه، ثمّ دخلت مركز التفتيش، حيث بحثوا في السلة التي جلبتها، وسُمح للثلاثة بالدخول. كانت تبتسم له وهم يقتربون إليه. رأى أنها اكتسبت القليل من الوزن، وبدت أقل نحولاً عما كانت عليه قبل هذا الصيف، بعد انتهاء المحاكمة. أسرعت مولي إلى ذراعيه، وابتعد أوليفر لدقيقة ثم اقترب منه مع القليل من الحذر. وبعدها التقت عينا سيث بعيني سارة. قبلته بلطف على وجنته، ووضعت السلة، بينما كان الطفلان يركضان حولهما.

"تبدين بحالة جيدة، سارة".

"وكـذلك أنت، سيث"، قالت هذا شاعرة بالارتباك. لقد مضى الكثير مـن الوقت، وتغير الكثير. كان يبعث لها برسائل إلكترونية من حين إلى آخـر، وتـرد عليه، تخبره عن الطفلين. كان يرغب بأن يقول المزيد لها، ولكـنه لـم يعد يجرؤ. لقد نصبت الحواجز أمامه ولم يعد له خيارٌ سوى احترامها. لم يخبرها أنه يشتاق إليها، بالرغم من أنه كان كذلك. ولم تخبره كم تصعب الحياة من دونه. لم يعد هناك مساحة لقول ذلك في ما يشتركان به. انزاح الغضب عن كاهلها، وكل ما تبقى لها هو الحزن، بل شعر بنوع من الطمأنينة، عندما تابعت حياتها. لم يعد هناك شيء لتلومه عليه، أو تندم على فعله. لقد حدث الأمر. تم وانتهى. ولما تبقى من حياتهما، سيتشاركان بهذين الطفلين، يتناقشان حولهما، حول ذكريات الماضي.

قـدمت الغـداء للجميع على طاولة النزهات. حمل سيث الكراسي، وتـناوب كل من الطفلين في الجلوس في حضنه. جلبت معها شطائر لذيذة مـن مكـان محلي لبيع الأطعمة وفاكهة وكعك الجبن الذي تعلم بأن سيث يحبه. حتى إنها جلبت له أنواعاً بفضلها من الشوكولا والسيجار.

"شكراً لك، سارة. كان الغداء لذيذاً". استند، ليدخن السيجار، بينما أخذ الطفلان يركضان. علمت أن أحواله جيدة، وتكيف مع انعطاف القدر الذي أوصـله إلى هناك. بدا أنه يتقبل الأمر الآن، خاصة بعد أن أكد له هنري جاكوبس بأن لا أساس للقيام بأي استئناف. أخذت المحكمة إجراءاتها على

نحـو صحيح، ولم يحدث أي خطأ في محاضر الجلسات. لم يبد أن سيث يشعر بالألم، وكذلك هي. "شكراً لأنك جلبت الطفلين".

"ستبدأ مولي مدرستها بعد أسبوعين. ويتوجب عليّ العودة إلى العمل". لم يعـرف بمـا يجيـبها. أراد إخبارها أنه يشعر بالأسف لفقدانها المنزل، ولأن مجوهراتها بيعت، ولأن كل شيء أنشأه وتشاركا فيه قد اختفى، ولكنه لم يتمكن من العثور على الكلمات. بدلاً من ذلك، جلسا هناك معاً، ينظران إلى طفليهما. مـلأت هـذا الصمت بأخبارٍ عن عائلتها، وأخبرها هو عن روتين السجن. لم تكـن أموراً غير شخصية بمقدار ما كانت مختلفة. هناك أمورٌ لم يعودا قادرين على التحدث عنها، ولن ينطقا بها مجدداً أبداً. علم أنها لا تزال تحبه، علم ذلك مـن الغـداء الـذي جلبـته معها، من الطريقة المحبة التي حضرت بها سلة النـزهات، الطريقة التي جلبت فيها طفليها إليه. وعلمت أنه لا يزال يحبها. في يـوم ما، سيختلف هذا أيضاً، ولكن الحب الآن هو كل ما تبقّى ليتشاركاه. إنه والد طفليها، الرجل الذي تزوجته وأحبته. وذلك لن يتغير إلى الأبد.

مكثت هي وطفلاها حتى انتهاء وقت الزيارة. انطلق جرسٌ لإعلامهم بـأن وقـت الزيارة قد انتهى. طُلب منهم أن يحزموا أشياءهم، ويرموا ما تبقى بعيداً. وضعت بقايا الغداء والمناديل ذات المربعات الحمراء في سلة النزهات. جلبت معها أغراضاً من المنزل لتضيف المرح على هذه الزيارة لأقصى ما يمكن.

أحضرت طفليها وأخبرتهما أنهم ذاهبون. ارتسم الحزن على وجه أوليفر عندما أخبرته أن يودع والده، وعانقته مولي وذراعاها حول خصره.

"لا أريـد أن أترك أبي"، قالت مستاءة. "أريد المكوث هنا!". هذا ما حكمه والدها عليها، ولكنه علم أن هذا أيضاً سيتغير مع مرور الزمن. في النهاية، سيعتادان على رؤيته هنا لا في مكان آخر.

"سـنأتي لـزيارته مجدداً قريباً"، قالت سارة، تنتظر مولي أن تترك والـدها، ففعلت في النهاية. رافقهم سيث حتى مركز التفتيش، أقصى نقطة يُسمح له بالوصول إليها، وفعل السجناء الآخرون الأمر نفسه.

www.mlazna.com-RAYAHEEN

"شـكراً ثانيةً، سارة"، قال بصوته الذي اعتادت عليه لسبع سنوات. "اعتني بنفسك".

"سأفعل. أنت أيضاً". أرادت أن تخبره شيئاً، ثم ترددت، بينما انطلق طفلاها بعيداً. "أحبك، سيث. آمل أن تعرف ذلك. لم أعد غاضبة منك. أنا حـزينة فقط عليك، وعلينا. ولكنني بخير". أرادت أن يعرف ذلك، بأنه لا حاجـة إلى أن يشعر بالقلق أو بالذنب عليها. بإمكانه أن يشعر بالندم على أي شـيء يريده، ولكن مع مرور الصيف، أدركت أنها ستكون بخير. هذا هو قدرها، وهذا ما يتوجب عليها التعامل معه، من دون النظر إلى الوراء، أو الـشعور بالكـره تجاهه، أو حتى تمني لو اختلفت الأمور. علمت الآن بأنها لن تكون كذلك أبداً. حتى ولو لم تفهم ما حدث، فإنه حدث بالرغم من كل شيء. كان سيمضي بعض الوقت فقط قبل أن يتضح كل شيء. فهمت ذلك بالكامل الآن. لم يكن الرجل الذي ظنّته.

"شـكراً، سـارة.... لأنك لم تكرهيني على ما فعلته"، لم يحاول أن يشرح لها. حاول مسبقاً، وعلم أنها لن تتفهم ذلك أبداً. إن كل شيء فكر فيه في ذلك الوقت كان غريباً بالكامل عنها.

"لا بـأس، سـيث. انتهـى الأمـر. نحن محظوظان لامتلاكنا هذين الطفلـين". كانت لا تزال تشعر بالأسف لعدم وجود طفل آخر، ولكن ربما سترزق به يوماً ما. الحظّ ليس في صالحها الآن. هذا ما قالته ماغي عندما اتصلت لتخبرها بأنها تزوجت. وعندما فكرت سارة فيها، التفتت إلى سيث وابتسمت. لم تكن قد أدركت ذلك من قبل، ولكنها من دون أن تحاول حتى، سامحته. لقد انزاح عن قلبها وكتفيها ثقلٌ بوزن مليون رطل. حتى من دون أن تدفعه بعيداً بنفسها، رحل وحده.

شـاهدهم وهم يمرون عبر بوابة الخروج، ويدخلون مرأب الوقوف. لـوح لطفلـيه، والتفـتت سارة مبتسمةً ونظرت إليه طويلاً. لوح لهم وهم يـنطلقون بعـيداً، ومـشى عائداً ببطء إلى زنزانته، يفكر فيهم. إنهم أفراد الأسرة التي ضحى بها، وفقدها إلى الأبد.

بعـد أن اجـتازت سارة منعطفاً في الطريق، تلاشى السجن خلفها، نظـرت إلى طفليها، وابتسمت لنفسها، وأدركت أنه حدث. لم تعلم كيف أو أيـن، ولكنها وصلت إليه بطريقةٍ ما. إنه ما أشارت إليه ماغي كثيراً ولم تـتمكن سـارة مـن إيجاده. لقد وجدته، وجدها، وشعرت بأنها خفيفة جداً وقادرةٌ على الطيران. سامحت سيث، ووصلت إلى الرحمة التي لم تتمكن من تخيلها في البداية. إنها لحظة من الكمال الصافي الثابت في الزمن إلى الأبد... الرحمة المذهلة!

تمت

www.mlazna.com
^RAYAHEEN^

في ليلة دافئة من ليالي شهر أيار / مايو في مدينة سان فرانسيسكو، يجتمع حشدٌ من المشاهير المتألقين في قاعة ريتز كارلتون المتلألئة بالكريستال والفضة لحضور حفل خيري. ولكن في تلك الأمسية المثالية – وقبل منتصف الليل بلحظات – تبدأ الغرفة بالتأرجح. يتبعثر زجاجها. ثم يعلو الصراخ عندما يخيّم الظلام على المكان ...

في أعقاب الزلزال، تتقاطع حياة أربعة غرباء ... سارة سلون، الزوجة الجميلة لمستثمر عبقري، تشاهد عالمها المثالي يتحطم أمامها إلى أجزاء... ميلاني فري، مغنية نالت الغرامي مؤخراً، وهي نجمة الأمسية، تصل إلى نقطة تحوّل في حياتها ومهنتها... المصور إيفريت كارسون، المراسل الحربي سابقاً، والذي جعلته نزواته يغطي الحفلات الاجتماعية فقط، يجد هدفاً جديداً وسط تلك الأشلاء ... الأخت ماغي كينت، راهبة تعمل ببنطالها الجينز وحذائها الرياضي مع المشردين، تبحث بين الحطام وتعلم على الفور أن هناك الكثير من العمل لتنجزه ...

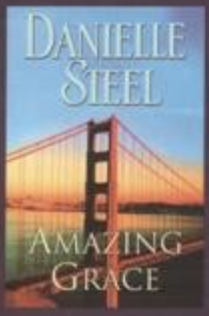

وبينما المدينة تترنح في عودتها إلى الحياة، تؤثر سلسلة من ردود الأفعال على أحداث استثنائية في حياة كل ناجٍ ... تكتشف سارة جريمةً وخيانةً، ثم قوةً لم تعلم أنها تمتلكها إطلاقاً. يفتح التطوع في مخيم اللاجئين أمام ميلاني فرصاً للسنوات القادمة. أما إيفريت فتهزه علاقةٌ لم يكن يتوقعها مع ماغي، والتي تساعده في بناء حياته المحطّمة لتضع حياتها في دائرة الخطر. وبعد مرور سنة، واقتراب الذكرى السنوية الأولى لوقوع الزلزال، تقع المزيد من المفاجئات. عندما يكتشف كل شخص النعم التي حلّت به بعد تلك المأساة ... والنعمة العظيمة لبداية جديدة.

في هذه الصفحات الآسرة للقلوب، تُبدع دانيال ستيل مجموعةً مذهلةً من التناقضات. من الحفل الخيري المتألق إلى فوضى المشفى الميداني، من الحياة الفاخرة لنجمة الغناء، إلى بطولة متطوعة رائعة. إنها الرواية الأكثر قوةً وإثباتاً للحياة حتى يومنا هذا.

K.D.
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
الدينار

ISBN 978-9953-87-636-8
9 789953 876368
جميع كتبنا متوفرة على شبكة الإنترنت
نيل وفرات.كوم
www.neelwafurat.com
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com
ص. ب. 13-5574 شوران 2050-1102 بيروت – لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+) فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

www.mlazna.com-RAYAHEEN